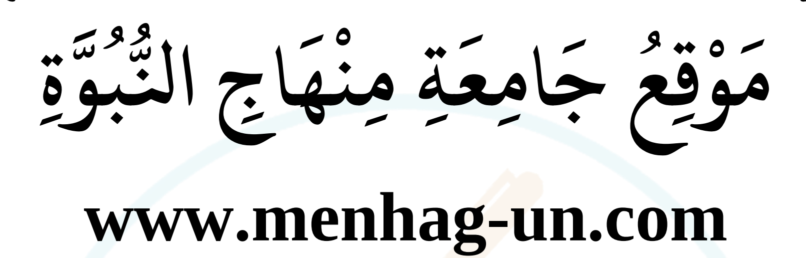


مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَةَ الْأُولَى)

مِنْ مَادَّةِ التَّفْسِيرِ

تفسِيرُ

جُزْءِ عَمَّ

[سُورَةُ: النَّبَأ]


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ، نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَسَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ﷺ.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفۡسٖ وَٰحِدَةٖ وَخَلَقَ مِنۡهَا زَوۡجَهَا وَبَثَّ مِنۡهُمَا رِجَالٗا كَثِيرٗا وَنِسَآءٗۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِي تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلۡأَرۡحَامَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيۡكُمۡ رَقِيبٗا﴾ [النساء: ١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَقُولُواْ قَوۡلٗا سَدِيدٗا ٧٠ يُصۡلِحۡ لَكُمۡ أَعۡمَٰلَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡ ذُنُوبَكُمۡۗ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ فَازَ فَوۡزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠-٧١].

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ أَصْدَقَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلَّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

- **أَمَّا بَعْدُ:**

فَإِنَّ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ هُوَ كَلَامُ اللهِ الَّذِي لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، وَهُوَ الْآيَةُ الْخَالِدَةُ الَّتِي بُعِثَ بِهَا خَاتَمُ الرُّسُلِ ﷺ، وَهُوَ نِبْرَاسُ الْهُدَىٰ الَّذِي بِنُورِهِ يَهْتَدِي الْمُهْتَدُونَ، وَهُوَ الْيَنْبُوعُ الصَّافِي الَّذِي يَنْهَلُ مِنْ شِرْعَتِهِ الْوَارِدُونَ، فَمَا سَارَ عَلَىٰ هَدْيِهِ سَائِرٌ إِلَّا بَلَغَ مَأْمَنَهُ، وَمَا تَنَكَّبَ طَرِيقَهُ مُتَنَكِّبٌ إِلَّا ضَلَّ وَغَوَىٰ.

وَتَفْسِيرُ الْقُرْآنِ إِنَّمَا يُعْلَمُ مِنْ قِبَلِ الْقُرْآنِ ذَاتِهِ، ثُمَّ مِنْ قِبَلِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ مَنْ أُوحِيَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ، ثُمَّ مِنْ قِبَلِ الصَّحَابَةِ رضي الله عنهم، وَهُمُ الَّذِينَ شَهِدُوا وَقَائِعَ التَّنْزِيلِ، وَعَايَنُوا أَسْبَابَ النُّزُولِ، وَجَلَسُوا مُتَعَلِّمِينَ بَيْنَ يَدَيِ الرَّسُولِ ﷺ، مَعَ مَا أُوتُوا مِنَ السَّلِيقَةِ اللُّغَوِيَّةِ، وَالْفِطَرِ الْمُسْتَقِيمَةِ السَّوِيَّةِ، ثُمَّ يُعْلَمُ التَّفْسِيرُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ قِبَلِ لُغَةِ الْعَرَبِ الشَّرِيفَةِ، الَّتِي أُنْزِلَ بِهَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَلَمَّا كَانَ شَرَفُ الْعِلْمِ بِشَرَفِ مَعْلُومِهِ؛ كَانَ عِلْمُ التَّفْسِيرِ أَشْرَفَ الْعُلُومِ جَمِيعِهَا؛ فَبِهِ يُعْرَفُ مُرَادُ اللهِ مِنْ كَلَامِهِ، وَمَعَانِي آيَاتِ كِتَابِهِ، وَيَكْفِي فِي التَّدْلِيلِ عَلَىٰ شَرَفِ هَذَا الْعِلْمِ أَنَّ مَوْضُوعَهُ كَلَامُ اللهِ، وَأَنَّ فَائِدَتَهُ التَّذَكُّرُ وَالِاعْتِبَارُ، وَمَعْرِفَةُ هِدَايَةِ اللهِ؛ فِي الْعَقَائِدِ وَالْعِبَادَاتِ، وَالْمُعَامَلَاتِ وَالْأَخْلَاقِ.

وَقَدْ تَرَكَ لَنَا أَئِمَّةُ أَهْلِ السُّنَّةِ مَكْتَبَةً زَاخِرَةً بِكُتُبِ التَّفْسِيرِ، سَارُوا فِيهَا عَلَىٰ الْمِنْهَاجِ الْأَقْوَمِ، وَالنَّهْجِ الْأَعْدَلِ فِي تَفْسِيرِ كَلَامِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَمِنْهَا عَلَىٰ سَبِيلِ التَّمْثِيلِ لَا الْحَصْرِ: تَفْسِيرُ الْإِمَامِ الطَّبَرِيِّ، وَتَفْسِيرُ الْإِمَامِ الْبَغَوِيِّ، وَتَفْسِيرُ الْإِمَامِ ابْنِ كَثِيرٍ، وَتَفْسِيرُ الْإِمَامِ السَّعْدِيِّ -رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْهِمْ جَمِيعًا-.

وَنُحَاوِلُ جَاهِدِينَ فِي هَذِهِ الْمَادَّةِ أَنْ نَعْرِضَ خُلَاصَةَ التَّفْسِيرِ، صَافِيَةً نَقِيَّةً، مُخْتَصَرَةَ الْعِبَارَةِ، وَاضِحَةَ الْمَعْنَىٰ؛ لِتَقِفَ أَيُّهَا الدَّارِسُ مِنْ غَيْرِ كَدٍّ وَلَا تَعَبٍ إِلَىٰ مَعَانِي آيَاتِ كِتَابِ رَبِّكَ مِنْ أَقْصَرِ طَرِيقٍ، وَأَقْرَبِ سَبِيلٍ، أَسْأَلُ اللهَ -تَعَالَىٰ- أَنْ يَنْفَعَنِي وَإِيَّاكُمْ بِالنَّظَرِ فِي آيَاتِ كِتَابِهِ، وَتِلَاوَتِهِ وَحِفْظِهِ، وَأَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِمَعْرِفَةِ مُرَادِهِ مِنْ كَلَامِهِ، وَبِتَدَبُّرِهِ وَالْعَمَلِ بِهِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَيْهِ، وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ وَبَارَكَ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

بَيْنَ يَدَيِ السُّورَةِ

سُورَةُ عَمَّ مَكِّيَّةٌ، وَتُسَمَّىٰ [سُورَةَ النَّبَأِ]؛ لِأَنَّ فِيهَا الْخَبَرَ الْهَامَّ عَنِ الْقِيَامَةِ وَالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَمِحْوَرُ السُّورَةِ يَدُورُ حَوْلَ إِثْبَاتِ عَقِيدَةِ الْبَعْثِ الَّتِي طَالَمَا أَنْكَرَهَا الْمُشْرِكُونَ، وَكَذَّبُوا بِوُقُوعِهَا، وَزَعَمُوا أَنْ لَا بَعْثَ، وَلَا جَزَاءَ وَلَا حِسَابَ!!

* ابْتَدَأَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِالْإِخْبَارِ عَنْ مَوْضُوعِ الْقِيَامَةِ، وَالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، هَذَا الْمَوْضُوعُ الَّذِي شَغَلَ أَذْهَانَ الْكَثِيرِينَ مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ، حَتَّىٰ صَارُوا فِيهِ مَا بَيْنَ مُصَدِّقٍ وَمُكَذِّبٍ ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ① عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ..﴾ الْآيَاتِ.

* ثُمَّ أَقَامَتِ الدَّلَائِلَ وَالْبَرَاهِينَ عَلَىٰ قُدْرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَإِنَّ الَّذِي يَقْدِرُ عَلَىٰ خَلْقِ الْعَجَائِبِ وَالْبَدَائِعِ، لَا يُعْجِزُهُ إِعَادَةُ خَلْقِ الْإِنْسَانِ بَعْدَ فَنَائِهِ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ⑥ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ⑦ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ⑧ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا..﴾، الْآيَاتِ.

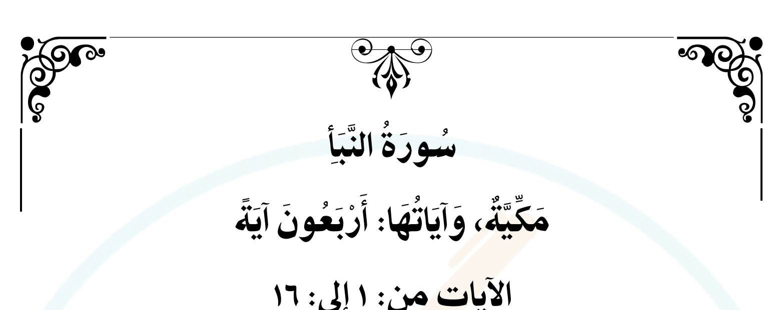
* ثُمَّ أَعْقَبَتْ ذَلِكَ بِذِكْرِ الْبَعْثِ، وَحَدَّدَتْ وَقْتَهُ وَمِيعَادَهُ، وَهُوَ يَوْمُ الْفَصْلِ بَيْنَ الْعِبَادِ، حَيْثُ يَجْمَعُ اللهُ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِلْحِسَابِ ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا ⑰ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا..﴾ الْآيَاتِ.

* ثُمَّ تَحَدَّثَتْ عَنْ جَهَنَّمَ الَّتِي أَعَدَّهَا اللهُ لِلْكَافِرِينَ، وَمَا فِيهَا مِنْ أَلْوَانِ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ الْآيَاتِ.

* وَبَعْدَ الْحَدِيثِ عَنِ الْكَافِرِينَ، تَحَدَّثَتْ عَنِ الْمُتَّقِينَ، وَمَا أَعَدَّ اللهُ تَعَالَىٰ لَهُمْ مِنْ ضُرُوبِ النَّعِيمِ، عَلَىٰ طَرِيقَةِ الْقُرْآنِ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ (التَّرْهِيبِ وَالتَّرْغِيبِ) ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا﴾ الْآيَاتِ.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِالْحَدِيثِ عَنْ هَوْلِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، حَيْثُ يَتَمَنَّىٰ الْكَافِرُ أَنْ يَكُونَ تُرَابًا فَلَا يُحْشَرُ وَلَا يُحَاسَبُ ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾.

⦿ ⦿ ⦿



سُورَةُ النَّبَأ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا: أَرْبَعُونَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: ١٦

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣) كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤)
ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥) أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦) وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧) وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا
(٨) وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩) وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠) وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١)
وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢) وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣) وَأَنْزَلْنَا مِنَ
الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦)﴾.



مَعَانِي الْكَلِمَاتِ[١]:

﴿عَمَّ﴾: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ، وَأَصْلُهَا «عَنْ مَا»، فَأُدْغِمَتِ النُّونُ فِي الْمِيمِ؛ فَصَارَتْ «عمَّا»، وَحُذِفَتِ الْأَلِفُ تَخْفِيفًا؛ فَصَارَتْ «عَمَّ».

﴿ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ﴾: الْخَبَرُ الْهَائِلُ.

﴿كَلَّا﴾: رَدْعٌ وَزَجْرٌ.

﴿مِهَٰدًا﴾: أَيْ مُمَهَّدَةً.

﴿أَزْوَٰجًا﴾: أَصْنَافًا؛ ذُكُورًا وَإِنَاثًا.

﴿سُبَاتًا﴾: رَاحَةً لِأَبْدَانِكُمْ.

﴿لِبَاسًا﴾: سَاتِرًا بِسَوَادِهِ وَظَلَامِهِ.

﴿مَعَاشًا﴾: وَقْتًا لِطَلَبِ الْمَعِيشَةِ.

﴿شِدَادًا﴾: الْمُفْرَدُ: شَدِيدَةٌ، وَالْجَمْعُ: شِدَادٌ، أَيْ: قَوِيَّةً مُحْكَمَةً.

﴿وَهَّاجًا﴾: وَقَّادًا.

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٠٠ - ٥٠١) بتصرف.

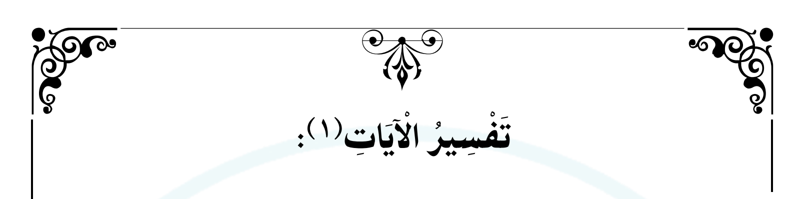
﴿ٱلْمُعْصِرَٰتِ﴾: السُّحُبِ.

﴿ثَجَّاجًا﴾: مُنْصَبًّا بِكَثْرَةٍ صَبًّابًا.

﴿وَجَنَّٰتٍ﴾: بَسَاتِينَ.

﴿أَلْفَافًا﴾: أَيْ مُلْتَفَّةَ الشَّجَرِ.

* * *



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[(١)]:

يَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ:

﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ أَيْ: عَنْ أَيِّ شَيْءٍ يَتَسَاءَلُ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ؟!

وَذَلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا دَعَاهُمْ إِلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَأَخْبَرَهُمْ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَتَلَا عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ؛ جَعَلُوا يَتَسَاءَلُونَ بَيْنَهُمْ، فَيَقُولُونَ: مَاذَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ؟ ثُمَّ ذَكَرَ أَنَّ تَسَاؤُلَهُمْ عَنْ مَاذَا؛ ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾؟[(٢)].

﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ وَالنَّبَأُ: الْخَبَرُ الْهَائِلُ[(٣)]، قَالَ مُجَاهِدٌ[(٤)] ....

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٠٩ - ٣١٣، دار طيبة).

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٤٩)، بإسناد صحيح، عَنِ الْحَسَنِ، قَالَ: لَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ جَعَلُوا يَتَسَاءَلُونَ بَيْنَهُمْ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ يَعْنِي: «**الْخَبَرَ الْعَظِيمَ**».

(٣) «تفسير القرآن العظيم» لابن كثير (٨/ ٣٠٢، دار طيبة).

(٤) صحيح، ذكره البخاري معلقا في «صحيحه» في (كِتَاب التَّوْحِيدِ، بَابُ ٣٩)، وأخرجه عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٦٩٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٤٩).

وَمُجَاهِدٌ، هو: ابن جبر بفتح الجيم وسكون الموحدة، أبو الحجاج المخزومي مولاهم =

وَالْأَكْثَرُونَ(١): «هُوَ الْقُرْآنُ»، وَدَلِيلُهُ: قَوْلُهُ: ﴿قُلۡ هُوَ نَبَؤٌاْ عَظِيمٌ﴾ [ص: ٦٧]، فَهَذَا بِالنِّسْبَةِ لِلْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، إِذَنْ؛ فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾: عَنِ الْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَقَالَ قَتَادَةُ(٢): «هُوَ الْبَعْثُ»(٣).

﴿ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ﴾: فَمُصَدِّقٌ وَمُكَذِّبٌ(٤).

=

المكي، ثقة إمام في التفسير وفي العلم، من الوسطىٰ من التابعين، مات سنة اثنتين ومائة، وله ثلاث وثمانون، انظر: «التاريخ الكبير» (٧/ رقم ١٨٠٥)، و«الجرح والتعديل» (٨/ رقم ١٤٦٩)، و«تهذيب الكمال» (٥٧٨٣)، و«التقريب» (٦٤٨١).

(١) فأخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (رقم ٣٤٥٠): عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلنَّبَإِ ٱلۡعَظِيمِ﴾، قَالَ: «**الْقُرْآنُ**»، وإسناده صحيح.

وروي مثله عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهو قول مقاتل، والفراء، وابن قتيبة، وغيرهم.

(٢) هو الحافظ قتادة بن دعامة بن قتادة، أبو الخطاب السدوسي البصري، ثقة ثبت، من الطبقة التي تلي الوسطىٰ من التابعين، مات سنة بضع عشرة ومائة، انظر: «التاريخ الكبير» (٧/ رقم ٨٢٧)، و«الجرح والتعديل» (٧/ رقم ٧٥٦)، و«تهذيب الكمال» (٤٨٤٨)، و«التقريب» (٥٥١٨).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٥٠)، من طريق: سَعِيدٍ، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: «**النَّبَأُ الْعَظِيمُ: الْبَعْثُ بَعْدَ الْمَوْتِ**»، وإسناده صحيح أيضا.

وَهُوَ قَول أَبِي الْعَالِيَة، وَالربيع بن أنس، وابن زيد، وغيرهم.

(٤) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (رقم ٣٤٥١)، والطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٥٠)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلَّذِي هُمۡ فِيهِ مُخۡتَلِفُونَ﴾، قَالَ: «**مُصَدِّقٌ بِهِ وَمُكَذِّبٌ**».

﴿كَلَّا﴾: وَهِيَ كَلِمَةُ رَدْعٍ وَزَجْرٍ.

﴿كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: يَقُولُ: سَيَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ تَكْذِيبِهِمْ حِينَ تَنْكَشِفُ الْأُمُورُ.

﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾: اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَتَوَعَّدُهُمْ بِوَعِيدٍ عَلَىٰ إِثْرِ وَعِيدٍ، فَيَقُولُ سُبْحَانَهُ: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ۝١ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ ۝٢ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ﴾.

ذَكَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ صَنَائِعَهُ؛ لِيَعْلَمُوا تَوْحِيدَهُ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾: أَيْ فِرَاشًا[1]، وَغِطَاءً كَالْمَهْدِ لِلصَّبِيِّ، وَهُوَ مَا يُمَهَّدُ لَهُ فَيُنَوَّمُ عَلَيْهِ[2].

﴿وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا﴾: أَوْتَادًا لِلْأَرْضِ حَتَّىٰ لَا تَمِيدَ، وَلَا تَضْطَرِبَ.

﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾: أَصْنَافًا؛ ذُكُورًا وَإِنَاثًا.

﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ أَيْ: رَاحَةً لِأَبْدَانِكُمْ، وَانْقِطَاعًا عَنِ الْحَرَكَةِ.

﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾: غِطَاءً، وَغِشَاءً يَسْتُرُ كُلَّ شَيْءٍ بِظُلْمَتِهِ.

﴿وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا﴾: الْمَعَاشُ: الْعَيْشُ، وَكُلُّ مَا يُعَاشُ فِيهِ فَهُوَ مَعَاشٌ، أَيْ: جَعَلْنَا مِنْهَا سَبَبًا لِلْمَعَاشِ، وَالتَّصَرُّفِ فِي الْمَصَالِحِ[3].

---

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (١٤/ ١٥١)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا﴾، أَيْ: «**بِسَاطًا**».

(٢) «الكشاف» (٤/ ٦٨٥).

(٣) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٦٩٤)، والطبري في
=

﴿وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا﴾: يُرِيدُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ قَوِيَّةً مُحْكَمَةَ الْبِنَاءِ.

﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾: سِرَاجًا: يَعْنِي الشَّمْسَ، وَهَّاجًا: مُضِيئًا مُنِيرًا(١)..

﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾: مِنَ الْمُعْصِرَاتِ: يَعْنِي مِنَ السُّحُبِ، كَمَا قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ(٢).

وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْمُعْصِرَاتُ: «هِيَ الرِّيَاحُ»(٣).

=

«تفسيره» (٢٤/ ١٥٢)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿النَّهَارَ مَعَاشًا﴾، قَالَ: «**يَبْتَغُونَ فِيهِ مِنْ فَضْلِ اللهِ**».

(١) ذكر نحوه البخاري معلقا في «صحيحه» (كِتَابُ التفسير، سُورَةُ ٧٨)، وأخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٥٣)، بإسناد حسن، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا﴾، يَقُولُ: «**سِرَاجًا مُنِيرًا**»، وفي رواية: «**مُضِيئًا**».

وهو قول مجاهد، وقتادة، والثوري، وغيرهم.

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٥٤)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾، يَقُولُ: «**مِنَ السَّحَابِ**».

وَهُوَ قَول أَبُو الْعَالِيَةِ، وَالضَّحَّاكُ، وَالْحَسَنُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَالثَّوْرِيُّ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرِ الطبري.

(٣) أخرجه صالح بن أحمد في «مسائله لأبيه» (٢/ ٥٩ - ٦٠، رقم ٦٠٨، و٦٠٩)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (رقم ٢٦٦٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٥٣)، والخرائطي في «مكارم الأخلاق» (رقم ١٠٠٤، و١٠٠٥)، من طرق: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ﴾، قَالَ: «**الرِّيَاحُ**»، وهو صحيح عنه أيضا.

وهو قول عكرمة، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد، وَمُقَاتِلٌ، وَالْكَلْبِيُّ.

وَالرَّاجِحُ: أَنَّهَا السُّحُبُ تَنْعَصِرُ بِالْمَاءِ، وَلَمْ تُمْطِرْ بَعْدُ[١].

﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾: أَيْ صَبَّابًا مُتَتَابِعًا يَتْلُو بَعْضُهُ بَعْضًا[٢].

﴿لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾: لِنُخْرِجَ بِهِ: أَيْ بِذَلِكَ الْمَاءِ حَبًّا، وَهُوَ مَا يَأْكُلُهُ النَّاسُ.

وَنَبَاتًا: مَا تُنْبِتُهُ الْأَرْضُ مِمَّا تَأْكُلُهُ الْأَنْعَامُ.

﴿وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾: وَبَسَاتِينَ مُلْتَفَّةَ الشَّجَرِ.

● ● ●

(١) وهو قول الْفَرَّاءُ، ذكره الأزهري في «تهذيب اللغة» (٢/ ١٢).

(٢) أخرجه أبو يعلىٰ في «مسنده» (٢٦٦٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٥٥)، من طرق: عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ﴿مَآءً ثَجَّاجًا﴾، قَالَ: «**مَاءً مِنَ السَّمَاءِ مُنْصَبًّا**»، وهو صحيح عنه. وهو قول مُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالرَّبِيعُ بْنُ أَنَسٍ، وَقَالَ الثَّوْرِيُّ: «مُتَتَابِعًا».

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يُنْكِرُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ تَسَاؤُلَهُمْ عَنِ الْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ النَّبَأُ الْعَظِيمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِي أَمْرِهِ، وَغَدَوْا فِيهِ وَصَارُوا فِيهِ بَيْنَ رَجُلَيْنِ، مُنْكِرٍ لَهُ أَوْ شَاكٍّ فِي أَمْرِهِ.

ثُمَّ تَهَدَّدَهُمْ سُبْحَانَهُ، وَتَوَعَّدَهُمْ بِمَا يَحُلُّ بِهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَأُعِيدَتِ الْآيَةُ بِـ«ثُمَّ»؛ لِتَأْكِيدِ وُقُوعِ مَا كَذَّبُوهُ وَأَنْكَرُوهُ، وَسَيَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ تَكْذِيبِهِمْ فِي الْآخِرَةِ عِنْدَمَا تَتَكَشَّفُ الْأُمُورُ.

ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَىٰ قُدْرَتَهُ الْعَظِيمَةَ، وَالَّتِي يُسْتَنْتَجُ مِنْهَا أَنَّ مَنْ كَانَ قَادِرًا عَلَىٰ إِيجَادِ هَذِهِ الْأُمُورِ الْعَظِيمَةِ فَهُوَ عَلَىٰ الْإِعَادَةِ وَالْبَعْثِ أَقْدَرُ.

فَذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ جَعَلَ الْأَرْضَ مُمَهَّدَةً، يُقِيمُ عَلَيْهَا النَّاسُ وَالدَّوَابُّ، وَهِيَ ثَابِتَةٌ قَارَّةٌ سَاكِنَةٌ، وَأَرْسَاهَا بِالْجِبَالِ؛ لِئَلَّا تَضْطَرِبَ.

وَجَعَلَ مِنَ الْخَلِيقَةِ ذَكَرًا وَأُنْثَىٰ، وَجَعَلَ النَّوْمَ رَاحَةً لِلْأَبْدَانِ مِنَ الْكَدِّ وَالتَّعَبِ فِي طَلَبِ الْمَعَاشِ، وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَاتِرًا لِلْعِبَادِ بِظَلَامِهِ، وَعَلَىٰ عَكْسِهِ النَّهَارَ، جَعَلَهُ مُبْصِرًا نَيِّرًا؛ لِيَتَمَكَّنَ النَّاسُ فِيهِ مِنَ التَّكَسُّبِ وَطَلَبِ الْمَعَاشِ.

وَخَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ مُحْكَمَةٍ، مُتْقَنَةِ الْخَلْقِ، لَيْسَ فِيهَا شُقُوقٌ وَلَا فُطُورٌ، وَجَعَلَ الشَّمْسَ مُضِيئَةً مُنِيرَةً، وَأَنْزَلَ مِنَ السَّحَابِ مَطَرًا كَثِيرًا مُتَتَابِعًا؛ لِيُخْرِجَ بِهِ أَنْوَاعَ الْحُبُوبِ وَالْأَعْشَابِ، وَلِيُخْرِجَ بِهِ الْبَسَاتِينَ النَّاضِرَةَ، وَالْحَدَائِقَ الزَّاهِرَةَ الَّتِي فِيهَا مِنْ جَمِيعِ الثِّمَارِ الْمُتَنَوِّعَةِ.

● ● ●

مَا يُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ:

وَيُمْكِنُ أَنْ يَتَحَصَّلَ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِنَ الْفَوَائِدِ إِذَا مَا أَمْعَنَ النَّظَرَ فِي الْآيَاتِ، وَمِنْ تِلْكَ الْفَوَائِدِ:

١- مَظَاهِرُ الْقُدْرَةِ وَالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ وَالرَّحْمَةِ الْإِلَهِيَّةِ ظَاهِرَةٌ وَاضِحَةٌ فِي كُلِّ الْآيَاتِ.

٢- وَفِي الْآيَاتِ: تَقْرِيرُ عَقِيدَةِ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، وَالنُّبُوَّةِ وَالتَّوْحِيدِ، وَهِيَ الَّتِي اخْتَلَفَ النَّاسُ فِيهَا مَا بَيْنَ مُثْبِتٍ وَنَافٍ، وَمُصَدِّقٍ وَمُكَذِّبٍ.

٣- وَمِنْهَا: أَنَّهُ سَيَحْصُلُ الْعِلْمُ الْكَامِلُ بِهَذِهِ الْأُمُورِ الْمُخْتَلَفِ فِيهَا بَيْنَ النَّاسِ عِنْدَ نَزْعِ الرُّوحِ سَاعَةَ الْمَوْتِ، وَلَكِنْ لَا فَائِدَةَ مِنَ الْعِلْمِ سَاعَتَهَا؛ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَانْتَهَىٰ الْخِلَافُ(١).

٤- وَنَسْتَفِيدُ وُجُوبَ الْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

٥- وَنَسْتَفِيدُ أَنَّ مَنْ أَنْكَرَ الْبَعْثَ أَوْ شَكَّ فِي أَمْرِهِ؛ فَقَدْ لَحِقَهُ -كَمَا فِي الْآيَاتِ- تَهْدِيدٌ وَوَعِيدٌ.

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٠٢).

٦- وَنَسْتَفِيدُ الدَّلَالَةَ عَلَىٰ عَظَمَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَقُدْرَتِهِ، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ امْتَنَّ عَلَىٰ عِبَادِهِ بِتَعْدَادِ بَعْضِ نِعَمِهِ عَلَيْهِمْ؛ لِيَعْبُدُوهُ وَحْدَهُ، وَلِيَسْتَعِينُوا بِنِعَمِهِ عَلَىٰ طَاعَتِهِ؛ شُكْرًا لَهُ سُبْحَانَهُ.

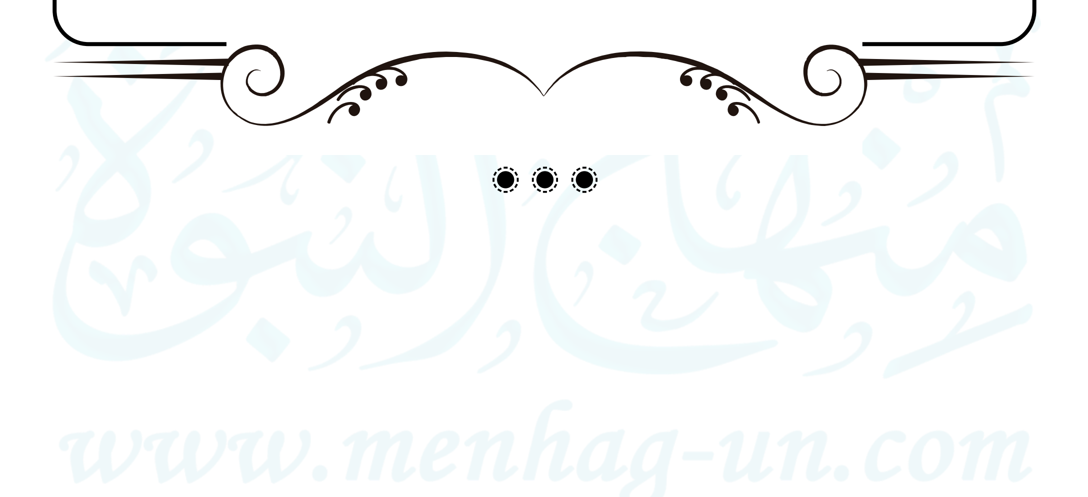
وَهَذِهِ الْأُمُورُ الَّتِي ذَكَّرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهَا عِبَادَهُ -وَهِيَ مِنْ دَلَائِلِ قُدْرَتِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ- دَاعِيَةٌ إِلَىٰ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ وَحْدَهُ جَلَّ وَعَلَا.

فَمَا ذَكَرَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ مِنْ آيَاتِ الْقُدْرَةِ -وَهِيَ كُلُّهَا مِنْ دَلَائِلِ تَفَرُّدِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِالْخَلْقِ وَبِالْمُلْكِ وَبِالتَّدْبِيرِ- كُلُّهَا تَسُوقُ إِلَىٰ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ للهِ، فَتَوْحِيدُ الرُّبُوبِيَّةِ يَذْكُرُهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ هَاهُنَا؛ لِكَيْ يَكُونَ سَائِقًا وَدَافِعًا إِلَىٰ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ، إِلَىٰ تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ وَعِبَادَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَحْدَهُ.





الآيات من: ١٧ إلى: ٢٠



﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَٰتٗا ١٧ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ١٨ وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبٗا ١٩ وَسُيِّرَتِ ٱلۡجِبَالُ فَكَانَتۡ سَرَابًا ٢٠﴾.



مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ﴾: هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

﴿مِيقَـٰتٗا﴾: أَيْ وَقْتًا لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

﴿أَفۡوَاجٗا﴾: جَمَاعَاتٍ.

﴿سَرَابًا﴾: السَّرَابُ: هَبَاءٌ، وَهُوَ شُعَاعٌ يَرَاهُ الرَّائِي فِي شِدَّةِ حَرِّ الشَّمْسِ، فَإِذَا اقْتَرَبَ مِنْهُ لَا يَرَىٰ شَيْئًا.

●●●

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَـٰتًا﴾: الْفَصْلِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ، فَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي يَفْصِلُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيهِ بَيْنَ الْخَلَائِقِ؛ لِيُجْزَىٰ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ.

﴿مِيقَـٰتًا﴾: وَقْتًا لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ[1]، كَانَ ذَا وَقْتٍ مُحَدَّدٍ مُعَيَّنٍ لَدَىٰ اللهِ ﷻ، فَلَا يَتَقَدَّمُ وَلَا يَتَأَخَّرُ.

﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجًا﴾:

﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾ أَيْ: يَوْمَ يَنْفُخُ إِسْرَافِيلُ فِي الْبُوقِ، فِي الصُّورِ.

﴿فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجًا﴾: تَأْتُونَ أَيُّهَا النَّاسُ جَمَاعَاتٍ، جَمَاعَاتٍ إِلَىٰ سَاحَةِ فَصْلِ الْقَضَاءِ.

﴿وَفُتِحَتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ أَبۡوَٰبًا﴾: وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ؛ لِنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ، فَكَانَتْ أَبْوَابًا.

---

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٥٧)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِه: ﴿إِنَّ يَوۡمَ ٱلۡفَصۡلِ كَانَ مِيقَـٰتًا﴾، قال: «**هُوَ يَوْمٌ عَظَّمَهُ اللهُ يَفْصِلُ اللهُ فِيهِ بَيْنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ بِأَعْمَالِهِمْ**».

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾: وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ: أَيْ ذُهِبَ بِهَا مِنْ أَمَاكِنِهَا، فَكَانَتْ سَرَابًا: مِثْلَ السَّرَابِ، يَتَرَاءَىٰ مَاءً وَلَيْسَ بِمَاءٍ، فَكَذَلِكَ الْجِبَالُ(١).

● ● ●

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٠٣).



المَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

فَبَعْدَ أَنْ وَجَّهَ سُبْحَانَهُ أَنْظَارَ الْعِبَادِ إِلَىٰ دَلَائِلِ قُدْرَتِهِ الْبَاهِرَةِ مُسْتَدِلًّا بِهَا عَلَىٰ الْبَعْثِ؛ أَخْبَرَ عَنْ يَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَتَسَاءَلُ عَنْهُ الْمُكَذِّبُونَ أَنَّهُ يَوْمٌ عَظِيمٌ.

وَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَنَّ لَهُ وَقْتًا مُحَدَّدًا، وَذَلِكَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ لِلْبَعْثِ وَالْخُرُوجِ مِنَ الْقُبُورِ؛ حَيْثُ يَأْتِي النَّاسُ إِلَىٰ مَوْضِعِ الْعَرْضِ زُمَرًا، كُلُّ أُمَّةٍ مَعَ رَسُولِهَا، وَحَيْثُ تَتَشَقَّقُ السَّمَاءُ فَتَكُونُ طُرُقًا وَمَسَالِكَ؛ لِنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ، وَتَصِيرُ السَّمَاءُ ذَاتَ أَبْوَابٍ، وَتُزَحْزَحُ الْجِبَالُ عَنْ أَمَاكِنِهَا، فَلَا يَكُونُ لَهَا ثَبَاتٌ، بَلْ تَكُونُ كَالسَّرَابِ، يَرَاهُ الرَّائِي مِنْ بُعْدٍ، فَإِذَا اقْتَرَبَ مِنْهُ لَا يَرَىٰ شَيْئًا.

● ● ●

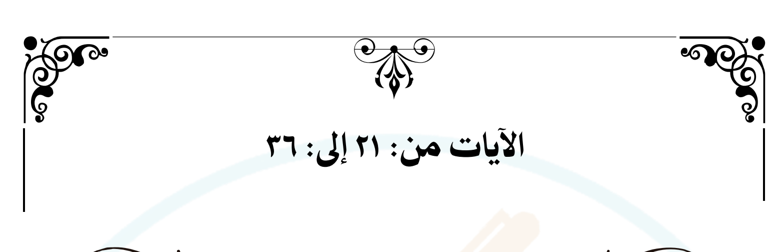


مَا يُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ:

١- الْإِيمَانُ بِالنَّفْخِ فِي الصُّورِ، وَقِيَامِ النَّاسِ مِنَ الْقُبُورِ لِلْحِسَابِ.

٢- الدَّلَالَةُ عَلَىٰ عِظَمِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَشِدَّةِ أَهْوَالِهِ.

● ● ●



الآيات من: ٢١ إلى: ٣٦



﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ﴿٢١﴾ لِّلطَّـٰغِينَ مَـَٔابًا ﴿٢٢﴾ لَّـٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا ﴿٢٣﴾ لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا ﴿٢٤﴾ إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا ﴿٢٥﴾ جَزَآءً وِفَاقًا ﴿٢٦﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ﴿٢٧﴾ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا كِذَّابًا ﴿٢٨﴾ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَـٰهُ كِتَـٰبًا ﴿٢٩﴾ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ﴿٣٠﴾ إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَـٰبًا ﴿٣٢﴾ وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾ وَكَأْسًا دِهَاقًا ﴿٣٤﴾ لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾ جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا ﴿٣٦﴾﴾.

مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿مِرْصَادًا﴾: مَوْضِعًا لِلرَّصْدِ.

﴿مَئَابًا﴾: مَرْجِعًا.

﴿لَّبِثِينَ﴾: مُقِيمِينَ.

﴿أَحْقَابًا﴾: مُدَدًا طَوِيلَةً.

﴿حَمِيمًا﴾: مَاءً حَارًّا.

﴿وَغَسَّاقًا﴾: قَيْحًا وَصَدِيدًا.

﴿وِفَاقًا﴾: مُوَافِقًا لِعَمَلِهِمْ.

﴿أَحْصَيْنَٰهُ﴾: ضَبَطْنَاهُ.

﴿مَفَازًا﴾: نَجَاةً.

﴿وَكَوَاعِبَ﴾: جَمْعُ كَاعِبٍ، وَهِيَ الْفَتَاةُ الَّتِي اسْتَدَارَ ثَدْيُهَا.

﴿أَتْرَابًا﴾: مُسْتَوِيَاتٍ فِي الْعُمُرِ.

﴿دِهَاقًا﴾: مُمْتَلِئَةً مُتْرَعَةً.

﴿لَغْوًا﴾: بَاطِلًا.

﴿حِسَابًا﴾: كَثِيرًا وَافِيًا.

◉ ◉ ◉



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾: أَيْ رَاصِدَةً لَهُمْ، وَمُرْصَدَةً لِلظَّالِمِينَ، مَرْجِعًا يُرْجَعُونَ إِلَيْهَا.

﴿لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا ۝٢٢ لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾: دُهُورًا لَا نِهَايَةَ لَهَا.

﴿لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا﴾: لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ﴿بَرْدًا﴾: نَوْمًا، وَلَا ﴿شَرَابًا﴾: مِمَّا يَشْرَبُ النَّاسُ تَلَذُّذًا بِهِ؛ لِأَنَّ لَهُمْ شَرَابًا فِي النَّارِ وَهُوَ الْحَمِيمُ، فَإِذَنْ ﴿وَلَا شَرَابًا﴾: يَعْنِي وَلَا شَرَابًا مِمَّا يُشْرَبُ تَلَذُّذًا بِهِ، إِذْ شَرَابُهُمُ الْحَمِيمُ.

﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾: وَالْحَمِيمُ: الْمَاءُ الْحَارُّ الَّذِي بَلَغَ فِي الْحَرَارَةِ مُنْتَهَاهُ.

وَالْغَسَّاقُ: صَدِيدُ أَهْلِ النَّارِ.

﴿جَزَآءً وِفَاقًا﴾: لِأَنَّهُ لَا ذَنْبَ أَعْظَمُ مِنَ الْكُفْرِ، وَلَا عَذَابَ أَعْظَمُ مِنَ النَّارِ، فَوَافَقَ الْجَزَاءُ الْعَمَلَ، جَزَاءً وِفَاقًا، وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا، فَقَدْ جَاءُوا بِأَعْظَمِ ذَنْبٍ، فَلَقَوْا أَشَدَّ الْعَذَابِ وَأَعْظَمَهُ.

﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ لَا يَرْجُونَ حِسَابًا ۝٢٧ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا كِذَّابًا﴾: أَيْ تَكْذِيبًا.

﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ كِتَٰبًا ۝٢٩ فَذُوقُوا۟ فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾: أَيْ عَذَابًا فَوْقَ عَذَابِكُمُ الَّذِي أَنْتُمْ فِيهِ.

﴿إِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾: إِنَّ لِلَّذِينَ اتَّقَوُا الشِّرْكَ، وَوَحَّدُوا اللهَ تَعَالَىٰ، وَعَبَدُوهُ حَقَّ عِبَادَتِهِ لَهُمْ مَكَانُ فَوْزٍ وَنَجَاةٍ، وَهُوَ الْجَنَّةُ.

﴿حَدَآئِقَ وَأَعۡنَٰبًا﴾: أَيْ بَسَاتِينَ وَأَعْنَابًا.

﴿وَكَوَاعِبَ أَتۡرَابًا﴾: وَكَوَاعِبَ: أَيْ شَابَّاتٍ تَكَعَّبَتْ ثُدِيُّهُنَّ، وَالْوَاحِدَةُ كَاعِبٌ، وَالْجَمْعُ: كَوَاعِبُ.

﴿أَتۡرَابًا﴾: أَيْ فِي سِنٍّ وَاحِدَةٍ، وَمُفْرَدُهَا: تِرْبٌ.

﴿وَكَأۡسًا دِهَاقًا﴾: أَيْ مَلْأَىٰ مُتْرَعَةً.

﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا لَغۡوًا وَلَا كِذَّٰبًا﴾:

﴿لَّا يَسۡمَعُونَ فِيهَا﴾: أَيْ فِي الْجَنَّةِ.

﴿لَغۡوًا﴾: أَيْ بَاطِلًا وَكَذِبًا مِنَ الْقَوْلِ ﴿وَلَا كِذَّٰبًا﴾.

﴿جَزَآءً مِّن رَّبِّكَ عَطَآءً حِسَابًا﴾: أَيْ عَطَاءً كَثِيرًا كَافِيًا[١].

●●●

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٠٣ - ٥٠٥).



الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ يَوْمَ الْفَصْلِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ مِنْ أَهْوَالٍ؛ ذَكَرَ مَا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الْمُرُورِ عَلَىٰ مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَمَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلْكَافِرِينَ مِنَ الْعَذَابِ، وَمَا هَيَّأَهُ سُبْحَانَهُ لِلْمُتَّقِينَ مِنَ النَّعِيمِ.

فَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّ النَّارَ مُعَدَّةٌ لِلْكَافِرِينَ الْمُكَذِّبِينَ لِرُسُلِ اللهِ، وَسَيَمْكُثُونَ فِيهَا دُهُورًا طَوِيلَةً، كُلَّمَا انْقَضَىٰ زَمَنٌ تَجَدَّدَ لَهُمْ زَمَنٌ آخَرُ، وَهُمْ عَلَىٰ ذَلِكَ لَا يَجِدُونَ فِي جَهَنَّمَ طُوَالَ هَذِهِ الْمُدَّةِ مَا يُبْرِدُ جُلُودَهُمْ وَلَا مَا يَدْفَعُ ظَمَأَهُمْ -أَيْ: عَطَشَهُمْ-، لَا يَجِدُونَ لِذَلِكَ إِلَّا مَاءً حَارًّا يَشْوِي وُجُوهَهُمْ، وَصَدِيدًا فِي غَايَةِ النَّتَنِ وَكَرَاهَةِ الْمَذَاقِ.

وَهَذَا الْعَذَابُ الَّذِي نَزَلَ بِهِمْ هُوَ وَفْقَ أَعْمَالِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَكُفْرِهِمْ بِاللهِ تَعَالَىٰ وَتَكْذِيبِهِمْ لِرُسُلِهِ، وَلِأَنَّهُمْ كَانُوا فِي الدُّنْيَا لَا يَخَافُونَ أَنْ يُحَاسَبُوا عَلَىٰ أَعْمَالِهِمْ، وَلَا يَعْتَقِدُونَ بِوُجُودِ دَارٍ يُجْزَوْنَ فِيهَا عَلَىٰ سَيِّئَاتِهِمْ، فَكَانُوا يُكَذِّبُونَ بِجَمِيعِ الْأَدِلَّةِ وَالْبَرَاهِينِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْمَعَادِ، وَيُكَذِّبُونَ بِجَمِيعِ مَا جَاءَ بِهِ الْقُرْآنُ.

وَقَدْ أَحْصَىٰ اللهُ كُلَّ أَعْمَالِ الْعِبَادِ، وَكَتَبَهَا عَلَيْهِمْ، وَسَيَجْزِيهِمْ بِهَا إِنْ خَيْرًا فَخَيْرٌ وَإِنْ شَرًّا فَشَرٌّ.

وَيُقَالُ لِأَهْلِ النَّارِ؛ تَيْئِيسًا لَهُمْ مِنَ انْقِطَاعِ الْعَذَابِ، وَإِخْبَارًا لَهُمْ بِالزِّيَادَةِ مِنْهُ أَلْوَانًا: ﴿فَذُوقُوا۟﴾: مَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ. فَفِي كُلِّ وَقْتٍ وَحِينٍ يَزْدَادُ عَذَابُهُمْ.

وَبِمَا أَنَّ هَذَا التَّهْدِيدَ وَالْوَعِيدَ الشَّدِيدَ مُعَدٌّ لِمَنْ كَفَرَ بِاللهِ، وَكَذَّبَ رُسُلَهُ وَخَالَفَ الْأَوَامِرَ الشَّرْعِيَّةَ، فَإِنَّ مِنَ الْوَاجِبِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِدِينِهِ وَيَنْقَادَ لِأَوَامِرِ الشَّرْعِ؛ لِيَفُوزَ بِمَا أَعَدَّ اللهُ لِلْمُطِيعِينَ.

فَقَدْ أَوْضَحَ سُبْحَانَهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ مَآلَ الْمُتَّقِينَ، فَذَكَرَ أَنَّ لَهُمْ مَفَازًا وَبُعْدًا عَنِ النَّارِ، وَأَنَّ لَهُمْ بَسَاتِينَ فِيهَا أَصْنَافُ الْأَشْجَارِ الزَّاهِيَةِ الْمُثْمِرَةِ، وَلَهُمْ زَوْجَاتٌ نَوَاهِدُ الثَّدْيَيْنِ فِي غَايَةِ الشَّبَابِ وَالْفُتُوَّةِ وَالْقُوَّةِ وَالنَّضَارَةِ وَالْحُسْنِ عَلَىٰ سِنٍّ مُتَقَارِبٍ.

وَلَهُمْ كَأْسٌ مِنَ الْخَمْرِ مَلْأَىٰ مُتَتَابِعَةٌ، وَمَعَ هَذَا الشَّرَابِ لَا تَتَغَيَّرُ عُقُولُهُمْ فَيَحْدُثُ مِنْهُمْ مَا يَحْدُثُ مِنَ الشَّارِبِينَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْكَلَامِ الْبَاطِلِ، وَتَكْذِيبِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا، لَيْسَ فِي خَمْرِ الْجَنَّةِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

وَقَدْ أَعْطَاهُمُ اللهُ هَذَا الثَّوَابَ الْجَزِيلَ بِفَضْلِهِ وَإِحْسَانِهِ؛ جَزَاءَ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي وَفَّقَهُمْ لَهَا سُبْحَانَهُ.

⊙ ⊙ ⊙



مَا يُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ:

١- شِدَّةُ عَذَابِ مَنْ طَغَىٰ وَكَذَّبَ بِالْحِسَابِ، وَأَنَّ مَآلَهُ جَهَنَّمُ.

٢- الدَّلَالَةُ عَلَىٰ أَنَّ الْجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، فَمَنْ أَحْسَنَ فَلَهُ الْحُسْنَىٰ، وَمَنْ أَسَاءَ فَلَا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ.

٣- سَعَةُ عِلْمِ اللهِ، وَإِحَاطَتُهُ بِجَمِيعِ مَا يَعْمَلُهُ الْعِبَادُ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَلَا مِنْ أَقْوَالِهِمْ، وَلَا مِمَّا يَدُورُ فِي صُدُورِهِمْ، وَيَعْتَمِلُ فِي عُقُولِهِمْ.

٤- وَعَدَ اللهُ الْمُتَّقِينَ بِالْفَوْزِ وَالنَّجَاةِ وَالنَّعِيمِ.

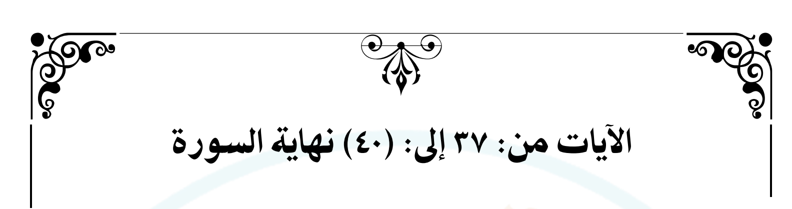
٥- وَيُسْتَفَادُ أَنَّ شَارِبَ الْخَمْرِ فِي الْآخِرَةِ فِي الْجَنَّةِ لَا يَعْتَرِيهِ مَا يَحْصُلُ لِشَارِبِهَا فِي الدُّنْيَا مِنْ ذَهَابِ الْعَقْلِ وَاللَّغْوِ وَنَحْوِهِ.

فَذَكَرَ اللهُ تَعَالَىٰ عَاقِبَةَ الْمُتَّقِينَ، كَمَا ذَكَرَ قَبْلُ عَاقِبَةَ الْمُجْرِمِينَ الْمُكَذِّبِينَ، وَإِذَا قَارَنْتَ بَيْنَ الصُّورَتَيْنِ، بَيْنَ مَا أَعَدَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلَّذِينَ كَذَّبُوا النَّبِيَّ ﷺ وَكَذَّبُوا الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ وَأَنْكَرُوا الْبَعْثَ، إِذَا مَا تَأَمَّلْتَ فِي حَالِهِمْ كَمَا وَصَفَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ طَرَفًا مِنْ عَذَابِهِمْ وَمِنْ بَلَائِهِمْ وَمِنْ عَنَائِهِمْ، ثُمَّ تَأَمَّلْتَ مَا فِيهِ أَهْلُ

النَّعِيمِ فِي جَنَّاتِ رَبِّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، مَعَ مَا يَسْعَدُونَ بِهِ مِنَ الْمَلَذَّاتِ وَالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، إِذَا تَأَمَّلْتَ الصُّورَتَيْنِ؛ عَرَفْتَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ.

وَعَلِمْتَ أَيْضًا أَنَّ الْإِنْسَانَ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَكُونَ مُسْلِمًا حَقًّا، مُوَحِّدًا صِدْقًا، عَابِدًا لِرَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، مُخْلِصًا الْعِبَادَةَ لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، مُبْتَعِدًا عَنْ كُلِّ مَا يُغْضِبُ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُحْصِي عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ وَأَقْوَالَهُ، ثُمَّ يُحَاسِبُهُ عَلَىٰ جَمِيعِ ذَٰلِكَ فِي الْآخِرَةِ.

●●●



الآيات من: ٣٧ إلى: (٤٠) نهاية السورة



﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ﴿٣٧﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ﴿٣٩﴾ إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾.

• • •



مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿ٱلرُّوحُ﴾: جِبْرِيلُ.

﴿صَفًّا﴾: مُصْطَفِّينَ صُفُوفًا.

﴿صَوَابًا﴾: قَوْلًا صَحِيحًا.

﴿ٱلْحَقُّ﴾: الْيَوْمُ الْمُحَقَّقُ، ﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ﴾: أَيْ ذَلِكَ الْيَوْمُ الْمُحَقَّقُ، مُحَقَّقٌ وُقُوعُهُ لَا يَتَخَلَّفُ وَلَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ تَعَالَىٰ.

﴿مَـَٔابًا﴾: أَيْ مَرْجِعًا.

● ● ●



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

﴿رَّبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلرَّحْمَٰنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾: لَا يَقْدِرُونَ أَنْ يَبْتَدِءُوا الْكَلَامَ مَعَهُ إِلَّا مَتَىٰ أَذِنَ لَهُمْ، وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾: وَالرُّوحُ جِبْرِيلُ[1] عليه السلام، وَقِيلَ: مَلَكٌ مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْمُكْرَّمِينَ يَقُومُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَفًّا وَحْدَهُ[2]، ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا﴾.

﴿ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمُ ٱلْحَقُّ فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا﴾: مَرْجِعًا سَلِيمًا، وَطَرِيقًا مُسْتَقِيمًا، وَذَلِكَ بِالْإِيمَانِ وَالتَّقْوَىٰ.

---

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٧٦)، وأبو الشيخ اصبهاني في «العظمة» (رقم ٣٥٣ و٤١٤)، بإسناد صحيح، عَنِ الضَّحَّاكِ، ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ﴾، قَالَ: «**جِبْرِيلُ** عليه السلام».

وهو قول سعيد بن جبير، والشعبي أيضا، «تفسير الطبري» (٢٤/ ١٧٦)، و«تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٠٩).

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٧٥ و١٧٦)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (رقم ٤١١)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٢/ رقم ٧٨٠)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾، قَالَ: «**هُوَ مَلَكٌ أَعْظَمُ الْمَلَائِكَةِ خَلْقًا**».

وهو قول ابْن مَسْعُودٍ رضي الله عنه.

﴿إِنَّآ أَنذَرۡنَٰكُمۡ عَذَابٗا قَرِيبٗا يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ﴾: مَا أَسْلَفَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

﴿وَيَقُولُ ٱلۡكَافِرُ يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾: أَيْ حَتَّىٰ لَا أُعَذَّبَ، وَذَلِكَ يَوْمَ يَقُولُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْبَهَائِمِ: كُونِي تُرَابًا؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُقِيمُ الْحَقَّ وَالْعَدْلَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا.

حَتَّىٰ إِنَّهُ يَبْعَثُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ الْخَلَائِقَ، ويُؤْتَىٰ بِالشَّاةِ الْقَرْنَاءِ وَالشَّاةِ الْجَلْحَاءِ الَّتِي لَا قُرُونَ لَهَا، وَتَكُونُ الْقَرْنَاءُ قَدْ نَطَحَتْ تِلْكَ الْجَلْحَاءَ فِي الدُّنْيَا، فَيَبْعَثُهُمَا اللهُ تَعَالَىٰ جَمِيعًا، وَيُنْشِئُ لِلْجَلْحَاءِ قَرْنَيْنِ؛ لِكَيْ تَقْتَصَّ مِنَ الَّتِي قَدْ ظَلَمَتْهَا أَوْ نَطَحَتْهَا فِي الدُّنْيَا، ثُمَّ يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ لِهَذِهِ: كُونِي تُرَابًا، كَمَا أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ(١)، ....

---

(١) أخرجه إسحاق بن راهوية في «مسنده» (رقم ١٠)، وابن أبي الدنيا في «الأهوال» (رقم ١٨٠) وفي مواضع أخرىٰ مختصرا ومطولا، ومحمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (رقم ٢٧٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٨٠)، والعقيلي في «الضعفاء» (٤/ ١٤٧، ترجمة ١٧١٤)، والطبراني في «الأحاديث الطوال» (رقم ٣٦)، وأبو الشيخ في «العظمة» (رقم ٣٨٦)، وغيرهم، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: **«يَقْضِي اللهُ بَيْنَ خَلْقِهِ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالْبَهَائِمِ، وَإِنَّهُ لَيَقِيدُ يَوْمَئِذٍ الْجَمَّاءَ مِنَ الْقَرْنَاءِ، حَتَّىٰ إِذَا لَمْ يَبْقَ تَبِعَةٌ عِنْدَ وَاحِدَةٍ لِأُخْرَىٰ، قَالَ اللهُ: كُونُوا تُرَابًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقُولُ الْكَافِرُ: يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا»**،...الحديث.

وهو حديث الصور، حسن هذا اللفظ بشواهده الألباني في «الصحيحة» (١٩٦٦).

=

حِينَئِذٍ وَحِينَمَا يَرَىٰ الْكَافِرُ هَذَا، يَقُولُ: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾؛ حَتَّىٰ لَا يُعَذَّبَ[1].

◉ ◉ ◉



=

وهذا اللفظ أصله في «صحيح مسلم» في (كتاب البر والصلة، باب ١٥: ٩، رقم الحديث ٢٥٨٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ، قَالَ: «**لَتُؤَدُّنَّ الْحُقُوقَ إِلَىٰ أَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَتَّىٰ يُقَادَ لِلشَّاةِ الْجَلْحَاءِ، مِنَ الشَّاةِ الْقَرْنَاءِ**».

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٠٥).

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ مَا أَعَدَّهُ لِلْمُتَّقِينَ، وَمَا أَعْطَاهُمْ مِنَ الْعَطَايَا الْعَظِيمَةِ أَخْبَرَ عَنْ عَظَمَتِهِ وَجَلَالِهِ، وَأَنَّهُ خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، وَهُوَ الْمُدَبِّرُ لِشُئُونِهِمْ وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهِمْ، وَأَنَّهُ الرَّحْمَنُ الَّذِي شَمِلَتْ رَحْمَتُهُ كُلَّ شَيْءٍ، وَلَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلَائِقِ عَلَىٰ مُخَاطَبَتِهِ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ، وَتَقُومُ الْمَلَائِكَةُ مُصْطَفِّينَ صُفُوفًا، لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَنْ يَتَكَلَّمَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ فِي الْكَلَامِ، وَأَنْ يَكُونَ مَا تَكَلَّمَ بِهِ صَوَابًا.

ثُمَّ نَوَّهَ سُبْحَانَهُ عَنْ عَظَمَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ بِأَنَّهُ الْيَوْمُ الَّذِي لَا شَكَّ فِي وُقُوعِهِ، فَهُوَ الْيَوْمُ الْحَقُّ الْمُتَحَقِّقُ الْوُقُوعُ، فَمَنْ شَاءَ الْأَمْنَ فِيهِ -وَهُوَ يَوْمُ الْفَزَعِ- فَلْيَتَّخِذْ وَسِيلَةً بِطَاعَةِ اللهِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يُقَرِّبُهُ مِنْ رَبِّهِ، وَيَنَالُ بِهِ الْأَمْنَ مِنْ عَذَابِهِ.

ثُمَّ عَادَ سُبْحَانَهُ لِتَخْوِيفِ الْكُفَّارِ وَإِنْذَارِهِمْ؛ فَقَالَ تَعَالَىٰ: إِنَّا حَذَّرْنَاكُمْ -وَأَنْتُمْ فِي الدُّنْيَا فِي دَارِ الْعَمَلِ- مِنَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ قَرِيبٌ لِتَأَكُّدِ وُقُوعِهِ؛ لِأَنَّ الَّذِي أَخْبَرَ بِذَلِكَ هُوَ اللهُ الَّذِي هُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَهُوَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ.

عِنْدَمَا يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَ مِنْ أَعْمَالٍ صَالِحَةٍ وَسَيِّئَةٍ وَمَا صَنَعَهُ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، فَيَسْتَبْشِرُ الْمُؤْمِنُ بِوَعْدِ اللهِ لَهُ عَلَىٰ الْجَزَاءِ الْحَسَنِ، أَمَّا الْكَافِرُ فَيَوَدُّ حِينَ يَرَىٰ الْعَذَابَ، وَحِينَ يَشْهَدُ أَنَّ كُلَّ أَعْمَالِهِ السَّيِّئَةِ قَدْ سُطِرَتْ عَلَيْهِ يَوَدُّ أَنَّهُ كَانَ فِي الدُّنْيَا تُرَابًا وَلَمْ يُخْلَقْ، وَلَمْ يَخْرُجْ إِلَىٰ الْوُجُودِ.

نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

● ● ●

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ:

١- الدَّلَالَةُ عَلَىٰ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَاللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ يَذْكُرُ ذَلِكَ، لَا لِأَنَّهُمْ يُنَازِعُونَ فِيهِ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا مُقِرِّينَ بِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ هُوَ الْخَالِقُ، وَهُوَ مَالِكُ الْمُلْكِ، وَهُوَ الَّذِي يُدَبِّرُ الْأَمْرَ، وَلَكِنْ يَذْكُرُ اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ ذَلِكَ؛ لِكَيْ يَلْفِتَ أَنْظَارَهُمْ إِلَىٰ أَنَّ الَّذِي يَمْلِكُ هَذَا وَالَّذِي خَلَقَهُ، وَالَّذِي يُدَبِّرُ الْأَمْرَ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ وَحْدَهُ.

فَفِي الْآيَاتِ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ تَوْحِيدِ الرُّبُوبِيَّةِ، وَهُوَ سَائِقٌ إِلَىٰ تَوْحِيدِ الْأُلُوهِيَّةِ.

٢- وَفِي الْآيَاتِ ثُبُوتُ الشَّفَاعَةِ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ اللهُ تَعَالَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَابُدَّ مِنْ إِذْنِ اللهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لِمَنِ ارْتَضَىٰ فِيمَنْ عَنْهُ رَضِيَ، فَهِيَ ثَلَاثَةُ شُرُوطٍ لَابُدَّ أَنْ تَكُونَ مُتَوَفِّرَةً فِي الشَّفَاعَةِ، وَالشَّفَاعَةُ: طَلَبُ الخَيرِ لِلْغَيْرِ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: وُجُوبُ الْإِيمَانِ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي يَبْعَثُ اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فِيهِ الْخَلَائِقَ لِلْحِسَابِ، وَتَكُونُ الْمَلَائِكَةُ مُصْطَفِّينَ فِيهِ صُفُوفًا كَمَا أَخْبَرَ اللهُ تَعَالَىٰ.

٤- وَفِي الْآيَاتِ وَعِيدٌ شَدِيدٌ لِلْكَافِرِينَ بِالْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَوَعْدٌ لِلْمُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ بِالنَّجَاةِ وَالْأَمْنِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ.

فَمَا أَحْرَىٰ الْمُسْلِمَ وَمَا أَجْدَرَهُ عَلَىٰ التَّفَكُّرِ فِي آيَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْمَسْطُورَةِ، فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ! يَتَأَمَّلُ فِيهَا حِينًا بَعْدَ حِينٍ، يَحْفَظُهَا وَيَتَدَبَّرُهَا؛ لِأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ قَدْ نَعَىٰ عَلَىٰ أَقْوَامٍ لَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ [محمَّد: ٢٤].

فَهُمَا اثْنَانِ لَا ثَالِثَ لَهُمَا، إِمَّا مُتَدَبِّرٌ فِي كِتَابِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَإِمَّا رَجُلٌ عَلَىٰ قَلْبِهِ قُفْلٌ؛ ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾، فَهُمَا صِنْفَانِ: مُتَدَبِّرٌ لِآيَاتِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَنَاظِرٌ فِيهَا، وَمُتَأَمِّلٌ فِي مَعَانِيهَا، وَمُسْتَخْلِصٌ لِلْعِبْرَةِ الَّتِي فِيهَا، يَزِيدُهُ ذَلِكَ إِيمَانًا بِاللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَبِكِتَابِهِ وَنَبِيِّهِ ﷺ، وَيَزِيدُهُ عَمَلًا بِشَرْعِ رَبِّهِ، وَتَمَسُّكًا بِتَطْبِيقِهِ وَالْأَخْذِ بِهِ، وَإِمَّا رَجُلٌ عَلَىٰ قَلْبِهِ قُفْلٌ، فَهُوَ يَقْرَأُ كَلَامَ اللهِ -إِنْ قَرَأَهُ- أَوْ يَسْمَعُهُ -إِنْ سَمِعَهُ- وَلَا يَخْلُصُ إِلَىٰ قَلْبِهِ مِنْهُ شَيْءٌ.

فَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ مِنْ أَهْلِ الْبِدْعَةِ وَالضَّلَالِ يُكْثِرُونَ مِنْ تِلَاوَةِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَلَا يَتَفَكَّرُونَ فِيهِ حَقَّ التَّفَكُّرِ، وَلَا يَتَدَبَّرُونَ فِيهِ حَقَّ التَّدَبُّرِ، وَقَدْ ذَكَرَ لَنَا الرَّسُولُ ﷺ صِفَةَ الْخَوَارِجِ؛ أَنَّهُمْ «**يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ**»(١)، وَالتَّرَاقِي جَمْعُ تَرْقُوَةٍ، وَهِيَ تِلْكَ الْعَظْمَةُ الْمُسْتَعْرَضَةُ فِي أَعْلَىٰ الْبَدَنِ مِنْ أَصْلِ الرَّقَبَةِ إِلَىٰ الْكَتِفِ.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في (كتاب أحاديث الأنبياء، باب ٦: ٢، رقم الحديث ٣٣٤٤) ومواضع، ومسلم في «صحيحه» في (كتاب الزكاة، باب ٤٧: ٣، رقم الحديث ١٠٦٤)، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رضي الله عنه.

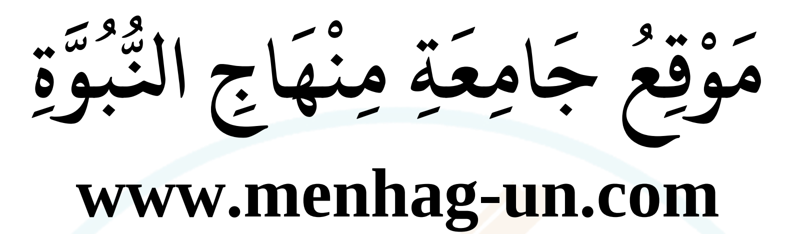
لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ وَهُمْ يَتْلُونَ الْقُرْآنَ تِلَاوَةً عَظِيمَةً كَثِيرَةً، حَتَّىٰ إِنَّ الصَّحَابَةَ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمْ- يَحْقِرُونَ تِلَاوَتَهُمْ مَعَ تِلَاوَتِهِمْ، لَا يَعُدُّونَ تِلَاوَتَهُمْ شَيْئًا بِالنِّسْبَةِ إِلَىٰ تِلَاوَةِ هَؤُلَاءِ الْمُبْتَدِعَةِ مِنَ الْخَوَارِجِ، وَمَعَ ذَلِكَ فَالْقُرْآنُ لَا يُؤَثِّرُ فِي قُلُوبِهِمْ وَلَا يَنْفُذُ إِلَىٰ أَرْوَاحِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ قَدْ حُجِبُوا بِالْبِدْعَةِ الَّتِي طَمَسَتْ أَعْيُنَ بَصَائِرِهِمْ عَنْ تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَالْإِفَادَةِ مِنْهُ، وَالِاسْتِفَادَةِ مِنْ آيَاتِهِ الْعَظِيمَةِ.

فَهَذِهِ السُّورَةُ -كَمَا تَرَىٰ- ذَكَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِيهَا يَوْمَ الْبَعْثِ، وَدَلَّلَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِقُدْرَتِهِ وَآثَارِهَا اللَّائِحَةِ لِكُلِّ نَاظِرٍ عَلَىٰ مَا سَيَكُونُ، وَأَخْبَرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَنِ الْجَزَاءِ لِلْمُحْسِنِينَ الْمُتَّقِينَ وَلِلْمُجْرِمِينَ الْمُكَذِّبِينَ.

وَاللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ، وَيَحْكُمُ بِمَا يُرِيدُ وَهُوَ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمْ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ أَجْمَعِينَ.

◉ ◉ ◉



مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَةُ الثَّانِيَةُ)

مِنْ مَادَّةِ التَّفْسِيرِ

تَفْسِيرُ جُزْءُ عَمَّ

[سُورَةُ: النَّازِعَاتِ]


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بَيْنَ يَدَيِ السُّورَةِ

* سُورَةُ النَّازِعَاتِ مَكِّيَّةٌ، شَأْنُهَا كَشَأْنِ سَائِرِ السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ، الَّتِي تَعْنِي بِأُصُولِ الْعَقِيدَةِ الْإِيمَانِيَّةِ (الْوَحْدَانِيَّةِ، الرِّسَالَةِ، الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ)، وَمِحْوَرُ السُّورَةِ يَدُورُ حَوْلَ الْقِيَامَةِ وَأَحْوَالِهَا، وَالسَّاعَةِ وَأَهْوَالِهَا، وَعَنْ مَآلِ الْمُتَّقِينَ، وَمَآلِ الْمُجْرِمِينَ.

* ابْتَدَأَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِالْقَسَمِ بِالْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ، الَّتِي تَنْزِعُ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ بِلُطْفٍ وَلِينٍ، وَتَنْزِعُ أَرْوَاحَ الْمُجْرِمِينَ بِشِدَّةٍ وَغِلْظَةٍ، وَالَّتِي تُدَبِّرُ شُئُونَ الْخَلَائِقِ بِأَمْرِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾ الْآيَاتِ.

* ثُمَّ تَحَدَّثَتْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ، الْمُنْكِرِينَ لِلْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، فَصَوَّرَتْ حَالَتَهُمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْفَظِيعِ ﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ ٨ أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ ٩ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ ١٠ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ﴾ الْآيَاتِ.

* ثُمَّ تَنَاوَلَتِ السُّورَةُ (فِرْعَوْنَ، الطَّاغِيَةَ الْجَبَّارَ)، الَّذِي ادَّعَىٰ الرُّبُوبِيَّةَ وَتَمَادَىٰ فِي الْجَبَرُوتِ وَالطُّغْيَانِ، فَقَصَمَهُ اللهُ، وَأَهْلَكَهُ بِالْغَرَقِ هُوَ وَقَوْمُهُ الْأَقْبَاطُ ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ١٥ إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى ١٦ ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ١٧ فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ . .﴾ الْآيَاتِ.

* وَتَحَدَّثَتِ السُّورَةُ عَنْ طُغْيَانِ أَهْلِ مَكَّةَ وَتَمَرُّدِهِمْ عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَذَكَّرَتْهُمْ بِأَنَّهُمْ أَضْعَفُ مِنْ كَثِيرٍ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللهِ ﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا﴾ الْآيَاتِ.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِبَيَانِ وَقْتِ السَّاعَةِ الَّذِي اسْتَبْعَدَهُ الْمُشْرِكُونَ وَأَنْكَرُوهُ، وَكَذَّبُوا بِحُدُوثِهِ ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾.

⊙⊙⊙

سُورَةُ النَّازِعَاتِ

مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَأَرْبَعُونَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: ١٤



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ﴿٣﴾ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ﴿٤﴾ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ﴿٥﴾ يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَٰرُهَا خَٰشِعَةٌ ﴿٩﴾ يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِى ٱلْحَافِرَةِ ﴿١٠﴾ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا نَّخِرَةً ﴿١١﴾ قَالُوا۟ تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ﴿١٢﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾.

مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾: الْمَلَائِكَةُ تَنْزِعُ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ.

﴿غَرۡقٗا﴾: بِشِدَّةٍ وَعُسْرٍ، فَالْمُرَادُ بِالْإِغْرَاقِ: الْمُبَالَغَةُ فِي الْمَدِّ، فَتَنْزِعُ الْمَلَائِكَةُ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ مِنْ أَقَاصِي أَجْسَادِهِمْ بِشِدَّةٍ وَعُسْرٍ.

﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ﴾: الْمَلَائِكَةُ تَقْبِضُ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿نَشۡطٗا﴾: بِسُهُولَةٍ وَيُسْرٍ.

﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ﴾: الْمَلَائِكَةُ تَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ مُسْرِعَةً بِأَمْرِ اللهِ.

﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ﴾: الْمَلَائِكَةُ تَسْبِقُ بِأَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ.

﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ﴾: الْمَلَائِكَةُ تُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَكَّلَهُمُ اللهُ بِأُمُورٍ عَرَّفَهُمُ الْعَمَلَ بِهَا.

﴿ٱلرَّاجِفَةُ﴾: النَّفْخَةُ الْأُولَىٰ.

﴿ٱلرَّادِفَةُ﴾: النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ.

﴿وَاجِفَةٌ﴾: مُضْطَرِبَةٌ، خَائِفَةٌ، قَلِقَةٌ.

﴿خَٰشِعَةٞ﴾: ذَلِيلَةٌ.

﴿ٱلۡحَافِرَةِ﴾: وَجْهُ الْأَرْضِ.

﴿نَّخِرَةٗ﴾: بَالِيَة.

﴿كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ﴾: الرَّجْعَةُ الْخَائِبَةُ.

﴿زَجۡرَةٞ﴾: الصَّيْحَةُ.

﴿بِٱلسَّاهِرَةِ﴾: وَجْهُ الْأَرْضِ، يُقِيمُهُم اللهُ عَلَيْهَا بَعْدَ أَنْ كَانُوا فِي جَوْفِ الْأَرْضِ، فَيَبْعَثُهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ لِلْحِسَابِ.

• • •



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾: يَعْنِي الْمَلَائِكَةَ(٢) تَنْزِعُ أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ مِنْ أَجْسَادِهِمْ، كَمَا يُغْرِقُ النَّازِعُ فِي اسْتِعْمَالِ قَوْسِهِ فَيَبْلُغُ بِهَا غَايَةَ الْمَدِّ، وَالْمُبَالَغَةُ فِي الْمَدِّ؛ لِنَزْعِ الرُّوحِ مِنْ أَقَاصِي الْجَسَدِ.

﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾: الْمُرَادُ بِالإِغْرَاقِ: الْمُبَالَغَةُ فِي الْمَدِّ لِنَزْعِ الرُّوحِ مِنْ أَقَاصِي الْجَسَدِ.

﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾: هِيَ الْمَلَائِكَةُ تَنْشَطُ نَفْسَ الْمُؤْمِنِ، أَيْ تَحُلُّ حَلًّا رَفِيقًا فَتَقْبِضُهَا، كَمَا يُنْشَطُ الْعِقَالُ مِنْ يَدِ الْبَعِيرِ، أَيْ يُحَلُّ بِرِفْقٍ.

﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾: الْمَلَائِكَةُ(٣) يَقْبِضُونَ أَرْوَاحَ الْمُؤْمِنِينَ، يُسَلُّونَهَا سَلًّا رَفِيقًا.

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٢٠ - ٣٢٨).

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٨٥)، بإسناد صحيح، عن عَبْدِ اللهِ بن مسعود، ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾، قَالَ: «**الْمَلَائِكَةُ**».

وهو قول ابن عباس، ومسروق، وسعيد بن جبير.

(٣) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٨٩)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾ قَالَ: «الْمَلَائِكَةُ».

﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا﴾: الْمَلَائِكَةُ تَسْبِقُ بِأَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ(١).

﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾: هُمُ الْمَلَائِكَةُ، وُكِّلُوا بِأُمُورٍ عَرَّفَهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لِلْعَمَلِ بِهَا(٢).

هَذِهِ كُلُّهَا أَقْسَامٌ، فَأَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالنَّازِعَاتِ، وَالنَّاشِطَاتِ وَالسَّابِحَاتِ، وَالسَّابِقَاتِ، وَالْمُدَبِّرَاتِ، فَأَيْنَ جَوَابُ الْقَسَمِ؟

هَذَا قَسَمٌ: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ٤ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾.

هَذَا كُلُّهُ قَسَمٌ يَتَوَالَىٰ، فَأَيْنَ جَوَابُهُ؟

جَوَابُ الْقَسَمِ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: لَتُبْعَثُنَّ، وَلَتُحَاسَبُنَّ(٣).

فَأَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِمَا أَقْسَمَ بِهِ عَلَىٰ هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ، وَهُوَ الْبَعْثُ وَالْحِسَابُ.

---

(١) وهو قول مقاتل، ذكره الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ١٢٤)، والبغوي في «تفسيره» (٥/ ٢٠٥).

(٢) وهو قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ذكره البغوي في «تفسيره» ٥/ ٢٠٥).

(٣) ذكره الطبري في «تفسير» (٢٤/ ١٩٢)، وقال بعد ذكر الأقوال: «والصواب من القول في ذلك عندنا: أن جواب القسم في هذا الموضع مما استغني عنه بدلالة الكلام فترك ذكره».

فَجَوَابُ الْقَسَمِ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: لَتُبْعَثُنَّ: أَيْ: لَتُخْرَجُنَّ مِنْ قُبُورِكُمْ، وَلَتُحَاسَبُنَّ عَلَىٰ مَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ.

وَقِيلَ: جَوَابُهُ قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾، وَتَأْتِي الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ بَعْدُ.

وَقِيلَ: فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ، تَقْدِيرُهُ: يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا.

فَهَذِهِ أَقْوَالٌ فِي جَوَابِ الْقَسَمِ الْمَحْذُوفِ فِي هَذِهِ السُّورَةِ الشَّرِيفَةِ ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ٢ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا ٣ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبْقًا ٤ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾. يَكُونُ مَاذَا؟

أَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهَذِهِ الْأَقْسَامِ عَلَىٰ أَمْرٍ، وَهَذَا الْأَمْرُ غَيْرُ مَذْكُورٍ، كَمَا فِي قَوْلَيْنِ مِنَ الْأَقْوَالِ الثَّلَاثَةِ.

وَبَعْضُهُمْ قَالَ: بَلْ جَوَابُهُ يَأْتِي بَعْدُ، وَهُوَ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾.

وَأَمَّا مَنْ قَالَ بِالتَّقْدِيرِ، فَقَالَ: هَذِهِ الْأَقْسَامُ أَقْسَمَ بِهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَجَوَابُ الْقَسَمِ الْمَحْذُوفُ هُوَ: لَتُبْعَثُنَّ مِنْ قُبُورِكُمْ، وَلَتُحَاسَبُنَّ عَلَىٰ أَعْمَالِكُمْ.

وَقِيلَ: فِيهِ تَقْدِيمٌ وَتَأْخِيرٌ هَكَذَا: يَومَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ١ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا﴾.

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾: يَعْنِي النَّفْخَةَ الْأُولَىٰ، يَتَزَلْزَلُ وَيَتَحَرَّكُ لَهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَيَمُوتُ بِهَا الْخَلَائِقُ.

﴿تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾: تَأْتِي بَعْدَهَا الرَّادِفَةُ، وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ، رَدَفَتْ: أَيْ تَبِعَتِ الْأُولَىٰ(١).

﴿قُلُوبٌ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ﴾: خَائِفَةٌ مُضْطَرِبَةٌ(٢).

﴿أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ﴾: ذَلِيلَةٌ مُنْكَسِرَةٌ(٣).

﴿يَقُولُونَ﴾: أَيْ: يَقُولُ الْمُنْكِرُونَ لِلْبَعْثِ: ﴿أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ﴾: أَئِنَّا لَعَائِدُونَ إِلَىٰ أَوَّلِ الْحَالِ، وَابْتِدَاءِ الْأَمْرِ، فَنُصَيَّرُ أَحْيَاءً بَعْدَ الْمَوْتِ كَمَا كُنَّا(٤)؟!

﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ﴾: نَخِرَةً: بَالِيَةً(٥).

---

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩٠، ١٩١)، بأسانيد جياد، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ﴾ قال: «**النَّفْخَةُ الْأُولَىٰ**»، وَقَوْلُهُ: ﴿تَتۡبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ﴾، قال: «**النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ**»، وذكره البخاري معلقا مجزوما به في «صحيحه» في (كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ ٤٣).

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩٣)، بأسانيد جياد، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ﴿قُلُوبٞ يَوۡمَئِذٖ وَاجِفَةٌ﴾ يَقُولُ: «**خَائِفَةٌ**»، وروي عَنْ قَتَادَةَ، وابْنِ زَيْدٍ، مثله، بأسانيد صحيحة.

(٣) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (رقم ٣٤٨٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩٣)، بأسانيد صحيحة، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿أَبۡصَٰرُهَا خَٰشِعَةٞ﴾، يَقُولُ: «**ذَلِيلَةٌ**»، وروي عن ابن زيد، مثله، بإسناد صحيح.

(٤) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩٤)، بأسانيد جياد، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ ﴿أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ﴾، يَقُولُ: «**أَئِنَّا لَنَحْيَا بَعْدَ مَوْتِنَا، وَنُبْعَثُ مِنْ مَكَانِنَا هَذَا**»، ذكره البخاري معلقا مجزوما به في «صحيحه» في (كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، سُورَةُ ٧٩)، وروي عن قتادة، والسدي، نحوه بأسانيد صحيحة.

(٥) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩٥)، بإسناد صحيح، عن قتادة: ﴿أَءِذَا كُنَّا
=

﴿قَالُواْ﴾: أَيْ قَالَ الْمُنْكِرُونَ لِلْبَعْثِ: ﴿تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾: أَيْ رَجْعَةٌ خَائِبَةٌ(١).

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾: فَإِنَّمَا هِيَ صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ يَسْمَعُونَهَا(٢).

﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾: السَّاهِرَةُ: وَجْهُ الْأَرْضِ(٣)، فَصَارُوا عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ لَمَّا بَعَثَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ بَعْدَ مَا كَانُوا فِي جَوْفِهَا.

﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾: فَإِذَا هُمْ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ، أَخْرَجَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ قُبُورِهِمْ بَعْدَ أَنْ كَانُوا مُغَيَّبِينَ فِي جَوْفِ الْأَرْضِ.

● ● ●

=

عِظَٰمًا﴾: «**تكذيبا بالبعث**»، ﴿نَّخِرَةً﴾: «**بالية**»، وروي عن مجاهد، نحوه، بإسناد صحيح.

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩٦)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، ﴿إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ﴾: «**أَيْ رَجْعَةٌ خَاسِرَةٌ**»، وروي عن ابن زيد، نحوه، بإسناد صحيح.

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩٦)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾، **قَالَ**: «**صَيْحَةٌ**»، وذكره البخاري معلقا مجزوما به في «صحيحه» في (كِتَابُ الرِّقَاقِ، بَابُ ٤٣)، وروي عن ابن زيد، نحوه بإسناد صحيح.

(٣) أخرج أبو عبيد القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (ص٣٤٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٩٧، ١٩٨)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا هُم بِٱلسَّاهِرَةِ﴾ قَالَ: «**الْأَرْضُ**».



الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ عَلَىٰ أَنَّ يومَ الْقِيَامَةِ حَقٌّ لَا رَيْبَ فِيهِ.

وَللهِ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، أَمَّا الْمَخْلُوقُ فَلا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِغَيرِ اللهِ؛ فَاللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ يُقْسِمُ بِمَا يَشَاءُ.

وَيَدُلُّنَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ قَدْرِ مَا أَقْسَمَ بِهِ، وَيَلْفِتُ أَنْظَارَنَا لِنَتَأَمَّلَ، فَيُقْسِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْمَلَائِكَةِ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ الْمَوْصُوفِ.

وَيُقْسِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْفَجْرِ، وَيُقْسِمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْعَصْرِ، فَيُقْسِمُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ.

وَأَمَّا نَحْنُ فَلَا يَجُوزُ لَنَا أَنْ نُقْسِمَ بِغَيْرِ اللهِ، **«وَمَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»** كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ(١).

---

(١) أخرجه أبو داود في «سننه» في (كتاب الأيمان والنذور، باب ٦: ٤، رقم الحديث ٣٢٥١)، والترمذي في «جامعه» في (كتاب النذور والأيمان، باب ٨: ٣، رقم الحديث ١٥٣٥)، وأحمد في «مسنده» (٢/ ١٢٥، رقم ٦٠٧٢)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٨، رقم ٤٥) و(١/ ٥٢، رقم ١٦٩)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٠/ رقم ١٩٨٢٩)، من طريق: الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، قَالَ: سَمِعَ ابْنُ عُمَرَ، رَجُلًا يَحْلِفُ: لَا وَالْكَعْبَةِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**».
=

فَأَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهَذِهِ الْمَلَائِكَةِ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ الْمَوْصُوفِ، وَجَوَابُ الْقَسَمِ مُضْمَرٌ.

فَعَلَىٰ أَيِّ شَيْءٍ أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ؟

أَقْسَمَ عَلَىٰ هَذَا الْجَوَابِ لِلْقَسَمِ، وَهُوَ: لَتُبْعَثُنَّ وَلَتُحَاسَبُنَّ.

=

قال البيهقي: «وهذا مما لم يسمعه سعد بن عبيدة من ابن عمر»، بينهما الكندي، وهو: مجهول؛ فقد أخرجه أحمد (٢/ ٦٩، رقم ٥٣٧٥) (٢/ ٨٦، رقم ٥٥٩٣) (٢/ ١٢٥، رقم ٦٠٧٣)، والطحاوي في «شرح المشكل» (٢/ رقم ٨٣٠، ٨٣١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٥٣)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٠/ رقم ١٩٨٣٠)، من طرق: عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ، فَجِئْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ، وَتَرَكْتُ عِنْدَهُ رَجُلًا مِنْ كِنْدَةَ، فَجَاءَ الْكِنْدِيُّ مُرَوَّعًا، فَقُلْتُ: مَا وَرَاءَكَ؟، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ ابْنِ عُمَرَ آنِفًا فَقَالَ: أَحْلِفُ بِالْكَعْبَةِ، فَقَالَ: «احْلِفْ بِرَبِّ الْكَعْبَةِ، فَإِنَّ عُمَرَ كَانَ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ»، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَحْلِفْ بِأَبِيكَ، فَإِنَّهُ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ، فَقَدْ أَشْرَكَ**».

قال الطحاوي: «فَوَقَفْنَا عَلَىٰ أَنَّ مَنْصُورَ بْنَ الْمُعْتَمِرِ قَدْ زَادَ فِي إِسْنَادِ هَذَا عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ رَجُلًا مَجْهُولًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ عُمَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، فَفَسَدَ بِذَلِكَ إِسْنَادُهُ».

وقال الألباني في «الإرواء» (٢٥٦١): «وهذا إسناد صحيح إن سلم من الانقطاع».

وأما الحاكم فقال: ««هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَيْسَ لَهُ عِلَّةٌ!، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، وقال: «وَإِنَّمَا أَوْدَعْتُهُ كِتَابَ الْإِيمَانِ لِلَفْظِ الشِّرْكِ فِيهِ، فَأَمَّا الشَّيْخَانِ فَإِنَّمَا أَخْرَجَاهُ مِنْ حَدِيثِ سَالِمٍ وَنَافِعٍ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لِعُمَرَ: «**إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**» فَقَطْ، وَهَذَا غَيْرُ ذَاكَ».

وَقَدْ أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَىٰ بِالْمَلَائِكَةِ الْكِرَامِ، وَأَفْعَالِهِمُ الدَّالَّةِ عَلَىٰ كَمَالِ انْقِيَادِهِمْ لِأَمْرِهِ، وَإِسْرَاعِهِمْ فِي تَنْفِيذِهِ؛ ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التَّحْرِيم: ٦].

فَبَيَّنَ جَلَّ شَأْنُهُ أَنَّ الْمَلَائِكَةَ تَنْزِعُ أَرْوَاحَ بَنِي آدَمَ، فَمِنْهُمْ مَنْ تَأْخُذُ رُوحَهُ بِعُسْرٍ، وَتُبَالِغُ فِي نَزْعِهَا مِنْ جَسَدِهِ؛ تَعْذِيبًا لَهُ، وَهَذِهِ أَرْوَاحُ الْكُفَّارِ.

وَمِنْهُمْ -أَيْ مِنْ بَنِي آدَمَ- مَنْ تَأْخُذُ الْمَلَائِكَةُ رُوحَهُ بِرِفْقٍ، وَهَذِهِ أَرْوَاحُ الْمُؤْمِنِينَ تَقْبِضُهَا بِسُهُولَةٍ كَمَا يُنْشَطُ الْعِقَالُ مِنْ يَدِ الْبَعِيرِ إِذَا حُلَّ عَنْهُ.

وَأَنَّهَا فِي طَرِيقَةِ قَبْضِهَا لِأَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ تَسُلُّهَا مِنَ الْجَسَدِ سَلًّا رَفِيقًا رَقِيقًا بِسُهُولَةٍ، ثُمَّ تَدَعُهَا تَسْتَرِيحُ كَالَّذِي يَسْبَحُ فِي الْمَاءِ، فَأَحْيَانًا يَنْغَمِسُ، وَأَحْيَانًا يَرْتَفِعُ، فَأَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِذَلِكَ فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبْحًا﴾.

وَأَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْمَلَائِكَةِ تَسْبِقُ بِأَرْوَاحِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَىٰ الْجَنَّةِ، وَأَنَّهَا تُدَبِّرُ الْأَمْرَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ بِأَمْرِهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَكُلٌّ مِنْهُمْ مُوَكَّلٌ بِعَمَلِهِ حَسَبَ أَمْرِهِ تَعَالَىٰ، وَتَدْبِيرِهِ.

ثُمَّ حَدَّدَ اللهُ هَذَا الْبَعْثَ وَالْحِسَابَ بِأَنَّهُ سَيَحْدُثُ يَوْمَ تَتَحَرَّكُ، وَتَتَزَلْزَلُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ، وَيَمُوتُ جَمِيعُ الْخَلَائِقِ بِسَمَاعِ النَّفْخَةِ الْأُولَىٰ.

وُصِفَتِ النَّفْخَةُ بِحُدُوثِهَا يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ، تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ، فَتَتْلُو النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ النَّفْخَةَ الْأُولَىٰ، وَبَيْنَهُمَا أَرْبَعُونَ سَنَةً

كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ[1]، فَالْأُولَىٰ تُمِيتُ بِأَمْرِ اللهِ كُلَّ شَيْءٍ، وَالثَّانِيَةُ تُحْيِي بِأَمْرِ اللهِ كُلَّ شَيْءٍ.

بِإِذْنِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَقَعُ ذَلِكَ، وَيَقُومُ النَّاسُ لِلْبَعْثِ وَالْحِسَابِ.

فَإِذَا وَقَفَ الْعِبَادُ فِي مَوْقِفِ الْعَرْضِ عَلَىٰ اللهِ لِحِسَابِهِمْ؛ عِنْدَئِذٍ تَكُونُ قُلُوبُ الْكَافِرِينَ الْجَاحِدِينَ لِلْبَعْثِ فِي الدُّنْيَا، وَالْمُسْتَبْعِدِينَ لِوُقُوعِهِ تَكُونُ قُلُوبُهُمْ خَائِفَةً، وَأَبْصَارُهُمْ ذَلِيلَةً حَقِيرَةً زَائِغَةً مِمَّا عَايَنَتْ مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

ذَلِكَ لِأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُصَدِّقُونَ بِهَذَا الْيَوْمِ، وَيَقُولُونَ فِي غَرَابَةٍ وَاسْتِنْكَارٍ وَتَعَجُّبٍ: هَلْ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَبَعْدَ أَنْ نَصِيرَ عِظَامًا بَالِيَةً نُرَدُّ إِلَىٰ أَوَّلِ أَمْرِنَا، وَنَصِيرُ أَحْيَاءً؟

أَوْ يَقُولُونَ: لَئِنْ صَحَّ هَذَا الْبَعْثُ، وَهَذِهِ الْكَرَّةُ لِلْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ، فَنَحْنُ إِذًا خَاسِرُونَ؛ لِأَنَّنَا كَذَّبْنَا بِهَا.

---

(١) أخرجه البخاري في (التفسير، سورة ٣٩: باب ٤: ٢، رقم ٤٨١٤)، وفيه أيضا (سورة ٧٨: ١، رقم ٤٩٣٥)، ومسلم في (الفتن، ٢٨، رقم ٢٩٥٥)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا بَيْنَ النَّفْخَتَيْنِ أَرْبَعُونَ**». قَالُوا: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَرْبَعُونَ يَوْمًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ شَهْرًا؟ قَالَ: أَبَيْتُ، قَالُوا: أَرْبَعُونَ سَنَةً؟ قَالَ: أَبَيْتُ، «**ثُمَّ يُنْزِلُ اللهُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيَنْبُتُونَ، كَمَا يَنْبُتُ الْبَقْلُ**». قَالَ: «**وَلَيْسَ مِنَ الْإِنْسَانِ شَيْءٌ إِلَّا يَبْلَىٰ، إِلَّا عَظْمًا وَاحِدًا، وَهُوَ عَجْبُ الذَّنَبِ، وَمِنْهُ يُرَكَّبُ الْخَلْقُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

وَهُوَ اسْتِهْزَاءٌ مِنْهُمْ، وَمُبَالَغَةٌ فِي الْكُفْرِ، وَعَدَمِ التَّصْدِيقِ بِالْبَعْثِ، فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِمْ هَذَا الْقَوْلَ مُخْبِرًا: إِنَّمَا هِيَ النَّفْخَةُ الْأَخِيرَةُ، وَإِذَا أَمَرَ اللهُ بِهَا فَلَا رَادَّ لِأَمْرِهِ، وَسَوْفَ يَكُونُ جَمِيعُ الْخَلَائِقِ عَلَىٰ وَجْهِ الْأَرْضِ حِينَ يَخْرُجُونَ مِنْ قُبُورِهِمْ إِلَىٰ الْمَحْشَرِ.

⊙⊙⊙

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ:

١ – أَنَّ اللهَ عَزَّوَجَلَّ يُقْسِمُ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَأَمَّا الْعَبْدُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِغَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ.

٢- وَنَسْتَفِيدُ مِنَ الْآيَاتِ مَعْرِفَةَ مَا يُلَاقِيهِ الْكَافِرُونَ مِنَ الشِّدَّةِ وَالْعُسْرِ عِنْدَ الْمَوْتِ، مَعَ سُهُولَةِ احْتِضَارِ الْمُؤْمِنِ، وَأَنَّ رُوحَهُ تُنْزَعُ بِرِفْقٍ وَيُسْرٍ، وَهَذَا فِي الْمَرْحَلَةِ الْأَخِيرَةِ.

وَأَمَّا مُعَانَاةُ السَّكَرَاتِ فَإِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ يُعَانِي مِنَ السَّكَرَاتِ[١]، مَا جَعَلَ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا تَقُولُ: «لَا أَغْبِطُ أَحَدًا خُفِّفَ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَوْتِ بَعْدَمَا رَأَيْتُ الرَّسُولَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُعَانِي مَا يُعَانِي مِنَ السَّكَرَاتِ»[٢].

---

(١) فقد أخرج البخاري في (الرقاق، ٤٢: ١، رقم ٦٥١٠)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قالت: إِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ أَوْ عُلْبَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ، فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ، وَيَقُولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ**» ثُمَّ نَصَبَ يَدَهُ فَجَعَلَ يَقُولُ: «**فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَىٰ**» حَتَّىٰ قُبِضَ وَمَالَتْ يَدُهُ.

(٢) أخرجه الترمذي في (الجنائز، ٨: ٢، رقم ٩٧٩)، بلفظ: «**مَا أَغْبِطُ أَحَدًا بِهَوْنِ مَوْتٍ بَعْدَ الَّذِي رَأَيْتُ مِنْ شِدَّةِ مَوْتِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ**»، وصححه الألباني في «مختصر الشمائل» (٣٢٥).

وَذَلِكَ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَكْرَمُ عَلَىٰ رَبِّهِ، فَلَوْ كَانَ التَّخْفِيفُ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ مِمَّا هُوَ إِكْرَامٌ؛ لَأَكْرَمَ اللهُ بِهِ رَسُولَهُ ﷺ، وَلِذَلِكَ تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «لَا أَغْبِطُ أَحَدًا خُفِّفَ عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَوْتِ»؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَانَىٰ مِنَ السَّكَرَاتِ عِنْدَ الْمَوْتِ مَا عَانَىٰ.

٣- الْمُؤْمِنُ يَرَىٰ مَنْزِلَتَهُ فِي الْآخِرَةِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَيَجِبُ -كَمَا بَيَّنَتِ الْآيَاتُ- الْإِيمَانُ بِالنَّفْخَتَيْنِ: بِالنَّفْخَةِ الْأُولَىٰ وَبِالنَّفْخَةِ الثَّانِيَةِ.

وَيَجِبُ أَيْضًا الْإِيمَانُ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَبِيَوْمِ الْقِيَامَةِ وَمَا يَكُونُ فِيهِ، وَمَا يَكُونُ بَعْدَهُ، وَقَدْ وَضَّحَتْ هَذِهِ الْعَقِيدَةَ هَذِهِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ، كَمَا بَيَّنَتِ الْآيَاتُ حَالَةَ الْكَفَرَةِ، وَمَا يَغْشَاهُمْ مِنَ الذُّلِّ وَالْخَوْفِ، وَالْحَسْرَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.





الآيات من: ١٥ إلى: ٢٦

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَرَىٰهُ ٱلْـَٔايَةَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٢٠﴾ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ﴿٢١﴾ ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ ﴿٢٢﴾ فَحَشَرَ فَنَادَىٰ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٤﴾ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلْـَٔاخِرَةِ وَٱلْأُولَىٰٓ ﴿٢٥﴾ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّمَن يَخْشَىٰٓ﴾.

مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾: الْمُطَهَّر.

﴿طُوًى﴾: اسْمُ الْوَادِي.

﴿طَغَىٰ﴾: تَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي الْكُفْرِ، وَالطُّغْيَانُ: مُجَاوَزَةُ الْحَدِّ.

﴿تَزَكَّىٰ﴾: تَطَّهَرَ مِنَ الشِّرْكِ.

﴿وَأَهْدِيَكَ﴾: أَدُلَّكَ.

﴿فَتَخْشَىٰ﴾: فتَخَافَ.

﴿ٱلْأٓيَةَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: انْقِلَابُ الْعَصَا حَيَّةً، وَإِخْرَاجُ يَدِهِ مِنْ جَيْبِهِ.

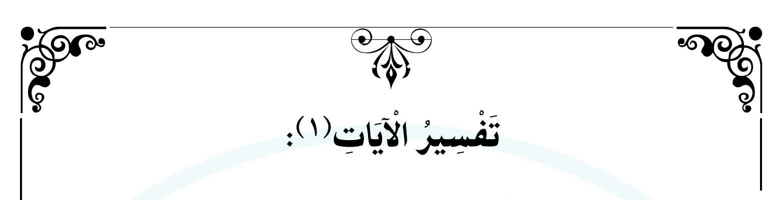
وَالْجَيْبُ: فَتْحَةُ الثَّوْبِ الَّتِي يُخْرِجُ اللَّابِسُ مِنْهَا رَأْسَهُ، وَأَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَيْبِهِ وَأَخْرَجَهَا بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ.

﴿فَحَشَرَ﴾: فَجَمَعَ.

﴿نَكَالَ﴾: الْعُقُوبَةُ.

﴿لَعِبْرَةً﴾: الْعِظَةُ.

●●●



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ﴾: وَهُوَ مُوسَىٰ بْنُ عِمْرَانَ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-.

﴿إِذۡ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوًى﴾: بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ: بِالْوَادِي الطَّاهِرِ الْمُبَارَكِ(٢).

﴿طُوًى﴾: الْمُسَمَّىٰ بِطُوَىٰ(٣).

﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾: تَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي الْكُفْرِ.

﴿فَقُلۡ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾: فَقُلْ يَا مُوسَىٰ لِفِرْعَوْنَ الَّذِي طَغَىٰ وَبَغَىٰ وَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي الْكُفْرِ وَالطُّغْيَانِ، قُلْ لَهُ: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾: إِلَىٰ أَنْ تُسْلِمَ، فَتَطَّهَرَ مِنْ رَجَسِ الشِّرْكِ، وَالْكُفْرِ بِالْإِسْلَامِ(٤).

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٢٨ - ٣٢٩).

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٨٠)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ﴾ [طه: ١٢] يَقُولُ: «الْمُبَارَكُ»، وذكره البخاري في «صحيحه» معلقا مجزوما به في (أحاديث الأنبياء، باب ٢٢)، وروي عن ابن زيد مثله بإسناد صحيح.

(٣) أخرج الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٨١)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿طُوًى﴾: «اسْمٌ لِلْوَادِي»، وذكره البخاري في «صحيحه» معلقا مجزوما به في (أحاديث الأنبياء، باب ٢٢)، وروي عن مجاهد وابن زيد مثله بأسانيد صحيحة.

(٤) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٣٠) (٢٤/ ٢٠١، ٣٧٣)، والطبراني في «الدعاء» =

﴿وَأَهۡدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخۡشَىٰ﴾: وَأُرْشِدَكَ إِلَىٰ مَعْرِفَةِ رَبِّكَ الْحَقِّ، فَتَخْشَاهُ وَتُطِيعُهُ، فَتَنْجُو مِنْ عَذَابِهِ.

﴿فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾: وَهِيَ الْعَصَا، وَالْيَدُ[1].

﴿فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ﴾: فَكَذَّبَ فِرْعَوْنُ؛ لِأَنَّ الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَعَصَىٰ وَلَمْ يُؤْمِنْ.

﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ﴾: تَوَلَّىٰ وَأَعْرَضَ، ﴿يَسۡعَىٰ﴾[2]: بَعْدَمَا كَذَّبَ وَعَصَىٰ رَجَعَ يَجْمَعُ جُمُوعَهُ، وَيَحْشُرُ جُنُودَهُ؛ لِحَرْبِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

=

(رقم ١٥٣٩، و١٥٥٢، و١٥٥٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٣٣٣)، بإسناد صحيح، عَنْ عِكْرِمَةَ، فِي قَوْلِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِفِرْعَوْنَ: ﴿هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾: «**إِلَىٰ أَنْ تَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**»، وروي عن ابن زيد بإسناد صحيح نحوه.

(١) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٠٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٤/ ١١٠٧)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾، قَالَ: «**عَصَاهُ وَيَدَهُ**»، وذكره البخاري معلقا مجزوما به في «صحيحه» فِي (كِتَابُ تَفْسِيرِ القُرْآنِ، سُورَةُ ٧٩)، وروي عن الحسن، وقتادة، وابن زيد مثله بأسانيد صحيحة.

(٢) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٠٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٠٢)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿ثُمَّ أَدۡبَرَ يَسۡعَىٰ﴾ قَالَ: «**يَعْمَلُ بِالْفَسَادِ**».

﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾: فَجَمعَ فِرْعَوْنُ مَلأَهُ، وَنَادَىٰ عَلَيْهِمْ(١).

﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٢٤ فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾: فَأَخَذَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِعُقُوبَةِ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ(٢)، وَجَعَلَهُ عِبْرَةً وَعِظَةً.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَعِبۡرَةٗ لِّمَن يَخۡشَىٰٓ﴾: الْعِبْرَةُ: الْعِظَةُ لِمَنْ يَخْشَىٰ اللهَ ﷻ.



---

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٠٣)، بإسناد صحيح، عن ابْن زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿فَحَشَرَ فَنَادَىٰ﴾ قَالَ: «صَرخَ وَحشَرَ قَوْمَهُ، فَنَادَىٰ فِيهِمْ، فَلَمَّا اجْتَمعُوا قَالَ: أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ، فَأَخَذَهُ اللهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَىٰ».

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٠٥)، بإسناد صحيح، عَنِ الْحَسَنِ: ﴿فَأَخَذَهُ ٱللَّهُ نَكَالَ ٱلۡأٓخِرَةِ وَٱلۡأُولَىٰٓ﴾، قَالَ: «عُقُوبَةَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ»، وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ.



الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

يُسَلِّي اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ عَنْ تَكْذِيبِ قَوْمِهِ بِذِكْرِ قِصَّةِ نَبِيِّ اللهِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَعَ فِرْعَوْنَ.

وَفِرْعَونُ مَلِكُ مِصْرَ حِينَ أَرْسَلَ اللهُ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ؛ لِيَدْعُوَهُ إِلَىٰ عِبَادَةِ اللهِ وَتَوْحِيدِهِ.

فَيُخْبِرُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنَّهُ لَيسَ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ، وَقَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مَنْ أَرْسَلْنَا، وَعَانَدَهُمْ مَنْ عَانَدَهُمْ مِنْ أَقْوَامِهِمْ، وَوَقَعَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْأَذَىٰ وَالتَّكْذِيبِ مَا نَقُصُّ عَلَيْكَ.

فَقَصَّ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ قِصَّةَ مُوسَىٰ مَعَ فِرْعَوْنَ فِي دَعْوَةِ مُوسَىٰ فِرْعَوْنَ إِلَىٰ اللهِ؛ لِتَوْحِيدِهِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ، وَالتَّطَهُّرِ مِنَ الشِّرْكِ وَالرِّجْسِ، وَمَا كَانَ مِنْ جَوَابِ مُوسَىٰ عِنْدَمَا دَعَا فِرْعَوْنَ إِلَىٰ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَجَاوَبَهُ بِلُطْفٍ وَرِفْقٍ وَلِينٍ، فَيَعْرِضُ عَلَيْهِ دِينَ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، فَكَانَ الْجَوَابُ مِنْ فِرْعَوْنَ عَلَىٰ مَا قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ.

فَقَالَ سُبْحَانَهُ مُخَاطِبًا رَسُولَهُ ﷺ: هَلْ سَمِعْتَ أَوْ جَاءَكَ خَبَرُ مُوسَىٰ حِينَ كَلَّمَهُ اللهُ بِالْوَادِي الْمُبَارَكِ الْمُطَهَّرِ الْمُسَمَّىٰ «طُوَىٰ».

فَقَالَ لَهُ رَبُّهُ: اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ؛ فَإِنَّهُ تَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي التَّجَبُّرِ وَالتَّكَبُّرِ وَالطُّغْيَانِ، وَقُلْ لَهُ: هَلْ تَرْغَبُ فِي أَنْ تَتَطَهَّرَ مِنَ الْآثَامِ، وَتَسْلُكَ مَسْلَكًا تَتَزَكَّىٰ فِيهِ نَفْسُكَ بِالْإِيمَانِ، وَتُطِيعَ بِهِ رَبَّكَ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لَهُ؟ وَأَدُلُّكَ إِلَىٰ عِبَادَةِ رَبِّكَ؛ حَتَّىٰ يَصِيرَ قَلْبُكَ خَاشِعًا مُطِيعًا بَعْدَ أَنْ كَانَ قَاسِيًا مُتَجَبِّرًا؟

وَأَظْهَرَ مُوسَىٰ لِفِرْعَوْنَ أَدِلَّةً وَاضِحَةً عَلَىٰ صِدْقِهِ بِأَنَّهُ مُرْسَلٌ إِلَيْهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَمَعَ ذَلِكَ كَذَّبَ فِرْعَوْنُ مُوسَىٰ، وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ مَعَ وُضُوحِ الْأَدِلَّةِ عَلَيْهِ، وَقِيَامِ الشَّوَاهِدِ اللَّائِحَةِ عَلَىٰ صِدْقِهِ، فَإِنَّهُ أَتَىٰ بِالْآيَاتِ مِنْ عِنْدِ رَبِّهِ.

وَلَكِنَّ فِرْعَوْنَ عَصَىٰ اللهَ، وَلَمْ يَلْتَزِمِ الْإِيمَانَ، بَلْ أَخَذَ يُكَابِرُ وَيَزْعُمُ أَنَّ مُوسَىٰ سَاحِرٌ، وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ هُوَ السِّحْرُ لَا الْمُعْجِزَةُ الْبَاهِرَةُ، وَأَخَذَ يَسْعَىٰ فِي الْأَرْضِ بِالْفَسَادِ.

وَمِنَ الْفَسَادِ: أَنَّهُ جَمَعَ السَّحَرَةَ؛ لِيُقَابِلَ بِسِحْرِهِمْ وَبَاطِلِهِمُ الْحَقَّ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ عليه السلام، وَالْمُعْجِزَةَ الَّتِي أَيَّدَهُ اللهُ بِهَا.

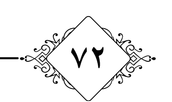
فَجَمَعَ فِرْعَونُ جُنُودَهُ وَأَعْوَانَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ﴾ الَّذِي لَا رَبَّ فَوْقِي، فَانْتَقَمَ اللهُ مِنْهُ انْتِقَامًا جَعَلَهُ بِهِ عِبْرَةً وَنَكَالًا لِأَمْثَالِهِ مِنَ الْجَاحِدِينَ.

فَفِي الدُّنْيَا بِالْغَرَقِ، وَفِي الْآخِرَةِ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ فِي النَّارِ، وَهَذَا مِنْ عَجِيبِ صُنْعِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ؛ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَذَّبَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُ فِي الدُّنْيَا بِالْغَرَقِ مَعَ مَا لِأَجْسَادِهِمْ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْعَذَابِ بِالْحَرَقِ، فَجَمَعَ لَهُمْ بَيْنَ النَّقِيضَيْنِ، وَالْعَذَابُ وَاحِدٌ يَعْنِي وَاقِعٌ عَلَيْهِمْ وَنَازِلٌ بِهِمْ.

فَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا بِالْغَرَقِ، وَلِلْأَجْسَادِ فِي الْآخِرَةِ الْحَرَقُ، وَجَعَلَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عِبْرَةً وَنَكَالًا لِأَمْثَالِهِ مِنَ الْجَاحِدِينَ.

إِنَّ فِي هَذَا الِانْتِقَامِ الَّذِي انْتَقَمَهُ اللهُ مِنْ فِرْعَوْنَ حِينَ كَذَّبَ وَعَصَىٰ لَعِظَةٌ لِمَنْ يَتَّعِظُ، فِي هَذَا عِبْرَةٌ لِمَنْ يَعْتَبِرُ، وَفِي هَذَا زَجْرٌ لِمَنْ يَزْدَجِرُ.

●●●





مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ:

١- تَسْلِيَةُ الرَّسُولِ ﷺ عِنْدَ تَكْذِيبِ قَوْمِهِ لَهُ، فَقَصَّ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ مَا كَانَ مِنْ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ.

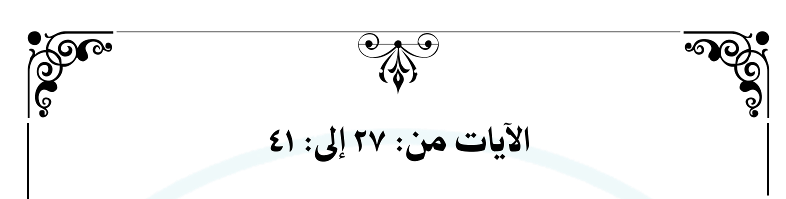
٢- وَفِي الْآيَاتِ إِثْبَاتُ صِفَةِ الْكَلَامِ للهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ مَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ مِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ وَلَا تَعْطِيلٍ، وَلَا تَكْيِيفٍ وَلَا تَمْثِيلٍ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ أَنَّ بَعْضَ الْأَمْكِنَةِ تُفَضَّلُ عَلَىٰ بَعْضٍ.

٤- وَفِي الْآيَاتِ بَيَانُ فَضْلِ مُوسَىٰ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

٥- وَفِي الْآيَاتِ أَيْضًا بَيَانُ أَنَّ الدَّعْوَةَ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ تَكُونُ بِالْحِكْمَةِ وَالرِّفْقِ، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَجْعَلُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ عَلَىٰ مَنْ تَجَبَّرَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ الْخَلْقِ.





الآيات من: ٢٧ إلى: ٤١

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾ وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا ﴿٣٢﴾ مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ ﴿٣٥﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ ﴿٣٦﴾ فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾ فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾.



مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا﴾: بنَاهَا: خَلقَهَا.

﴿رَفَعَ سَمۡكَهَا﴾: سَقْفَهَا.

﴿فَسَوَّىٰهَا﴾: جَعلَهَا مُسْتَوِيَةً بِلَا شُقُوقٍ، وَلَا فُطُورٍ.

﴿وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا﴾: أَيْ أَظْلَمَهُ.

﴿وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا﴾: أَظْهَرَ نَهَارَهَا.

﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾: بَسَطَهَا، وَالدَّحْوُ: الْبَسْطُ.

﴿وَٱلۡجِبَالَ أَرۡسَىٰهَا﴾: أَثْبَتَهَا فِي أَمَاكِنِهَا كَالْأَوْتَادِ تُدَقُّ فِي الْأَرْضِ.

﴿ٱلطَّآمَّةُ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾: الْقِيَامَةُ، وَأَصْلُ الطَّامَّةِ: الدَّاهِيَةُ الَّتِي تَعْلُو كُلَّ دَاهِيَةٍ.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾: بُرِّزَتْ: أُظْهِرَتْ.

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾: فِي كُفْرِهِ، وَجَاوَزَ الْحَدَّ.

﴿وَءَاثَرَ﴾: أَيْ فَضَّلَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ؛ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ.



تفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا﴾: هَذَا خِطَابٌ لِمُنْكِرِي الْبَعْثِ، الَّذِينَ يَقُولُونَ: إِذَا مِتْنَا وَصِرْنَا عِظَامًا وَتُرَابًا فَإِنَّا لَا نُعَادُ مَرَّةً أُخْرَىٰ.

فَخَاطَبَهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهَذِهِ الْحُجَّةِ: ﴿ءَأَنتُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا﴾: أَخَلْقُكُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ أَشَدُّ عِنْدَكُمْ، وَفِي تَقْدِيرِكُمْ أَمِ السَّمَاءُ؟

وَهُمَا فِي قُدْرَةِ اللهِ وَاحِدٌ، ثُمَّ وَصَفَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ خَلْقَ السَّمَاءِ فَقَالَ: ﴿بَنَىٰهَا﴾ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَمِ ٱلسَّمَآءُۚ بَنَىٰهَا﴾.

﴿رَفَعَ سَمۡكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾: ﴿رَفَعَ سَمۡكَهَا﴾: أَيْ سَقْفَهَا، السَّمْكُ: السَّقْفُ(٢).

﴿فَسَوَّىٰهَا﴾: فَهِيَ مُسْتَوِيَةٌ بِلَا شُقُوقٍ، وَلَا فُطُورٍ.

﴿وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا﴾: ﴿وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا﴾: أَيْ أَظْلَمَ لَيْلَهَا(٣).

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٢٩ - ٣٣٠).

(٢) «الصحاح» للجوهري (٤/ ١٥٩٢) مادة: (سمك)، وأخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٠٦)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿رَفَعَ سَمۡكَهَا﴾، يَقُولُ: «**بُنْيَانَهَا**»، وروي عن مجاهد، وقتادة، نحوه، بأسانيد صحيحة.

(٣) أخرجه عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٠٤)، والطبري في =

﴿وَأَخۡرَجَ ضُحَىٰهَا﴾: أَبْرَزَ، وَأَظْهَرَ نَهَارَهَا، وَنُورَهَا(١).

﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ﴾: أَيْ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ(٢).

﴿دَحَىٰهَآ﴾: بَسَطَهَا، وَالدَّحْوُ: الْبَسْطُ(٣).

﴿أَخۡرَجَ مِنۡهَا مَآءَهَا وَمَرۡعَىٰهَا﴾: مَاءَهَا: يَعْنِي الْأَنْهَارَ، وَالْبِحَارَ، وَالْعُيُونَ.

﴿وَمَرۡعَىٰهَا﴾: يَعْنِي النَّبَاتَ الَّذِي يُرْعَىٰ، أَخْرَجَ مِنْ هَذِهِ الْأَرْضِ مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا(٤).

=

«تفسيره» (٢٤/ ٢٠٦، ٢٠٧)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿وَأَغۡطَشَ لَيۡلَهَا﴾، يَقُولُ: «**أَظْلَمَ لَيْلَهَا**»، وروي عن مجاهد، وقتادة، وابن زيد، والضحاك، وعكرمة، مثله، بأسانيد صحيحة.

(١) وأخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٠٤ و٧٣٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٠٧ و٤٥١)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿ضُحَىٰهَا﴾: «**نُورَهَا**»، وذكره البخاري معلقا مجزوما به في «صحيحه» في (كِتَابُ بَدْءِ الخَلْقِ، بَابُ ٤)، وروي عن قتادة، والضحاك، وابن زيد، مثله.

(٢) وَهَذَا مَعْنَىٰ قَوْلِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وابن عمرو ﭫ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٠٨ و٢٠٩).

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢١٠)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، ﴿وَٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ﴾: «**أَيْ: بَسَطَهَا**»، وروي عن السدي، والثوري، مثله.

(٤) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢١٠)، بإسناد صحيح، عن الضحاك، يَقُولُ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَرۡعَىٰهَا﴾: «**مَا خَلَقَ اللهُ فِيهَا مِنَ النَّبَاتِ، وَمَاءَهَا: مَا فَجَّرَ فِيهَا مِنَ الْأَنْهَارِ**».

﴿وَٱلْجِبَالَ أَرْسَىٰهَا﴾: كَالْأَوْتَادِ.

﴿مَتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٣﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ، وَأَصْلُ الطَّامَّةِ: الدَّاهِيَةُ الَّتِي تَعْلُو كُلَّ دَاهِيَةٍ(١).

﴿يَوْمَ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ مَا سَعَىٰ﴾: يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا عَمِلَ فِي الدُّنْيَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

﴿وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِمَن يَرَىٰ﴾: أُظْهِرَتِ الْجَحِيمُ، وَقَدْ أَخْبَرَ النَّبِيُّ ﷺ أَنَّ النَّارَ تَأْتِي فِي الْمَوْقِفِ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، عَلَىٰ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا(٢)، وَلَوْلَا ذَلِكَ لَأَحْرَقَتْ أَهْلَ الْمَوْقِفِ.

﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ﴾: فِي كُفْرِهِ، وَجَاوَزَ الْحَدَّ وَاعْتَدَىٰ.

﴿وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾: وَفَضَّلَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ.

﴿فَإِنَّ ٱلْجَحِيمَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾: الْمَكَانُ الَّذِي يَأْوِي إِلَيْهِ، فَهُوَ مُسْتَقَرُّهُ.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ﴾: فَحَذِرَ مَوْقِفَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ.

---

(١) «لسان العرب» لابن منظور (١٢/ ٣٧٠) مادة: (طمم)، وأخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢١١)، بإسناد جيد، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ﴾: «**مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، عَظَّمَهُ اللهُ وَحَذَّرَهُ عِبَادَهُ**».

(٢) أخرجه مسلم في «صحيحه» في (كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب ١٢: ١، رقم ٢٨٤٢)، من حديث: ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه.

﴿وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ﴾: زَجَرَهَا عَنِ الْمَيْلِ إِلَىٰ الْمَعَاصِي، ﴿فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾.

***



المَعْنَى الإِجْمَالِي:

يَذُمُّ رَبُّنَا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وَيُوَبِّخُ مُنْكِرِي الْبَعْثِ الَّذِينَ يَقُولُونَ إِنَّهُ لَا قِيَامَةَ وَلَا حَشْرَ، وَلَا نَشْرَ، وَلَا حِسَابَ، وَلَا جَنَّةَ وَلَا نَارَ.

فَيَحْتَجُّ عَلَيْهِمْ رَبُّنَا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ قَائِلًا: أَ خَلْقُكُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ أَشَدُّ وَأَصْعَبُ عِنْدَكُمْ، وَفِيٰ تَقْدِيرِكُمْ أَمِ السَّمَاءُ مَعَ عَظَمَتِهَا؟

وَفِيٰ ذَلِكَ اسْتِنْتَاجٌ لِعَظَمَةِ قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَإِلْزَامٌ لِمُنْكِرِي الْبَعْثِ؛ لِأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَىٰ خَلْقِ السَّمَاءِ مَعَ عَظَمَتِهَا قَادِرٌ عَلَىٰ خَلْقِ الْإِنْسَانِ الضَّعِيفِ، وَقَادِرٌ عَلَىٰ إِعَادَتِهِ بَعْدَ الْمَوْتِ أَيْضًا، فَهَذَا دَلِيلٌ سَاقَهُ اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لَا يُجْحَدُ، وَلَا يُرَدُّ.

وَأَخَذَ سُبْحَانَهُ يَذْكُرُ كَيْفِيَّةَ خَلْقِ السَّمَاءِ، فَقَالَ: إِنَّهُ رَفَعَ سَمْكَهَا -أَيْ سَقْفَهَا-، وَجَعَلَ خَلْقَهَا مُسْتَوِيًا لَا تَفَاوُتَ وَلَا شُقُوقَ وَلَا فُطُورَ، وَجَعَلَ لَيْلَهَا مُظْلِمًا، وَجَعَلَ نَهَارَهَا ظَاهِرًا وَاضِحًا.

ثُمَّ وَصَفَ سُبْحَانَهُ كَيْفِيَّةَ خَلْقِ الْأَرْضِ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: إِنَّهُ دَحَا الْأَرْضَ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ، فَمَدَّهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ وَبَسَطَهَا؛ لِتَكُونَ صَالِحَةً لِلسُّكْنَىٰ، وَالْعَيْشِ وَاسْتِخْرَاجِ النَّبَاتِ.

فَقَالَ سُبْحَانَهُ إِنَّهُ دَحَا الْأَرْضَ بَعْدَ خَلْقِ السَّمَاءِ، وَقَالَ إِنَّهُ فَجَّرَ مِنَ الْأَرْضِ الْعُيُونَ وَالْيَنَابِيعَ وَالْأَنْهَارَ، وَأَنْبَتَ فِيهَا النَّبَاتَ، سَوَاءٌ كَانَ النَّبَاتُ قُوتًا لِبَنِي آدَمَ مَتَاعًا لَكُمْ كَالحَبِّ وَالثَّمَرِ، وَمَا يَلْزَمُ لِحَيَاةِ الإِنْسَانِ، أَمْ كَانَ قُوتًا تَرْعَاهُ الْمَاشِيَةُ كَالْأَعْشَابِ وَالْحَشَائِشِ وَلِأَنْعَامِكُمْ، مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ.

وَثَبَّتَ اللهُ تَعَالَىٰ الْجِبَالَ فِي أَمَاكِنِهَا، وَجَعَلَهَا كَالْأَوْتَادِ؛ لِئَلَّا تَمِيدَ الْأَرْضُ بِأَهْلِهَا وَتَضْطَرِبَ، وَفَعَلَ كُلَّ ذَلِكَ؛ لِيُمَتِّعَ بِهِ سُكَّانَ الْأَرْضِ مُدَّةَ بَقَائِهِمْ عَلَيْهَا.

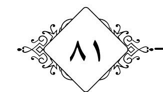
ثُمَّ بَيَّنَ تَعَالَىٰ صِدْقَ مَا أَوْحَىٰ بِهِ إِلَىٰ الرُّسُلِ مِنْ أَنَّ ذَلِكَ الْيَوْمَ الَّذِي يُنْشَرُ فِيهِ الْأَمْوَاتُ حَقٌّ لَا مِرْيَةَ فِيهِ وَلا شَكَّ.

فَإِذَا جَاءَتْ طَامَّتُهُ الْكُبْرَىٰ، وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْبَعْثُ وَتَقُومُ الْقِيَامَةُ، حِينَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ابْنُ آدَمَ كُلَّ مَا عَمِلَهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ فِي الدُّنْيَا، وَتَظْهَرُ النَّارُ ظُهُورًا بَيِّنًا فَيَرَاهَا النَّاسُ عِيَانًا.

فَمَنْ تَجَاوَزَ الْحَدَّ فِي الْعِصْيَانِ، وَقَدَّمَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ، وَآثَرَ لَذَّتَهَا عَلَىٰ ثَوَابِ الْآخِرَةِ فَإِنَّ النَّارَ مَسْكَنُهُ وَمُسْتَقَرُّهُ.

وَأَمَّا مَنْ خَافَ وُقُوفَهُ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ، وَحِسَابَهُ عِنْدَ رَبِّهِ، وَنَهَىٰ النَّفْسَ عَنِ الْوُقُوعِ فِيمَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيْهِ مُمْتَثِلًا بِذَلِكَ أَوَامِرَ اللهِ، مُسْتَجِيبًا لِشَرْعِهِ، فَإِنَّ الْجَنَّةَ سَوْفَ تَكُونُ مَسْكَنَهُ وَمُسْتَقَرَّهُ.

●●●





مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ:

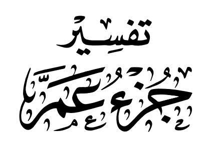
١ – إِثْبَاتُ قُدْرَةِ اللهِ الْعَظِيمَةِ، وَأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَىٰ خَلْقِ السَّمَاءِ فَهُوَ عَلَىٰ إِعَادَةِ الْإِنْسَانِ بَعْدَ الْمَوْتِ أَقْدَرُ، وَكُلُّهُ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ هَيِّنٌ، يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَيَحْكُمُ بِمَا يُرِيدُ.

٢– وَيُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ أَيْضًا بَيَانُ حِكْمَةِ اللهِ، وَرَأْفَتِهِ بِخَلْقِهِ بِأَنْ يَسَّرَ لَهُمْ سُبُلَ الْحَيَاةِ، مَعَ مَا فِي الْآيَاتِ مِنْ ذِكْرِ شِدَّةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالْفَظَائِعِ.

٣– وَفِي الْآيَاتِ بَيَانُ أَنَّ النَّارَ مَآلُ مَنْ تَجَاوَزَ الْحَدَّ، وَأَقْبَلَ عَلَىٰ الدُّنْيَا، وَنَسِيَ الْآخِرَةَ، وَأَنَّ الْجَنَّةَ مَآلُ مَنْ خَافَ الْوُقُوفَ بَيْنَ يَدَيْ رَبِّهِ، وَامْتَثَلَ أَوَامِرَهُ، وَامْتَنَعَ عَنْ مَعَاصِيهِ.

●●●









الآيات من: ٤٢ إلى: (٤٦) نهاية السورة

﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ﴿٤٥﴾ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوٓا۟ إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا ﴿٤٦﴾﴾.

● ● ●



مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿أَيَّانَ مُرْسَاهَا﴾: مَتَىٰ وُقُوعُهَا، وَقِيَامُهَا.

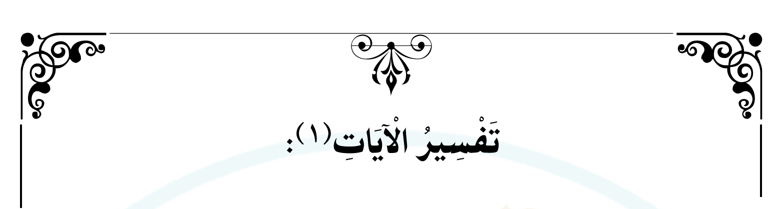
﴿مُنتَهَاهَا﴾: نِهَايَةُ عِلْمِهَا.

﴿عَشِيَّةً﴾: مَا بَيْنَ الظُّهْرِ إِلَىٰ غُرُوبِ الشَّمْسِ.

﴿أَوْ ضُحَاهَا﴾: مَا بَيْنَ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَىٰ نِصْفِ النَّهَارِ.







تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾: أَيْ يَقُولُونَ سَائِلِينَ النَّبِيَّ ﷺ: مَتَىٰ ظُهُورُهَا وَثُبُوتُهَا، كَرُسُوِّ السَّفِينَةِ ﴿أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا﴾؟

﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾: يَعْنِي لَسْتَ فِي شَيْءٍ مِنْ عِلْمِهَا وَذِكْرِهَا، أَنْتَ لَا تَعْلَمُهَا.

﴿إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ﴾: أَيْ: مُنْتَهَىٰ عِلْمِهَا عِنْدَ اللهِ.

﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا﴾: إِنَّمَا يَنْفَعُ إِنْذَارُكَ مَنْ يَخَافُهَا، وَأَمَّا مَنْ لَا يَخَافُ فَإِنَّهُ يَتَّخِذُ ذَلِكَ هُزُوًا، وَلَا يُؤْمِنُ بِهِ.

﴿كَأَنَّهُمْ﴾: يَعْنِي كُفَّارَ قُرَيْشٍ، وَمُنْكِرِي الْبَعْثِ، ﴿يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾: يَوْمَ يُعَايِنُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ﴿لَمْ يَلْبَثُوٓاْ﴾: لَمْ يَبْقَوا فِي الدُّنْيَا ﴿إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَىٰهَا﴾: كَقَدْرِ الضُّحَىٰ الَّذِي يَلِي تِلْكَ الْعَشِيَّةَ.

كَانَ الْمُشْرِكُونَ يَسْأَلُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنِ الْمَوْعِدِ الَّذِي تَقُومُ فِيهِ الْقِيَامَةُ، وَيَسْأَلُونَهُ ﷺ عَنْ تَحْدِيدِ وَقْتِهَا؛ اسْتِهْزَاءً مِنْهُمْ.

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٣٠ - ٣٣١).

وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُرَدِّدُ مَا يَقُولُونَ، قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لَمْ يَزَلِ الرَّسُولُ ﷺ يَذْكُرُ السَّاعَةَ، وَيَسْأَلُ عَنْهَا حَتَّىٰ نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾»[(١)]. يَعْنِي لَسْتَ فِي شَيْءٍ مِنْ عِلْمِهَا وَذِكْرِهَا.

❁ ❁ ❁



(١) أخرجه إسحاق بن راهوية في «مسنده» (رقم ٧٧٧ و٧٧٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢١٣)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٥، رقم ٧) و(٢/ ٥١٣ و٥١٤، رقم ٣٨٩٥)، وأبو نعيم في «الحلية» (٧/ ٣١٤)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٣/ ترجمة ٦٠٨٦)، بإسناد صحيح، وانظر: «العلل» لابن أبي حاتم (٤/ ٦٣٣، مسألة ١٦٩٣)، و«العلل» للدارقطني (١٤/ ١٢٦، مسألة ٣٤٧٥).

الْمَعْنَى الْإِجْمَالِي:

يَقُولُ تَعَالَىٰ لِرَسُولِهِ ﷺ: يَسْأَلُكَ الْمُتَعَنِّتُونَ الْمُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ مَتَىٰ قِيَامُ السَّاعَةِ وَمَتَىٰ وُقُوعُهَا؟

فَأَجَابَهُمُ اللهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ﴾: أَيْ لَسْتَ فِي شَيْءٍ مِنْ عِلْمِهَا وَذِكْرَاهَا، حَتَّىٰ تَهْتَمَّ وَتَذْكُرَ لَهُمْ وَقْتَهَا.

وَلِهَذَا لَمَّا كَانَ عِلْمُ الْعِبَادِ لِلسَّاعَةِ لَيْسَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ دِينِيَّةٌ وَلَا دُنْيَوِيَّةٌ، بَلِ الْمَصْلَحَةُ فِي إِخْفَائِهِ عَنْهُمْ، لَمَّا كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ طَوَىٰ رَبُّنَا عِلْمَ ذَلِكَ عَنْ جَمِيعِ الْخَلْقِ، وَاسْتَأْثَرَ بِعِلْمِهِ سُبْحَانَهُ، فَمَرَدُّ عِلْمِهَا، وَمُنْتَهَىٰ خَبَرِهَا إِلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ.

وَإِنَّمَا مُهِمَّتُكَ -يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ- التَّخْوِيفُ وَالْإِنْذَارُ بِأَهْوَالِ الْقِيَامَةِ مِنْ بَأْسِ اللهِ وَعَذَابِهِ.

وَإِنَّمَا يَنْفَعُ إِنْذَارُكَ مَنْ يَخْشَىٰ ذَلِكَ، وَأَمَّا مَنْ يُنْكِرُهُ فَإِنَّهُ لَا يَزِيدُهُ إِلَّا عُتُوًّا.

الْكَافِرُونَ حِينَ يُفَاجَئُونَ بِالْقِيَامَةِ، وَيَخْرُجُونَ مِنَ الْقُبُورِ، يَسْتَقْصِرُونَ مُدَّةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَأَنَّهَا كَانَتْ عِنْدَهُمْ عَشِيَّةً مِنْ يَوْمٍ أَوْ ضُحَىٰ تِلْكَ الْعَشِيَّةِ.

وَالْعَشِيَّةُ: مَا بَيْنَ الظُّهْرِ إِلَىٰ غُرُوبِ الشَّمْسِ، وَأَمَّا ضُحَاهَا: فَمَا بَيْنَ طُلُوعِ الشَّمْسِ إِلَىٰ نِصْفِ النَّهَارِ.

***

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ:

١- بَيَانُ أَنَّ الشَّدَائِدَ يُنْسِي بَعْضُهَا بَعْضًا، فَإِنَّ عَذَابَ الْقَبْرِ يَهُونُ أَمَامَ عَذَابِ النَّارِ.

٢- وَيُسْتَفَادُ مِنْ ذَلِكَ أَيْضًا أَنَّ مَرَدَّ عِلْمِ السَّاعَةِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَلَمْ يُطْلِعِ اللهُ ﷻ عَلَىٰ ذَلِكَ أَحَدًا مِنْ خَلْقِهِ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ أَيْضًا مَشْرُوعِيَّةُ عَدَمِ السُّؤَالِ عَمَّا لَيْسَ فِيهِ مَصْلَحَةٌ، وَأَنَّ الْإِنْسَانَ إِنَّمَا يَسْأَلُ عَمَّا فِيهِ مَصْلَحَةٌ، وَعَلَىٰ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَسْعَىٰ فِيمَا يُرْضِي رَبَّهُ، وَعَلَيْهِ أَنْ يَسْتَعِدَّ لِيَوْمِ لِقَائِهِ.

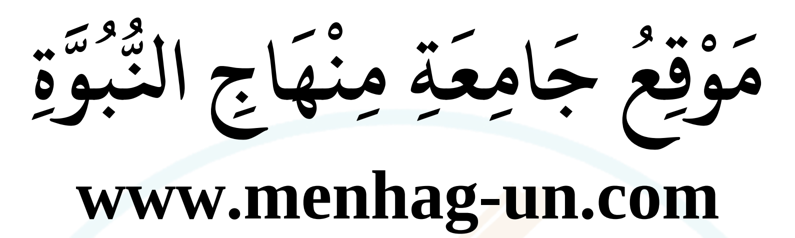
٤- وَفِي الْآيَاتِ بَيَانُ أَنَّ الْكَافِرَ يَسْتَقْصِرُ مُدَّةَ الْحَيَاةِ؛ لِهَوْلِ مَا يَرَىٰ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَفِيهَا إِشَارَةٌ إِلَىٰ أَنَّهُ يَنْبَغِي عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْمَلَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الْفَانِيَةِ لِلْآخِرَةِ الْبَاقِيَةِ.

وَعَلَيْهِ أَنْ لَا يُفَوِّتَ الْفُرْصَةَ الَّتِي أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهَا بِمِنْحَةِ الْحَيَاةِ، عَلَيْهِ أَنْ يَسْتَثْمِرَ حَيَاتَهُ وَوَقْتَهُ فِيمَا يُرْضِي اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَفِي ذَلِكَ الْعَمَلِ لِلْآخِرَةِ تَرْقِيَةٌ لِلْحَيَاةِ، وَإِعْلَاءٌ لِمَا فِيهَا بِذِكْرِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

فَالْإِنْسَانُ يَنْبَغِي عَلَيْهِ أَنْ يَجْتَهِدَ فِي ذَلِكَ، وَأَنْ يَكُونَ دَائِمَ الذِّكْرِ للهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَنْفَعَنَا بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَأَنْ يُحَمِّلَنَا إِيَّاهُ، وَأَنْ يَرْزُقَنَا تِلَاوَتَهُ عَلَىٰ النَّحْوِ الَّذِي يُرْضِيهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ.

◉ ◉ ◉



يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الثَّالِثَةُ)

مِنْ مَادَّةِ التَّفْسِيرِ

تفسير جزء عمّ

[سُورَةُ: عَبَسَ]


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بَيْنَ يَدَيِ السُّورَةِ

* سُورَةُ عَبَسَ مِنَ السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ، وَهِيَ تَتَنَاوَلُ شُئُونًا تَتَعَلَّقُ بِالْعَقِيدَةِ وَأَمْرِ الرِّسَالَةِ، كَمَا أَنَّهَا تَتَحَدَّثُ عَنْ دَلَائِلِ الْقُدْرَةِ، وَالْوَحْدَانِيَّةِ فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ، وَالنَّبَاتِ، وَالطَّعَامِ، وَفِيهَا الْحَدِيثُ عَنِ الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهَا، وَشِدَّةِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ.

* ابْتَدَأَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِذِكْرِ قِصَّةِ الْأَعْمَىٰ (عَبْدِ اللهِ بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ) الَّذِي جَاءَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ يَطْلُبُ مِنْهُ أَنْ يُعَلِّمَهُ مِمَّا عَلَّمَهُ اللهُ، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ مَشْغُولٌ مَعَ جَمَاعَةٍ مِنْ كُبَرَاءِ قُرَيْشٍ، يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، فَعَبَسَ ﷺ فِي وَجْهِهِ وَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَنَزَلَ الْقُرْآنُ بِالْعِتَابِ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾ الْآيَاتِ.

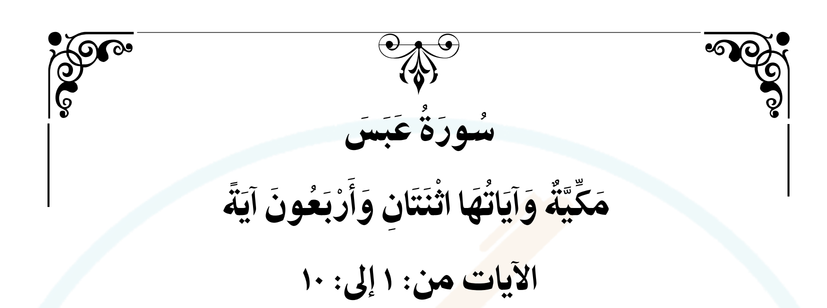
* ثُمَّ تَحَدَّثَتْ عَنْ جُحُودِ الْإِنْسَانِ، وَكُفْرِهِ الْفَاحِشِ بِرَبِّهِ مَعَ كَثْرَةِ نِعَمِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ...﴾ الْآيَاتِ

* ثُمَّ تَنَاوَلَتْ دَلَائِلَ الْقُدْرَةِ فِي هَذَا الْكَوْنِ، حَيْثُ يَسَّرَ اللهُ لِلْإِنْسَانِ سُبُلَ الْعَيْشِ فَوْقَ سَطْحِ هَذِهِ الْمَعْمُورَةِ ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾ الْآيَاتِ.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِبَيَانِ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، وَفِرَارِ الْإِنْسَانِ مِنْ أَحْبَابِهِ مِنْ شِدَّةِ الْهَوْلِ وَالْفَزَعِ، وَبَيَّنَتْ حَالَ الْمُؤْمِنِينَ وَحَالَ الْكَافِرِينَ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ ﴿فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١﴾ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَىٰ ...﴾، إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ (مِنْ آيَة ١ إِلَىٰ آيَة ٤٢ نِهَايَةِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ).

● ● ●



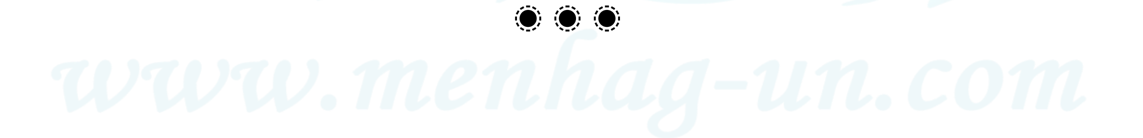
سُورَةُ عَبَسَ

مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا اثْنَتَانِ وَأَرْبَعُونَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: ١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١﴾ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ﴿٣﴾ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ﴿٤﴾ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ﴿٥﴾ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ﴿٦﴾ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ﴿٨﴾ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ﴿٩﴾ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾.



مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿عَبَسَ﴾: غَيَّرَ مَلَامِحَ وَجْهِهِ.

﴿وَتَوَلَّىٰٓ﴾: أَعْرَضَ.

﴿يُدْرِيكَ﴾: يُعْلِمُكَ.

﴿يَزَّكَّىٰٓ﴾: يَتَزَكَّىٰ؛ أَيْ يَتَطَهَّرُ.

﴿ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾: الْعِظَةُ.

﴿تَصَدَّىٰ﴾: تَتَصَدَّىٰ؛ أَيْ تُقْبِلُ عَلَيْهِ.

﴿يَخْشَىٰ﴾: يَخَافُ.

﴿تَلَهَّىٰ﴾: تَتَشَاغَلُ.



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝٣ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ ۝٤ أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ ۝٥ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسْعَىٰ ۝٨ وَهُوَ يَخْشَىٰ ۝٩ فَأَنتَ عَنْهُ تَلَهَّىٰ﴾ [عبس: ١-١٠].

هَذِهِ الْآيَاتُ نَزَلَتْ فِي عَبْدِ اللهِ بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَانَ رَجُلًا أَعْمَىٰ، جَاءَ إِلَىٰ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ مُشْتَغِلٌ بِدَعْوَةِ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ إِلَىٰ الْإِسْلَامِ، وَبَيَانِ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيْهِ مِنَ الدِّينِ.

وَأَخَذَ يَقُولُ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: عَلِّمْنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ، وَلِأَنَّهُ كَانَ أَعْمَىٰ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ لَا يَعْلَمُ أَنَّ الرَّسُولَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مُشْتَغِلٌ بِغَيْرِهِ مِمَّنْ يَحْرِصُ عَلَىٰ هِدَايَتِهِمْ مِنْ كُبَرَاءِ قُرَيْشٍ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَرَىٰ أَنَّ هَؤُلَاءِ لَوْ أَسْلَمُوا وَدَخَلُوا فِي دِينِ اللهِ؛ دَخَلَ فِي الدِّينِ مَنْ وَرَاءَهُمْ.

وَأَخَذَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يُكَرِّرُ قَوْلَهُ: «عَلِّمْنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ»، فَعَبَسَ لَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ﴾(٢).

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٣٦)، و«فتح القدير» للشوكاني (٥/ ٤٦٣).

(٢) أجمع أهل التفسير علىٰ أن هذه السورة نزلت في ابن أم مكتوم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأخرج الطبري =

﴿عَبَسَ﴾: أَيِ النَّبِيُّ ﷺ، قَطَّبَ مَا بَيْنَ عَيْنَيْهِ[1]؛ كَرَاهَةً لِمَا وَقَعَ، فَتَغَيَّرَ وَجْهُهُ ﷺ وَأَعْرَضَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾: أَيْ لِأَجْلِ أَنْ جَاءَ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَقَطَعَهُ عَمَّا هُوَ مَشْغُولٌ بِهِ مِنْ دَعْوَةِ بَعْضِ أَشْرَافِ قُرَيْشٍ لِلْإِسْلَامِ.

﴿لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾: أَيْ يَتَطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ.

﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ﴾: أَيْ يَتَّعِظُ.

=

في «تفسيره» (٢٤/ ٢١٧)، بإسناده، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ﴾، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ يُنَاجِي عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَأَبَا جَهْلِ بْنَ هِشَامٍ وَالْعَبَّاسَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ يَتَصَدَّىٰ لَهُمْ كَثِيرًا، وَيَحْرِصُ عَلَيْهِمْ أَنْ يُؤْمِنُوا، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ رَجُلٌ أَعْمَىٰ، يُقَالُ لَهُ عَبْدُ اللهِ بْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، يَمْشِي وَهُوَ يُنَاجِيهِمْ، فَجَعَلَ عَبْدُ اللهِ يَسْتَقْرِئُ النَّبِيَّ ﷺ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، عَلِّمْنِي مِمَّا عَلَّمَكَ اللهُ، فَأَعْرَضَ عَنْهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَعَبَسَ فِي وَجْهِهِ وَتَوَلَّىٰ، وَكَرِهَ كَلَامَهُ، وَأَقْبَلَ عَلَىٰ الْآخَرِينَ،... الحديث.

وأخرج الترمذي في «جامعه» في (كتاب تفسير القرآن، باب ٧٣: ١، رقم ٣٣٣١)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، قَالَتْ: «أُنْزِلَ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ الأَعْمَىٰ، أَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ فَجَعَلَ يَقُولُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَرْشِدْنِي، وَعِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ رَجُلٌ مِنْ عُظَمَاءِ الْمُشْرِكِينَ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُعْرِضُ عَنْهُ وَيُقْبِلُ عَلَىٰ الآخَرِ، وَيَقُولُ: «**أَتَرَىٰ بِمَا أَقُولُ بَأْسًا؟**» فَيَقُولُ: لَا، فَفِي هَذَا أُنْزِلَ»، وصحح إسناده الألباني في «صحيح سنن الترمذي» (رقم ٣٥٦٦).

(١) «لسان العرب» (٦/ ١٢٨).

﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾: أَيِ الْمَوْعِظَةُ.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ﴾: عَنِ الْإِيمَانِ، وَالْعِلْمِ، وَالدِّينِ بِالْمَالِ وَالْجَاهِ.

﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾: أَيْ تُقْبِلُ عَلَيْهِ، وَتَتَصَدَّىٰ لَهُ.

﴿وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ﴾: أَيْ لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ فِي عَدَمِ تَزْكِيَتِهِ نَفْسَهُ بِالْإِسْلَامِ.

﴿يَسۡعَىٰ﴾: أَيْ فِي طَلَبِ الْخَيْرِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْهُدَىٰ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ﴾: وَمَا يُدْرِيكَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لَعَلَّ الْأَعْمَىٰ يَتَطَهَّرُ مِنَ الذُّنُوبِ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ بِسَبَبِ مَا يَتَعَلَّمُهُ مِنْكَ؟

﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾: ﴿أَوۡ يَذَّكَّرُ﴾: أَوْ يَتَذَكَّرُ فَيَتَّعِظُ بِمَا تُعَلِّمُهُ مِنَ الْمَوَاعِظِ، ﴿فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾: أَيِ الْمَوْعِظَةُ.

﴿أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ﴾: وَأَعْرَضَ عَنْكَ.

﴿فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ﴾: تُقْبِلُ عَلَيْهِ بِوَجْهِكَ، وَتُقْبِلُ عَلَيْهِ بِحَدِيثِكَ، وَهُوَ يُعْرِضُ عَنْكَ مُظْهِرًا الِاسْتِغْنَاءَ عَنْكَ.

﴿وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ﴾: فَوَصَلَ إِلَيْكَ مُسْرِعًا فِي الْمَجِيءِ، طَالِبًا مِنْكَ أَنْ تُرْشِدَهُ إِلَىٰ الْخَيْرِ.

﴿فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾: تَتَشَاغَلُ، وَتُعْرِضُ.

وَأَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ عَنْكَ، وَأَنْتَ تَتَصَدَّىٰ لَهُ وَهُوَ لَا يَهْتَدِي، فَإِنَّهُ لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ، فَلَا تَهْتَمَّ بِأَمْرِ مَنْ كَانَ هَكَذَا مِنَ الْكُفَّارِ.

***





المَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

يُعَاتِبُ اللهُ ﷻ رَسُولَهُ ﷺ بِهَذَا الْعِتَابِ اللَّطِيفِ، حِينَمَا عَبَسَ فِي وَجْهِ الْأَعْمَىٰ الَّذِي أَتَىٰ إِلَيْهِ فَأَعْرَضَ عَنْهُ ﷺ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَىٰ سُؤَالِهِ.

وَفِي الْكَلَامِ الْتِفَاتٌ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَىٰ الْحُضُورِ، وَهَذِهِ مُبَالَغَةٌ فِي الْعِتَابِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾: وَمَا يُعْلِمُكَ عَنْ حَالِ هَذَا الْأَعْمَىٰ، فَلَعَلَّهُ يَتَطَهَّرُ مِنَ الْجَهْلِ أَوِ الذَّنْبِ بِمَا يَسْمَعُ مِنْكَ مِنَ الْقُرْآنِ.

وَأَمَّا مَنِ اسْتَغْنَىٰ عَنِ الْإِيمَانِ، وَمَا عِنْدَكَ مِنَ الْعُلُومِ الَّتِي يَنْطَوِي عَلَيْهَا الْقُرْآنُ؛ فَأَنْتَ تَتَعَرَّضُ لَهُ بِالْإِقْبَالِ عَلَيْهِ، وَالْإِصْغَاءِ لِكَلَامِهِ، وَالِاهْتِمَامِ بِإِرْشَادِهِ وَاسْتِصْلَاحِهِ؛ رَجَاءَ أَنْ يُسْلِمَ وَيُسْلِمَ بِإِسْلَامِهِ غَيْرُهُ، وَلَيْسَ عَلَيْكَ هِدَايَتُهُ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ.

وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ مُسْرِعًا فِي طَلَبِ الْعِلْمِ وَالْخَيْرِ، وَهُوَ يَتَّقِي رَبَّهُ تَعَالَىٰ وَيَخْشَاهُ، فَأَنْتَ تُعْرِضُ عَنْهُ وَتَتَشَاغَلُ.



مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[١]:

١- وَفِي الْآيَاتِ بَيَانُ مَقَامِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَنَّهُ أَشْرَفُ مَقَامٍ وَأَسْمَاهُ، دَلَّ عَلَىٰ ذَلِكَ أُسْلُوبُ الْعِتَابِ؛ حَيْثُ خَاطَبَهُ اللهُ فِي أُسْلُوبِ شَخْصٍ غَائِبٍ؛ حَتَّىٰ لَا يُوَاجِهَهُ بِالْخِطَابِ.

فَلَمْ يَقُلْ: عَبَسْتَ وَتَوَلَّيْتَ، وَإِنَّمَا قَالَ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾؛ لِأَنَّهُ لَوْ وَاجَهَهُ بِالْخِطَابِ لَآلَمَهُ، فَتَلَطَّفَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ فِي الْخِطَابِ.

ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ بَعْدَ أَنْ أَزَالَ الْوَحْشَةَ يُخَاطِبُهُ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾: فَفِي هَذَا الْأُسْلُوبِ الْتِفَاتٌ؛ لِأَنَّهُ بَدَأَ بِالْغَيْبَةِ، ثُمَّ عَدَلَ عَنْهَا إِلَىٰ الْخِطَابِ.

٢- وَفِي الْآيَاتِ أَيْضًا أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ قَدْ بَلَغَ بِتَأْدِيبِ رَبِّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَهُ مُسْتَوًىٰ لَمْ يَبْلُغْهُ سِوَاهُ.

فَقَدْ كَانَ إِذَا جَاءَهُ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بَعْدَ ذَلِكَ؛ يُوسِعُ لَهُ فِي الْمَجْلِسِ، وَيُجْلِسُهُ إِلَىٰ جَانِبِهِ وَيَقُولُ لَهُ: «**مَرْحَبًا بِالَّذِي عَاتَبَنِي رَبِّي لِأَجْلِهِ**»[٢]، وَوَلَّاهُ النَّبِيُّ

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥١٨).

(٢) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٣٢)، وأخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (رقم ٣٤٩٣ و٣٤٩٤)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (رقم ٣١٢٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢١٨ و٢١٩)، بإسناد صحيح، عَنْ أَنَسٍ، فِي قَوْلِهِ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰ﴾ قَالَ: جَاءَ ابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ إِلَىٰ =

ﷺ الْمَدِينَةَ مَرَّاتٍ(١)، وَكَانَ مُؤَذِّنًا لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي رَمَضَانَ(٢).

٣- وَفِي الْآيَاتِ اسْتِحَالَةُ كِتْمَانِ النَّبِيِّ ﷺ لِشَيْءٍ مِنَ الْوَحْيِ، وَقَدْ قَالَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لَوْ كَانَ لِلرَّسُولِ أَنْ يَكْتُمَ شَيْئًا مِنْ وَحْيِ اللهِ؛ لَكَتَمَ عِتَابَ اللهِ لَهُ فِي ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾»(٣).

فَلَوْ كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَكْتُمَ شَيْئًا مِنَ الْوَحْيِ لَكَتَمَ هَذَا، وَلَوْ كَانَ هَذَا الْوَحْيُ مِنْ عِنْدِهِ هُوَ؛ مَا قَالَ هَذَا لِنَفْسِهِ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلَامُ اللهِ يُبَلِّغُهُ رَسُولُهُ ﷺ.

=

النَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ يُكَلِّمُ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ فَأَعْرَضَ عَنْهُ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾، قَالَ: «**فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ بَعْدَ ذَلِكَ يُكْرِمُهُ**».

(١) أخرج أبو داود في (الصلاة، ٦٥، رقم ٥٩٥)، وفي (الخراج، ٣، رقم ٢٩٣١)، من حديث: أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اسْتَخْلَفَ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ عَلَىٰ الْمَدِينَةِ مَرَّتَيْنِ**»، وصححه الألباني في «الإرواء» (٥٣٠).

(٢) أخرجه البخاري في (الأذان، ١٣، رقم ٦٢٢)، وفي (الصوم، ١٧، رقم ١٩١٨)، ومسلم في (الصلاة، ٥، رقم ٣٨١)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

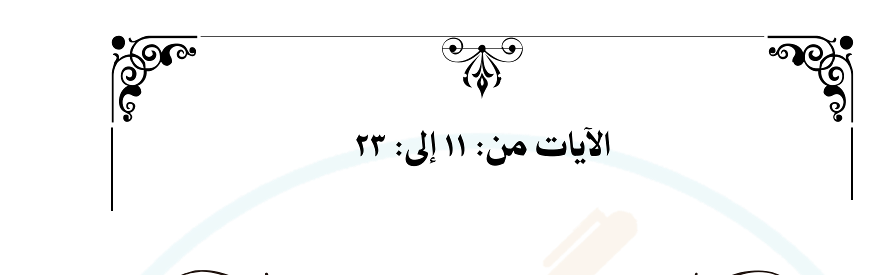
(٣) «المسالِك في شرح مُوطَّأ مالك» لأبي بكر ابن العربي (٣/ ٣٩٣ - ٣٩٤)، و«الشفا» للقاضي عياض (٢/ ١٩١)، وأخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢١٩)، بإسناد صحيح، عَن عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، قَالَ: كَانَ يُقَالُ: لَوْ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَتَمَ مِنَ الْوَحْيِ شَيْئًا، كَتَمَ هَذَا عَنْ نَفْسِهِ،...، وَذكر قصَّة ابن أُمِّ مَكْتُومٍ، وَنُزُولَ: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾، قال ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٤١١) في نسبة هذه الرواية لعائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «لَمْ أَرَهَا إِلَّا عِنْدَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ».

٤- وَفِي الْآيَاتِ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَلَّا نَتْرُكَ الْمَصْلَحَةَ الْمُتَحَقَّقَةَ لِلْمَصْلَحَةِ الْمُتَوَهَّمَةِ؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَعْرَضَ عَنِ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَلَمْ يُعَلِّمْهُ مَا طَلَبَ مِنْهُ، وَهَذِهِ مَصْلَحَةٌ مُتَحَقَّقَةٌ، وَأَقْبَلَ ﷺ عَلَىٰ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ؛ رَجَاءَ أَنْ يُسْلِمُوا، فَيُسْلِمَ بِإِسْلَامِهِمْ مَنْ وَرَاءَهُمْ، وَهَذِهِ مَصْلَحَةٌ غَيْرُ مُتَحَقَّقَةٍ.

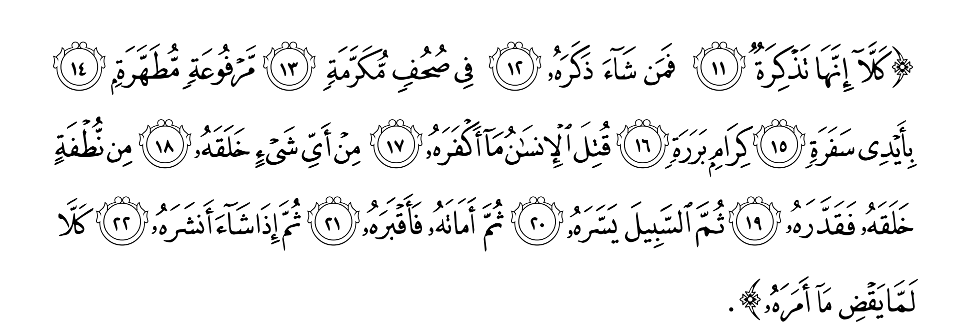
٥- وَفِي الْآيَاتِ أَنَّهُ يَنْبَغِي الْإِقْبَالُ عَلَىٰ طَالِبِ الْعِلْمِ الْخَيِّرِ، وَالْمُفْتَقِرِ إِلَيْهِ، وَالْحَرِيصِ عَلَيْهِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ، فَقَدْ عَاتَبَ اللهُ نَبِيَّهُ ﷺ فِي أَنَّهُ لَمْ يُقْبِلْ عَلَىٰ ابْنِ أُمِّ مَكْتُومٍ رضي الله عنه.

٦- وَفِي الْآيَاتِ أَنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ الدُّعَاةِ إِلَىٰ اللهِ عَدَمُ التَّمْيِيزِ بَيْنَ الشَّرِيفِ وَالضَّعِيفِ، وَالْفَقِيرِ وَالْغَنِيِّ، وَالْكَبِيرِ وَالصَّغِيرِ فِي الدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

●●●



الآيات من: ١١ إلى: ٢٣



﴿كَلَّآ إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ ﴿١١﴾ فَمَن شَآءَ ذَكَرَهُۥ ﴿١٢﴾ فِى صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍۭ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍۭ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾ قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَىِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾ كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾.



مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿كَلَّآ﴾: حَقًّا.

﴿تَذۡكِرَةٞ﴾: عَظِةٌ وَعِبْرَةٌ.

﴿مَّرۡفُوعَةٖ﴾: عَالِيَةِ الْقَدْرِ.

﴿مُّطَهَّرَةِۭ﴾: بَعِيدَةٍ عَنِ الدَّنَسِ، وَعَنِ الزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ.

﴿سَفَرَةٖ﴾: الْكَتَبَةُ، وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ.

﴿بَرَرَةٖ﴾: الْأَتْقِيَاءُ.

﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾: لُعِنَ الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ.

﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾: فَسَوَّاهُ، وَهَيَّأَهُ لِمَصَالِحِ نَفْسِهِ، وَهَيَّأَهُ لِمَا يَصْلُحُ لَهُ.

﴿فَأَقۡبَرَهُۥ﴾: جَعَلَ لَهُ قَبْرًا يُدْفَنُ فِيهِ بَعْدَ مَوْتِهِ.

﴿أَنشَرَهُۥ﴾: بَعَثَهُ بَعْدَ الْمَوْتِ؛ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

﴿كَلَّا﴾: كَلِمَةُ رَدْعٍ وَزَجْرٍ، لَا تَعُدْ لِمِثْلِ هَذَا فِي أَوَّلِ هَذِهِ الْآيَاتِ، وَفِي آخِرِهَا ﴿كَلَّا لَمَّا يَقۡضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾.

● ● ●



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿كَلَّآ﴾: يَعْنِي لَا تَعُدْ لِمِثْلِ ذَلِكَ؟

﴿إِنَّهَا تَذْكِرَةٞ﴾: أَيْ هَذِهِ الْآيَاتُ عِظَةٌ لِلْخَلْقِ.

﴿فِي صُحُفٖ مُّكَرَّمَةٖ﴾: عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ.

﴿مَّرۡفُوعَةٖ مُّطَهَّرَةِۭ﴾: مَرْفُوعَةٍ فِي السَّمَاءِ، مُطَهَّرَةٍ: مُنَزَّهَةٍ عَنْ مَسِّ الشَّيَاطِينِ.

﴿بِأَيۡدِي سَفَرَةٖ﴾: بِأَيْدِي كَتَبَةٍ يَنْسَخُونَهَا مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ.

﴿كِرَامِۭ بَرَرَةٖ﴾: مُطِيعِينَ للهِ، وَهُمُ الْمَلَائِكَةُ.

﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾: لُعِنَ الْإِنْسَانُ الْكَافِرُ، مَا أَشَدَّ كُفْرَهُ!

﴿مِنۡ أَيِّ شَيۡءٍ خَلَقَهُۥ﴾: أَيْ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَ اللهُ هَذَا الْكَافِرَ.

﴿مِن نُّطۡفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ﴾: مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، فَكَيْفَ يَتَكَبَّرُ مَنْ خَرَجَ مِنْ مَخْرَجِ الْبَوْلِ مَرَّتَيْنِ(٢)، مَرَّةً مِنْ أُمِّهِ وَمَرَّةً مِنْ أَبِيهِ.

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥١٦ - ٥١٩)، و«فتح القدير» للشوكاني (٥/ ٤٦٤ - ٤٦٥).

(٢) أخرج المعافي بن عمران في «الزهد» (رقم ١٠٧)، وأحمد في «الزهد» (رقم ١٦٥٧ و١٦٥٨)، بإسناد صحيح، عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: «**يَا ابْنَ آدَمَ، كَيْفَ تَتَكَبَّرُ وَأَنْتَ خَرَجْتَ مِنْ** =

﴿فَقَدَّرَهُۥ﴾: فَسَوَّاهُ، وَهَيَّأَهُ لِمَصَالِحِ نَفْسِهِ.

﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾: يَسَّرَ لَهُ الطَّرِيقَ إِلَىٰ تَحْصِيلِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ(١).

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ﴾: فَجَعَلَهُ ذَا قَبْرٍ يُوَارَىٰ فِيهِ بَعْدَ مَوْتِهِ؛ إِكْرَامًا لَهُ.

﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ﴾: أَحْيَاهُ بَعْدَ مَوْتِهِ.

﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾: أَخَلَّ بِمَا أُمِرَ بِهِ الْكَافِرُ بِكُفْرِهِ، وَالْعَاصِي بِعِصْيَانِهِ، وَمَا قَضَىٰ مِمَّا أَمَرَ اللهُ إِلَّا الْقَلِيلَ(٢).

***

=

سَبِيلِ الْبَوْلِ مَرَّتَيْنِ»، وروي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، والأحنف بن قيس، نحوه، بأسانيد صحيحة.

(١) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٠٥) وعبد الرزاق في «تفسيره» (رقم ٣٤٩٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٢٤)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ﴾، قَالَ: «**الشَّقَاءُ وَالسَّعَادَةُ**»، وفي رواية: «**هُوَ كَقَوْلِهِ**: ﴿إِنَّا هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا﴾ [الإنسان: ٣]»، وروي عن الحسن بنحوه، بإسناد صحيح.

(٢) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٠٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٢٥)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾، يَقُولُ: «**لَا يَقْضِي أَحَدٌ أَبَدًا كُلَّ مَا فُرِضَ عَلَيْهِ**».

المَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

يَقُولُ تَعَالَىٰ: حَقًّا إِنَّ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ عِظَةٌ وَتَذْكِيرٌ لِلْخَلْقِ، فَمَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّعِظَ بِتِلْكَ الْآيَاتِ فَلْيَفْعَلْ.

وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أُودِعَتْ آيَاتُهُ فِي صُحُفٍ رَفِيعَةِ الْقَدْرِ، مُطَهَّرَةٍ مِنَ الدَّنَسِ وَالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ.

وَالْمُرَادُ بِالصُّحُفِ: الْمَنْسُوخَةُ مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ، وَهِيَ بِأَيْدِي الْمَلَائِكَةِ، وَهُمُ الرُّسُلُ بَيْنَ اللهِ تَعَالَىٰ وَالْأَنْبِيَاءِ بِالْوَحْيِ، وَهُمْ -كَمَا وَصَفَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ- كِرَامٌ عَلَىٰ اللهِ، كَرِيمَةٌ أَخْلَاقُهُمْ، نَزِيهَةٌ أَفْعَالُهُمْ، لَمْ يَتَدَنَّسُوا بِمَعْصِيَةٍ.

ثُمَّ ذَمَّ سُبْحَانَهُ الْكَافِرَ الْمُنْكِرَ لِلْبَعْثِ، فَقَالَ: لُعِنَ هَذَا الْإِنْسَانُ مَا أَشَدَّ كُفْرَهُ، وَهُوَ دُعَاءٌ عَلَيْهِ عَلَىٰ مَا جَرَتْ بِهِ عَادَةُ الْعَرَبِ مِنَ الدُّعَاءِ بِهَذَا اللَّفْظِ، كَقَوْلِهِمْ: قَاتَلَهُ اللهُ، وَهُوَ هُنَا تَقْبِيحٌ لِمَا عَلَيْهِ هَذَا الْإِنْسَانُ مِنَ الْكُفْرِ، مَعَ إِحْسَانِ اللهِ إِلَيْهِ، وَكَثْرَةِ أَيَادِيهِ عَلَيْهِ.

وَلِذَلِكَ وَبَّخَهُ بِقَوْلِهِ: مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ؟ وَهُوَ اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ التَّقْرِيرُ، وَفِيهِ فَسَّرَ هَذَا الْخَلْقَ بِأَنَّهُ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ، وَأَنَّهُ جَعَلَ هَذَا الْخَلْقَ أَطْوَارًا وَأَحْوَالًا؛ نُطْفَةً ثُمَّ عَلَقَةً، ثُمَّ مُضْغَةً، إِلَىٰ آخِرِ هَذِهِ الْمُقَدَّرَاتِ، حَتَّىٰ يُولَدَ وَيَشِبَّ.

وَجعَلَهُ مُتَمَكِّنًا مِنْ سُلُوكِ سُبُلِ الْخَيْرِ أَوْ سُبُلِ الشَّرِّ، وَبَعْدَ انْقِضَاءِ أَجَلِهِ أَمَاتَهُ، وَجَعَلَ لَهُ قَبْرًا يُوَارَىٰ فِيهِ.

ثُمَّ إِذَا حَانَ وَقْتُ الْقِيَامَةِ، وَبُعِثَ النَّاسُ مِنْ قُبُورِهِمْ، أَقَامَهُ وَبَعَثَهُ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، ثُمَّ زَجَرَ الْإِنْسَانَ الْكَافِرَ عَمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ التَّكَبُّرِ عَنِ التَّوْحِيدِ، وَإِنْكَارِ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ.

●●●



مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ:

١- فِي الْآيَاتِ الدَّلَالَةُ عَلَىٰ فَضْلِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَعُلُوِّ مَكَانَتِهِ.

٢- وَفِيهَا بَيَانُ مَظَاهِرِ قُدْرَةِ اللهِ وَعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، وَهِيَ مُقْتَضِيَةٌ لِلْإِيمَانِ بِهِ، وَبِآيَاتِهِ، وَبِرَسُولِهِ، وَلِقَائِهِ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: الدَّلَالَةُ عَلَىٰ فَضْلِ الْمَلَائِكَةِ.

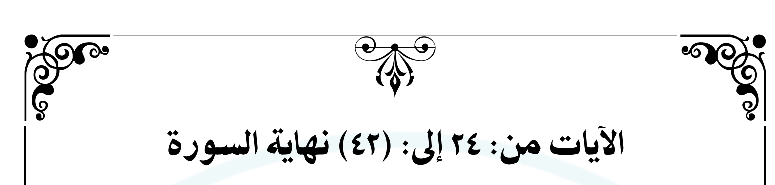
٤- وَفِيهَا: ذَمُّ الْكَافِرِ؛ لِمُعَارَضَتِهِ الْحَقَّ مَعَ وُضُوحِهِ، وَظُهُورِهِ وَبَيَانِهِ.

٥- وَفِيهَا ذِكْرُ أَحْوَالِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ، وَانْتِقَالِهِ مِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَالٍ.

٦- وَفِي الْآيَاتِ: مَشْرُوعِيَّةُ دَفْنِ الْإِنْسَانِ بَعْدَ مَوْتِهِ، وَفِي هَذَا تَكْرِيمٌ لَهُ، أَمَّا حَرْقُهُ -كَمَا يَفْعَلُ بَعْضُ الْوَثَنِيِّينَ- فَمُنَافٍ لِلْإِكْرَامِ الَّذِي أَكْرَمَهُ اللهُ بِهِ، وَمُنَابِذٌ لِلسُّنَّةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، فَضْلًا عَمَّا فِيهِ مِنَ الْبَشَاعَةِ وَالشَّنَاعَةِ.

٧- وَفِي الْآيَاتِ: الْإِنْكَارُ عَلَىٰ مَنْ لَمْ يَقُمْ بِأَوَامِرِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَيَشْكُرْهُ عَلَىٰ نَعْمَائِهِ الَّتِي أَوْصَلَهَا إِلَيْهِ.

⦿⦿⦿



الآيات من: ٢٤ إلى: (٤٢) نهاية السورة

﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ ﴿٢٤﴾ أَنَّا صَبَبْنَا ٱلْمَآءَ صَبًّا ﴿٢٥﴾ ثُمَّ شَقَقْنَا ٱلْأَرْضَ شَقًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ﴿٢٧﴾ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ﴿٢٨﴾ وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا ﴿٢٩﴾ وَحَدَآئِقَ غُلْبًا ﴿٣٠﴾ وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ﴿٣١﴾ مَّتَٰعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَٰمِكُمْ ﴿٣٢﴾ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴿٣٣﴾ يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ﴿٣٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرَةٌ ﴿٣٨﴾ ضَاحِكَةٌ مُّسْتَبْشِرَةٌ ﴿٣٩﴾ وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ﴿٤٠﴾ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ﴿٤١﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾.

مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿صَبَبۡنَا﴾: أَنْزَلْنَا الْمَطَرَ مِنَ السَّمَاءِ.

﴿وَقَضۡبٗا﴾: عَلَفًا تَأْكُلُهُ الدَّوَابُّ رَطْبًا.

﴿وَحَدَآئِقَ غُلۡبٗا﴾: بَسَاتِينَ كَثِيرَةُ الْأَشْجَارِ.

﴿وَأَبّٗا﴾: مَا تَرْعَاهُ الدَّوَابُّ مِنَ الْعُشْبِ.

﴿ٱلصَّآخَّةُ﴾: صَيْحَةُ الْقِيَامَةِ.

﴿وَصَٰحِبَتِهِۦ﴾: زَوْجَتِهِ.

﴿شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾: يَشْغَلُهُ، وَيَصْرِفُهُ عَنْ شَأْنِ غَيْرِهِ.

﴿مُّسۡفِرَةٞ﴾: مُضِيئَةٌ مُشْرِقَةٌ.

﴿مُّسۡتَبۡشِرَةٞ﴾: فَرِحَةٌ مَسْرُورَةٌ.

﴿غَبَرَةٞ﴾: غُبَارٌ، وَسَوَادٌ، وَكُدْرَةٌ.

﴿تَرۡهَقُهَا﴾: تَعْلُوهَا، وَتَغْشَاهَا.

﴿قَتَرَةٌ﴾: ظُلْمَةٌ، وَسَوَادٌ.

❁ ❁ ❁



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[(١)]:

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَٰنُ إِلَىٰ طَعَامِهِۦٓ﴾: كَيْفَ قُدِّرَ، وَكَيْفَ دُبِّرَ لَهُ.

﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا﴾: الْحِنْطَةُ وَالشَّعِيرُ.

﴿وَعِنَبًا وَقَضْبًا﴾: ﴿وَعِنَبًا﴾: الْعِنَبُ الْمَعْرُوفُ.

﴿وَقَضْبًا﴾: وَهُوَ الْقَتُّ الرَّطْبُ[(٢)]، وَسُمِّيَ قَضْبًا؛ لِأَنَّهُ يُقْضَبُ، أَيْ: يُقْطَعُ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ.

﴿وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا﴾.

﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾: كَثِيرَةَ الْأَشْجَارِ، وَالْوَاحِدَةُ: غَلْبَاءُ كَحَمْرَاءَ، وَهِيَ كَثِيفَةُ الشَّجَرِ[(٣)].

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥١٩ - ٥٢١)، و«تفسير البغوي» (٨/ ٣٣٨).

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٢٦)، بإسناد لا بأس به، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَقَضْبًا﴾: يَقُولُ: «الْفِصْفِصَةُ»، قَالَ أَبُو جَعْفَر الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الْفِصْفَصَةُ: الرَّطْبَةُ»، وروي عن قتادة، مثله، بإسناد صحيح.

(٣) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٢٧)، بإسناد حسن، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَحَدَآئِقَ غُلْبًا﴾، قَالَ: «الْحَدَائِقُ: مَا الْتَفَّ وَاجْتَمَعَ»، وهو قول مقاتل في «تفسيره» =

﴿ وَفَٰكِهَةً ﴾: مَا يَتَفَكَّهُ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنْ سَائِرِ الْفَوَاكِهِ.

﴿ وَأَبًّا ﴾: الْأَبُّ: التِّبْنُ، وَمَا تَرْعَاهُ الْبَهَائِمُ(١).

﴿ مَّتَٰعًا لَّكُمۡ ﴾: مَا تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ مَنْفَعَةٌ لَكُمْ، وَلِأَنْعَامِكُمُ الَّتِي هِيَ الْإِبِلُ، وَالْبَقَرُ، وَالْغَنَمُ(٢).

﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾: وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ(٣).

﴿ يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴾: ﴿ وَصَٰحِبَتِهِۦ ﴾: أَيْ مِنْ زَوْجَتِهِ ﴿وَبَنِيهِ﴾.

=

(٤/ ٥٩٢).

(١) أخرج ابن إسحاق في «السيرة» (ص١٣١)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٢٩ - ٢٣٠)، وابن خزيمة في «صحيحه» (٢١٧٢ و٢١٧٤)، والطحاوي في «شرح المشكل» (١٤/ رقم ٥٦٨٦)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ٤٣٨، رقم ١٥٩٧) (٣/ ٥٣٩، رقم ٦٢٩٧)، وغيرهم، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «**الْأَبُّ: نَبْتُ الْأَرْضِ مِمَّا تَاكُلُهُ الدَّوَابُّ، وَلَا يَاكُلُهُ النَّاسُ**».

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٣١)، بإسناد صحيح، عَنِ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿مَّتَٰعًا لَّكُمۡ وَلِأَنۡعَٰمِكُمۡ﴾، قَالَ: «**مَتَاعًا لَكُمُ الْفَاكِهَةُ، وَلِأَنْعَامِكُمُ الْعُشْبُ**».

(٣) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٢٤)، بإسناد لا بأس به، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلصَّآخَّةُ ﴾ قَالَ: «**هَذَا مِنْ أَسْمَاءِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَظَّمَهُ اللهُ، وَحَذَّرَهُ عِبَادَهُ**».

﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾: لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَأْنٌ يَشْغَلُهُ عَنْ شَأْنِ غَيْرِهِ(١).

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ مُّسۡفِرَةٞ﴾: مُضِيئَةٌ(٢).

﴿ضَاحِكَةٞ مُّسۡتَبۡشِرَةٞ﴾.

﴿وَوُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ عَلَيۡهَا غَبَرَةٞ﴾: عَلَيْهَا غُبَارٌ، وَكُدْرَةٌ.

﴿تَرۡهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾: ﴿تَرۡهَقُهَا﴾: تَغْشَاهَا وَتَعْلُوهَا ﴿قَتَرَةٌ﴾: ظُلْمَةٌ مِنْ سَوَادٍ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَفَرَةُ ٱلۡفَجَرَةُ﴾: أُولَئِكَ هُمُ الْجَامِعُونَ بَيْنَ الْكُفْرِ وَالْفُجُورِ، وَهُمُ الْفَاسِقُونَ الْكَاذِبُونَ.

● ● ●

---

(١) أخرجه البخاري في (الرقاق، ٤٥: ٦، رقم ٦٥٢٧)، ومسلم في (صفة الجنة، ١٤: ٢ و٣، رقم ٢٨٥٩)، من حديث: عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ النِّسَاءُ وَالرِّجَالُ جَمِيعًا يَنْظُرُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ، قَالَ ﷺ: «**يَا عَائِشَةُ الْأَمْرُ أَشَدُّ مِنْ أَنْ يَنْظُرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ**»، وفي رواية عند النسائي في (الجنائز، ١١٨: ٣، رقم ٢٠٨٣) بإسناد صحيح: «... **قَالَتْ عَائِشَةُ: فَكَيْفَ بِالْعَوْرَاتِ؟ قَالَ:** ﴿لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ﴾».

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٣٣)، بإسناد لا بأس به، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿مُّسۡفِرَةٞ﴾، يَقُولُ: «**مُشْرِقَةٌ**».



الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ خَلْقَ الْإِنْسَانِ، فَصَّلَ رِزْقَهُ الَّذِي يَسَّرَهُ لَهُ، وَجَعَلَهُ قِوَامًا لِحَيَاتِهِ.

وَأَمَرَهُ سُبْحَانَهُ بِالتَّدَبُّرِ فِي ذَلِكَ؛ لِيَعْلَمَ عِلْمَ الْيَقِينِ عَظَمَةَ قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَيَتَأَكَّدَ أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَىٰ إِخْرَاجِ النَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ الْهَامِدَةِ قَادِرٌ عَلَىٰ إِحْيَاءِ الْأَجْسَادِ، وَإِخْرَاجِهَا مِنَ الْقُبُورِ بَعْدَ أَنْ بَلِيَتْ، وَصَارَتْ عِظَامًا نَخِرَةً.

كَمَا أَمَرَهُ سُبْحَانَهُ بِالتَّدَبُّرِ فِي ذَلِكَ، ذَكَرَ أَنَّهُ أَنْزَلَ الْمَاءَ مِنَ السَّمَاءِ، وَصَبَّهُ عَلَىٰ الْأَرْضِ الْقَاحِلَةِ، ثُمَّ شَقَّهَا بِالنَّبَاتِ شَقًّا.

فَأَخْرَجَ مِنْهَا جَمِيعَ مَا يَقْتَاتُ بِهِ الْإِنْسَانُ مِنَ الْحُبُوبِ عَلَىٰ اخْتِلَافِهَا، وَأَخْرَجَ مِنْهَا الْعِنَبَ قُوتًا وَفَاكِهَةً، وَأَخْرَجَ مِنْهَا الْقَضْبَ وَهُوَ عَلَفُ الدَّوَابِّ.

وَأَخْرَجَ مِنْهَا شَجَرَ الزَّيْتُونِ يُعْصَرُ مِنْهُ زَيْتُهُ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا النَّخِيلَ فِيهَا الثَّمَرَةُ الطَّيِّبَةُ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا الْبَسَاتِينَ الْجَمِيلَةَ الْمُلْتَفَّةَ الْأَشْجَارِ الْغَلِيظَةِ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْفَاكِهَةِ، وَأَخْرَجَ مِنْهَا الْعُشْبَ وَالْحَشِيشَ تَرْعَاهُمُ الْمَاشِيَةُ.

صَنَعَ ﷻ ذَلِكَ كُلَّهُ؛ لِيُمَتِّعَ بِهِ الْإِنْسَانَ، وَلِكَيْ يَنْتَفِعَ بِهِ الْإِنْسَانُ، وَيُطْعِمَ دَوَابَّهُ.

ثُمَّ بَعْدَ هَذَا ذَكَرَ أَمْرَ الْمَعَادِ؛ لِلتَّزَوُّدِ لَهُ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ، فَذَكَرَ مِنْ أَخْبَارِهِ الصَّاخَّةَ: وَهِيَ النَّفْخَةُ الثَّانِيَةُ، تَصُخُّ؛ تَقْرَعُ وَتَصُكُّ الْأَسْمَاعَ مِنْ قُوَّتِهَا وَرَهْبَتِهَا.

وَعِنْدَمَا يَسْمَعُهَا الْخَلَائِقُ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ وَأَقْرَبِهِمْ مِنْهُ؛ مِنْ أَخِيهِ وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ، وَزَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ؛ لِأَنَّهُ مُشْتَغِلٌ عَنْهُمْ بِأَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، وَبِالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، فَلَا يَفْرُغُ لَهُمْ، وَلَا يَسْأَلُ عَنْهُمْ.

وَفِي ذَلِكَ يَنْقَسِمُ النَّاسُ إِلَىٰ فَرِيقَيْنِ: سُعَدَاءُ وَأَشْقِيَاءُ، وَإِلَىٰ أَهْلِ جَنَّةٍ، وَأَهْلِ نَارٍ.

فَعَلَامَةُ أَهْلِ الْجَنَّةِ: أَنْ تَكُونَ وُجُوهُهُم مُشْرِقَةً مُضِيئَةً، فَرِحَةً مَسْرُورَةً، بِمَا نَالَتْ مِنَ الْجَزَاءِ وَالْكَرَامَةِ.

وَعَلَامَةُ أَهْلِ النَّارِ أَنْ يَعْلُوَ وُجُوهَهُمُ السَّوَادُ وَالْكَآبَةُ، وَتَغْشَاهَا الظُّلْمَةُ وَالْكُسُوفُ؛ لِمَا يُشَاهِدُونَهُ مِنْ سُوءِ الْمَصِيرِ.

◉ ◉ ◉



مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[1]:

١- فِي الْآيَاتِ: بَيَانُ ثَمَرَةِ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَىٰ، وَأَنَّهَا تَظْهَرُ فِي هَذَا الْمَوْقِفِ نُورًا عَلَىٰ الْوَجْهِ؛ إِشْرَاقًا لَهُ وَإِضَاءَةً.

٢- فِي الْآيَاتِ: بَيَانُ ثَمَرَةِ الْكُفْرِ وَالْفُجُورِ، وَأَنَّهَا تَظْهَرُ فِي الْمَوْقِفِ ظُلْمَةً وَسَوَادًا عَلَىٰ الْوَجْهِ وَغُبَارًا.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: تَقْرِيرُ عَقِيدَةِ الْبَعْثِ، وَعَقِيدَةِ الْجَزَاءِ، بِعَرْضِ صُورَةٍ مِنْ صُوَرِهَا.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: بَيَانُ كَثْرَةِ نِعَمِ اللهِ عَلَىٰ خَلْقِهِ؛ تَذْكِيرًا لِهُمْ، وَامْتِنَانًا عَلَيْهِمْ.

٥- وَفِيهَا: الدَّلَالَةُ عَلَىٰ عَظَمَةِ قُدْرَتِهِ تَعَالَىٰ، وَأَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَىٰ إِخْرَاجِ النَّبَاتِ مِنَ الْأَرْضِ الْهَامِدَةِ قَادِرٌ عَلَىٰ إِحْيَاءِ الْمَوْتَىٰ.

٦- وَفِيهَا الدَّلَالَةُ عَلَىٰ شِدَّةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَهْوَالِهِ.

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٢٢).

٧- وَفِيهَا التَّرْغِيبُ فِي الِاسْتِعْدَادِ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ بِالْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

٨- وَفِيهَا بَيَانُ حَالِ وَمَآلِ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَنْ يُنَجِّيَنَا مِنَ النَّارِ بِفَضْلِهِ، وَلُطْفِهِ وَرَحْمَتِهِ، وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفَّارُ.

● ● ●



يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَةُ الرَّابِعَةُ)

مِنْ مَادَّةِ التَّفْسِيرِ

تفسير جزء عمّ

[سُورَتَيِ: التَّكْوِيرِ، وَالِانْفِطَارِ]


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بَيْنَ يَدَي سُورَةِ التَّكْوِيرِ

* سُورَةُ التَّكْوِيرِ مِنَ السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ، وَهِيَ تُعَالِجُ حَقِيقَتَيْنِ هَامَّتَيْنِ هُمَا: (حَقِيقَةُ الْقِيَامَةِ) وَحَقِيقَةُ (الْوَحْيِ وَالرِّسَالَةِ)، وَكِلَاهُمَا مِنْ لَوَازِمِ الْإِيمَانِ وَأَرْكَانِهِ.

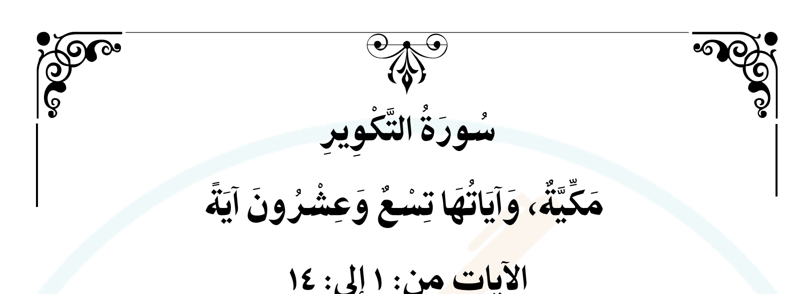
* ابْتَدَأَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِبَيَانِ الْقِيَامَةِ، وَمَا يُصَاحِبُهَا مِنَ انْقِلَابٍ كَوْنِيٍّ هَائِلٍ، يَشْمَلُ الشَّمْسَ وَالنُّجُومَ، وَالْجِبَالَ، وَالْبِحَارَ، وَالْأَرْضَ، وَالسَّمَاءَ، وَالْأَنْعَامَ، وَالْوُحُوشَ، كَمَا يَشْمَلُ الْبَشَرَ وَيَهُزُّ الْكَوْنَ هَزًّا عَنِيفًا طَوِيلًا، يَنْتَثِرُ فِيهِ كُلُّ مَا فِي الْوُجُودِ، وَلَا يَبْقَىٰ شَيْءٌ إِلَّا قَدْ تَبَدَّلَ وَتَغَيَّرَ مِنْ هَوْلِ مَا يَحْدُثُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّهِيبِ ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ۝٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ۝٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ﴾ الْآيَاتِ.

* ثُمَّ تَنَاوَلَتْ (حَقِيقَةَ الْوَحْيِ) وَصِفَةَ النَّبِيِّ الَّذِي يَتَلَقَّاهُ، ثُمَّ شَأْنَ الْقَوْمِ الْمُخَاطَبِينَ بِهَذَا الْوَحْيِ، وَالرَّسُولِ الَّذِي نَزَلَ لِيَنْقُلَهُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الشِّرْكِ وَالضَّلَالِ، إِلَىٰ نُورِ الْعِلْمِ وَالْإِيمَانِ ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ۝١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ۝١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ۝١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾ الْآيَاتِ.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِبَيَانِ بُطْلَانِ مَزَاعِمِ الْمُشْرِكِينَ، حَوْلَ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَذَكَرَتْ أَنَّهُ مَوْعِظَةٌ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ لِعِبَادِهِ ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ ﴿٢٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾.

***





سُورَةُ التَّكْوِيرِ

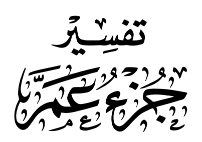
مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا تِسْعٌ وَعِشْرُونَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: ١٤

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ١١ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ ١٣ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾.





مَعَانِي الْكَلِمَاتِ[1]:

﴿كُوِّرَتۡ﴾: لُفَّتْ، وَذَهَبَ نُورُهَا.

﴿ٱنكَدَرَتۡ﴾: تَنَاثَرَتْ، وَتَسَاقَطَتْ.

﴿سُيِّرَتۡ﴾: أُزِيلَتْ عَنْ أَمَاكِنِهَا.

﴿ٱلۡعِشَارُ﴾: النُّوقُ الحَوَامِلُ.

﴿عُطِّلَتۡ﴾: أُهْمِلَتْ بِلَا رَاعٍ.

﴿حُشِرَتۡ﴾: جُمِعَتْ بَعْدَ الْمَوْتِ.

﴿سُجِّرَتۡ﴾: أُوقِدَتْ، فَصَارَتْ نَارًا تَتَأَجَّجُ.

﴿زُوِّجَتۡ﴾: جُمِعَ كُلُّ شَكْلٍ إِلَىٰ شَكْلِهِ، وَكُلُّ نَظِيرٍ إِلَىٰ نَظِيرِهِ.

﴿ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ﴾: الْبِنْتُ تُدْفَنُ حَيَّةً، وَالْوَأْدُ: دَفْنُ الْبِنْتِ حَيَّةً.

﴿نُشِرَتۡ﴾: فُتِحَتْ، وبُسِطَتْ.

﴿كُشِطَتۡ﴾: كَشْطُ السَّمَاءِ: نَزْعُهَا مِنْ أَمَاكِنِهَا نَزْعَ الْجِلْدِ عَنِ الشَّاةِ عِنْدَ سَلْخِهَا.

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٢٣ و٥٢٤).

﴿كُشِطَتْ﴾: أُزِيلَتْ.

﴿سُعِّرَتْ﴾: أُوقِدَتْ.

﴿أُزْلِفَتْ﴾: قُرِّبَتْ.

◉◉◉



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[١]:

يَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: إِذَا: ظَرْفٌ لِلْمُسْتَقْبَلِ مُتَضَمِّنٌ مَعْنَىٰ الشَّرْطِ، وَهُنَا لِما ذُكِرَ بَعْدُ مِنَ المواضِعِ الاثْنَيْ عَشَرَ، وَجَوابُهَا: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّآ أَحْضَرَتْ﴾ [التكوير: ١٤].

﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾: جُعِلَتْ مِثْلَ شَكْلِ الْكُرَةِ، تُلَفُّ فَتُجْمَعُ فيُرْمَىٰ بِهَا[٢].

﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾: تَناثَرَتْ وَتَهَافَتَتْ[٣]، وَقِيلَ: طُمِسَ نُورُهَا.

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٤٦ - ٣٤٩)، و«فتح القدير» للشوكاني (٥/ ٤٦٩ - ٤٧٢)، و«أيسر التفاسير» (٥/ ٥٢٣ - ٥٢٥).

(٢) وهو قول أبي صالح، والربيع بن خثيم، واختاره ابن جرير الطبري كما في «تفسيره» (٢٤/ ٢٣٨).

وأخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٣٧)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، يَعْنِي: «**ذَهَبَ ضَوْؤُهَا**»، وروي عن مجاهد، وسعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك، نحوه.

(٣) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٠٩)، وهناد بن السري في «الزهد» (١/ ٢٠٣)، والدولابي في «الكنىٰ والأسماء» (٢١١٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٣٩)، بإسناد صحيح، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ، ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتْ﴾، قَالَ: «**تَنَاثَرَتْ**»، وروي عن مجاهد، وأبي صالح، وقتادة، وابن زيد، نحوه.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ﴾: بَعْدَ نَسْفِهَا فِي الْهَوَاءِ.

﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾: الْعِشَارُ: جَمْعُ عُشَرَاءَ؛ وَهِيَ الَّتِي مَرَّ عَلَىٰ حَمْلِهَا عَشْرَةُ أَشْهُرٍ، ثُمَّ لَا يَزَالُ اسْمُهَا كَذَلِكَ حَتَّىٰ تَضَعَ حَمْلَهَا.

الْعِشَارُ: النُّوقُ الْحَوَامِلُ الَّتِي فِي بُطُونِهَا أَوْلَادُهَا.

﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾: أُهْمِلَتْ بِلَا رَاعٍ[١].

فَالْعِشَارُ: النُّوقُ الْحَوَامِلُ الَّتِي فِي بُطُونِهَا أَوْلَادُهَا، وَخَصَّ الْعِشَارَ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّهَا أَنْفَسُ مَالٍ عِنْدَ الْعَرَبِ.

وَمَعْنَىٰ ﴿عُطِّلَتْ﴾: تُرِكَتْ هَمَلًا بِلَا رَاعٍ؛ وَذَلِكَ لِمَا شَاهَدُوا مِنَ الْهَوْلِ الْعَظِيمِ، فَيَشْغَلُهُمْ ذَلِكَ الْهَوْلُ عَنْ أَنْفَسِ مَا لَدَيْهِمْ مِنَ الْأَمْوَالِ.

﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾: بُعِثَتْ؛ حَتَّىٰ يُقْتَصَّ لِبَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ[٢].

---

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٤٠) بإسناد صحيح، عَنِ الْحَسَنِ، ﴿وَإِذَا ٱلْعِشَارُ عُطِّلَتْ﴾، قَالَ: «**سَيَّبَهَا أَهْلُهَا فَلَمْ تُصَرَّ، وَلَمْ تُحْلَبْ، وَلَمْ يَكُنْ فِي الدُّنْيَا مَالٌ أَعْجَبَ إِلَيْهِمْ مِنْهَا**»، وروي عَنِ أبي بن كعب والرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ، ومُجَاهِدٍ، وقَتَادَةَ، نحوه، بأسانيد صحيحة.

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٤٢)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، ﴿وَإِذَا ٱلْوُحُوشُ حُشِرَتْ﴾، قال: «**إِنَّ هَذِهِ الْخَلَائِقَ مُوَافِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَقْضِي اللهُ فِيهَا مَا يَشَاءُ**»، واختاره ابن جرير الطبري.

وَقِيلَ: هُوَ مَوْتُهَا(١).

﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾: أُوقِدَتْ، فَصَارَتْ نَارًا تَتَأَجَّجُ(٢).

﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾: قُرِنَتْ نُفُوسُ الْمُؤْمِنِينَ بِالْحُورِ الْعِينِ، وَنُفُوسُ الْكَافِرِينَ بِالشَّيَاطِينِ(٣).

---

(١) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٠٧)، وهناد بن السري في «الزهد» (١/ ٢٠٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٤٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١١٦١)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، قَالَ: «**كَوَّرَ اللهُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ فِي الْبَحْرِ، فَيَبْعَثُ عَلَيْهَا رِيحًا دَبُورًا، فَتَنْفُخُهُ حَتَّىٰ يَصِيرَ نَارًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ:** ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾».

وأخرج أيضا عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٠٧)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، ﴿سُجِّرَتْ﴾، قَالَ: «**أُوقِدَتْ**»، وروي عن ابن زيد، وشمر بن عطية، والثوري، نحوه.

(٢) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٠٧)، وهناد بن السري في «الزهد» (١/ ٢٠٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٤٢)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١١٦١)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾، قَالَ: «**كَوَّرَ اللهُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ فِي الْبَحْرِ، فَيَبْعَثُ عَلَيْهَا رِيحًا دَبُورًا، فَتَنْفُخُهُ حَتَّىٰ يَصِيرَ نَارًا، فَذَلِكَ قَوْلُهُ:** ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ﴾».

وأخرج أيضا عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٠٧)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، ﴿سُجِّرَتْ﴾، قَالَ: «**أُوقِدَتْ**»، وروي عن ابن زيد، وشمر بن عطية، والثوري، نحوه.

(٣) هو قول عطاء، كما في «التفسير الوسيط» للواحدي (٤/ ٤٢٩)، و«تفسير البغوي» (٥/
=

وَقَالَ الْحَسَنُ[١] رَحِمَهُ اللَّهُ: «أُلْحِقَ كُلٌّ بِشُعْبَتِهِ؛ الْيَهُودُ بِالْيَهُودِ، وَالنَّصَارَىٰ بِالنَّصَارَىٰ، وَالْمَجُوسُ بِالْمَجُوسِ، وَالْمُنَافِقُونَ بِالْمُنَافِقِينَ، وَيَلْحَقُ الْمُؤْمِنُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ»[٢].

﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾: كَانَتِ الْعَرَبُ إِذَا وُلِدَتْ لِأَحَدِهِمْ بِنْتٌ دَفَنَهَا حَيَّةً؛ مَخَافَةَ الْعَارِ أَوْ مَخَافَةَ الْحَاجَةِ[٣]، فَوُبِّخَ قَاتِلُهَا بِسُؤَالِهَا؛ لِأَنَّهَا قُتِلَتْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ فَعَلَتْهُ.

﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾: وَالصُّحُفُ: كُتُبُ الْأَعْمَالِ نُشِرَتْ لِلْحِسَابِ[٤].

=

٢١٦)، ومقاتل بن سليمان، كما في «تفسيره» (٤/ ٦٠١).

(١) هُوَ سَيِّدَ أَهْلِ زَمَانِهِ عِلْمًا وَعَمَلًا، الْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ: يَسَارٍ، أَبُو سَعِيْدٍ البصري، ثقة فقيه فاضل مشهور، وكان يرسل كثيرا ويدلس، وهو رأس أهل الطبقة الوسطىٰ من التابعين، مات سنة عشر ومائة، وقد قارب التسعين، انظر: «التاريخ الكبير» (٢/ ترجمة ٢٥٠٣)، و«الجرح والتعديل» (٣/ ترجمة ١٧٧)، و«تهذيب الكمال» (ترجمة ١٢١٦)، و«التقريب» (ترجمة ١٢٢٧).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٤٥)، عَنِ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾، قَالَ: «**أُلْحِقَ كُلُّ امْرِئٍ بِشِيعَتِهِ**»، وروي عن عمر بن الخطاب، والنعمان بن بشير، وقتادة، والربيع بن خثيم نحوه، وَاخْتَارَهُ ابْنُ جَرِيرٍ الطبري.

(٣) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٤٨)، بإسناد صحيح، عَنِ الرَّبِيعِ بْنِ خُثَيْمٍ، ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ﴾، قَالَ: «**كَانَتِ الْعَرَبُ مِنْ أَفْعَلِ النَّاسِ لِذَلِكَ**»، وروي عن ابن زيد نحوه.

(٤) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٤٩)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتْ﴾: «**صَحِيفَتُكَ يَا ابْنَ آدَمَ، تُمْلِي مَا فِيهَا، ثُمَّ تُطْوَىٰ، ثُمَّ تُنْشَرُ عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ﴾: تَشَقَّقَتْ، وَأُزِيلَتْ.

﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ﴾: سَعَّرَهَا غَضَبُ اللهِ، وَخَطَايَا بَنِي آدَمَ، فَأُوقِدَتْ(١).

﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ﴾: قُرِّبَتْ لِلْمُتَّقِينَ، وَأُدْنِيَتْ مِنْهُمْ(٢).

﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾: مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ. وَجَوَابُ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ هُوَ هَذَا.

﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡجِبَالُ سُيِّرَتۡ ٣ وَإِذَا ٱلۡعِشَارُ عُطِّلَتۡ ٤ وَإِذَا ٱلۡوُحُوشُ حُشِرَتۡ ٥ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ سُجِّرَتۡ ٦ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ ٧ وَإِذَا ٱلۡمَوۡءُۥدَةُ سُئِلَتۡ ٨ بِأَيِّ ذَنۢبٖ قُتِلَتۡ ٩ وَإِذَا ٱلصُّحُفُ نُشِرَتۡ ١٠ وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ كُشِطَتۡ ١١ وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ ١٢ وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ﴾ يَكُونُ مَاذَا؟

﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾.

فَـ«إِذَا» ظَرْفٌ لِلْمستَقْبَلِ، مُتَضَمِّنٌ مَعْنَىٰ الشَّرْطِ، فَجَوَابُ هَذِهِ الْأَحْدَاثِ الَّتِي وَقَعَتْ شَرْطًا لِحَرْفِ «إِذَا» هُوَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ

---

(١) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (رقم ٣٥١٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٥٠)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، ﴿وَإِذَا ٱلۡجَحِيمُ سُعِّرَتۡ﴾، قال: «**سَعَّرَهَا غَضَبُ اللهِ، وَخَطَايَا بَنِي آدَمَ**»، وفي رواية عبد الرزاق: «**أُوقِدَتْ**».

(٢) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (رقم ٣٥١٠)،)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، ﴿وَإِذَا ٱلۡجَنَّةُ أُزۡلِفَتۡ﴾ قَالَ: «**قُرِّبَتْ**»، وهو قول الضحاك، وأبو مالك، والربيع بن خُثيم.

أَحۡضَرَتۡ﴾: مَا أَحْضَرَتْ مِنْ حَسَنَاتٍ، فَتَصِيرُ بِهَا إِلَىٰ الْجَنَّةِ، أَوْ سَيِّئَاتٍ فَتَصِيرُ بِهَا إِلَىٰ النَّارِ(١).

● ● ●



(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٥٠)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، مرسلا، وأخرج ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ رقم ١٩١٦٩)، بإسناد صحيح، عَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ قَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لَمَّا بَلَغَ: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّآ أَحۡضَرَتۡ﴾، قَالَ: «**لِهَذَا أُجْرِيَ الْحَدِيثُ**».

الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

هَذِهِ جُمْلَةُ أُمُورٍ ذَكَرَهَا اللهُ تَعَالَىٰ، وَأَخْبَرَ عَنْ وُقُوعِهَا، وَهِيَ مِنْ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ:

فَالشَّمْسُ: تُلَفُّ كَمَا تُلَفُّ العِمَامَةُ، وَ يُجْمَعُ بَعْضُهَا إِلَىٰ بَعْضٍ، فَإِذَا فُعِلَ بِهَا ذَلِكَ ذَهَبَ ضَوْءُهَا.

وَالنُّجُومُ: تَتَنَاثَرُ مِنَ السَّمَاءِ، وَتَسْقُطُ.

وَالْجِبَالُ: تَزُولُ عَنْ أَمَاكِنِهَا وَتُنْسَفُ، فَإِذَا الْأَرْضُ قَاعٌ صَفْصَفٌ.

وَالنُّوقُ الْحَوَامِلُ الَّتِي أَتَىٰ عَلَىٰ حَمْلِهَا عَشْرَةُ أَشْهُرٍ: تُهْمَلُ مِنْ غَيرِ رَاعٍ، مَعَ أَنَّهَا أَنْفَسُ مَالٍ عِنْدَ الْعَرَبِ، يَتَشَاغَلُونَ عَنْهَا بِمَا رَأَوا مِنَ الْأَهْوَالِ.

وَوُحُوشُ الْبَرَارِي: تُجْمَعُ؛ لِيُقْتَصَّ لِبَعْضِهَا مِنْ بَعْضٍ.

وَالْبِحَارُ: تُسَعَّرُ، وَتَصِيرُ نَارًا تَتَأَجَّجُ.

وَالنُّفُوسُ: تُزَوَّجُ، فَالْمُؤْمِنُ مَعَ الْمُؤْمِنِ، وَالْكَافِرُ مَعَ الْكَافِرِ، وَيُقْرَنُ الرَّجُلُ الصَّالِحُ مَعَ الرَّجُلِ الصَّالِحِ فِي الْجَنَّةِ، وَالرَّجُلُ السُّوءُ مَعَ الرَّجُلِ السُّوءِ فِي النَّارِ.

وَالْمَوْءُودَةُ: تُسْأَلُ عَنِ الَّذِي دَفَنَهَا ظُلْمًا، وَهِيَ حَيَّةٌ، وَعَنِ الذَّنْبِ الَّذِي اقْتَرَفَتْهُ حَتَّىٰ أَحَلَّ دَفْنَهَا وَهِيَ عَلَىٰ قَيْدِ الْحَيَاةِ.

وَفِي سُؤَالِهَا تَوْبِيخٌ لِقَاتِلِهَا، فَسَوْفَ تُجِيبُ بِأَنَّهَا وُئِدَتْ؛ ظُلْمًا وَ بِغَيْرِ ذَنْبٍ.

وَصُحُفُ الْأَعْمَالِ: تُنْشَرُ لِلْحِسَابِ، وَيَقْرَأُ كُلُّ امْرِئٍ كِتَابَهُ، وَيُجَازَىٰ بِمَا سَطَّرَ فِيهِ مِنَ الْأَعْمَالِ.

وَالسَّمَاءُ: تُنْزَعُ مِنْ مَكَانِهَا كَمَا يُنْزَعُ الْغِطَاءُ عَنِ الشَّيْءِ.

وَالنَّارُ: تُوقَدُ؛ لِتَعْذِيبِ أَعْدَاءِ اللهِ.

وَالْجَنَّةُ: تُقَرَّبُ لِأَوْلِيَاءِ اللهِ؛ لِتَنْعِيمِهِمْ فِيهَا.

وَعِنْدَمَا تَحْدُثُ هَذِهِ الْأُمُورُ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْهُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ؛ إِذْ يَكُونُ حَاضِرًا، وَمَاثِلًا أَمَامَهَا.

قِيلَ: إِنَّ سِتًّا مِنَ الْأُمُورِ الْمُتَقَدِّمَةِ تَقَعُ فِي الدُّنْيَا كَمُقَدِّمَاتٍ لِلْقِيَامَةِ، وَهِيَ: تَكْوِيرُ الشَّمْسِ، وَانْكِدَارُ النُّجُومِ وَتَنَاثُرُهَا، وَتَسْيِيرُ الْجِبَالِ عَنْ أَمَاكِنِهَا، وَتَعْطِيلُ الْعِشَارِ، وَحَشْرُ الْوُحُوشِ بَعْدَ مَوْتِهَا، وَتَسْجِيرُ الْبِحَارِ، فَهَذِهِ تَقَعُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ.

وَهُنَالِكَ سِتٌّ تَقَعُ فِي الْآخِرَةِ، وَهِيَ: تَزْوِيجُ النُّفُوسِ، وَسُؤَالُ الْمَوْءُودَةِ، وَنَشْرُ صُحُفِ الْأَعْمَالِ، وَكَشْطُ السَّمَاءِ، وَإِيقَادُ النَّارِ، وَتَقْرِيبُ الْجَنَّةِ.

•••

مَا يُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ:

١- مِنَ الْأُمُورِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ فِي هَذِهِ الصُّورَةِ الجَلِيلَةِ: فِيهَا مَا يَقَعُ فِي الدُّنْيَا كَمُقَدِّمَاتٍ لِلْقِيَامَةِ، وَفِيهَا مَا يَقَعُ فِي الْآخِرَةِ.

٢- تَزْوِيجُ النُّفُوسِ: قَرْنُهَا بِأَجْسَادِهَا بَعْدَ خَلْقِ الْأَجْسَادِ لَهَا، وَبَعْدَ ذَلِكَ قَرْنُهَا بِأَمْثَالِهَا فِي الْخَيْرِ وَالشَّرِّ.

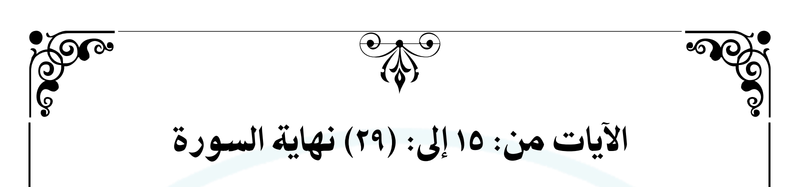
٣- وَمِنْ فَوَائِدِ الْآيَاتِ: تَقْرِيرُ عَقِيدَةِ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ، وَالتَّرْغِيبُ فِي الْإِيمَانِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ؛ إِذْ بِهِمَا الْمَصِيرُ إِلَىٰ الْجَنَّةِ.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: التَّرْهِيبُ مِنَ الشِّرْكِ، وَمِنَ الْمَعَاصِي؛ إِذْ بِهِمَا الْمَصِيرُ إِلَىٰ النَّارِ.

٥- وَفِي الْآيَاتِ: تَصْوِيرٌ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَبَادِيهَا، وَبَيَانٌ لِعَلَامَاتِهَا الدَّالَّةِ عَلَىٰ قُرْبِ وُقُوعِهَا.

٦- فِي الْآيَاتِ: كَمَالُ عَدْلِهِ سُبْحَانَهُ بَيْنَ الْخَلَائِقِ.

٧- وَفِيهَا: وُجُوبُ الْإِيمَانِ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَالْحَثُّ عَلَىٰ الاسْتِعْدَادِ لَهُ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ.



الآيات من: ١٥ إلى: (٢٩) نهاية السورة

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ ١٧ وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ ١٨ إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ١٩ ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٍ ٢٠ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ٢١ وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٍ ٢٢ وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ ٢٣ وَمَا هُوَ عَلَى ٱلۡغَيۡبِ بِضَنِينٍ ٢٤ وَمَا هُوَ بِقَوۡلِ شَيۡطَٰنٍ رَّجِيمٍ ٢٥ فَأَيۡنَ تَذۡهَبُونَ ٢٦ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٌ لِّلۡعَٰلَمِينَ ٢٧ لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾.

مَعَانِي الكَلِمَاتِ[١]:

﴿بِٱلْخُنَّسِ﴾: هِيَ النُّجُومُ تَخْتَفِي بِالنَّهَارِ.

﴿ٱلْكُنَّسِ﴾: النُّجُومُ تَسْتَتِرُ حَالَ غُرُوبِهَا.

﴿عَسْعَسَ﴾: أَقْبَلَ بِظَلَامِهِ أَوْ أَدْبَرَ، فَعَسْعَسَ مِنْ أَسْمَاءِ الْأَضْدَادِ.

﴿تَنَفَّسَ﴾: أَقْبَلَ، وَامْتَدَّ ضَوْءُهُ.

﴿ذِى قُوَّةٍ﴾: صَاحِبُ قُوَّةٍ.

﴿مَكِينٍ﴾: هُوَ صَاحِبُ مَكَانَةٍ رَفِيعَةٍ عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

﴿مُّطَاعٍ﴾: تُطِيعُهُ الْمَلَائِكَةُ.

﴿أَمِينٍ﴾: عَلَىٰ الْوَحْيِ.

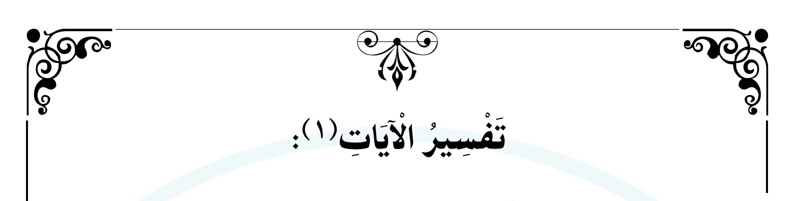
﴿صَاحِبُكُم﴾: مُحَمَّدٌ ﷺ.

﴿بِضَنِينٍ﴾: بِبَخِيلٍ.

﴿رَّجِيمٍ﴾: رَجِيمٌ بِمَعْنَىٰ: مَرْجُومٌ، بَعِيدٌ بِمَعْنَىٰ: مُبْعَدٌ.

● ● ●

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٢٦).



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[١]:

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ﴾: وَهَذَا قَسَمٌ أَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِهِ، فَقَدْ أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَىٰ بِالْكَوَاكِبِ تَخْنَسُ بِالنَّهَارِ، فَتَخْتَفِي تَحْتَ ضَوْءِ الشَّمْسِ وَلَا تُرَىٰ[٢].

وَمَعْنَاهُ: أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ.

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾: الجَوارِي تَجْرِي فِي أَفْلَاكِهَا، الْكُنَّس: تَخْتَفِي وَقْتَ غُرُوبِهَا.

وَالْكُنَّسُ: مَأْخُوذٌ مِنَ الْكِنَاسِ الَّذِي يَخْتَفِي فِيهِ الْوَحْشُ مِنْ غَزَالٍ أَوْ غَيْرِهِ.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾: أَدْبَرَ، وَانْتَهَتْ ظُلْمَتُهُ[٣].

---

(١) «فتح القدير» (٥/ ٤٧٣ – ٤٧٥)، و«أيسر التفاسير» (٥/ ٥٢٦).

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٥٢)، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلۡخُنَّسِ ۝١٥ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡكُنَّسِ﴾، قَالَ: «**هِيَ النُّجُومُ تَبْدُو بِاللَّيْلِ وَتَخْنِسُ بِالنَّهَارِ**»، وروي عن علي بن أبي طالب، والحسن، ومجاهد نحوه.

(٣) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٥٥)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا عَسۡعَسَ﴾، يَقُولُ: «**إِذَا أَدْبَرَ**»، وروي عن علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، وابن زيد مثله، واخْتَارَه ابْنُ جَرِيرٍ الطبري، وقال الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٤٢): «أَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَىٰ أَنَّ مَعْنَىٰ: ﴿عَسۡعَسَ﴾: أَدْبَرَ».

﴿وَٱلصُّبۡحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾: أَقْبَلَ بِرَوْحٍ، وَنَسِيمٍ.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾: ﴿إِنَّهُۥ﴾: أَيِ: الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ ﴿لَقَوۡلُ رَسُولٖ كَرِيمٖ﴾: جِبْرِيلَ عليه السلام.

﴿ذِي قُوَّةٍ عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾: ﴿ذِي قُوَّةٍ﴾: شَدِيدِ الْقُوَّةِ ﴿عِندَ ذِي ٱلۡعَرۡشِ مَكِينٖ﴾: عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ لَهُ مَكَانَةٌ.

﴿مُّطَاعٖ ثَمَّ أَمِينٖ﴾: مُطَاعٍ هُنَاكَ فِي السَّمَاءِ.

﴿ثَمَّ﴾: أَيْ: هُنَاكَ.

﴿أَمِينٖ﴾: عَلَىٰ الْوَحْيِ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا جَلَّ وَعَلَا.

﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجۡنُونٖ﴾: وَمَا مُحَمَّدٌ ﷺ كَمَا تَصِفُونَ، وَلَيْسَ بِهِ جُنُونٌ.

﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ بِٱلۡأُفُقِ ٱلۡمُبِينِ﴾: رَأَىٰ النَّبِيُّ ﷺ جِبْرِيلَ عليه السلام عَلَىٰ صُورَتِهِ الَّتِي خُلِقَ عَلَيْهَا[١] بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ مِنْ نَاحِيَةِ الْمَشْرِقِ[٢]، ....

(١) أخرجه البخاري في (بدء الخلق، ٧: ١١ و١٢، رقم ٣٢٣٤ و٣٢٣٥) وفي مواضع، ومسلم في (الإيمان، ٧٧: ٥، رقم ١٧٧)، من حديث: عَائِشَةَ رضي الله عنها، قَالَتْ: «**مَنْ زَعَمَ أَنَّ مُحَمَّدًا رَأَىٰ رَبَّهُ فَقَدْ أَعْظَمَ، وَلَكِنْ قَدْ رَأَىٰ جِبْرِيلَ فِي صُورَتِهِ وَخَلْقُهُ سَادٌّ مَا بَيْنَ الأُفُقِ**»، وفي رواية: «... **رَأَيْتُهُ مُنْهَبِطًا مِنَ السَّمَاءِ سَادًّا عِظَمُ خَلْقِهِ مَا بَيْنَ السَّمَاءِ إِلَىٰ الْأَرْضِ**».

(٢) أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٢١)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٦٠)، بإسناد =

وَلَهُ سِتُّ مِئَةِ جَنَاحٍ[١].

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾: وَمَا مُحَمَّدٌ ﷺ عَلَىٰ خَبَرِ السَّمَاءِ، وَالْوَحْيِ بِمُتَّهَمٍ، وَلَا بِبَاخِلٍ بِهِ، وَلَا بِمُقَصِّرٍ فِي الْبَلَاغِ[٢].

﴿وَمَا هُوَ﴾: وَمَا الْقُرْآنُ، ﴿بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾: وَهِيَ الشَّيَاطِينُ الْمُسْتَرِقَةُ لِلسَّمْعِ، الْمَرْجُومَةُ بِالشُّهُبِ.

﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾: أَيَّ طَرِيقٍ تَسْلُكُونَ، هُوَ أَبْيَنُ مِنْ هَذِهِ الطَّرِيقِ الَّتِي قَدْ بَيَّنْتُ لَكُمْ[٣]؟!

=

صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ﴾، قَالَ: «**كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّ الْأُفُقَ مِنْ حَيْثُ مَطْلَعِ الشَّمْسِ**».

(١) أخرجه البخاري في (بدء الخلق، ٧: ٩، رقم ٣٢٣٢) وفي مواضع، ومسلم في (الإيمان، ٧٦: ٢، رقم ١٧٤)، من حديث: ابْنِ مَسْعُودٍ: «**أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ رَأَىٰ جِبْرِيلَ لَهُ سِتُّمِائَةِ جَنَاحٍ**».

(٢) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٠٩)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٢٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٦١)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾، يَعْنِي: «**بِبَخِيلٍ**»، يَقُولُ: «**لَا يَضِنُّ عَلَيْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ**»، وروي عن إبراهيم النخعي، وقتادة، والثوري، وابن زيد نحوه، واختاره ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٦٢).

(٣) «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٢٩٣).

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ﴾: مَا الْقُرْآنُ إِلَّا مَوْعِظَةٌ لِلْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، وَتَذْكِيرٌ لَهُمْ.

﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمْ أَن يَسْتَقِيمَ﴾: أَنْ يَتَحَرَّىٰ الْحَقَّ، وَيَعْتَقِدَهُ، وَيَعْمَلَ بِمُقْتَضَاهُ.

﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾: فَأَثْبَتَ اللهُ تَعَالَىٰ لِلْعَبْدِ مَشِيئَةً، وَهِيَ تَحْتَ مَشِيئَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

◉◉◉



المَعْنَى الإِجْمَالِيّ:

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ طَرَفًا مِنْ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، أَقْسَمَ جَلَّ وَعَلَا بِالنُّجُومِ فِي حَالِ خُنُوسِهَا، وَفِي حَالِ كُنُوسِهَا.

وَأَقْسَمَ بِاللَّيْلِ إِذَا أَقْبَلَ أَوْ أَدْبَرَ، وَبِالْفَجْرِ إِذَا أَشْرَقَ وَارْتَفَعَ نُورُهُ، وَللهِ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، أَمَّا الْمَخْلُوقُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِغَيرِ اللهِ تَعَالَىٰ.

فَهَذَا هُوَ الْقَسَمُ، وَأَمَّا جَوَابُهُ فَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾.

فَأَقْسَمَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ عَلَىٰ هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ بِمَا أَقْسَمَ بِهِ سُبْحَانَهُ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ﴿١٥﴾ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ ﴿١٧﴾ وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾، فَهَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ.

أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِذَلِكَ عَلَىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ تَبْلِيغُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، وَهُوَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ نَزَلَ بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَالْكَلَامُ كَلَامُ اللهِ، وَإِضَافَتُهُ إِلَىٰ جِبْرِيلَ عَلَىٰ سَبِيلِ التَّبْلِيغِ.

وَوُصِفَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِأَنَّهُ كَرِيمٌ عِنْدَ رَبِّهِ، وَصَاحِبُ قُوَّةٍ، لَا يَضْعُفُ، وَلَا يَعْجِزُ عَمَّا يُكَلَّفُ بِهِ، وَلَهُ مَكَانَةٌ عِنْدَ اللهِ وَمَنْزِلَةٌ رَفِيعَةٌ، وَهُوَ مَسْمُوعُ الْكَلِمَةِ، مُطَاعٌ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَىٰ، تُطِيعُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَهُوَ أَمِينٌ عَلَىٰ وَحْيِ اللهِ وَرِسَالَاتِهِ لِأَنْبِيَائِهِ؛ فَكُلُّ ذَلِكَ يَدُلُّ عَلَىٰ مَكَانَتِهِ، وَشَرَفِهِ، وَشَرَفِ مَا يَحْمِلُهُ.

ثُمَّ ذَكَرَ الْمُرْسَلَ إِلَيْهِ وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَخْبَرَ بِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَجْنُونٍ كَمَا رَمَاهُ بِذَلِكَ الْمُشْرِكُونَ، وَأَشَارَ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ: ﴿صَاحِبُكُم﴾ الَّذِي عَاشَرْتُمُوهُ، وَعَرَفْتُمْ كَمَالَ عَقْلِهِ.

وَلَقَدْ رَأَىٰ النَّبِيُّ ﷺ جِبْرِيلَ عَلَىٰ خِلْقَتِهِ الَّتِي خَلَقَهُ اللهُ عَلَيْهَا فِي الْأُفُقِ الْمُبِينِ بِمَطْلِعِ الشَّمْسِ جِهَةَ الْمَشْرِقِ، وَهِيَ الرُّؤْيَةُ الَّتِي كَانَتْ بِالْبَطْحَاءِ.

وَلَيْسَ الرَّسُولُ ﷺ عَلَىٰ تَعْلِيمِ مَا غَابَ مِنْ أَمْرِ الْوَحْيِ عَلَىٰ النَّاسِ بِبَخِيلٍ، بَلْ يَبْذُلُ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَيهِ لِكُلِّ أَحَدٍ، وَلَيْسَ الْقُرْآنُ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ مَرْجُومٍ، بَلْ نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَىٰ الرَّسُولِ، وَأَلْقَاهُ عَلَىٰ لِسَانِهِ ﴿فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ﴾، سُدَّتْ عَلَيْكُمُ السُّبُلُ، وَانْقَطَعَتْ بِكُمُ الْحُجَجُ، وَأَيْنَ تَذْهَبُ عُقُولُكُمْ حِينَ كَذَّبْتُمْ بِالْقُرْآنِ، وَقَدْ ظَهَرَ لَكُمْ أَنَّهُ حَقٌّ مِنْ عِنْدِ اللهِ؟

وَمَا الْقُرْآنُ إِلَّا عِظَةٌ يَتَذَكَّرُ بِهِ مَنْ أَرَادَ الاسْتِقَامَةَ وَاتِّبَاعَ الْحَقِّ، عَلَىٰ أَنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ مَوْكُولًا إِلَيْكُمْ فِي الْهِدَايَةِ أَوِ الْغِوَايَةِ، بَلْ مَشِيئَتُكُمْ مُرْتَبِطَةٌ بِمَشِيئَةِ اللهِ تَعَالَىٰ رَبِّ الْخَلَائِقِ أَجْمَعِينَ.

فَمَنْ شَاءَ هِدَايَتَهُ وَفَّقَهُ لِسُلُوكِ طَرِيقِ الْهِدَايَةِ، وَالْمَعْنِيُّ بِالْخِطَابِ: كُفَّارُ قُرَيْشٍ، وَمَنْ سَارَ عَلَىٰ نَهْجِهِمْ فِي التَّكْذِيبِ وَالضَّلَالِ.

⊙⊙⊙



مَا يُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ[1]:

١- فِي هَذِهِ الْآيَاتِ: مَشْرُوعِيَّةُ الْإِقْسَامِ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ.

٢- وَفِيهَا: بَيَانُ عِظَمِ قُدْرَتِهِ تَعَالَىٰ.

٣- بَيَانُ شَرَفِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ.

٤- وَفِيهَا: فَضْلُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَبَيَانُ بَعْضِ صِفَاتِهِ مِنَ الْأَمَانَةِ، وَالْقُوَّةِ وَعُلُوِّ الْمَكَانَةِ وَالْكَرَمِ.

٥- وَفِيهَا: بَيَانُ طَرَفٍ مِنْ فَضْلِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

٦- وَفِيهَا: تَبْرِئَتُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِمَّا اتَّهَمَهُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ.

٧- وَفِي الْآيَاتِ: إِثْبَاتُ صِفَةِ الْمَشِيئَةِ للهِ عَلَىٰ مَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، وَبَيَانُ أَنَّ مَشِيئَةَ اللهِ سَابِقَةٌ لِمَشِيئَةِ الْعَبْدِ، فَلَا يَقَعُ فِي مُلْكِ اللهِ تَعَالَىٰ إِلَّا مَا يُرِيدُ.



---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٢٨).

بَيْنَ يَدَيِ سُورَةُ الانْفِطَارِ

* سُورَةُ الِانْفِطَارِ مِنَ السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ، وَهِيَ تُعَالِجُ -كَسَابِقَتِهَا (سُورَةِ التَّكْوِيرِ)- الِانْقِلَابَ الْكَوْنِيَّ الَّذِي يُصَاحِبُ قِيَامَ السَّاعَةِ، وَمَا يَحْدُثُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْخَطِيرِ مِنْ أَحْدَاثٍ جِسَامٍ، ثُمَّ بَيَانُ حَالِ الْأَبْرَارِ، وَحَالِ الْفُجَّارِ، يَوْمَ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ.

* ابْتَدَأَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِبَيَانِ مَشَاهِدِ الِانْقِلَابِ الَّذِي يَحْدُثُ فِي الْكَوْنِ، مِنَ انْفِطَارِ السَّمَاءِ وَانْتِثَارِ الْكَوَاكِبِ، وَتَفْجِيرِ الْبِحَارِ، وَبَعْثَرَةِ الْقُبُورِ، وَمَا يَعْقُبُ ذَلِكَ مِنَ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ ۝٢ وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ ۝٣ وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ ۝٤ عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ﴾.

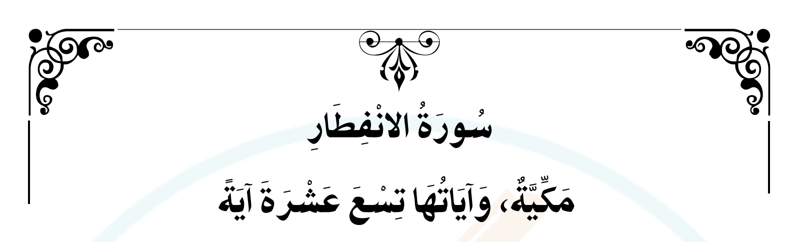
* ثُمَّ تَحَدَّثَتْ عَنْ جُحُودِ الْإِنْسَانِ وَكُفْرَانِهِ لِنِعَمِ رَبِّهِ، وَهُوَ يَتَلَقَّىٰ فُيُوضَ النِّعْمَةِ مِنْهُ جَلَّ وَعَلَا، وَلَكِنَّهُ لَا يَعْرِفُ لِلنِّعْمَةِ حَقَّهَا، وَلَا يَعْرِفُ لِرَبِّهِ قَدْرَهُ، وَلَا يَشْكُرُ عَلَىٰ الْفَضْلِ وَالنِّعْمَةِ وَالْكَرَامَةِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾؟

* ثُمَّ ذَكَرَتْ عِلَّةَ هَذَا الْجُحُودِ وَالْإِنْكَارِ، وَوَضَّحَتْ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ وَكَّلَ بِكُلِّ إِنْسَانٍ مَلَائِكَةً يُسَجِّلُونَ عَلَيْهِ أَعْمَالَهُ، وَيَتَعَقَّبُونَ أَفْعَالَهُ ﴿كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ۝٩ وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ ۝١٠ كِرَامٗا كَٰتِبِينَ ۝١١ يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾.

* وَذَكَرَتِ السُّورَةُ انْقِسَامَ النَّاسِ فِي الْآخِرَةِ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ: أَبْرَارٍ، وَفُجَّارٍ، وَبَيَّنَتْ مَآلَ كُلٍّ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ ٱلْفُجَّارَ لَفِى جَحِيمٍ ﴿١٤﴾ يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ ٱلدِّينِ ..﴾ الْآيَاتِ.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِتَصْوِيرِ ضَخَامَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهَوْلِهِ، وَتَجَرُّدِ النُّفُوسِ يَوْمَئِذٍ مِنْ كُلِّ حَوْلٍ وَقُوَّةٍ، وَتَفَرَّدَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا بِالْحُكْمِ وَالسُّلْطَانِ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ۖ وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾.

● ● ●



سُورَةُ الانْفِطَارِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا تِسْعَ عَشْرَةَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: ١٢

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ (١) وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ (٢) وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ (٣) وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ (٤) عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ (٥) يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ (٦) ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ (٧) فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ (٨) كَلَّا بَلۡ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ (٩) وَإِنَّ عَلَيۡكُمۡ لَحَٰفِظِينَ (١٠) كِرَامٗا كَٰتِبِينَ (١١) يَعۡلَمُونَ مَا تَفۡعَلُونَ﴾.



مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿ٱنفَطَرَتۡ﴾: انْشَقَّتْ.

﴿ٱنتَثَرَتۡ﴾: تَسَاقَطَتْ مُتَفَرِّقَةً.

﴿فُجِّرَتۡ﴾: فُتِحَ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَصَارَتْ بَحْرًا وَاحِدًا.

﴿بُعۡثِرَتۡ﴾: قُلِبَتْ، وَبُعِثَ مَنْ فِيهَا مِنَ الْمَوْتَىٰ.

﴿مَا غَرَّكَ﴾: مَا خَدَعَكَ، وَجَرَّأَكَ.

﴿فَسَوَّىٰكَ﴾: جَعَلَكَ مُسْتَوِي الْقَامَةِ.

﴿فَعَدَلَكَ﴾: جَعَلَكَ مُعْتَدِلَ الْخَلْقِ، مُتَنَاسِبَ الْأَعْضَاءِ.

﴿كَلَّا﴾: كَلِمَةُ رَدْعٍ، وَزَجْرٍ.

﴿بِٱلدِّينِ﴾: الْجَزَاءُ.

﴿كَٰتِبِينَ﴾: يَكْتُبُونَ أَعْمَالَكُمْ.

●●●



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾: ﴿إِذَا﴾: ظَرْفٌ لِلْمُسْتَقْبَلِ، مُتَضَمِّنٌ مَعْنَى الشَّرْطِ، وَجَوَابُهُ: ﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ﴾.

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾: تَشَقَّقَتْ لِنُزُولِ الْمَلَائِكَةِ، انْشَقَّتْ.

﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾: تَسَاقَطَتْ مُتَفَرِّقَةً.

﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ﴾: اخْتَلَطَتْ بِبَعْضِهَا، وَأَصْبَحَتْ بَحْرًا وَاحِدًا(٢).

﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ﴾: قُلِبَ تُرَابُهَا، وَأُخْرِجَ الْمَوْتَى مِنْهَا(٣).

﴿عَلِمَتۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ وَأَخَّرَتۡ﴾: عَلِمَتْ عِنْدَ نَشْرِ الصُّحُفِ مَا قَدَّمَتْ مِنْ عَمَلٍ

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٥٧)، و«فتح القدير» (٥/ ٤٧٨)، و«أيسر التفاسير» (٥/ ٥٢٩).

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٦٧)، بإسناد حسن، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ﴾، يَقُولُ: «**بَعْضُهَا فِي بَعْضٍ**»، وروي عن الحسن، وقتادة، نحوه، بأسانيد صحاح.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٦٨)، بإسناد حسن، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِذَا ٱلۡقُبُورُ بُعۡثِرَتۡ﴾، يَقُولُ: «**بُحِثَتْ**».

خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَمَا أَخَّرَتْ مِنْ حَسَنَةٍ أَوْ سَيِّئَةٍ[(١)].

أَوْ عَلِمَتْ مَا قَدَّمَتْ مِنَ الْأَعْمَالِ، وَمَا أَخَّرَتْ مِنْهَا فَلَمْ تَعْمَلْهُ، ذَلِكَ عِنْدَ قِرَاءَةِ كِتَابِ أَعْمَالِهَا.

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾: فَهَذَا جَوَابُ ﴿إِذَا﴾.

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١ وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢ وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ۝٣ وَإِذَا ٱلْقُبُورُ بُعْثِرَتْ﴾ يَكُونُ مَاذَا؟!

﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ﴾: مَا الَّذِي غَرَّكَ وَخَدَعَكَ حَتَّىٰ كَفَرْتَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ؟

قِيلَ: غَرَّهُ عَفْوُ اللهِ؛ إِذْ لَمْ يُعَاجِلْهُ بِالْعُقُوبَةِ[(٢)]، وَلَيْسَ الْكَرَمُ هُوَ الَّذِي غَرَّهُ، بَلْ جَرَّأَهُ عَلَىٰ الْمَعَاصِي تَكْذِيبُهُ بِالدِّينِ الَّذِي هُوَ الْجَزَاءُ بَعْدَ الْبَعْثِ حَيًّا مِنْ قَبْرِهِ.

---

(١) أخرج ابن المبارك في «الزهد» (١٤٦٩)، ويحيىٰ بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦٢١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٠٨)، والواحدي في «التفسير الوسيط» (٤/ ٤٣٣)، بإسناد حسن، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ فِي قَوْلِ اللهِ تَعَالَىٰ: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ﴾، قَالَ: «**مَا قَدَّمَتْ مِنْ خَيْرٍ، وَأَخَّرَتْ مِنْ سَيِّئَةٍ اسْتُنَّ بِهَا بَعْدَهُ، فَلَهُ أَجْرُ مِثْلِ مَنِ اتَّبَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنْقَصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، أَوْ سُنَّةٍ سَيِّئَةٍ عُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، فَعَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا وَلَا يُنْقَصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ**».

(٢) كَذَا قَالَ مُقَاتِلٌ، والْكَلْبِيُّ، «فتح القدير» (٥/ ٤٧٩)، و«تفسير البغوي» (٨/ ٣٥٦).

﴿ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ﴾: الَّذِي خَلقَكَ بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ، ﴿فَسَوَّىٰكَ﴾: فَجَعَلَكَ مُسْتَوِيَ الخِلْقَةِ، سَالِمَ الْأَعْضَاءِ، ﴿فَعَدَلَكَ﴾: جَعلَكَ مُعْتَدِلَ الْخَلْقِ، مُتَنَاسِبَ الْأَعْضَاءِ.

﴿فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾: رَكَّبَكَ فِي الصُّورَةِ الَّتِي شَاءَهَا مِنَ الصُّوَرِ الْمُخْتَلِفَةِ، وَأَنْتَ لَمْ تَحْفَظْ صُورَةَ نَفْسِكَ.

﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾: بِالْجَزَاءِ، وَالْحِسَابِ[1].

﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ﴾: إِنَّ عَلَيْكُمْ لَمَلَائِكَةً كِرَامًا عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، حَافِظِينَ لِأَعْمَالِكُمْ خَيْرِهَا وَشَرِّهَا، حَسَنِهَا وَقَبِيحِهَا، يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ.

إِنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ بِيومِ الدِّينِ، وَمَلَائِكَةُ اللهِ مُوَكَّلُونَ بِكُمْ، يَكْتُبُونَ أَعْمَالَكُمْ وَأَقْوَالَكُمْ؛ حَتَّىٰ تُحَاسَبُوا عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

●●●

(١) أخرجه عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧١٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٧١)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: ٩]، قَالَ: «بِالْحِسَابِ».

المَعْنَى الإِجْمَالِيّ:

ذَكَرَ سُبْحَانَهُ وُقُوعَ هَذِهِ الْأُمُورِ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، وَهِيَ مِنْ أَحْوَالِ الْقِيَامَةِ، فَالسَّمَاءُ تَتَشَقَّقُ بِأَمْرِ اللهِ، وَالْكَوَاكِبُ تَتَسَاقَطُ مِنْ مَوَاضِعِهَا، وَالْبِحَارُ يُفَجَّرُ بَعْضُهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَتَصِيرَ بَحْرًا وَاحِدًا، وَيَخْتَلِطُ الْعَذْبُ بِالْمِلْحِ، وَيُبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ مِنَ الْمَوْتَىٰ أَحْيَاءً.

وَعِنْدَئِذٍ بَعْدَ وُقُوعِ هَذِهِ الْأُمُورِ تَعْلَمُ كُلُّ نَفْسٍ مَا قَدَّمَتْ مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ، أَوْ سَيِّءٍ، وَمَا أَخَّرَتْهُ مِنْ سُنَّةٍ حَسَنَةٍ سَنَّتْهَا أَوْ وَصِيَّةٍ أَوْصَتْ بِهَا فَخَلَّفَتْهَا.

ثُمَّ وَجَّهَ سُبْحَانَهُ الْخِطَابَ بَعْدَ ذَلِكَ لِلْكُفَّارِ وَعُصَاةِ الْمُؤْمِنِينَ قَائِلًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ﴾! أَيُّ شَيْءٍ سَوَّلَ لَكَ الْبَاطِلَ، فَضَيَّعْتَ مَا أَوْجَبَ اللهُ عَلَيْكَ، وَأَمِنْتَ عِقَابَهُ مَعَ كَرَمِ رَبِّكَ عَلَيْكَ؟

حَيْثُ أَوْجَدَكَ مِنَ الْعَدَمِ، وَسَوَّىٰ خَلْقَكَ وَجَعَلَكَ مُسْتَوِيَ الْقَامَةِ مُنْتَصِبًا، وَعَدَلَ أَعْضَاءَكَ فَلَمْ يَجْعَلْ إِحْدَىٰ الْيَدَيْنِ أَطْوَلَ مِنَ الْأُخْرَىٰ، وَلَا بَعْضَ الْأَعْضَاءِ أَبْيَضَ وَالْآخَرَ أَسْوَدَ، وَرَكَّبَكَ فِي صُورَةٍ اقْتَضَتْهَا مَشِيئَتُهُ مِنَ الْحُسْنِ أَوِ الْقُبْحِ وَالطُّولِ، أَوِ الْقِصَرِ، وَالشَّبَهِ بِأَنْ جَعَلَكَ فِي شَبَهِ الْأَبِ أَوِ الْأُمِّ أَوِ الْعَمِّ أَوِ الْخَالِ.

ثُمَّ وَجَّهَ سُبْحَانَهُ الْخِطَابَ لِلْكُفَّارِ الْمُكَذِّبِينَ بِالْجَزَاءِ، وَالْحِسَابِ؛ رَادِعًا وَزَاجِرًا لَهُمْ عَنِ الْغَفْلَةِ وَالاغْتِرَارِ بِكَرَمِ اللهِ وَحِلْمِهِ، مُخْبِرًا أَنَّ الَّذِي حَمَلَهُمْ عَلَىٰ مُوَاجَهَةِ الرَّبِّ الْكَرِيمِ بِالْمَعَاصِي هُوَ تَكْذِيبٌ فِي قُلُوبِهِمْ بِالْمَعَادِ وَالْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ، مَعَ أَنَّ اللهَ قَدْ جَعَلَ عَلَيْهِمْ مَلَائِكَةً يُحْصُونَ عَلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ، وَيَكْتُبُونَهَا؛ لِمُجَازَاتِهِمْ عَلَيْهَا، فَهُمْ كِرَامٌ عَلَىٰ اللهِ يَعْلَمُونَ مَا يَفْعَلُهُ الْعِبَادُ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ.

***



مَا يُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ:

يُؤْخَذُ مِنَ الْآيَاتِ(١):

١- التَّحْذِيرُ مِنَ السُّنَّةِ السَّيِّئَةِ يَتْرُكُهَا الْمَرْءُ بَعْدَهُ، فَإِنَّ أَوْزَارَهَا تُكْتَبُ عَلَيهِ وَهُوَ فِي قَبْرِهِ.

٢- وَفِيهَا: عِظَمُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَهْوَالِهِ.

٣- وَفِيهَا: تَهْدِيدُ مَنْ قَصَّرَ فِي حُقُوقِ رَبِّهِ، وَتَجَرَّأَ عَلَىٰ مَعَاصِيهِ.

٤- وَفِيهَا: بَيَانُ مِنَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ؛ حَيْثُ جَعَلَهُ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ.

٥- وَفِيهَا: التَّحْذِيرُ مِنَ الْغُرُورِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنَ الانْخِدَاعِ بِوَسْوَسَةِ الشَّيَاطِينِ مِنَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ.

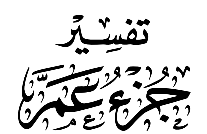
٦- وَفِيهَا: الْإِنْكَارُ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ، وَالْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ.

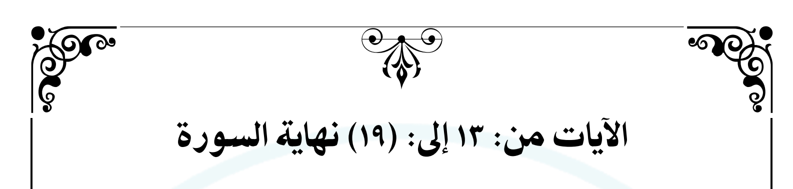
٧- وَفِيهَا: وُجُوبُ الْإِيمَانِ بِالْحَفَظَةِ الْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ.

٨- وَفِي الْآيَاتِ: إِحْصَاءُ أَعْمَالِ بَنِي آدَمَ، وَمُجَازَاتُهُمْ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

●●●

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٣١).



الآيات من: ١٣ إلى: (١٩) نهاية السورة

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٖ ١٣ وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٖ ١٤ يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ ١٥ وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ ١٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾.



مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿ٱلۡأَبۡرَارَ﴾: الْمُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ.

﴿نَعِيمٍ﴾: النَّعِيم: الْجَنَّة.

﴿ٱلۡفُجَّارَ﴾: الْكُفَّارُ، وَهُمُ التَّارِكُونَ مَا شَرَعَهُ اللهُ لِعِبَادِهِ.

﴿يَصۡلَوۡنَهَا﴾: يَدْخُلُونَهَا، وَيُقَاسُونَ حَرَّهَا.

﴿أَدۡرَىٰكَ﴾: أَعْلَمَكَ.

● ● ●





تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[١]:

﴿إِنَّ ٱلۡأَبۡرَارَ لَفِي نَعِيمٍ﴾: الْأَبْرَارُ: الْمُؤْمِنُونَ، الْمُتَّقُونَ، الصَّادِقُونَ.

﴿وَإِنَّ ٱلۡفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾: الْفُجَّارَ: الْكَافِرُونَ، وَالْخَارِجُونَ عَنْ طَاعَةِ اللهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ.

﴿يَصۡلَوۡنَهَا يَوۡمَ ٱلدِّينِ﴾: يَدْخُلُونَهَا، وَيُقَاسُونَ حَرَّهَا يَوْمَ الْجَزَاءِ، وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

﴿وَمَا هُمۡ عَنۡهَا بِغَآئِبِينَ﴾: وَمَا هُمْ مِنَ النَّارِ بِمُخْرَجِينَ.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾: أَيُّ شَيْءٍ جَعَلَكَ تَدْرِي لَوْلَا أَنْ أَعْلَمْنَاكَ بِهِ.

﴿ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾: يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا مِنَ الْمَنْفَعَةِ، وَإِنْ قَلَّتْ، وَالْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ للهِ، لَا لِغَيْرِهِ، وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ.

● ● ●

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٣١).





الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

يُخْبِرُ سُبْحَانَهُ عَنْ مَآلِ الْخَلَائِقِ فِي الْآخِرَةِ، وَانْقِسَامِهِمْ إِلَىٰ قِسْمَينِ حَسَبَ اسْتِجَابَتِهِمْ لِأَوَامِرِ اللهِ، وَطَاعَتِهِمْ لَهُ أَوْ عِصْيَانِهِ، وَالتَّكْذِيبِ بِوَعْدِهِ فِي الْجَزَاءِ، فَقَالَ: إِنَّ الْأَبْرَارَ الْمُطِيعِينَ للهِ الَّذِينَ يَتَّقُونَ مَحَارِمَ اللهِ يَتَمَتَّعُونَ وَيَتَنَعَّمُونَ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلَىٰ عَكْسِهِمُ الْفُجَّارُ التَّارِكُونَ شَرْعَ اللهِ وَدِينَهُ، يَدْخُلُونَ النَّارَ يَوْمَ الْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ وَهُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، فَلَا يَغِيبُ عَنْهُمْ عَذَابُهَا.

وَعَظَّمَ شَأْنَ يَوْمِ الدِّينِ بِالاسْتِفْهَامِ عَنْهُ وَبِتَكْرِيرِ الاسْتِفْهَامِ مَرَّتَيْنِ ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ﴾.

وَفِي هَذَا التَّكْرِيرِ تَوْكِيدٌ وَتَهْوِيلٌ، ثُمَّ أَوْضَحَ سُبْحَانَهُ أَنَّ يَوْمَ الدِّينِ هُوَ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي لَا يَقْدِرُ فِيهِ أَحَدٌ عَلَىٰ نَفْعِ أَحَدٍ، وَلَا عَلَىٰ خَلَاصِهِ مِمَّا هُوَ فِيهِ إِلَّا أَنْ يَأْذَنَ اللهُ فِي الشَّفَاعَةِ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهِ أَمْرٌ، وَلَيْسَ لِأَحَدٍ فِيهِ مِلْكٌ، بَلْ قَدِ اسْتَأْثَرَ اللهُ بِالْأَمْرِ كُلِّهِ لَهُ تَعَالَىٰ، فَهُوَ لَهُ وَحْدَهُ.

● ● ●

مَا يُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ[1]:

١- بَيَانُ مَآلِ الْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبَيَانُ حُكْمِ اللهِ فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ؛ إِذْ هُمْ مَا بَيْنَ بَارٍّ صَادِقٍ فَهُوَ فِي نَعِيمٍ، وَفَاجِرٍ كَافِرٍ فَهُوَ فِي جَحِيمٍ.

٢- وَفِي الْآيَاتِ: تَعْظِيمُ وَتَهْوِيلُ يَوْمِ الْجَزَاءِ، وَالْحِسَابِ؛ لِيَرْتَدِعَ النَّاسُ وَلِيَنْزَجِرُوا.

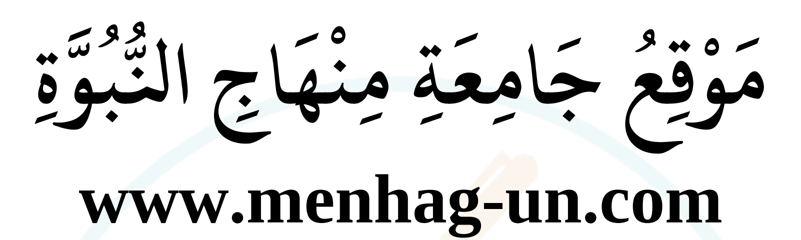
٣- وَفِيهَا: اسْتِئْثَارُ اللهِ تَعَالَىٰ بِالْأَمْرِ كُلِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مَشْغُولٌ بِنَفْسِهِ.

٤- وَفِيهَا أَنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَأْخُذَ الْعِبْرَةَ وَالْعِظَةَ، وَأَنْ يُدَاوِمَ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ؛ لِيَنْجُوَ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ.

نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يُنَجِّيَنَا مِنْهُ أَجْمَعِينَ، وَالْمُسْلِمِينَ؛ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

⦿ ⦿ ⦿

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٣٢).



يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَةَ الْخَامِسَةَ)

مِنْ مَادَّةِ التَّفْسِيرِ

تفسِيرُ جُزْءِ عَمَّ

[سُورَةُ الْمُطَفِّفِينَ]



جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بَيْنَ يَدَيِ السُّورَةِ

* هَذِهِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ مَكِّيَّةٌ، وَأَهْدَافُهَا نَفْسُ أَهْدَافِ السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ، تُعَالِجُ أُمُورَ الْعَقِيدَةِ وَتَتَحَدَّثُ عَنِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ فِي مُوَاجَهَةِ خُصُومِهَا الْأَلِدَّاءِ.

* ابْتَدَأَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِإِعْلَانِ الْحَرْبِ عَلَىٰ الْمُطَفِّفِينَ فِي الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ، الَّذِينَ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ، وَلَا يَحْسِبُونَ حِسَابًا لِلْوَقْفَةِ الرَّهِيبَةِ، بَيْنَ يَدَيْ أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

* ثُمَّ تَحَدَّثَتْ عَنِ الْأَشْقِيَاءِ الْفُجَّارِ، وَصَوَّرَتْ جَزَاءَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، حَيْثُ يُسَاقُونَ إِلَىٰ الْجَحِيمِ مَعَ الزَّجْرِ وَالتَّهْدِيدِ ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ الْآيَاتِ.

* ثُمَّ عَرَضَتْ لِصَفْحَةِ الْمُتَّقِينَ الْأَبْرَارِ، وَمَا لَهُمْ مِنَ النَّعِيمِ الْخَالِدِ الدَّائِمِ فِي دَارِ الْعِزِّ وَالْكَرَامَةِ، وَذَلِكَ فِي مُقَابَلَةِ مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلْأَشْقِيَاءِ الْأَشْرَارِ، عَلَىٰ طَرِيقَةِ الْقُرْآنِ فِي الْجَمْعِ بَيْنَ التَّرْغِيبِ وَالتَّرْهِيبِ ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِمَوَاقِفِ أَهْلِ الشَّقَاءِ وَالضَّلَالِ الْكَفَرَةِ الْفُجَّارِ مِنْ عِبَادِ الرَّحْمَنِ الْأَخْيَارِ حَيْثُ كَانُوا يَهْزَءُونَ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَسْخَرُونَ عَلَيْهِمْ لِإِيمَانِهِمْ وَصَلَاحِهِمْ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ﴾ إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ.

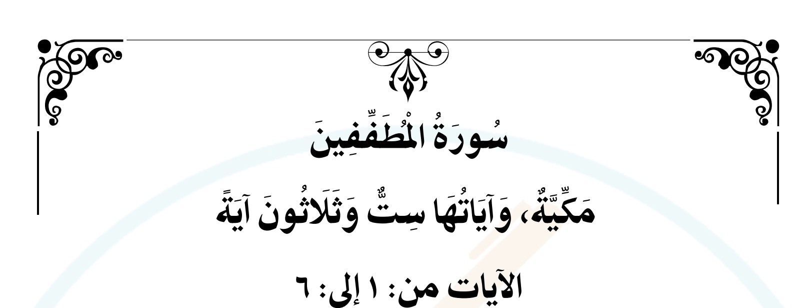
سَبَبُ نُزُولِ سُورَةِ الْمُطَفِّفِينَ:

أَخْرَجَ ذَلِكَ النَّسَائِيُ فِي «السُّنَنِ الْكُبْرَىٰ»، وَابْنُ مَاجَهْ، وَصَحَّحَ الْحَدِيثَ الْأَلْبَانِيُّ، مَا قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ لَـمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْمَدِينَةَ كَانَ أَهْلُهَا مِنْ أَخْبَثِ النَّاسِ كَيْلًا؛ فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ السُّورَةَ: بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾(١).

كَانُوا عِنْدَ نُزُولِهَا أَخْبَثَ النَّاسِ كَيْلًا، وَكَانَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَكِلُونَ، وَأَهْلُ مَكَّةَ يَزِنُونَ، ثُمَّ شَاعَ الْكَيْلُ وَالْوَزْنُ فِي كِلَا الْبَلَدَيْنِ مَعًا.

●●●

(١) أخرجه ابن ماجه في «سننه» في (كتاب التجارات، باب ٣٥، رقم ٢٢٢٣)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠/ ٣٢٧، رقم ١١٥٩٠)، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (١٧٦٠).



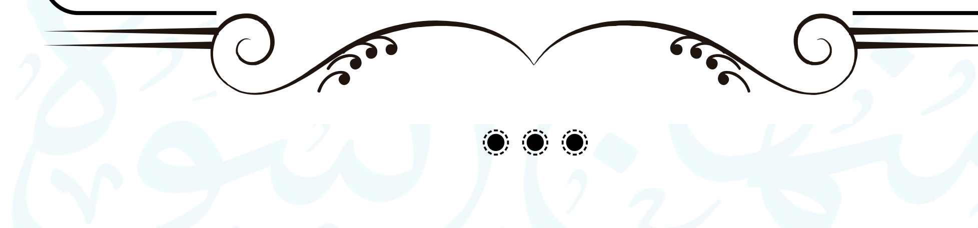
سُورَةُ المُطَفِّفِينَ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَثَلاثُونَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: ٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣ أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ۝٤ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ۝٥ يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.







مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿وَيْلٌ﴾: كَلِمَةُ عَذَاب وَتَهْدِيدٍ، أَوْ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ.

﴿لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾: الْمُطَفِّفِينَ: هُمُ الَّذِينَ يُنْقِصُونَ الْكَيْلَ وَالْوَزْنَ.

﴿اكْتَالُوا﴾: أَخَذُوا حَقَّهُمْ كَيْلًا.

﴿يَسْتَوْفُونَ﴾: يَأْخُذُونَهُ وَافِيًا رَابِيًا.

﴿كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ﴾: كَالُوا لَهُمْ، أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ.

﴿يُخْسِرُونَ﴾: يُنْقِصُونَ الْكَيْلَ وَالْوَزْنَ.

﴿يَظُنُّ﴾: يَتَيَقَّنُ.

⊙ ⊙ ⊙



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[1]:

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ﴾: ﴿وَيْلٌ﴾: كَلِمَةُ عَذَابٍ وَتَهْدِيدٍ، أَوْ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ، وَأَمَّا الْمُطَفِّفُونَ: فَهُمُ الْمُنْتَقِصُونَ فِي كَيْلٍ أَوْ وَزْنٍ، الْبَاخِسُونَ فِيهِمَا.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾: الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا مِنَ النَّاسِ ﴿يَسْتَوْفُونَ﴾: يَسْتَوْفُونَ الْكَيْلَ.

وَالتَّطْفِيفُ هُنَا: هُوَ الْبَخْسُ فِي الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ.

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾: إِذَا اكْتَالُوا لِأَنْفُسِهِمْ يَسْتَوْفُونَ الْكَيْلَ.

﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ﴾: وَإِذَا كَالُوا لِلنَّاسِ أَوْ وَزَنُوا لِلنَّاسِ يُخْسِرُونَ الْمِيزَانَ، وَيُنْقِصُونَ الْكَيْلَ.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: ﴿أَلَا﴾: هَذَا اسْتِفْهَامٌ تَوْبِيخِيٌّ إِنْكَارِيٌّ.

﴿أَلَا يَظُنُّ أُو۟لَٰٓئِكَ أَنَّهُم مَّبْعُوثُونَ﴾: وَالظَّنُّ هُنَا بِمَعْنَى الْيَقِينِ.

﴿لِيَوْمٍ عَظِيمٍ﴾: لِيَومِ الْقِيَامَةِ بِمَا فِيهِ مِنْ أَهْوَالٍ، وَبِمَا فِيهِ مِنْ عَظَائِمِ الْأُمُورِ.

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٣٣).

﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ﴾: مِنْ قُبُورِهِمْ مَبْعُوثِينَ ﴿لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾: يَقُومُونَ خَاشِعِينَ ذَلِيلِينَ، يَنْتَظِرُونَ حُكْمَ اللهِ فِيهِمْ.

***





الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

وَصَفَ اللهُ تَعَالَىٰ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَاتِ الْمُطَفِّفِينَ وَصْفًا وَاضِحًا، فَأَخْبَرَ أَنَّهُمُ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَىٰ النَّاسِ، وَأَخَذُوا مِنْهُمُ الْحَقَّ اسْتَوْفَوُا الْكَيْلَ وَالْوَزْنَ، وَإِذَا كَالُوا لِلنَّاسِ أَوْ وَزَنُوا لَهُمْ يُنْقِصُونَ الْكَيْلَ وَالْوَزْنَ.

وَقَدْ تَوَعَّدَهُمُ اللهُ بِشِدَّةِ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ، وَأَنْكَرَ عَلَيْهِمْ صَنِيعَهُمْ، وَتَعَجَّبَ مِنْ جَرْأَتِهِمْ، وَكَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَيْقِنُونَ بِأَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ سَوْفَ يَبْعَثُهُمْ، وَلَا يَخَافُونَ مِنَ الْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلَا مِنْ حِسَابِهِمْ عَلَىٰ تَطْفِيفِهِمْ، وَعَلَىٰ مَا قَدَّمُوا مِنْ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ.

يَبْعَثُهُمْ رَبُّهُمْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ ذَلِكَ الْيَوْمُ الَّذِي يَقُومُ النَّاسُ فِيهِ مِنَ الْقُبُورِ؛ لِجَزَاءِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَحِسَابِهِ، وَهُوَ يَوْمٌ عَظِيمُ الْقَدْرِ شَدِيدُ الْأَهْوَالِ.



مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ:

١- فِي الْآيَاتِ: التَّذْكِيرُ بِالْبَعْثِ، وَالْجَزَاءِ وَتَقْرِيرُهُمَا.

٢- وَفِيهَا: الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ لِمَنْ يَأْخُذُ لِنَفْسِهِ وَافِيًا، وَيَبْخَسُ النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ، وَيُعْطِي لِغَيْرِهِ نَاقِصًا قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: عِظَمُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَوم يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ؛ لِيَحْكُمَ اللهُ بَيْنَهُمْ، وَيَجْزِيَ كُلًّا بِعَمَلِهِ خَيْرًا أَوْ شَرًّا.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: تَحْرِيمُ نَقْصِ الْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ وَمَا شَابَهَهُمَا كَالذِّرَاعِ، وَهُوَ الْقِيَاسُ بِالذِّرَاعِ، أَوْ بِأَيِّ صُورَةٍ مِنْ صُوَرِ الْقِيَاسِ كَالذِّرَاعِ وَنَحْوِهِ.

٥- وَفِي الْآيَاتِ: عِظَمُ أَمْرِ الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ؛ لِأَنَّ التَّعَامُلَ فِيهِمَا مَبْنِيٌّ عَلَىٰ الْأَمَانَةِ وَالْعَدْلِ.

٦- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّ التَّطْفِيفَ فِي الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ خِيَانَةٌ، وَاعْتِدَاءٌ عَلَىٰ الْحُقُوقِ.

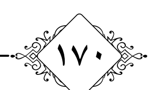
٧- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّ التَّطْفِيفَ يَدْخُلُ فِيهِ عَدَمُ إِتْمَامِ سَاعَاتِ الْعَمَلِ، أَوْ عَدَمُ إِتْقَانِ الْعَمَلِ نَفْسِهِ، فَكُلُّ هَذَا تَطْفِيفٌ، وَبَخْسٌ، وَخِيَانَةٌ، وَاعْتِدَاءٌ عَلَىٰ الْحُقُوقِ.



الآيات من: ٧ إلى: ١٧



﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ﴿٧﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ﴿٨﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٩﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٠﴾ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿١١﴾ وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ﴿١٢﴾ إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّهُمْ لَصَالُوا۟ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٦﴾ ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.



مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿كَلَّآ﴾: كَلِمَةُ رَدْعٍ، وَزَجْرٍ.

﴿ٱلْفُجَّارِ﴾: الْكُفَّار.

﴿سِجِّينٍ﴾: الْمَحَلُّ الضَّيِّقُ الضَّنْكُ.

﴿مَّرْقُومٌ﴾: مُثْبَتَةٌ فِيهِ أَعْمَالُهُمْ، مَسْطُورَةٌ مَرْقُومَةٌ.

﴿بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: يَومُ الْجزَاءِ.

﴿مُعْتَدٍ﴾: مُتَجَاوِزٌ لِلْحَدِّ.

﴿أَثِيمٍ﴾: كَثِيرُ الإِثْمِ.

﴿تُتْلَىٰ﴾: تُقْرَأُ.

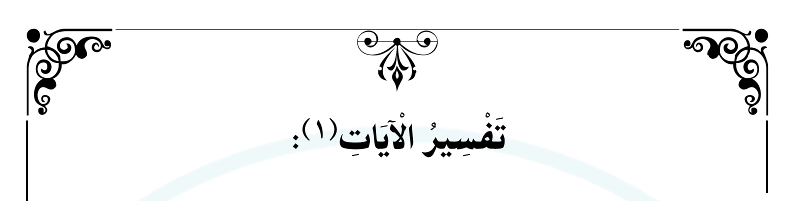
﴿أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: الْأَكَاذِيبُ، وَالْخُرَافَاتُ الَّتِي سُطِّرَتْ قَدِيمًا.

﴿رَانَ﴾: غَطَّىٰ، وَغَلَبَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ.

﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾: لَمَمْنُوعُونَ مِنْ رُؤْيَتِهِ.

﴿لَصَالُواْ﴾: لَداخِلُوا.

﴿ٱلْجَحِيمِ﴾: هِيَ النَّارُ الْمُحْرِقَةُ.



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[١]:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّآ﴾: أَيْ: حَقًّا، حَقًّا إِنَّ الْأَمْرَ لَيْسَ كَمَا يَظُنُّ الْمُطَفِّفُونَ.

﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾: وَ﴿سِجِّينٍ﴾: مَأْخُوذٌ مِنَ السَّجْنِ، وَهُوَ الضِّيقُ، فِعِّيلٌ مِنَ السَّجنِ.

وَالْمَخْلُوقَاتُ كُلُّ مَا تَعَالَىٰ مِنْهَا اتَّسَعَ، وَكُلُّ مَا تَسَافَلَ مِنْهَا ضَاقَ، وَالْأَرَاضُونَ كُلُّ وَاحِدَةٍ أَوْسَعُ مِنَ الَّتِي دُونَهَا، حَتَّىٰ يَنْتَهِي السُّفُولُ الْمُطْلَقُ، وَالْمَحَلُّ الْأَضْيَقُ إِلَىٰ الْمَرْكَزِ فِي وَسَطِ الْأَرْضِ السَّابِعَةِ[٢].

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾: كِتَابٌ مَسْطُورٌ بَيِّنُ الْكِتَابَةِ، فِيهِ أَعْمَالُهُمْ[٣].

﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يُكَذِّبُونَ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ﴾: بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، يَوْمِ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٣٥ - ٥٣٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٤٩).

(٣) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٣٦)، بإسناد صحيح، عَنْ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾، قَالَ: «كِتَابٌ مَكْتُوبٌ»، وروي عَنْ كَعْبِ الْأَحْبَارِ، وقَتَادَةَ، وابن زيد، مثله.

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِۦٓ إِلَّا كُلُّ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ﴾: وَمَا يُكَذِّبُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، بِيَوْمِ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ إِلَّا كُلُّ ظَالِمٍ مُضَيِّعٍ حُقُوقَ رَبِّهِ تَعَالَىٰ، وَحُقُوقَ غَيْرِهِ.

﴿أَثِيمٍ﴾: مُنْغَمِسٍ فِي الْآثَامِ، مُكْثِرٍ مِنْهَا.

﴿إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِ ءَايَٰتُنَا قَالَ أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ آيَاتُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، قَالَ: هَذَا مَا سَطَّرَهُ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْقَصَصِ، وَالْأَخْبَارِ الَّتِي لَا تَصِحُّ.

﴿كَلَّاۖ بَلۡۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾: ﴿رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم﴾: غَطَّىٰ قُلُوبَهُمْ، وَحَجَبَهَا عَنْ قَبُولِ الْحَقِّ ﴿مَّا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ﴾: مِنَ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ.

﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾: فَيُحَالُ بَيْنَهُمْ، وَبَيْنَ رُؤْيَةِ الرَّبِّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ(١).

﴿ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ﴾: أَيْ: لَدَاخِلُوا الْجَحِيمِ، وَمُحْرَقُونَ، مُعَذَّبُونَ بِهَا.

﴿ثُمَّ يُقَالُ هَٰذَا ٱلَّذِي كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾: يُقَالُ لَهُمْ؛ تَوْبِيخًا وَخِزْيًا لَهُمْ، وَهُمْ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ: هَذَا الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ.

⊙ ⊙ ⊙

---

(١) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧١١)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٩٠)، والدارقطني في «رؤية الله ﷻ» (رقم ٢١٨)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (رقم ٨٠٥، و٨٠٦)، بإسناد صحيح، عَنِ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾، قَالَ: «**إِذَا كَانَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بَرَزَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فَيَرَاهُ الْخَلْقُ وَيُحْجَبُ الْكُفَّارُ فَلَا يَرَوْنَهُ، وَهُوَ قَوْلُهُ:** ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ﴾».

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

زَجَرَ سُبْحَانَهُ المُطَفِّفِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿كَلَّآ﴾؛ لِيَرْتَدِعُوا مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنْ إِنْقَاصِ الْكَيْلِ وَالْوَزْنِ.

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ -وَمِنْهُمُ المُطَفِّفُونَ فِي الْكَيْلِ وَالمُخْسِرُونَ المِيزَانَ- جَمِيعِهِمْ فِي المَكَانِ الضَّيِّقِ فِي جَهَنَّمَ، ثُمَّ عَظَّمَ مِنْ شَأْنِ ذَلِكَ بِالاسْتِفْهَامِ عَنْهُ، ثُمَّ بَيَّنَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿كِتَٰبٌ مَّرۡقُومٌ﴾: مَسْطُورٌ وَاضِحُ الْكِتَابَةِ.

ثُمَّ تَوَعَّدَ الْمُكَذِّبِينَ بِيَوْمِ الجَزَاءِ بِشِدَّةِ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ، وَعَرَضَ بَعْدَ ذَلِكَ لِأَوْصَافِ المُكَذِّبِينَ بِيَوْمِ الجَزَاءِ، قَائِلًا: إِنَّهُ لَا يُكَذِّبُ بِيَوْمِ الجَزَاءِ وَالحِسَابِ بِيَوْمِ الدِّينِ إِلَّا كُلُّ مُتَجَاوِزٍ لِلْحَدِّ، مُرْتَكِبٍ مَا حَرَّمَ اللهُ عَلَيهِ، أَثِيمٍ فِي أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ، إِذَا تُلِيَ عَلَيهِ آيَاتُ الْقُرْآنِ، وَسَمِعَ الْقُرْآنَ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ كَذَّبَ بِهِ، وَقَالَ: إِنْ هُوَ إِلَّا أَخْبَارُ الْأَوَّلِينَ أَخَذَهَا الرَّسُولُ ﷺ مِنْ غَيْرِهِ، وَلَيْسَ هُوَ بِكَلَامِ اللهِ المُنَزَّلِ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ.

ثُمَّ زَجَرَ سُبْحَانَهُ الْقَائِلَ لِهَذِهِ المَقَالَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿كَلَّآ﴾: أَيْ: لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ذُكِرَ مِنْ أَنَّ الْقُرْآنَ أَسَاطِيرُ، وَإِنَّمَا الَّذِي جَعَلَهُ وَحَمَلَهُ عَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ مَا غَلَبَ عَلَىٰ قَلْبِهِ مِنَ الذُّنُوبِ، وَالمَعَاصِي حَتَّىٰ انْطَمَسَ قَلْبُهُ، فَلَمْ يَعُدْ يُمَيِّزُ بَيْنَ الحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَذْنَبَ ذَنْبًا نُكِتَتْ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ فِي قَلْبِهِ** -وَالنُّكْتَةُ كَالنُّقْطَةِ- **فَإِذَا تَابَ، وَنَزَعَ، وَاسْتَغْفَرَ صُقِلَ قَلْبُهُ، فَإِنْ زَادَ زَادَتْ حَتَّىٰ تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَذَلِكَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَهُ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ**»(١).

أَوْضَحَ سُبْحَانَهُ بَعْضَ أَلْوَانِ مَا أَعَدَّهُ لَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ، فَذَكَرَ أَنَّ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نُزُلًا سِجِّين.

ثُمَّ هُمْ مَحْجُوبُونَ عَنْ رُؤْيَةِ الرَّبِّ الْكَرِيمِ، وَذَلِكَ غَايَةُ الحِرْمَانِ؛ إِذْ يَتَمَتَّعُ بِرُؤْيَةِ اللهِ فِي الْآخِرَةِ عِبَادُهُ الْمُؤْمِنُونَ، فَيَرَوْنَ اللهَ كَمَا وَرَدَ فِي الحَدِيثِ: «**إِنَّكُمْ سَتَرَوْنَ رَبَّكُمْ كَمَا تَرَوْنَ الْقَمَرَ لَيْلَةَ التَّمِّ لَا تُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ**».

وَفِي رِوَايَةٍ: «**لَا تَضَامُّونَ فِي رُؤْيَتِهِ**»(٢)، فَشَبَّهَ الرُّؤْيَةَ بِالرُّؤْيَةِ، لَا الْمَرْئِيَّ بِالْمَرْئِيِّ، جَلَّ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ أَنْ يُشْبِهَهُ شَيْءٌ.

---

(١) أخرجه الترمذي في (التفسير، ٧٥: ١، رقم ٣٣٣٤)، وابن ماجه في (الزهد، ٢٩: ٣، رقم ٤٢٤٤)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وحسنه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (رقم ١٦٢٠ و٢٤٦٩ و٣١٤١).

(٢) أخرجه البخاري في (التفسير، سورة ٥٠: باب ٢: ١، رقم ٤٨٥١) وفي مواضع، ومسلم في (المساجد، ٣٧: ٣ و ٤، رقم ٦٣٣)، من حديث: جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قال النووي في «شرح صحيح مسلم» (٣/ ١٨): «رُوِيَ «تُضَامُّونَ»: بِتَشْدِيدِ الْمِيمِ وَتَخْفِيفِهَا، فَمَنْ شَدَّدَهَا فَتَحَ التَّاءَ، وَمَنْ خَفَّفَهَا ضَمَّ التَّاءَ، وَمَعْنَىٰ الْمُشَدَّدِ: هَلْ تَتَضَامُّونَ =

ثُمَّ هُمْ مَعَ هَذَا الحَجْبِ وَالحِرْمَانِ مِنْ رُؤْيَةِ اللهِ يَدْخُلُونَ النَّارَ، وَيَصْلَوْنَ عَذَابَهَا، وَيُقَالُ لَهُمْ؛ تَقْرِيعًا وَتَوْبِيخًا: هَذَا هُوَ الجَزَاءُ الَّذِي كُنْتُمْ تُكَذِّبُونَ رُسُلَ اللهِ فِي الدُّنْيَا، وَهَذَا هُوَ الْعَذَابُ الَّذِي كُنْتُمْ تَسْتَبْعِدُونَ وُقُوعَهُ.

◉ ◉ ◉

=

وَتَتَلَطَّفُونَ فِي التَّوَصُّلِ إِلَىٰ رُؤْيَتِهِ، وَمَعْنَىٰ الْمُخَفَّفِ: هَلْ يَلْحَقُكُمْ ضَيْمٌ وَهُوَ الْمَشَقَّةُ».



مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ:

١- فِي الْآيَاتِ: بَيَانُ مَآلِ الْفُجَّارِ فِي الْآخِرَةِ.

٢- وَفِيهَا: وَعِيدُ مَنْ كَذَّبَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَاسْتَبْعَدَ وُقُوعَهُ.

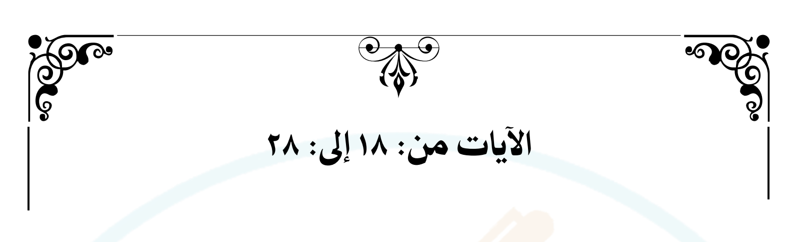
٣- وَفِيهَا: بَيَانُ أَنَّهُ لَا يُكَذِّبُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا مَنْ تَجَاوَزَ الحَقَّ، وَطَغَىٰ وَبَالَغَ فِي ارْتِكَابِ الْآثَامِ، وَتَكْذِيبِ الْكُتُبِ الْمُنَزَّلَةِ؛ تَكَبُّرًا وَعِنَادًا.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: الْإِيمانُ بِأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَرَونَ اللهَ تَعَالَىٰ فِي الْآخِرَةِ، وَلَا يُضَامُونَ فِي رُؤْيَتِهِ، وَهَذَا اعْتِقَادُ أَهْلِ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ.

٥- فِي الْآيَاتِ: بَيَانُ حِرْمَانِ الْكُفَّارِ مِنْ رُؤْيَةِ اللهِ فِي الْآخِرَةِ.

٦- وَفِيهَا: التَّحْذِيرُ مِنَ الذُّنُوبِ، وَأَنَّ الذُّنُوبَ تُغَطِّي الْقَلْبَ شَيْئًا فَشَيْئًا؛ حَتَّىٰ يَنْطَمِسَ فَيَرَىٰ الْقَلْبُ حِينَئِذٍ الحَقَّ بَاطِلًا، وَالبَاطِلَ حَقًّا.

● ● ●



الآيات من: ١٨ إلى: ٢٨

﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ﴿١٨﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ﴿١٩﴾ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ﴿٢٠﴾ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢١﴾ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾.

مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿ٱلۡأَبۡرَارِ﴾: المُؤْمِنُونَ الصَّادِقُونَ.

﴿عِلِّيِّينَ﴾: مَوْضِعٌ عَالٍ فِي الجَنَّةِ.

﴿يَشۡهَدُهُ﴾: يَحْضُرُهُ.

﴿ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾: المَلَائِكَةُ.

﴿ٱلۡأَرَآئِكِ﴾: السُّرُرُ المنْصُوبَةُ.

﴿نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾: بَهْجَتُهُ، وَحُسْنُهُ.

﴿رَّحِيقٖ﴾: الرَّحِيق: الخَمْرُ الخَالِصَةُ.

﴿مَّخۡتُومٍ﴾: أَيْ: لَمْ تَمَسَّهُ يَدٌ إِلَىٰ أَنْ يُفَكَّ خَتْمُهُ لِشَارِبِهِ، وَإِلَىٰ أَنْ يَفُكَّ خَتْمَهُ شَارِبُهُ.

﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ﴾: آخِرُ شَرْبَةٍ يَفُوحُ مِنْهَا رَائِحَةُ المِسْكِ.

﴿فَلۡيَتَنَافَسِ﴾: فَلْيَتَسَابَقْ.

﴿وَمِزَاجُهُۥ﴾: مَا يُخْلَطُ بِهِ، وَيُمْزَجُ.

﴿تَسۡنِيمٍ﴾: عَينٌ فِي الجَنَّةِ.

◉ ◉ ◉



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[(١)]:

قَالَ تَعالَىٰ: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾: كِتابُهُمْ: كِتَابُ أَعْمَالِهِمْ، وَالْأَبْرَارُ: هُمُ المُطِيعُونَ للهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، وَهُمُ الصَّادِقُونَ.

كِتَابُهُمْ فِي عِلِّيِّينَ: فِي مَوْضِعٍ يُسَمَّىٰ بِهَذَا الاسْمِ فِي أَعْلَىٰ الجَنَّةِ[(٢)].

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾: وَمَا عِلْمُكَ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ أَيُّ شَيْءٍ عِلِّيُّونَ؟ وَالاسْتِفْهَامُ هَاهُنَا عَلَىٰ جِهَةِ التَّفْخِيمِ، وَالتَّعْظِيمِ لِعِلِّيِّينَ.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ﴾؟ ﴿كِتَـٰبٌ مَّرْقُومٌ﴾: وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي فِيهِ أَسْمَاؤُهُمْ، ﴿مَّرْقُومٌ﴾: مَسْطُورٌ.

﴿يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾: الْمَلَائِكَةُ يَحْضُرُونَ ذَلِكَ الْكِتَابَ المَرْقُومَ، وَيَرَوْنَهُ[(٣)]، وَقِيلَ: يَشْهَدُونَ بِمَا فِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

---

(١) «فتح القدير» (٥/ ٤٨٧ - ٤٨٩)، و«أيسر التفاسير» (٥/ ٥٣٨).

(٢) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧١٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٩١)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿إِنَّ كِتَـٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾، قَالَ: «**الْعِلِّيُّونَ: السَّمَاءُ السَّابِعَةُ**»، وروي عن قتادة، والضحاك نحوه، واختاره ابن جرير في «تفسيره» (٢٤/ ٢٩٤).

(٣) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٩٤)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿يَشْهَدُهُ =

﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾: ﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾: الأَسِرَّةُ الَّتِي فِي الحِجَالِ[١]، وَهِيَ الْكِلَلِ، يَنْظُرُونَ مَا أَعَدَّ اللهُ لَهُمْ مِنَ النَّعِيمِ، وَقِيلَ: يَنْظُرُونَ إِلَىٰ وَجْهِ اللهِ الْكَرِيمِ.

﴿تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ﴾: إِذَا رَأَيْتَهُمْ عَرَفْتَ أَنَّهُمْ مِنْ أَهْلِ النِّعْمَةِ لِمَا تَرَىٰ فِي وُجُوهِهِمْ مِنَ النُّورِ، وَالْحُسْنِ، وَالْبَيَاضِ، وَالْبَهْجَةِ، وَالرَّوْنَقِ.

﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾: الرَّحِيقُ: الخَمْرُ الَّتِي لَا غِشَّ فِيهَا، وَلَا شَيْءَ يَشُوبُهَا وَيُفْسِدُهَا.

وَالمخْتُومُ: الَّذِي لَهُ خِتَامٌ، وَخَتْمٌ فَهُوَ مَمْنُوعٌ مِنْ أَنْ تَمَسَّهُ يَدٌ إِلَىٰ أَنْ يُفَكَّ خَتْمُهُ بِوَاسِطَةِ أُولَئِكَ الْأَبْرَارِ.

=

ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾: «مِنْ مَلَائِكَةِ اللهِ»، وروي عن ابن عباس، وابن زيد، والضحاك، نحوه.

(١) الحجال: جمع الحجلة، وهي ساتر كالقبّة يتّخذ للعروس، يزيّن بالثياب والسّتور والأسرّة، وَلَا تُطْلَقُ الْأَرِيكَةُ عَلَىٰ السَّرِيرِ إِلَّا إِذَا كَانَ فِي حَجَلَةٍ، «لسان العرب» (١٠/ ٣٨٩).

أخرجه ابن وهب في «تفسير القرآن من الجامع» (٣١٣)، ويحيىٰ بن سلام في «تفسيره» (١/ ١٨٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥٣٨) (٢٤/ ١٠٢، و٢٩٥، و٣٠٤)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٤١٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١٠١٨)، وفي «البعث والنشور» (٣٠٥)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾، قال: «**السُّرُرُ فِي الْحِجَالِ**»، وروي عن مجاهد، وقتادة نحوه، بأسانيد صحيحة.

﴿يُسۡقَوۡنَ مِن رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ﴾: آخِرُ طَعَمِهِ رِيحُ المِسْكِ، أَوْ هُوَ مَخْتُومٌ، مَخْتُومَةٌ أَوْعِيَتُهُ بِالمِسْكِ.

خِتامُهُ مِسْكٌ: آخِرُ طَعْمِهِ رِيحُ المِسْكِ، لَا كَخَمْرِ الدُّنْيَا، فَإِنَّ خَمْرَ الْآخِرَةِ مُبَرَّأَةٌ مِنْ كُلِّ الْآفَاتِ.

﴿خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ﴾: خِتَامُ ذَلِكَ الرَّحِيقِ الَّذِي يُسْقَوْنَهُ، وَهُوَ مَخْتُومٌ مَمْنُوعٌ أَنْ تَمَسَّهُ يَدٌ إِلَىٰ أَنْ يُفَكَّ خَتْمُهُ لِلْأَبْرَارِ(١)، وَآخِرُ طَعْمِهِ عِنْدَ شُرْبِهِ رِيحُ المِسْكِ(٢)، أَوْ مَخْتُومَةٌ أَوْعِيَتُهُ بِمِسْكٍ.

﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ﴾: فَلْيَرْغَبِ الرَّاغِبُونَ، وَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ.

﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسۡنِيمٍ﴾: يُمْزَجُ ذَلِكَ الرَّحِيقُ مِنْ تَسْنِيمٍ: وَهُوَ شَرَابٌ يَنْصَبُّ عَلَيِهِمْ مِنْ عُلُوٍّ، وَهُوَ أَشْرَفُ شَرَابِ الجَنَّةِ(٣).

---

(١) وهو قول مجاهد، وابن زيد، «تفسير مجاهد» (ص٧١٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٩٨).

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٩٥، و٢٩٦، و٢٩٧)، والبيهقي في «البعث والنشور» (٣٢٢)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿رَّحِيقٖ مَّخۡتُومٍ ٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞ﴾، يَقُولُ: «**الْخَمْرُ: خُتِمَ بِالْمِسْكِ**»، وروي عن قتادة، وإبراهيم، والحسن، والضحاك، وابن زيد، مثله، واختاره ابن جرير.

(٣) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (٣٥٤٢)، بإسناد حسن، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مِن تَسۡنِيمٍ﴾، قَالَ: «**تَسْنِيمٌ: أَشْرَفُ شَرَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَهُوَ صِرْفٌ لِلْمُقَرَّبِينَ،**
=

﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾: يُسْقَوْنَ الرَّحِيقَ مِنْ عَيْنِ التَّسْنِيمِ(١).

⁂

=

وَيُمْزَجُ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ»، وروي عن مجاهد نحوه، بإسناد صحيح.

(١) أخرج ابن المبارك في «الزهد» (١٥٢٢)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٠٩١)، وهناد بن السري في «الزهد» (٦٥، ٦٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٠٠)، وأبو نعيم في «صفة الجنة» (٣٠٦)، والواحدي في «التفسير الوسيط» (٤/ ٤٤٩)، بإسناد صحيح، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾، قَالَ: «**تَسْنِيمٌ: عَيْنٌ فِي الْجَنَّةِ يَشْرَبُهَا الْمُقَرَّبُونَ صِرْفًا، وَتُمْزَجُ لِأَصْحَابِ الْيَمِينِ**»، وروي عن ابن عباس، ومسروق، مالك بن الحارث، والحسن، وقتادة، وابن زيد، نحوه.



المَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

بَعْدَ أَنْ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ حَالَ الْكُفَّارِ، وَمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنَ الهَوَانِ وَالْعَذَابِ فِي الآخِرَةِ، أَوْضَحَ حَالَ الْأَبْرَارِ، وَبِضِدِّهَا تَتَمَيَّزُ الْأَشْيَاءُ.

فَابْتَدَأَ الْقَوْلَ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ: حَقًّا إِنَّ كِتَابَ أَعْمَالِ الْأَبْرَارِ -وَهُمُ المطِيعُونَ للهِ المصَدِّقُونَ بِوَعْدِهِ- كِتَابَ هَؤُلَاءِ مَرْفُوعٌ فِي الجَنَّةِ عَلَىٰ قَدْرِ مَنَازِلِهِمْ.

ثُمَّ عَظَّمَ شَأْنَ ذَلِكَ بِالاسْتِفْهَامِ، ثُمَّ أَجَابَ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ﴾: مَسْطُورٌ بَيِّنُ الْكِتَابَةِ.

وَكِتَابُ الْأَبْرَارِ المَوْضُوعُ فِي عِلِّيِّينَ تَحْضُرُهُ المَلَائِكَةُ المُقَرَّبُونَ عِنْدَ اللهِ إِذَا صُعِدَ بِهِ إِلَىٰ عِلِّيِّينَ، وَفِي الْأَثَرِ: «إِنَّ المَلَائِكَةَ تَصْعَدُ بِصَحِيفَةٍ فِيهَا أَعْمَالُ الْعَبْدِ، فَإِنْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: اجْعَلُوهُ فِي عِلِّيِّينَ، وَإِنْ لَمْ يَرْضَ قَالَ: اجْعَلُوهُ فِي سِجِّينَ»(١).

---

(١) أخرجه ابن المبارك في «الزهد» (رقم ٤٥٢)، ومن طريقه: ابن أبي الدنيا في «الإخلاص والنية» (رقم ١٨)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «العظمة» (رقم ٥٢٠)، بإسناد ضعيف، عَنْ ضَمْرَةَ بْنِ حَبِيبٍ، مرسلا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ الْمَلَائِكَةَ يَصْعَدُونَ بِعَمَلِ الْعَبْدِ مِنْ عِبَادِ اللهِ،...**» الحديث.

ثُمَّ فَصَّلَ سُبْحَانَهُ مَا أَعَدَّهُ لِلْأَبْرَارِ مِنَ النَّعِيمِ وَالْكَرَامَةِ، فَقَالَ: إِنَّهُمْ فِي الجَنَّاتِ يُنَعَّمُونَ نَعِيمًا مُقِيمًا لَمْ تَرَ مِثْلَهُ عَينٌ.

فَهُمْ عَلَىٰ الْأَسِرَّةِ الْفَخْمَةِ ذَاتِ الزَّخَارِفِ فِي الْغُرَفِ الْأَنِيقَةِ ذَاتِ السَّتَائِرِ، يَنْظُرُونَ إِلَىٰ وَجْهِ رَبِّهِمُ الْكَرِيمِ، وَتِلْكَ أَعْظَمُ مَثُوبَةٍ، وَأَحَبُّهَا إِلَىٰ قَلْبِ المؤْمِنِ أَنْ يَنْظُرَ إِلَىٰ وَجْهِ رَبِّهِ الْكَرِيمِ، وَيَنْظُرُونَ إِلَىٰ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ النَّعِيمِ المقِيمِ، وَيَنْظُرُونَ إِلَىٰ أَعْدَائِهِمْ، وَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ الْأَلِيمِ فِي وَسَطِ الجَحِيمِ.

هَؤُلَاءِ الْأَبْرَارُ إِذَا نَظَرْتَ إِلَيْهِمْ عَرَفْتَ فِي وُجُوهِهِمْ أَثَرَ النِّعْمَةِ وَالْبَهْجَةِ بِهَا، فَهُمْ يُسْقَوْنَ مِنْ خَمْرٍ صَافِيَةٍ لَا مَثِيلَ لَهَا، خُتِمَتْ فَلَمْ تَمَسَّهَا يَدٌ قَبْلَ أَيْدِيهِمْ.

وَشَارِبُ ذَلِكَ يَجِدُ فِي نِهَايَةِ شُرْبِهِ رَائِحَةَ المِسْكِ، وَلَا يَجِدُ تِلْكَ الرَّائِحَةَ الْكَرِيهَةَ الَّتِي يَجِدُهَا شَارِبُ الخَمْرِ فِي الدُّنْيَا، وَفِىٰ مِثْلِ هَذَا الثَّوَابِ وَالجَزَاءِ فَلْيَتَسَابَقِ المُتَسَابِقُونَ، وَلْيَرْغَبِ الرَّاغِبُونَ فِي الخَيْرِ، يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ، فَيَدْخُلُونَ الجَنَّاتِ؛ لِيَنَالُوا هَذَا الثَّوَابَ.

ثُمَّ عَادَ إِلَىٰ ذِكْرِ الخَمْرِ المُسَمَّاةِ بِالرَّحِيقِ، فَقَالَ: إِنَّ ذَلِكَ الخَمْرَ يَخْرُجُ مِنْ تَسْنِيمٍ، ثُمَّ فَسَّرَ هَذَا الاسْمَ، فَقَالَ ﷻ: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ﴾: وَهِيَ أَشْرَفُ شَرَابٍ فِي الجَنَّةِ تَنْصَبُّ عَلَىٰ المُقَرَّبِينَ، فَيَمْزُجُونَ بِهَا الخَمْرَ، أَوْ يَشْرَبُونَ مِنْ غَيرِ مَزْجٍ صِرْفًا.



مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ:

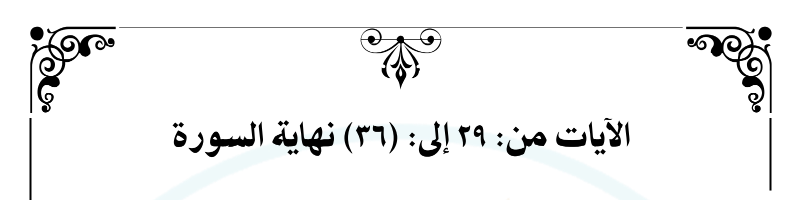
١- فِي الْآيَاتِ: بيانُ مَآلِ الْأَبْرَارِ، وَمَا أَعَدَّهُ اللهُ لَهُمْ مِنَ النَّعِيمِ، وَالْكَرَامَةِ فِي الآخِرَةِ.

٢- وَفِيهَا: التَّرْغِيبُ فِي الْعَمَلِ الصَّالِحِ لِلْحُصُولِ عَلَىٰ نَعِيمِ الجَنَّةِ.

٣- وَفِيهَا: الحَثُّ عَلَىٰ التَّسَابُقِ عَلَىٰ فِعْلِ الخَيْرَاتِ.

٤- وَفِيهَا: بَيَانُ أَنَّ مِمَّا يُؤْمِنُ بِهِ المُؤْمِنُونَ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ اللهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.





الآيات من: ٢٩ إلى: (٣٦) نهاية السورة

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضْحَكُونَ ﴿٢٩﴾ وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمْ يَتَغَامَزُونَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمُ ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا رَأَوْهُمْ قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ ﴿٣٢﴾ وَمَآ أُرْسِلُواْ عَلَيْهِمْ حَٰفِظِينَ ﴿٣٣﴾ فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٣٤﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٣٥﴾ هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفْعَلُونَ﴾.





مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿أَجْرَمُوا﴾: كَفَرُوا.

﴿يَتَغَامَزُونَ﴾: يُشِيرُونَ إِلَىٰ المُؤْمِنِينَ بِالجَفْنِ، وَالحَاجِبِ؛ اسْتِهْزَاءً بِهِمْ، وَضَحِكًا عَلَيْهِمْ؛ لِإِسْلَامِهِمْ، وَإِيمَانِهِمْ.

﴿انقَلَبُوا﴾: رَجَعُوا.

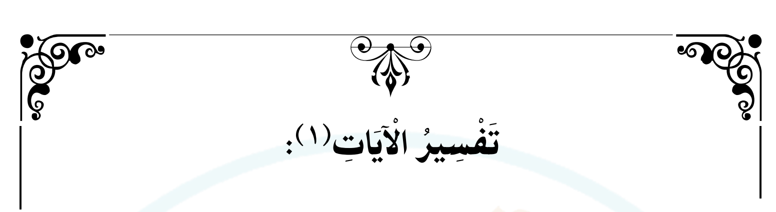
﴿فَكِهِينَ﴾: مُعْجَبِينَ، مُتَفَكِّهِينَ، مُتَلَذِّذِينَ.

﴿لَضَالُّونَ﴾: مُنْحَرِفُونَ عَنِ الحَقِّ.

﴿حَافِظِينَ﴾: مُحْصِينَ أَعْمَالَهُمْ.

﴿ثُوِّبَ﴾: جُوزِيَ، ﴿هَلْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾.





تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[(١)]:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ﴾: وَهُمُ الْكَفَرَةُ ﴿كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ﴾: كَانُوا يَسْتَهْزِئُونَ بِالمؤْمِنِينَ، وَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ.

﴿وَإِذَا مَرُّواْ بِهِمۡ يَتَغَامَزُونَ﴾: وَالْغَمْزُ: الْإِشَارَةُ بِالْجُفُونِ وَالْحَوَاجِبِ، يُعَيِّرُونَهُمْ بِالإِسْلَامِ، وَيَعِيبُونَهُمْ بِالإِيمَانِ.

﴿وَإِذَا ٱنقَلَبُوٓاْ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِمُ﴾: إِذَا رَجَعَ الْكُفَّارُ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ، ﴿ٱنقَلَبُواْ فَكِهِينَ﴾: مُعْجَبُونَ بِمَا هُمْ فِيهِ، مُتَلَذِّذُونَ بِهِ، يَتَفَكَّهُونَ بِالطَّعْنِ فِي الْمُؤْمِنِينَ.

﴿وَإِذَا رَأَوۡهُمۡ﴾: وَإِذَا رَأَىٰ الَّذِينَ أَجْرَمُوا المؤْمِنِينَ المسْلِمِينَ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾.

﴿وَمَآ أُرۡسِلُواْ عَلَيۡهِمۡ حَٰفِظِينَ﴾: وَمَا أُرْسِلَ هَؤُلَاءِ عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ مُحْصِينَ لِأَعْمَالِهِمْ، مُوَكَّلِينَ بِهَا.

﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ﴾: فَفِي يَوْمِ الحِسَابِ وَالجَزَاءِ يَضْحَكُ المؤْمِنُونَ مِنَ الْكُفَّارِ حِينَ يَرَوْنَهُمْ أَذِلَّاءَ مَغْلُوبِينَ كَمَا ضَحِكَ الْكُفَّارُ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا.

(١) «فتح القدير» (٥/ ٤٨٩ - ٤٩٠).

﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝٣٤ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾: يَنْظُرُونَ إِلَىٰ أَعْدَاءِ اللهِ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ، وَالمُؤْمِنُونَ مُتَنَعِّمُونَ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ[1].

﴿هَلْ ثُوِّبَ﴾: أَيْ: قَدْ وَقَعَ الجَزَاءُ لِلْكُفَّارِ لما كَانَ يَقَعُ مِنْهُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ الضَّحِكِ مِنَ المُؤْمِنِينَ، وَالاسْتِهْزَاءِ بِهِمْ ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾[2]؟!



(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٠٤) بإسناد صحيح، عَنْ سُفْيَانَ الثوري، ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ﴾، قَالَ: «**يُجَاءُ بِالْكُفَّارِ، حَتَّىٰ يَنْظُرُوا إِلَىٰ أَهْلِ الْجَنَّةِ فِي الْجَنَّةِ، عَلَىٰ سُرُرٍ، فَحِينَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِمْ تُغْلَقُ دُونَهُمُ الْأَبْوَابُ، وَيَضْحَكُ أَهْلُ الْجَنَّةِ مِنْهُمْ، فَهُوَ قَوْلُهُ:** ﴿فَٱلْيَوْمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنَ ٱلْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ۝٣٤ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ﴾».

(٢) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧١٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٠٥)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿هَلْ ثُوِّبَ ٱلْكُفَّارُ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾، يَقُولُ: «**هَلْ جُوزِيَ الْكُفَّارُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ**».

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ مَا أَعَدَّهُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّعِيمِ وَالْكَرَامَةِ، وَمَا أَعَدَّهُ لِلْكُفَّارِ مِنَ الْعَذَابِ وَالمَهَانَةِ، عَرَضَ لِحَالَةِ الْكُفَّارِ فِي الدُّنْيَا مَعَ المُؤْمِنِينَ، وَهِيَ صُورَةٌ تَجِدُهَا فِي كُلِّ حَالٍ وَحِينٍ.

وَهِيَ صُورَةٌ لَازِمَةٌ؛ فَإِنَّ المُجْرِمِينَ الْكَافِرِينَ إِذَا رَأَوُا المُؤْمِنِينَ يَتَغَامَزُونَ، وَإِذَا مَرُّوا بِهِمْ أَخَذُوا يَضْحَكُونَ، وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ، فَإِذَا رَأَىٰ المُجْرِمُونَ الْكَافِرُونَ المُؤْمِنِينَ قَالُوا: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَضَآلُّونَ﴾.

فَهَذِهِ حَالَةٌ تَجِدُهَا فِي كُلِّ حَالٍ وَحِينٍ، ذَكَرَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَاتِ، وَعَرَضَ لِحَالَةِ الْكُفَّارِ فِي الدُّنْيَا مَعَ المُؤْمِنِينَ.

ثُمَّ أَوْضَحَ مَا سَيُقَابَلُ بِهِ المُؤْمِنُونَ ذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ، وَكَيْفَ سَيُقَابِلُونَ الْكَافِرِينَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: إِنَّ المُجْرِمِينَ كَانُوا يَضْحَكُونَ مِنَ المُؤْمِنِينَ؛ سُخْرِيَةً وَاسْتِهْزَاءً بِهِمْ، وَإِذَا مَرَّ بِهِمُ المُؤْمِنُونَ -بِالْكَافِرِينَ المُجْرِمِينَ- أَخَذَ الْكَافِرُونَ المُجْرِمُونَ يَتَغَامَزُونَ عَلَيْهَا بِأَعْيُنِهِمْ، وَيُشِيرُونَ؛ اسْتِهْزَاءً وَتَهَكُّمًا بِهِمْ.

وَإِذَا رَجَعَ هؤُلَاءِ المُجْرِمُونَ إِلَىٰ أَهْلِهِمْ رَجَعُوا يَتَفَكَّهُونَ بِذِكْرِ المُؤْمِنِينَ، مُسْتَخْفِينَ بِمَا هُمْ فِيهِ.

وَإِذَا رَأَىٰ الْمُشْرِكُونَ أَصْحَابَ رَسُولِ اللهِ ﷺ نَسَبُوهُمْ إِلَىٰ الضَّلَالِ، وَمُجَانَبَةِ الطَّرِيقِ السَّوِيِّ؛ لِأَنَّهُمْ عَلَىٰ غَيْرِ دِينِهِمْ، مَعَ أَنَّهُمْ لَمْ يُوَكَّلُوا بِحِفْظِ أَعْمَالِهِمْ حَتَّىٰ يُرْسَلُوا؛ لِيُحْصُوا عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ مَا يَصْدُرُ مِنْهُمْ.

وَهَذَا تَجِدُهُ فِي كُلِّ حَالٍ وَحِينٍ، تَجِدُ أَهْلَ الضَّلَالِ يَرْمُونَ أَهْلَ الحَقِّ بِأَنَّهُمْ عَلَىٰ ضَلَالٍ، كَمَا قَالَ فِرْعَونُ -وَهُوَ شَيْخُ كُلِّ ضَالٍّ فِي هَذَا المَجَالِ- عِنْدَمَا ذَكَرَ مُوسَىٰ عليه السلام، فَقَالَ: ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمۡ أَوۡ أَن يُظۡهِرَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ٱلۡفَسَادَ﴾ [غافر: ٢٦]. وَهُوَ رَأْسُ المفْسِدِينَ، وَلَكِنَّهُ يَخْشَىٰ أَنْ يُظْهِرَ مُوسَىٰ عليه السلام فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ بِزَعْمِهِ!

فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَقْتَصُّ اللهُ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ الْكَافِرِينَ، فَالْكُفَّارُ يُعَذَّبُونَ فِي النَّارِ، وَالمُؤْمِنُونَ يَتَنَعَّمُونَ فِي الجِنَانِ وَنِعْمَ الْقَرَارُ، وَهُمْ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الْكُفَّارِ وَهُمْ يُعَذَّبُونَ، فَيَضْحَكُونَ مِنْهُمْ كَمَا سَبَقَ أَنْ ضَحِكَ الْكُفَّارُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا.

فَهَلْ جُوزِيَ -هَلْ ثُوِّبَ- الْكُفَّارُ بِهَذَا الصَّنِيعِ عَلَىٰ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ فِي الدُّنْيَا بِالمُؤْمِنِينَ مِنَ الاسْتِهْزَاءِ وَالتَّنَقُّصِ وَالضَّحِكِ؟

الجَوَابُ: نَعَمْ، جُوزُوا أَتَمَّ الجَزَاءِ وَ أَكْمَلَهُ.

وَالاسْتِفْهَامُ هَاهُنَا لِلتَّقْرِيرِ: ﴿هَلۡ ثُوِّبَ ٱلۡكُفَّارُ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾: هَلْ جُوزِيَ الْكُفَّارُ بِمَا كَانُوا قَدْ أَسْلَفُوا فِي الدُّنْيَا مِنَ الضَّحِكِ مِنَ المؤْمِنِينَ، وَمِنَ الاسْتِهْزَاءِ بِهِمْ؟

فَالْيَوْمَ الْمُؤْمِنُونَ يَتَنَعَّمُونَ فِي الجِنَانِ، وَهُمْ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الْكُفَّارِ يُعَذَّبُونَ فَيَضْحَكُونَ مِنْهُمْ، كَمَا سَبَقَ أَنْ ضَحِكَ الْكُفَّارُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا، فَالاسْتِفْهَامُ لِلتَّقْرِيرِ: نَعَمْ ثُوِّبَ الْكُفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ.

◉ ◉ ◉





مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ:

١- فِي الْآيَاتِ: التَّنْدِيدُ بِالإِجْرَامِ وَالمُجْرِمِينَ.

٢- وَفِيهَا: تَحْرِيمُ انْتِقَاصِ الْمُؤْمِنِ أَوِ السُّخْرِيَةِ مِنْهُ، فَكُلُّ ذَلِكَ مِنْ عَمَلِ الْمُجْرِمِينَ، وَلَيْسَ مِنْ عَمَلِ الْمُسْلِمِينَ الْخَالِصِينَ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: بَيَانُ مَآلِ الْمُسْتَهْزِئِينَ بِالْمُؤْمِنِينَ.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: بَيَانُ عَدْلِهِ تَعَالَىٰ، وَأَنَّ الجَزَاءَ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ كَمَا فِي هَذِهِ الصُّورَةِ الَّتِي ذَكَرَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ فِي آخرِ السُّورَةِ: وَهِيَ أَنَّ المؤْمِنِينَ يَضْحَكُونَ مِنَ الْمُجْرِمِينَ، وَالْمُؤْمِنُونَ عَلَىٰ الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ إِلَىٰ حَالِهِمْ، وَهُمْ يُعَذَّبُونَ فِي النَّارِ، فَيَضْحَكُونَ مِنْهُمْ كَمَا ضَحِكَ هَؤُلَاءِ فِي الدُّنْيَا مِنْهُمْ بِغَيْرِ حَقٍّ.

٥- فِي الْآيَاتِ: بَيَانُ إِكْرَامِ اللهِ لِأَوْلِيَائِهِ.

٦- وَفِيهَا: بَيَانُ إِهَانَةِ اللهِ تَعَالَىٰ لِأَعْدَائِهِ.

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَنَا مِنْ أَوْلِيَائِهِ، وَأَنْ يَجْعَلَنَا حَرْبًا عَلَىٰ أَعْدَائِهِ.

⊙ ⊙ ⊙


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com



يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَةُ السَّادِسَةُ)

مِنْ مَادَّةِ التَّفْسِيرِ

تفسير جزء عمَّ

[سُورَتَيِ: الِانْشِقَاقِ، وَالْبُرُوجِ]


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ الانْشِقَاقِ

* سُورَةُ الِانْشِقَاقِ مَكِّيَّةٌ، وَقَدْ تَنَاوَلَتِ الْحَدِيثَ عَنْ أَهْوَالِ الْقِيَامَةِ، كَشَأْنِ سَائِرِ السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ الَّتِي تُعَالِجُ أُصُولَ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ.

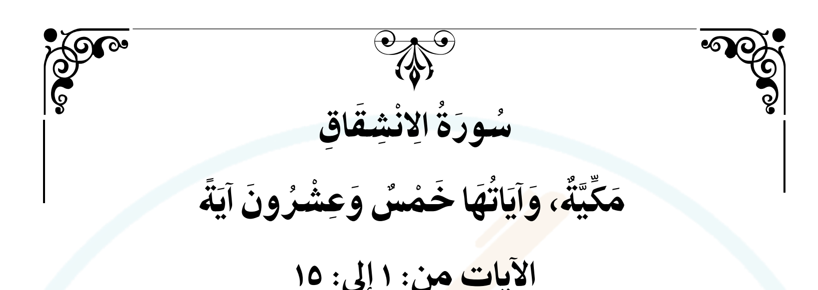
* ابْتَدَأَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِذِكْرِ بَعْضِ مَشَاهِدِ الْآخِرَةِ، وَصَوَّرَتْ الِانْقِلَابَ الَّذِي يَحْدُثُ فِي الْكَوْنِ عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ١ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ٢ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ٣ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ٤ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾.

* ثُمَّ تَحَدَّثَتْ عَنْ مَصِيرِ الْإِنْسَانِ، الَّذِي يَكِدُّ وَيَتْعَبُ فِي تَحْصِيلِ أَسْبَابِ رِزْقِهِ وَمَعَاشِهِ، لِيُقَدِّمَ لِآخِرَتِهِ مَا يَشْتَهِي مِنْ صَالِحٍ أَوْ طَالِحٍ، وَمِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، ثُمَّ هُنَاكَ الْجَزَاءُ الْعَادِلُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ٧ فَسَوۡفَ يُحَاسَبُ حِسَابٗا يَسِيرٗا﴾ الْآيَاتِ.

* ثُمَّ تَنَاوَلَتْ مَوْقِفَ الْمُشْرِكِينَ مِنْ هَذَا الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَأَقْسَمَتْ بِأَنَّهُمْ سَيَلْقَوْنَ الْأَهْوَالَ وَالشَّدَائِدَ وَيَرْكَبُونَ الْأَخْطَارَ وَالْأَهْوَالَ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّهِيبِ الْعَصِيبِ، الَّذِي لَا يَنْفَعُ فِيهِ مَالٌ وَلَا وَلَدٌ ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ﴾ الْآيَاتِ.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِتَوْبِيخِ الْمُشْرِكِينَ عَلَىٰ عَدَمِ إِيمَانِهِمْ بِاللهِ، مَعَ وُضُوحِ آيَاتِهِ وَسُطُوعِ بَرَاهِينِهِ، وَبَشَّرَتْهُمْ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ فِي دَارِ الْجَحِيمِ ﴿فَمَا لَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ ٱلْقُرْءَانُ لَا يَسْجُدُونَ ۩ ﴿٢١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُكَذِّبُونَ ﴿٢٢﴾ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ ﴿٢٣﴾ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾.

●●●



سُورَةُ الِانْشِقَاقِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا خَمْسٌ وَعِشْرُونَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: ١٥

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ﴿٥﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلَٰقِيهِ ﴿٦﴾ فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾ إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ ﴿١٤﴾ بَلَىٰٓ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾.

مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿ٱنشَقَّتۡ﴾: تَصَدَّعَتْ.

﴿وَأَذِنَتۡ﴾: اسْتَمَعَتْ لِأَمْرِ رَبِّهَا.

﴿وَحُقَّتۡ﴾: حُقَّ لَهَا أَنْ تَسْمَعَ، وَتُطِيعَ.

﴿مُدَّتۡ﴾: زِيدَ فِي سَعَتِهَا.

﴿وَأَلۡقَتۡ﴾: طَرَحَتْ مَا فِيهَا مِنَ الموْتَىٰ وَالْكُنُوزِ.

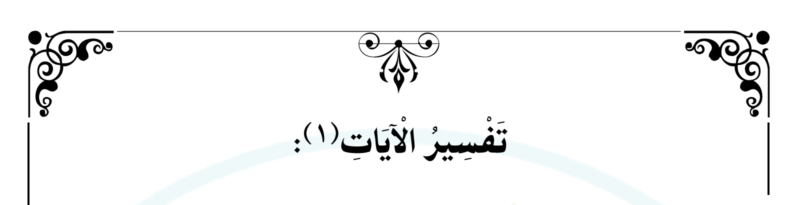
﴿كَادِحٌ﴾: سَاعٍ، وَمُجِدٌّ فِي السَّيْرِ.

﴿وَيَنقَلِبُ﴾: يَرْجِع.

﴿يَدۡعُواْ ثُبُورٗا﴾: يُنَادِي عَلَىٰ نَفْسِهِ بِالهَلَاكِ.

﴿يَحُورَ﴾: يَرْجِعُ.

◉ ◉ ◉



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[١]:

قَالَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ﴾: وَانْشِقَاقُهَا مِنْ عَلامَاتِ السَّاعَةِ، مِنْ عَلامَاتِ الْقِيَامَةِ، وَانْشَقَّتْ: تَصَدَّعَتْ.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾: ﴿أَذِنَتْ﴾: سَمِعَتْ لِأَمْرِ رِبِّهَا، وَهَذَا الْفِعْلُ مِنَ الْأَذَنِ: وَهُوَ الاسْتِمَاعُ، سَمِعَتْ أَمْرَ رَبِّهَا بِالانْشِقَاقِ وَأَطَاعَتْهُ.

﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾: وَحُقَّ لَهَا أَنْ تُطِيعَ رَبَّهَا.

﴿وَإِذَا ٱلْأَرْضُ مُدَّتْ﴾: مُدَّتْ مَدَّ الْأَدِيمِ، وَزِيدَ فِي سِعَتِهَا، وَبُسِطَتْ، وَدُكَّتْ جِبَالُهَا حَتَّىٰ صَارَتْ قَاعًا صَفْصَفًا.

﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ﴾: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾: أَخْرَجَتْ مَا فِي بَاطِنِهَا مِنَ الْمَوْتَىٰ وَالْكُنُوزِ[٢].

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٧١ - ٣٧٥)، و«فتح القدير» (٥/ ٤٩٢ - ٤٩٤)، و«أيسر التفاسير» (٥/ ٥٤٣).

(٢) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧١٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣١١)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا﴾، قَالَ: «أَخْرَجَتْ مَا فِيهَا مِنَ الْمَوْتَىٰ»، وروي عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة، نحوه.

﴿وَتَخَلَّتۡ﴾: خلَتْ مِنْ ذَلِكَ، أَوْ تبرَّأَتْ مِنْهُمْ، وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ، وَتخلَّتْ عَنْهُمْ إِلَىٰ اللهِ.

﴿وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾: سَمِعَتْ لِأَمْرِهِ جَلَّ وَعَلَا، وَأَطَاعَتْ، ﴿وَحُقَّتۡ﴾: وَحُقَّ لَهَا أَنْ تُطِيعَ رَبَّهَا.

جَوابُ ﴿إِذَا﴾ فِي قَوْلِهِ تَعالَىٰ: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ ﴿١﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ ﴿٢﴾ وَإِذَا ٱلۡأَرۡضُ مُدَّتۡ ﴿٣﴾ وَأَلۡقَتۡ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتۡ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتۡ لِرَبِّهَا وَحُقَّتۡ﴾ يَكُونُ مَاذَا؟

اخْتَلَفُوا فِي جَوابِ «إِذَا»، فَقِيلَ: جَوابُهُ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: إِذَا كَانَتْ هَذِهِ الْأَشْيَاءُ يَرَىٰ الْإِنْسَانُ الثَّوابَ وَالْعِقَابَ(١).

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ﴾: كَادِحٌ: أَيْ: عَامِلٌ، كَاسِبٌ لِلْخَيْرِ أَوِ الشَّرِّ.

﴿إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا﴾: أَيْ: إِلَىٰ أَنْ تَلْقَىٰ رَبَّكَ، وَأَنْتَ تَعمَلَ وَتَكْسِبَ، فَلْيَكُنْ عَمَلُكَ مِمَّا يَرْضَىٰ عَنْهُ رَبُّكَ.

﴿فَمُلَٰقِيهِ﴾: فَمُلَاقٍ رَبَّكَ بَعْدَ مَوْتِكَ بِعَمَلِكَ خَيْرِهِ، وَشَرِّهِ.

﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ﴾: أَيْ كِتَابَ أَعْمَالِهِ، وَذَلِكَ بَعْدَ الْبَعْثِ، دِيوَانَ أَعْمَالِهِ.

﴿فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾: مِنْ أَمَامٍ.

(١) واختاره الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣١٢).

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾: وَهُوَ أَنْ تُعْرَضَ عَلَيْهِ سَيِّئَاتُهُ، ثُمَّ يَغْفِرُهَا اللهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يُنَاقِشَهُ الْحِسَابَ؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابَ عُذِّبَ**».

قَالَتْ: فَقُلْتُ: أَلَيْسَ اللهُ يَقُولُ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟

قَالَ ﷺ: «**لَيْسَ ذَلِكَ، وَلَكِنْ ذَلِكَ الْعَرْضُ، مَنْ نُوقِشَ الْحِسَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عُذِّبَ**»(١).

﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾: بَعْدَ الْحِسَابِ الْيَسِيرِ يَرْجِعُ إِلَىٰ أَهْلِهِ فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ فَرِحًا مُبْتَهِجًا؛ بِمَا أُوتِيَ مِنَ الْخَيْرِ.

﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ﴾: بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ؛ إِهَانَةً لَهُ.

﴿فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا﴾: فَسَوْفَ يُنَادِي هَلَاكَهُ، يَقُولُ:وَا ثُبُورَاه، وَا ثُبُورَاه!! أَيْ: يَا هَلَاكَهُ.

﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾: يَدْخُلُهَا، وَيُقَاسِي حَرَّهَا وَنَارَهَا، وَيُحَرَّقُ بِالنَّارِ تَحْرِيقًا، وَيُنْضَجُ إِنْضَاجَةً بَعْدَ أُخْرَىٰ -عَلَىٰ قِرَاءَةِ: يُصَلَّىٰ ﴿وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾ بِالتَّضْعِيفِ-(٢).

---

(١) أخرجه البخاري في (العلم، ٣٦، رقم ١٠٣) وفي مواضع، ومسلم في (صفة الجنة، ١٨، رقم ٢٨٧٦).

(٢) قَرَأَ أَبُو عَمْرٍو وَحَمْزَةُ وَعَاصِمٌ، وبعض المدنيين وعامة قرّاء الكوفة والبصرة، ﴿وَيَصْلَىٰ﴾: بِفَتْحِ الْيَاءِ وَسُكُونِ الصَّادِ وَتَخْفِيفِ اللَّامِ، بمعنىٰ: أنهم يَصْلونها ويَردونها، =

﴿إِنَّهُۥ كَانَ فِىٓ أَهۡلِهِۦ مَسۡرُورًا﴾.

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾: أَيْ إِنَّهُ كَانَ فِي الدُّنْيَا يَظُنُّ أَنَّهُ لَا يَرْجِعُ إِلَىٰ الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ؛ فَلِذَا لَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، وَلَمْ يَتَوَرَّعْ عَنْ تَرْكِ الشَّرِّ قَطُّ؛ لِعَدَمِ إِيمَانِهِ بِالْبَعْثِ.

﴿بَلَىٰٓۚ إِنَّ رَبَّهُۥ كَانَ بِهِۦ بَصِيرًا﴾ [الانشقاق: ١٥].

* * *

=

فيحترقون فيها، واستشهدوا لتصحيح قراءتهم ذلك بقول الله: ﴿يَصۡلَوۡنَهَا﴾ [إبراهيم: ٢٩]، و﴿إِلَّا مَنۡ هُوَ صَالِ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [الصافات: ١٦٣]، و﴿يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ١٢]، وَقَرَأَ عامة قرّاء مكة والمدينة والشام، ﴿وَيُصَلَّىٰ﴾: بِضَمِّ الْيَاءِ وَفَتْحِ اللَّامِ وَتَشْدِيدِهَا، بمعنىٰ: أن الله يصليهم تصلية بعد تصلية، وإنضاجة بعد إنضاجة، كما قال تعالىٰ: ﴿كُلَّمَا نَضِجَتۡ جُلُودُهُم بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا﴾ [النساء: ٥٦]، واستشهدوا لتصحيح قراءتهم ذلك كذلك، بقوله: ﴿وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ﴾ [الواقعة: ٩٤]، و﴿ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ [الحاقة: ٣١].

قال الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣١٦): «والصواب من القول في ذلك عندي أنهما قراءتان معروفتان صحيحتا المعنىٰ، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب»، وانظر: «تفسير البغوي» (٨/ ٣٧٤ و٣٧٥)، و«فتح القدير» (٥/ ٤٩٣).



الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

يُبَيِّنُ اللهُ تَعَالَىٰ بَعْضَ مَا يَكُونُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ انْشِقَاقِ السَّمَاءِ، وَتَمَايُزِ بَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ، وَاسْتِمَاعِهَا لِأَمْرِ رَبِّهَا بِالانْشِقَاقِ وَطَاعَتِهِ، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَسْمَعَ، وَتُطِيعَ أَمْرَهُ تَعَالَىٰ؛ لِأَنَّهَا لَا تَخْرُجُ عَنِ الطَّاعَةِ بِحَالٍ.

كَمَا يُبَيِّنُ ﷻ امْتِدَادَ الْأَرْضِ وَالزِّيَادَةَ فِي سَعَتِهَا، وَزَوَالَ مَا عَلَيْهَا مِنَ الْجِبَالِ وَالْأَبْنِيَةِ حَتَّىٰ تَصِيرَ قَاعًا صَفْصَفًا، وَتُلْقِي مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ لِلْحَشْرِ وَتَتَخَلَّىٰ عَنْهُمْ، وَاسْتَمَعَتْ لِرَبِّهَا، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تُطِيعَ أَمْرَهُ تَعَالَىٰ؛ فَهُوَ الْعَظِيمُ الَّذِي ذَلَّ كُلُّ شَيْءٍ لِعَظَمَتِهِ.

ثُمَّ وَجَّهَ سُبْحَانَهُ الْخِطَابَ إِلَىٰ جِنْسِ الْإِنْسَانِ قَائِلًا: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ إِنَّكَ مُجِدٌّ، وَمُجْتَهِدٌ، وَسَاعٍ إِلَىٰ رَبِّكَ إِلَىٰ أَنْ يَنْتَهِيَ أَجَلُكَ، ثُمَّ إِنَّكَ سَتَلْقَىٰ مَا عَمِلْتَ فِي حَيَاتِكَ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، وَتُجَازَىٰ عَلَيْهِ.

فَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ كِتَابَ أَعْمَالِهِ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يَكُونُ حِسَابُهُ سَهْلًا، لَا تَعْسِيرَ فِيهِ، وَفِي الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ يُدْنِي الْعَبْدَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّىٰ يَضَعَ كَنَفَهُ عَلَيْهِ، فَيَقُولُ: فَعَلْتَ كَذَا وَكَذَا، وَيُعَدِّدُ عَلَيْهِ ذُنُوبَهُ، ثُمَّ يَقُولُ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ**

فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ»[١].

وَيَرْجِعُ إِلَىٰ أَهْلِهِ فِي الْجَنَّةِ مَسْرُورًا بِمَا أَعْطَاهُ اللهُ، وَ﴿**أَهْلُهُۥ**﴾: زَوْجَاتُهُ فِي الْجَنَّةِ مِنْ نِسَاءِ الدُّنْيَا، وَمِنَ الْحُورِ الْعِينِ.

وَأَمَّا مَنْ أُعْطِيَ كِتَابَ أَعْمَالِهِ بِشِمَالِهِ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ بَعْدَ أَنْ تُلْوَىٰ، وَهُوَ الْكَافِرُ، فَسَوْفَ يَدْعُو عَلَىٰ نَفْسِهِ بِالْوَيْلِ وَالْخَسَارَةِ وَالْهَلَاكِ، وَيَقُولُ: يَا وَيْلَاه! يَا ثُبُورَاه!

وَسَوْفَ يَدْخُلُ النَّارَ؛ حَتَّىٰ يَصْلَىٰ بِحَرِّهَا؛ لِأَنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا فَرِحًا، لَا يُفَكِّرُ فِي الْعَوَاقِبِ، فَأَعْقَبَ ذَلِكَ الْفَرَحَ الْيَسِيرَ الْحُزْنُ الطَّوِيلُ.

وَكَانَ يَعْتَقِدُ أَنَّهُ لَنْ يَرْجِعَ إِلَىٰ اللهِ حَيًّا بَعْدَ أَنْ مَاتَ، فَهُوَ مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِالْبَعْثِ، وَرَدَّ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ هَذَا الاعْتِقَادِ بِقَوْلِهِ: ﴿بَلَىٰٓ﴾، إِنَّهُ سَوْفَ يُبْعَثُ، وَيُعِيدُهُ اللهُ كَمَا بَدَأَهُ، وَيُجَازِيهِ عَلَىٰ أَعْمَالِهِ؛ فَإِنَّهُ كَانَ بِهِ خَبِيرًا، وَبِأَعْمَالِهِ بَصِيرًا.

⦿⦿⦿

---

(١) أخرجه البخاري في (المظالم، ٢، رقم ٢٤٤١)، وفي مواضع، ومسلم في (التوبة، ٨: ٨، رقم ٢٧٦٨)، من حديث: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[1]:

١- يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ: عَظَمَةُ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَنْقَادُ لِأَمْرِهِ، وَيَخْضَعُ لِهَيْبَتِهِ.

٢- وَفِيهَا: تَقْرِيرُ عَقِيدَةِ الْبَعْثِ، وَالْجَزَاءِ بِبَيَانِ مُقَدِّمَاتِهِ فِي انْقِلَابِ الْكَوْنِ.

٣- وَفِيهَا: بَيَانُ حَتْمِيَّةِ لِقَاءِ الْإِنْسَانِ رَبَّهُ.

٤- وَفِيهَا أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مُكَلَّفٍ بِالْعَقْلِ وَالْبُلُوغِ فَهُوَ عَامِلٌ وَكَاسِبٌ -لَا مَحَالَةَ- إِلَىٰ أَنْ يَمُوتَ، وَيَلْقَىٰ رَبَّهُ.

٥- وَفِيهَا: بَيَانُ حَالِ أَهْلِ السَّعَادَةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَبَيَانُ حَالِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ يَوْمَهَا.

٦- وَفِيهَا: كُفْرُ مُنْكِرِي الْبَعْثِ.

٧- وَفِيهَا الْإِيمَانُ بِكِتَابَةِ الْأَعْمَالِ، وَأَنَّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ كِتَابًا يُعْطَاهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا أُعْطِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ، وَمَنْ عَمِلَ سَيِّئًا تَنَاوَلَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ.

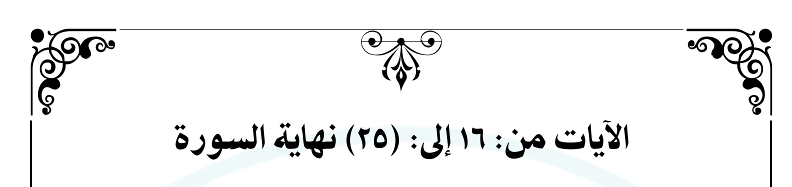
---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٤٥).

٨- وَفِيهَا: أَنَّ أَهْلَ الْإِيمَانِ وَالتَّقْوَىٰ يُحَاسَبُونَ حِسَابًا يَسِيرًا، وَهُوَ مُجَرَّدُ عَرْضٍ لَا غَيْرُ.

٩- وَفِيهَا: أَنَّ أَيَّ مَانِعٍ يُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مَقْبُولًا يَمْنَعُ هَؤُلَاءِ مِنَ الإِيمَانِ بِرَبِّهِمْ، وَبِرَسُولِهِ ﷺ، وَبِالْقِيَامِ بَيْنَ يَدَيِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَوْمَ الْبَعْثِ.

● ● ●



الآيات من: ١٦ إلى: (٢٥) نهاية السورة

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ ١٦ وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ ١٧ وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ١٨ لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٖ ١٩ فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَۤ ۩ ٢١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ ٢٢ وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ ٢٣ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٢٤ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾.





مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿بِٱلشَّفَقِ﴾: الشَّفَق: الحُمْرَةُ الَّتِي تَظْهَرُ فِي الْأُفُقِ الْغَرْبِيِّ بَعْدَ الْغُرُوبِ.

﴿وَمَا وَسَقَ﴾: مَا جَمَعَ وَسَتَرَ.

﴿اتَّسَق﴾: اجْتَمَعَ، وَتَمَّ نُورُهُ فَصَارَ بَدْرًا.

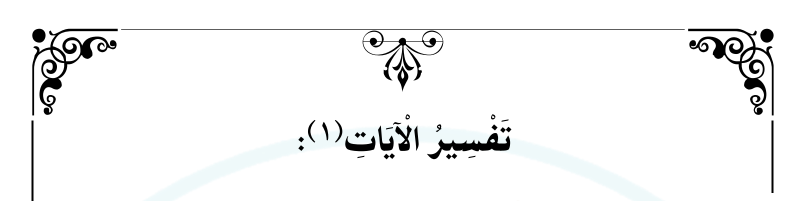
﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾: لَتَتَحَوَّلُنَّ.

﴿طَبَقًا عَنْ طَبَق﴾: حَالًا بَعْدَ حَالٍ.

﴿يُوعُونَ﴾: يُضْمِرُونَ، وَيَكْتُمُونَ.

﴿غَير مَمْنُون﴾: غَيرُ مَمْنُوعٍ.

◉ ◉ ◉



تفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾: وَالشَّفَقُ: الْحُمْرَةُ بِالْأُفُقِ بَعْدَ غُرُوبِ الشَّمْسِ(٢).

﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾: وَاللَّيْلِ، وَمَا جَمَعَ وَضَمَّ(٣).

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٧٥ - ٣٧٧)، و«فتح القدير» (٥/ ٤٩٤ - ٤٩٦)، و«أيسر التفاسير» (٥/ ٥٤٥ - ٥٤٦).

(٢) أخرج عبد الله بن أحمد في «مسائل الإمام أحمد» (رقم ١٨٦)، وابن المنذر في «الأوسط» (رقم ٩٦٥، دار طيبة، الرياض)، والجصاص في «أحكام القرآن» (٢/ ٣٤٣)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (رقم ١٧٤٥)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٦/ ٤٠)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «**الشَّفَقُ: الْحُمْرَةُ**»، وَرُوِي عَنْ عَلِيٍّ، وعُبادة بْنِ الصَّامِتِ، وَأَبِي هُرَيرة، وَشَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ، وَابْنِ عُمَرَ، وَمُحَمَّدِ بْنِ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ، وَمَكْحُولٍ، وَبَكْرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْمُزَنِيِّ، وبُكَيْر بْنِ الْأَشَجِّ، وَمَالِكٍ، وَابْنِ أَبِي ذِئْبٍ، وَعَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ الماجَشُون نحوه، واختاره ابن جرير الطبري، وهو الْمَعْرُوف عِنْدَ أَهْلِ اللُّغَةِ، انظر: «العين» (٥/ ٤٥)، و«الصحاح» (٤/ ١٥٠١) مادة: (شفق).

(٣) أخرج القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (ص٣٤٣)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (رقم ٦٢٧٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣١٩، و٣٢٠، و٣٢١)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ ﴿وَمَا وَسَقَ﴾: «**وَمَا جمَعَ**»، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ الشَّاعِرِ: »... مُسْتَوْسِقَاتٍ لَمْ =

﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ﴾: إِذَا اجْتَمَعَ نُورُهُ، وَتَمَّ وَهُوَ فِي الْأَيَّامِ الْبِيضِ.

﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ﴾: لَتَتَحَوَّلُنَّ.

﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: حَالًا بَعْدَ حَالٍ، مِنَ الْغِنَىٰ وَالْفَقْرِ، وَالْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ، وَدُخُولِ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ(١).

﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: بِالْقُرْآنِ الْعَظِيمِ مَعَ وُجُودِ مُوجِبَاتِ الإِيمَانِ بِذَلِكَ، ﴿فَمَا لَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾: مَا الَّذِي يَمْنَعُهُمْ مِنَ الإِيمَانِ بِاللهِ تَعَالَىٰ، وَالْحُجَجُ مُتَكَاثِرَاتٌ، وَلَيْسَتْ لَهُمْ حُجَّةٌ.

﴿وَإِذَا قُرِئَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقُرۡءَانُ لَا يَسۡجُدُونَ ۩﴾: إِذَا تُلِيَ عَلَيْهِمْ، وَسَمِعُوهُ لَا يَسْجُدُونَ: لَا يَخْضَعُونَ، وَلَا يُؤْمِنُونَ، وَلَا يُسْلِمُونَ.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُكَذِّبُونَ﴾: يُكَذِّبُونَ بِالْقُرْآنِ الَّذِي يَشْتَمِلُ عَلَىٰ إِثْبَاتِ التَّوْحِيدِ وَالْبَعْثِ، وَالثَّوَابِ وَالْعِقَابِ.

=

يَجِدْنَ سَائِقًا»، وروي عن الحسن، ومجاهد، وقتادة، وعكرمة، وسعيد بن جبير، وابن زيد، نحوه.

(١) أخرج البخاري في «صحيحه» في (التَّفْسِيرِ، سورة ٨٤: باب ١، رقم ٤٩٤٠)، من طريق: مُجَاهِدٍ، قَالَ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ﴿لَتَرۡكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾: «**حَالًا بَعْدَ حَالٍ**»، قَالَ هَذَا نَبِيُّكُمْ ﷺ، وَكَذَا قَالَ عِكْرِمَةُ، ومُرَّة الطَّيِّب، وَمُجَاهِدٌ، وَالْحَسَنُ، وسعيد بن جبير، وقتادة، وَالضَّحَّاكُ، وَأَبُو صَالِحٍ.

﴿وَٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾: وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُضْمِرُونَهُ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَمَا يُغَيِّبُونَهُ فِي جَوَانِحِهِمْ(١) مِنَ التَّكْذِيبِ وَالْكُفْرِ.

﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: فَجَعَلَهُ بِشَارَةً؛ تَهَكُّمًا بِهِمْ؛ لِأَنَّ الْبِشَارَةَ تَكُونُ بِالْخَيْرِ.

﴿فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢٤﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾: لَا يُمَنُّ عَلَيْهِمْ بِهِ، فَهُوَ غَيرُ مَمْنُونٍ(٢)، أَوْ لَا يُقْطَعُ عَنْهُمْ وَلَا يُمْنَعُ(٣)، قَوْلَانِ، فَهُوَ غَيْرُ مَمْنُونٍ.

***

---

(١) (الْجَوَانِحُ): الضُّلُوع القِصارُ الَّتِي فِي مُقَدَّمِ الصدرِ، وهي ستٌّ، وَالْوَاحِدَةُ جَانِحَةٌ، «الصحاح» (١/ ٣٦٠)، و«لسان العرب» (٢/ ٤٢٩)، مادة: (جنح).

(٢) «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٠٦، ٣٤٤).

(٣) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٣٧)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٣٢) (٢٤/ ٣٢٧، و٥١١، و٥١٣)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونِۭ﴾، يَقُولُ: «غَيْرُ مَنْقُوصٍ».

الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِالشَّفَقِ، وَبِاللَّيْلِ وَمَا جَمَعَهُ مِمَّا كَانَ مُنْتَشِرًا بِالنَّهَارِ، وَذَلِكَ أَنَّ اللَّيْلَ إِذَا أَقْبَلَ يَضُمُّ الْأَشْيَاءَ وَيَسْتُرُهَا بِظَلَامِهِ، كَمَا أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِالْقَمَرِ إِذَا تَكَامَلَ نُورُهُ، وَهُوَ فِي الْأَيَّامِ الْبِيضِ.

وَللهِ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، أَمَّا الْمَخْلُوقُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِغَيْرِ اللهِ، وَجَوَابُ الْقَسَمِ قَوْلُهُ: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾، وَهُوَ حَالٌ بَعْدَ حَالٍ، وَهَذِهِ الْأَحْوَالُ هِيَ شَدَائِدُ الْمَوْتِ، ثُمَّ مَا يَكُونُ مِنَ الْبَعْثِ وَالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

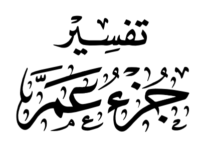
وَعَادَ سُبْحَانَهُ يَذْكُرُ الْكُفَّارَ، وَيُعَجِّبُ مِنْ عَدَمِ إِيمَانِهِمْ، وَيَسْتَفْهِمُ اسْتِفْهَامَ الْمُنْكِرِ عَلَيْهِمْ؛ وَذَلِكَ إِعْظَامًا لِلْقُرْآنِ وَإِجْلَالًا لَهُ.

ثُمَّ أَرْدَفَ سُبْحَانَهُ الِاسْتِفْهَامَ بِبَيَانِ أَنَّ مِنْ سَجِيَّةِ الْكُفَّارِ الْمُخَالَفَةَ لِلْحَقِّ، وَالْعِنَادَ فِيهِ مَهْمَا ظَهَرَتْ لَهُمُ الدَّلَائِلُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمُ بِمَا يَجْمَعُونَهُ فِي صُدُورِهِمْ مِنَ الْكُفْرِ وَالتَّكْذِيبِ.

ثُمَّ أَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يُخْبِرَهُمْ بِعَذَابٍ مُؤْلِمٍ أَعَدَّهُ اللهُ لَهُمْ؛ جَزَاءً لِكُفْرِهِمْ وَتَكْذِيبِهِمْ، وَأَنْزَلَ هَذِهِ الْأَخْبَارَ مَنْزِلَةَ الْبِشَارَةِ؛ تَهَكُّمًا بِهِمْ، وَاسْتَثْنَى

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾؛ آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ بِجَوَارِحِهِمْ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَنْقُوصٍ.

● ● ●





مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[١]:

١- فِي الْآيَاتِ: بَيَانُ أَنَّ الْإِنْسَانَ مُقْبِلٌ عَلَىٰ أَحْوَالٍ، وَأَهْوَالٍ حَالًا بَعْدَ حَالٍ، وَهَوْلًا بَعْدَ هَوْلٍ، إِلَىٰ أَنْ يَنْتَهِيَ إِلَىٰ جَنَّةٍ أَوْ نَارٍ.

٢- وَفِيهَا: بَيَانُ أَنَّ عَدَمَ إِيمَانِ الْإِنْسَانِ بِرَبِّهِ أَمْرٌ يَسْتَدْعِي الْعَجَبَ؛ إِذْ لَا مَانِعَ لِلْعَبْدِ مِنَ الْإِيمَانِ بِخَالِقِهِ، وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ مَخْلُوقٌ، وَقَدْ تَعَرَّفَ إِلَيْهِ، فَأَنْزَلَ كُتُبَهُ، وَبَعَثَ رُسُلَهُ، وَأَقَامَ الْأَدِلَّةَ عَلَىٰ ذَلِكَ.

٣- وَفِيهَا: الدَّلَالَةُ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ وَحْدَهُ هُوَ الْمَعْبُودُ الْمُدَبِّرُ لِعِبَادِهِ بِحِكْمَتِهِ.

٤- وَفِيهَا: الْإِنْكَارُ عَلَىٰ الْمُكَابِرِينَ، وَالْمُعَانِدِينَ لِلْقُرْآنِ الْكَرِيمِ؛ عُتُوًّا وَكِبْرًا.

٥- وَفِيهَا: سَعَةُ عِلْمِهِ سُبْحَانَهُ، وَاطِّلَاعِهِ.

٦- وَفِيهَا: وَعِيدُ مَنْ كَفَرَ بِاللهِ، وَكَذَّبَ بِالْحَقِّ، وَعِيدُهُ بِالْعَذَابِ الشَّدِيدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

٧- وَفِيهَا: جَزَاءُ مَنْ آمَنَ بِاللهِ، وَعَمِلَ صَالِحًا، وَهُوَ الْأَجْرُ الدَّائِمُ عِنْدَ اللهِ.

●●●

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٤٧).

بَيْنَ يَدَيْ سُورَةِ الْبُرُوجِ

* هَذِهِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ مِنَ السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ، وَهِيَ تَعْرِضُ لِحَقَائِقِ الْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَالْمِحْوَرُ الَّذِي تَدُورُ عَلَيْهِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ هِيَ حَادِثَةُ (أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ) وَهِيَ قِصَّةُ التَّضْحِيَةِ بِالنَّفْسِ، فِي سَبِيلِ الْعَقِيدَةِ وَالْإِيمَانِ.

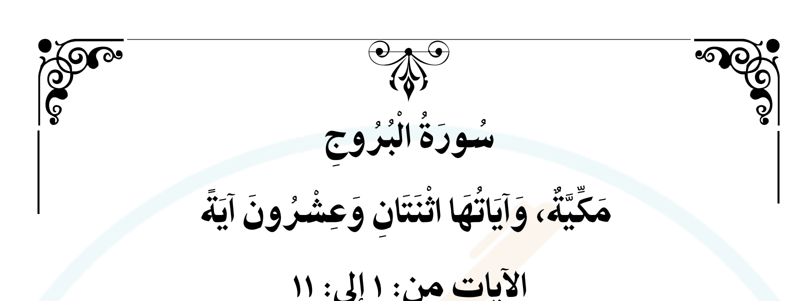
* ابْتَدَأَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِالْقَسَمِ بِالسَّمَاءِ ذَاتِ النُّجُومِ الْهَائِلَةِ، وَمَدَارَاتِهَا الضَّخْمَةِ الَّتِي تَدُورُ فِيهَا تِلْكَ الْأَفْلَاكُ، وَبِالْيَوْمِ الْعَظِيمِ الْمَشْهُودِ وَهُو (يَوْمُ الْقِيَامَةِ)، وَبِالرُّسُلِ وَالْخَلَائِقِ، عَلَىٰ هَلَاكِ وَدَمَارِ الْمُجْرِمِينَ الَّذِينَ طَرَحُوا الْمُؤْمِنِينَ فِي النَّارِ، لِيَفْتِنُوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾ الْآيَاتِ.

* ثُمَّ تَلَاهَا الْوَعِيدُ وَالْإِنْذَارُ، لِأُولَئِكَ الْفُجَّارِ عَلَىٰ فَعْلَتِهِمُ الْقَبِيحَةِ الشَّنِيعَةِ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ﴾.

* وَبَعْدَ ذَلِكَ تَحَدَّثَتْ عَنْ قُدْرَةِ اللهِ عَلَىٰ الِانْتِقَامِ مِنْ أَعْدَائِهِ الْكَفَرَةِ، الَّذِينَ فَتَنُوا عِبَادَهُ وَأَوْلِيَاءَهُ ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ۝١٢ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ۝١٣ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ۝١٤ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ﴾.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِقِصَّةِ الطَّاغِيَةِ الْجَبَّارِ (فِرْعَوْنَ) وَمَا أَصَابَهُ وَقَوْمَهُ مِنَ الْهَلَاكِ وَالدَّمَارِ بِسَبَبِ الْبَغْيِ وَالطُّغْيَانِ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ﴾ إِلَىٰ نِهَايَةِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ.

●●●



سُورَةُ الْبُرُوجِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا اثْنَتَانِ وَعِشْرُونَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: ١١

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ ۝١ وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ ۝٣ قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ۝٤ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ۝٥ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝٦ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ۝٧ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ۝٨ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ۝٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ فَتَنُوا۟ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا۟ فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ ٱلْحَرِيقِ ۝١٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ﴾.

●●●

مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿ٱلْبُرُوجِ﴾: المَنَازِلُ، وَالطُّرُقُ الَّتِي تَسِيرُ فِيهَا الْكَوَاكِبُ.

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾: هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾: **الشَّاهِدُ**: يَومُ الجُمُعَةِ، **والمشْهُود**: يَومُ عَرَفَةَ.

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ﴾: قُتِلَ: لُعِنَ، وَالْأُخْدُود: الْحُفْرَةُ المُسْتَطِيلَةُ فِي الْأَرْضِ.

﴿شُهُودٌ﴾: حُضُور.

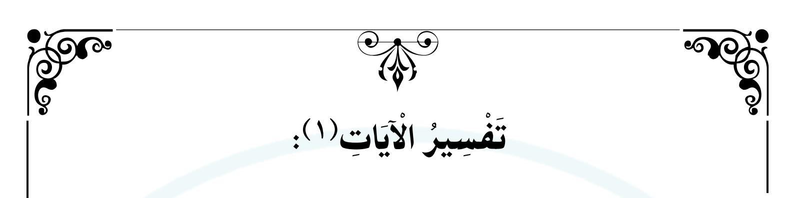
﴿نَقَمُواْ﴾: كَرِهُوا، وَعَادُوا.

﴿فَتَنُواْ﴾: عَذَّبُوا.

﴿يَتُوبُواْ﴾: يَرْجِعُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ.

﴿ٱلْفَوْزُ﴾: الْفَلَاحُ.

•••



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[١]:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾: وَالْبُرُوجُ: هِيَ النُّجُومُ[٢]، وَقِيلَ: هِيَ الْمَنَازِلُ لِلْكَوَاكِبِ[٣]. وَقِيلَ: هِيَ مَنَازِلُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَهِيَ اِثْنَا عَشَرَ بُرْجًا[٤].

﴿وَٱلْيَوْمِ ٱلْمَوْعُودِ﴾: هُوَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ، إِذْ وَعَدَ اللهُ تَعَالَىٰ عِبَادَهُ أَنْ يَجْمَعَهُمْ فِيهِ؛ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ.

﴿وَشَاهِدٍ وَمَشْهُودٍ﴾: الشَّاهِدُ: يَوْمُ الجُمُعَةِ، وَالمَشْهُودُ: يَوْمُ عرفَةَ[٥].

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٨٣ – ٣٨٨)، و«فتح القدير» (٥/ ٤٩٨ – ٥٠١)، و«أيسر التفاسير» (٥/ ٥٤٨).

(٢) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٣١)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِ اللهِ: ﴿ذَاتِ ٱلْبُرُوجِ﴾، قَالَ: «الْبُرُوجُ: النُّجُومُ»، وهو قول الحسن، وقتادة.

(٣) وهو قول الضحاك، وأَبُو عُبَيْدَةَ، وَيَحْيَىٰ بْنُ سَلَامٍ، وَغَيْرُهُم، «تفسير الطبري» (٢٤/ ٣٣١)، و«فتح القدير» (٥/ ٤٩٨).

(٤) اختاره ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٣٢).

(٥) أخرج الترمذي في «جامعه» في (التفسير، ٧٧: ١ و٢، رقم ٣٣٣٩)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «الْيَوْمُ الْمَشْهُودُ: يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّاهِدُ: يَوْمُ =

﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾: لُعِنَ[١] أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ[٢]، وَالْأُخْدُودُ: الشَّقُّ الْمُسْتَطِيلُ فِي الْأَرْضِ كَالنَّهْرِ، وَجَمْعُهُ: أَخَادِيدُ.

﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ﴾: بَدَلٌ مِنَ الْأُخْدُودِ، وَالْوَقُودُ: الْحَطَبُ الَّذِي تُوقَدُ بِهِ، النَّارُ تُوقَدُ، وَتُوقَدُ النَّارُ بِالْوَقُودِ، فَالْوَقُودُ: الْحَطَبُ الَّذِي تُوقَدُ بِهِ.

﴿إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ﴾: لُعِنُوا حِينَ أَحْدَقُوا بِالنَّارِ قَاعِدِينَ عَلَىٰ الْكَرَاسِيِّ عِنْدَ الْأُخْدُودِ.

﴿وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: مِنْ عَرْضِهِمْ عَلَىٰ النَّارِ؛ لِيَرْجِعُوا إِلَىٰ الْكُفْرِ.

=

الجُمُعَةِ،...» الحديث، وهو حسن بشواهده، انظر: «الصحيحة» للألباني (رقم ١٥٠٢)، وروي عن عليّ، وأبو هريرة، وابن عباس، وعكرمة، والحسن، وقتادة، وابن زيد، مثله.

وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ في «تفسيره» (٢٤/ ٣٣٧) مَا مُلَخَّصُهُ بعد ذكر اختلاف المفسرين في قوله: ﴿وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ﴾، قَالَ: «وَالصَّوَابُ عِنْدِي: أَنَّهُ صَالِحٌ لِكُلِّ مَا يُقَالُ لَهُ مُشَاهَدٌ، وَيُقَالُ لَهُ مَشْهُودٌ»، وقال السعدي في «تفسيره» (ص٩١٨، مؤسسة الرسالة): «شمل هذا كل من اتصف بهذا الوصف، أي: مبصر ومبصر، وحاضر ومحضور، وراء ومرئي».

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (١٤/ ٢٠٧)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «**كُلُّ شَيْءٍ فِي الْقُرْآنِ** ﴿قُتِلَ﴾، **فَهُوَ: لعن**»، وهو قول أكثر المفسرين.

(٢) الَّذِينَ أَلْقَوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ فِي الْأُخْدُودِ، وهو قول ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، واختاره ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٤٢).

﴿وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ﴾: يَشْهَدُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ بِمَا فَعَلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، ثُمَّ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ، وَأَيْدِيهِمْ، وَأَرْجُلُهُمْ.

﴿وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ﴾: مَا عَابُوا عَلَيْهِمْ[1]، ﴿إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ﴾: إِلَّا أَنْ صَدَّقُوا بِالْغَالِبِ الْمَحْمُودِ فِي كُلِّ حَالٍ، وَمَا أَنْكَرُوا عَلَيْهِمْ ذَنْبًا إِلَّا إِيمَانَهُمْ[2].

﴿الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ﴾: مِنْ فِعْلِهِمْ بِالْمُؤْمِنِينَ لَا تَخْفَىٰ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ.

وَهَذَا وَعِيدٌ شَدِيدٌ لِأَصْحَابِ الْأُخْدُودِ، وَوَعْدٌ صَادِقٌ[3] لِمَنْ عَذَّبُوهُ عَلَىٰ دِينِهِ مِنْ أُولَئِكَ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾: فَأَحْرَقُوهُمْ بِالنَّارِ[4]، وَلَمْ يَجْعَلُوا لَهُمُ الْخِيَارَ إِلَّا أَنْ يَكْفُرُوا بِاللهِ الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ، فَامْتَحَنُوهُمْ فِي دِينِهِمْ؛ لِيَرْجِعُوا عَنْهُ،

---

(١) «تفسير مقاتل» (٤/ ٦٤٨).

(٢) «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٠٨).

(٣) في «فتح القدير» (٥/ ٥٠١): [وَوَعْدُ خَيْرٍ].

(٤) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٤٤)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾، قَالَ: «حَرَّقُوهُمْ بِالنَّارِ»، وهو قول ابْنُ عَبَّاسٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَابْنُ أَبْزَىٰ.

وقال مجاهد: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ﴾، يَعْنِي: «عَذَّبُوا»، أخرجه عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧١٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٤٤)، =

﴿ثُمَّ لَمۡ يَتُوبُواْ﴾ عَنْ قَبِيحِ صُنْعِهِمْ، وَيَرْجِعُوا عَنْ كُفْرِهِمْ، وَفِتْنَتِهِمْ لِلْمُؤْمِنِينَ وَالمُؤْمِنَاتِ ﴿فَلَهُمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمۡ عَذَابُ ٱلۡحَرِيقِ﴾؛ بِسَبَبِ حَرْقِهِمُ المُؤْمِنِينَ(١).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [البروج: ١١].

●●●

=

بإسناد صحيح.

(١) «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٠٨).



المَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

يُقْسِمُ اللهُ بِالسَّمَاءِ ذَاتِ المنَازِلِ الَّتِي تَتَنَقَّلُ فِيهَا الْكَوَاكِبُ لِمَا فِيهَا مِنْ بَدِيعِ صُنْعِهِ وَعَجِيبِ تَدْبِيرِهِ.

وَأَقْسَمَ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ الَّذِي وَعَدَ اللهُ أَهْلَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ بِالاجْتِمَاعِ فِيهِ، وَأَقْسَمَ بِيَومِ الجُمُعَةِ وَيومِ عَرَفَةَ؛ لِعِظَمِهِمَا وَشَرَفِهِمَا وَاجْتِمَاعِ المسْلِمِينَ فِيهِمَا.

وَللهِ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، أَمَّا المَخْلُوقُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِغَيْرِ اللهِ، وَجَوَابُ الْقَسَمِ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾.

وَقِصَّةُ أَصْحَابِ الْأُخْدُودِ لَخَّصَهَا ابْنُ كَثِيرٍ رَحِمَهُ اللهُ[1] **بِقَوْلِهِ:** «هَذَا خَبَرٌ عَنْ قَوْمٍ مِنَ الْكُفَّارِ عَمَدُوا إِلَىٰ مَنْ عِنْدَهُمْ مِنَ المُؤْمِنِينَ بِاللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَقَهَرُوهُمْ، وَأَرَادُوهُمْ عَلَىٰ[2] أَنْ يَرْجِعُوا عَنْ دِينِهِمْ، فَأَبَوْا عَلَيْهِمْ.

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٨/ ٣٦٦)، وابن كثير، هو: الإِمَام الْمُفْتِي الْمُحدث الْحَافِظ المؤرخ المفسر ذُو الْفَضَائِل، عماد الدّين، أَبُو الْفِدَاء، إِسْمَاعِيل بن عمر ابْن كثير بن ضوء بن كثير الْقَيْسِي البصروي، صاحب «التفسير»، ثِقَة متقن، من فقهاء الشافعية، مَاتَ فِي شعْبَان سنة أَربع وَسبعين وَسَبْعمائة، انظر: «الدرر الكامنة» لابن حجر (١/ ٤٤٥)، و«طبقات الحفاظ» للسيوطي (ص٥٣٤).

(٢) في «التفسير»: [وَأَرَادُوهُمْ أَنْ يَرْجِعُوا]، بدون [علىٰ].

فَحَفَرُوا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ أُخْدُودًا، وَأَجَّجُوا فِيهِ نَارًا، وَأَعَدُّوا لَهُ وَقُودًا(١)، ثُمَّ أَرَادُوهُمْ عَلَىٰ الْكُفْرِ فَلَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ، فَقَذَفُوهُمْ فِيهَا».

وَبِهَذَا الْعَمَلِ لَعَنَهُمُ اللهُ، وَكَانُوا يَجْلِسُونَ عَلَىٰ حَافَّةِ الْأُخْدُودِ، وَالنَّارُ مُتَأَجِّجَةٌ فِيهِ يُقَدِّمُونَ كُلَّ مَنْ لَمْ يَرْجِعْ عَنْ دِينِهِ، وَيَرَوْنَهُ وَهُوَ يُشْوَىٰ بِالنَّارِ وَيُعَذَّبُ.

وَلَمْ يَكُنْ مَا أَنْكَرَهُ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا إِيمَانَهُمْ بِاللهِ الْعَزِيزِ الَّذِي لَا يُضَامُّ مَنْ لَاذَ بِهِ، الْمَحْمُودِ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ وَشَرْعِهِ، مَنْ لَهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَا بَيْنَهُمَا، هُوَ الْمَلِكُ لَا يُنَازِعُهُ أَوْ يُشَارِكُهُ فِيهَا أَحَدٌ، وَهُوَ عَالِمٌ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ لَا تَخْفَىٰ عَلَيهِ خَافِيَةٌ، وَلَا يَغِيبُ عَنْهُ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ.

ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَىٰ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ الَّذِينَ عَذَّبُوا الْمُؤْمِنِينَ وَأَحْرَقُوهُمْ إِذَا مَاتُوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، وَلَمْ تَصْدُرْ مِنْهُمْ تَوْبَةٌ قَبْلَ مَوْتِهِمْ؛ أُعِدَّ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ بِحَرْقِهِمْ بِهَا كَمَا أَحْرَقُوا الْمُؤْمِنِينَ فِي الدُّنْيَا.

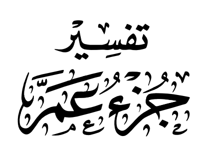
ثُمَّ بَيَّنَ سُبْحَانَهُ مَا أَعَدَّهُ فِي الْآخِرَةِ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّعِيمِ الْمُقِيمِ، فَإِنَّ اللهَ أَعَدَّ لِكُلِّ مَنْ صَدَّقَ بِقَلْبِهِ، وَعَمِلَ بِجَوَارِحِهِ أَعْمَالًا صَالِحَةً، أَعَدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ بَسَاتِينَ عَظِيمَةً تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارَ بِالْمَاءِ، وَاللَّبَنِ الَّذِي لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ،

---

(١) في «التفسير»: [وَأَعَدُّوا لَهَا وَقُودًا يُسَعِّرُونَهَا بِهِ].

وَبِالْخَمْرِ وَالْعَسَلِ، وَهَذَا النَّعِيمُ وَتِلْكَ الْكَرَامَةُ فَوْزٌ لَا يُشْبِهُهُ فَوْزٌ، فَهُوَ أَعْظَمُ مِمَّا يَتَصَوَّرُ الْمُتَصَوِّرُونَ.

● ● ●




مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[١]:

١- فِي الْآيَاتِ: تَقْرِيرُ عَقِيدَةِ الْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ.

٢- وَفِيهَا: كَمَالُ قُدْرَتِهِ تَعَالَىٰ، وَعَجِيبُ صُنْعِهِ.

٣- وَفِيهَا: عِظَمُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَبَيَانُ فَضْلِ يَوْمَيِ الجُمُعَةِ وَعَرَفَةَ.

٤- وَفِيهَا: تَثْبِيتُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَىٰ مَا هُمْ عَلَيهِ مِنَ الْإِيمَانِ، وَتَحْذِيرُ الْكَافِرِينَ الَّذِينَ تَجَاوَزُوا الحَدَّ بِالتَّعَدِّي عَلَىٰ أَوْلِيَاءِ اللهِ.

٥- وَفِيهَا: التَّرْغِيبُ وَالتَّرْهِيبُ فِي ذِكْرِ جَزَاءِ الْكَافِرِين وَالْمُؤْمِنِينَ الصَّالِحِينَ.

٦- وَفِيهَا: بَيَانُ مَا نَالَ المؤمِنِينَ السَّابِقِينَ مِنْ أَذًىٰ، وَمَا كَانُوا عَلَيهِ مِنَ الثَّبَاتِ، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ الْعَذَابِ فِي سَبِيلِ اللهِ.

٧- وَفِيهَا: سَعَةُ مُلْكِهِ تَعَالَىٰ، وَإِحَاطَتُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ.

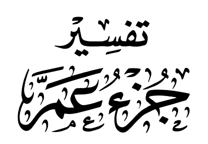
٨- وَفِيهَا سَعَةُ حِلْمِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَفَضْلِهِ وَكَرَمِهِ؛ حَيْثُ لَمْ يُعَاجِلِ الْكُفَّارَ بِالْعَذَابِ، بَلْ دَعَاهُمْ إِلَىٰ التَّوْبَةِ، وَالرُّجُوعِ إِلَيهِ سُبْحَانَهُ.

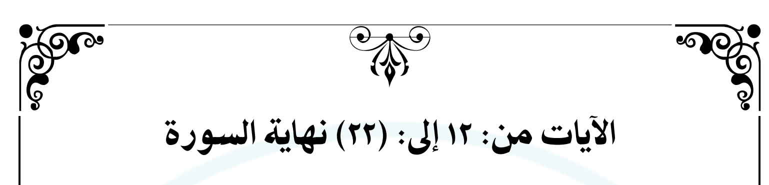
---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٥٠).

٩- وَفِيهَا بَيَانُ مَآلِ كُلٍّ مِنَ الْكُفَّارِ وَالمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

●●●



الآيات من: ١٢ إلى: (٢٢) نهاية السورة

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ ﴿١٣﴾ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ذُو ٱلْعَرْشِ ٱلْمَجِيدُ ﴿١٥﴾ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ﴿١٦﴾ هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْجُنُودِ ﴿١٧﴾ فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ ﴿١٨﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى تَكْذِيبٍ ﴿١٩﴾ وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطٌۢ ﴿٢٠﴾ بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِى لَوْحٍ مَّحْفُوظٍۭ﴾.



مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿بَطْشَ﴾: أَخْذٌ، وَالْبَطْشُ: الْأَخْذُ.

﴿ٱلْجُنُودِ﴾: الْجُمُوعُ الْقَوِيَّةُ.

﴿يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾: هُوَ الْمُتَفَرِّدُ بِإِبْدَاءِ الْخَلْقِ وَإِعَادَتِهِ، لَا يُشَارِكُهُ فِي ذَلِكَ أَحَدٌ.

﴿ٱلْوَدُودُ﴾: كَثِيرُ الْمَحَبَّةِ لِمَنْ أَطَاعَهُ.

﴿حَدِيثُ﴾: خَبَرٌ.

﴿مَّجِيدٌ﴾: وَسِيعُ الْمَعَانِي، عَظِيمُهَا، كَثِيرُ الْخَيْرِ وَالْعِلْمِ.



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾: إِنَّ أَخْذَهُ سُبْحَانَهُ -إِذَا أَخذَ الْكَافِرَ- شَدِيدٌ.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾: يُبْدِئُ الْخَلْقَ، وَيُعِيدُهُ بَعْدَ فَنَائِهِ، وَيُبْدِئُ الْعَذَابَ وَيُعِيدُهُ(٢).

﴿وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلْوَدُودُ﴾: وَهُوَ الْغَفُورُ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿ٱلْوَدُودُ﴾: المُحِبُّ لَهُمْ(٣).

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٨٨ - ٣٨٩)، و«أيسر التفاسير» (٥/ ٥٥٠).

(٢) أخرج الطبري «تفسيره» (٢٤/ ٣٤٥)، بإسناد صحيح، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾، قَالَ: «**يُبْدِئُ الْخَلْقَ حِينَ خلقَهُ، وَيُعِيدُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، وهو قول أكثر المفسرين، واستظهره الشنقيطي في «أضواء البيان» (٨/ ٤٨٨)، وقال: «لِأَنَّهُ يَكْثُرُ فِي الْقُرْآنِ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّهُۥ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [يونس: ٤]، وَقَوْلِهِ: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ﴾ [يونس: ٣٤]، وَقَوْلِهِ: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]».
وروي ابن عباس رَضِوَاللَّهُعَنْهُمَا، أنه قال: «**يُبْدِئُ العذاب ويعيده**»، واختاره ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٤٥).

(٣) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٤٦)، بإسناد صحيح، عن ابن عباس، قوله: ﴿**الْوَدُودُ**﴾، يقول: «**الحَبِيبُ**»، وذكره البخاري معلقا مجزوما به في «صحيحه» في =

﴿ذُو ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡمَجِيدُ﴾: صَاحِبُ الْعَرْشِ الَّذِي هُوَ خَالِقُهُ وَمَالِكُهُ.

﴿ٱلۡمَجِيدُ﴾: الْمُسْتَحِقُّ لِكَمَالِ صِفَاتِ الْعُلُوِّ.

﴿فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ﴾: لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَمْتَنِعُ مِنْهُ شَيْءٌ يَطْلُبُهُ.

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡجُنُودِ﴾: هَلْ جَاءَكَ خَبَرُ الْجُنُودِ الْمُجَنَّدَةِ، وَالْجُمُوعِ الْكَافِرَةِ الَّتِي تَظَاهَرَتْ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ، ثُمَّ بَيَّنَ مَنْ هُمْ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فِرۡعَوۡنَ وَثَمُودَ ١٨ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي تَكۡذِيبٖ﴾: فِي تَكْذِيبٍ لَكَ، وَلِلْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، وَاللهُ مِنْ وَرَائِهِمْ مُحِيطٌ، عَالِمٌ بِهِمْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ.

﴿بَلۡ هُوَ قُرۡءَانٞ مَّجِيدٞ﴾: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ كَرِيمٌ عَظِيمٌ.

﴿فِي لَوۡحٖ مَّحۡفُوظِۭ﴾: مِنَ الشَّيَاطِينِ، وَالْمُرَادُ بِهِ: اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ.

●●●

=

(كتاب التوحيد، باب ٢٢)، وهو قول أكثر المفسرين، وقد جمع ابن القيم رحمه الله معاني اسم الله ﷻ: ﴿ٱلۡوَدُودُ﴾، في «الكافية الشافية» (ص٧٢٢، البيت رقم ٣٣١٠)، فقال:

وَهُوَ الْوَدُودُ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّهُ ... أَحْبَابُهُ وَالْفَضْلُ لِلْمَنَّانِ

وانظر: «اشتقاق أسماء الله» للزجاج (ص١٥٢)، و«الزاهر» لابن الأنباري (١/ ٨٨)، و«الصحاح» للجوهري (٢/ ٥٤٩) مادة: (ودد).



الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

يُخْبِرُ سُبْحَانَهُ عَنْ عَظِيمِ بَأْسِهِ وَقُدْرَتِهِ، وَأَنَّ أَخْذَهُ لِلظَّلَمَةِ، وَانْتِقَامَهُ مِنْهُمْ لَشَدِيدٌ؛ ﴿إِنَّهُۥ هُوَ يُبْدِئُ وَيُعِيدُ﴾: يَخْلُقُهُمْ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ يُعِيدُهُمْ أَحْياءً بَعْدَ الموْتِ؛ لِلْحِسَابِ وَالجزَاءِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ الْكَثِيرُ السَّتْرِ لِذُنُوبِ عِبَادِهِ المؤْمِنِينَ، المُحِبُّ لِأَوْلِيَائِهِ، المُتَوَدِّدُ إِلَيْهِمْ بِالْمَغْفِرَةِ، وَهُوَ صَاحِبُ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ الْعَالِي عَلَىٰ كُلِّ الخلَائِقِ.

وَهُوَ الْعَظِيمُ الْكَرَمِ وَالْفَضْلِ، هُوَ سُبْحَانَهُ الْفَعَّالُ لِمَا يُرِيدُهُ، لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ، وَلَا يَمْتَنِعُ مِنْهُ شَيْءٌ طَلَبَهُ.

وَلِتَقْرِيرِ بَطْشِهِ سُبْحَانَهُ بِالظَّالمينَ وَجَّهَ الخِطَابَ لِرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ يُسَلِّيهِ بِذَلِكَ عَنْ تَكْذِيبِ قَوْمِهِ قَائِلًا: لَقَدْ أَتَاكَ خَبَرُ الجُمُوعِ المُكَذِّبَةِ لِأَنْبِيَائِهَا، ثُمَّ بَيَّنَهُمْ بِقَولِـهِ: ﴿فِرْعَوْنَ وَثَمُودَ﴾.

فَقَدْ جَاءَكَ خَبَرُهُمْ، وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَنِقْمَتِهِ، وَخَصَّ فِرْعَونَ وَثَمُودَ بِالذِّكْرِ؛ لِأَنَّ ثَمُودَ فِي بِلَادِ الْعَرَبِ، وَقِصَّتُهُمْ مَشْهُورَةٌ عِنْدَ مُشْرِكِي قُرَيْشٍ، وَأَمَّا فِرْعَونُ فَكَانَ مَشْهُورًا عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ وَغَيْرِهِمْ، فَدَلَّ بِهَلَاكِهِمْ عَلَىٰ هَلَاكِ أَمْثَالِهِمْ مِنَ المُكَذِّبِينَ.

وَمِنْهُمْ هَؤُلَاءِ الْمُكَذِّبُونَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ الَّذِينَ لَمْ يُؤْمِنُوا بِمَا جَاءَ بِهِ مِنَ الْقُرْآنِ، فَهُمْ فِي عِنَادٍ وَشَكٍّ وَرَيْبٍ.

وَاللهُ مُحِيطٌ بِمَا يَعْمَلُونَهُ، وَقَادِرٌ عَلَىٰ إِهْلَاكِهِمْ كَمَا أَهْلَكَ الْأُمَمَ الْمُكَذِّبَةَ قَبْلَهُمْ، وَهَذَا الَّذِي كَذَّبُوا بِهِ لَيْسَ كَمَا يَزْعُمُونَ سِحْرًا وَكَهَانَةً، أَوْ حَدِيثًا مُفْتَرَىٰ وَأَسَاطِيرَ الْأَوَّلِينَ، إِنَّمَا هُوَ ﴿قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ﴾ مُتَنَاهٍ فِي الشَّرَفِ، مَكْتُوبٌ ﴿فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ﴾: مَحْفُوظٍ عِنْدَ اللهِ مِنْ وُصُولِ الشَّيَاطِينِ إِلَيْهِ.

●●●

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[١]:

١ - وَفِي الْآيَاتِ: تَهْدِيدُ الظَّلَمَةِ بِالْعَذَابِ؛ عُقُوبَةً فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

٢ - وَفِيهَا: شِدَّةُ بَطْشِهِ جَلَّوَعَلَا بِالظَّلَمَةِ وَالْكُفَّارِ.

٣ - وَفِيهَا: إِثْبَاتُ صِفَةِ المودَّةِ للهِ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ مَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ.

٤ - وَفِيهَا: إِثْبَاتُ صِفَةِ الْعُلُوِّ للهِ تَعَالَىٰ، فَالْعَرْشُ أَعْلَىٰ المَخْلُوقَاتِ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ مُسْتَوٍ عَلَىٰ عَرْشِهِ اسْتِوَاءً يَلِيقُ بِجَلَالِهِ تَعَالَىٰ.

٥ - وَفِيهَا: الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ لِلْكَافِرِينَ.

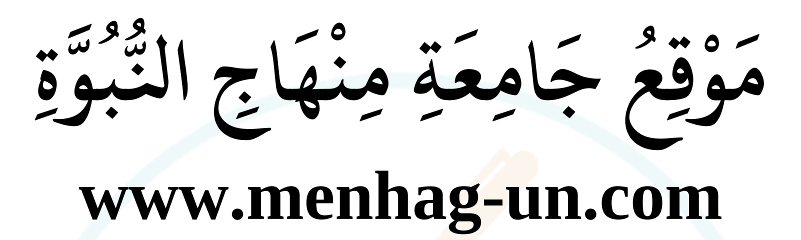
٦ - وَفِيهَا: شَرَفُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَجَلَالُه وَرِفْعَةُ قَدْرِهِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ.

٧ - وَفِيهَا: أَنَّهُ يَجِبُ الْإِيمَانُ بِاللَّوْحِ المَحْفُوظِ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ أَوْدَعَهُ كِتَابَهُ، وَلَيْسَ عَلَيْنَا أَنْ نَبْحَثَ فِيمَا وَرَاءَ ذَلِكَ؛ فَعِلْمُ ذَلِكَ عِنْدَ اللهِ تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ وَحْدَهُ.

●●●

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٥١).



مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَةُ السَّابِعَةُ)

مِنْ مَادَّةِ التَّفْسِيرِ

تفسير جزء عم

[سُورَتِي: الطَّارِقِ، وَالْأَعْلَى]


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بين يدي سورة الطارق

* هَذِهِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ مِنَ السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ، وَهِيَ تُعَالِجُ بَعْضَ الْأُمُورِ الْمُتَعَلِّقَةِ بِالْعَقِيدَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَمِحْوَرُ السُّورَةِ يَدُورُ حَوْلَ الْإِيمَانِ بِالْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، وَقَدْ أَقَامَتِ الْبُرْهَانَ السَّاطِعَ، وَالدَّلِيلَ الْقَاطِعَ عَلَىٰ قُدْرَةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا عَلَىٰ إِمْكَانِ الْبَعْثِ، فَإِنَّ الَّذِي خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنَ الْعَدَمِ قَادِرٌ عَلَىٰ إِعَادَتِهِ بَعْدَ مَوْتِهِ.

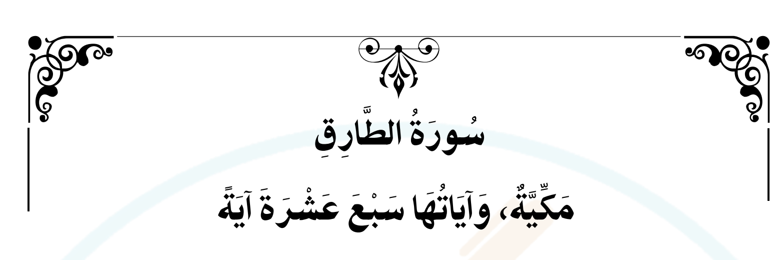
* ابْتَدَأَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِالْقَسَمِ بِالسَّمَاءِ ذَاتِ الْكَوَاكِبِ السَّاطِعَةِ، الَّتِي تَطَّلِعُ لَيْلًا لِتُضِيءَ لِلنَّاسِ سُبُلَهُمْ، لِيَهْتَدُوا بِهَا فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، أَقْسَمَ تَعَالَىٰ عَلَىٰ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ، قَدْ وُكِّلَ بِهِ مَنْ يَحْرُسُهُ، وَيَتَعَهَّدُ أَمْرَهُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣ إِن كُلُّ نَفۡسٖ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٞ﴾ الْآيَاتِ.

* ثُمَّ سَاقَتِ الْأَدِلَّةَ وَالْبَرَاهِينَ، عَلَىٰ قُدْرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، عَلَىٰ إِعَادَةِ الْإِنْسَانِ بَعْدَ فَنَائِهِ ﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ ۝٦ يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ ۝٧ إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ﴾ الْآيَاتِ.

* ثُمَّ أَخْبَرَتْ عَنْ كَشْفِ الْأَسْرَارِ، وَهَتْكِ الْأَسْتَارِ فِي الْآخِرَةِ عَنِ الْبَشَرِ، حَيْثُ لَا مُعِينَ لِلْإِنْسَانِ وَلَا نَصِيرَ ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ ۝٩ فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ﴾.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِالْحَدِيثِ عَنِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، مُعْجِزَةِ مُحَمَّدٍ فِي الْخَالِدَةِ، وَحُجَّتِهِ الْبَالِغَةِ إِلَىٰ النَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَبَيَّنَتْ صِدْقَ هَذَا الْقُرْآنِ، وَأَوْعَدَتِ الْكَفَرَةَ الْمُجْرِمِينَ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ لِتُكَذِّبِهِمْ بِالْقُرْآنِ السَّاطِعِ الْمُنِيرِ ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ الْكَافِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًا﴾.

● ● ●



سُورَةُ الطَّارِقِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا سَبْعَ عَشْرَةَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: ١٠

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴿٩﴾ فَمَا لَهُ مِن قُوَّةٍ وَلَا نَاصِرٍ﴾.





مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿ٱلطَّارِقُ﴾: مَا جَاءَ لَيْلًا، وَالمُرَادُ بِهِ: النَّجْمُ الْبَادِي الظَّاهِرُ فِي اللَّيْلِ.

﴿حَافِظٌ﴾: يَحْفَظُ عَمَلَهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

﴿ٱلصُّلْبِ﴾: عِظَامُ الظَّهْرِ.

﴿تُبْلَى﴾: تُخْتَبَرُ.

﴿أَدْرَىٰكَ﴾: أَعْلَمَكَ، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ﴾: وَمَا أَعْلَمَكَ مَا الطَّارِقُ؟

﴿ٱلثَّاقِبُ﴾: المُضِيءُ.

﴿دَافِقٍ﴾: الدَّافِق: المَدْفُوقُ المَصْبُوبُ.

﴿وَٱلتَّرَآئِبِ﴾: عِظَامُ الصَّدْرِ.

● ● ●



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[(١)]:

فِي سُورَةِ الطَّارِقِ أَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالسَّمَاءِ، وَبِالطَّارِقِ عَلَىٰ أَمْرٍ كَبِيرٍ، بَيَّنَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ الْقَسَمِ، قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾: وَالطَّارِق: كُلُّ مَا يَطْرُقُ وَيَأْتِي لَيْلًا[(٢)]؛ وَسُمِّيَ النَّجْمُ طَارِقًا؛ لِطُلُوعِهِ لَيْلًا.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ[(٣)] ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾: النَّجْمُ: الْمُضِيءُ الَّذِي يَثْقُبُ الظَّلَامَ بِنُورِهِ، وَهُوَ الَّذِي يَثْقُبُ ضَوْءُهُ الظَّلَامَ[(١)]، كَأَنَّ الظَّلَامَ أَدِيمٌ، أَوْ جِلْدٌ أَسْوَدُ، وَالنَّجْمُ يَثْقُبُهُ.

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٣٩٤ - ٣٩٥)، و«فتح القدير» (٥/ ٥١٠)، و«أيسر التفاسير» (٥/ ٥٥٢).

(٢) وَيُؤَيِّدُهُ مَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «**أن النَّبِيَّ ﷺ نَهَىٰ أَنْ يَأْتِيَ الرَّجُلُ أَهْلَهُ طُرُوقًا**»، أخرجه البخاري في (النكاح، ١٢٠، رقم ٥٢٤٣، و٥٢٤٤) وفي مواضع، ومسلم في (الإمارة، باب ٥٦، رقم ٧١٥)، من حديث: جَابِرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أَيْ: يَأْتِيَهُمْ فجأة بالليل، وَفِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ الْمُشْتَمِلِ عَلَىٰ الدُّعَاءِ: «...، **إِلَّا طَارِقًا يَطْرُقُ بِخَيْرٍ، يَا رَحْمَنُ**»، أخرجه أحمد (٣/ ٤١٩، رقم ١٥٤٦٠، و١٥٤٦١)، من حديث: عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ خَنْبَشٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وصححه الألباني في «الصحيحة» (رقم ٨٤٠، و٢٩٩٥).

(٣) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٧٠)، وابن حجر في «تغليق التعليق» (٣/ ٢٠٤)، =

﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ﴾: فَهَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ، فَأَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالسَّمَاءِ وَبِالطَّارِقِ عَلَىٰ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ بِحَالٍ مِنَ الْأَحْوَالِ أَنْ يَغِيبَ شَيْءٌ عَنِ التَّقْيِيدِ وَالتَّسْجِيلِ وَالْحِفْظِ، ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا﴾: إِلَّا عَلَيْهَا[٢]، ﴿حَافِظٌ﴾: مِنَ الملَائِكَةِ يَحْفَظُ عَمَلَهَا[٣].

=

عَنِ ابْنِ عُيَيْنَةَ، قَالَ: «مَا كَانَ فِي القُرْآنِ: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ فَلَمْ يُخْبِرْهُ، وَمَا كَانَ: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ﴾ فَقَدْ أَخْبَرَهُ»، وهو صحيح عنه.

(١) أخرج إبراهيم الحربي في «غريب الحديث» (٢/ ٧٣٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٥٢)، وابن أبي حاتم كما في «الدر» (٨/ ٤٧٤ - ٤٧٦)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: «﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾ يَعْنِي: الْمُضِيءُ»، وهو قول عكرمة، وقتادة، والحسن، وابن زيد.

وقَالَ مُجَاهِدٌ ﴿ٱلنَّجْمُ ٱلثَّاقِبُ﴾: «الْمُتَوَهِّجُ»، أخرجه عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٢٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٥٢)، بإسناد صحيح.

(٢) وهِيَ لُغَةُ هُذَيْلٍ يَجْعَلُونَ «لَمَّا» بِالتَّشْدِيدِ بِمَعْنَىٰ «إِلَّا» يَقُولُونَ: «نَشَدْتُكَ اللهَ لَمَّا قُمْتَ»، أَيْ: إِلَّا قُمْتَ، وهِيَ قراءة أَبُو جَعْفَرٍ، وَابْنُ عَامِرٍ، وَعَاصِمٌ، وَحَمْزَةُ، وهو قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ذكره البخاري معلقا (أحاديث الأنبياء، باب١)، وأخرجه ابن أبي حاتم كما في «تغليق التعليق» (٤/ ٣)، بإسناد صحيح، وهو قول الحسن البصري أيضا، أخرجه الطبري (٢٤/ ٣٥٢)، بإسناد صحيح، وزاد: «**وهكذا كلّ شيءٍ في القرآن بالتثقيل**».

وَقَرَأَ الْبَاقُونَ «لَمَا» بِالتَّخْفِيفِ، بمعنىٰ: «إِنَّ كُلَّ نَفْسٍ لَعَلَيْهَا حَافِظٌ مِنْ رَبِّهَا»، علىٰ أن اللام جواب «إن»، و«ما» التي بعدها صلة، واختاره الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٥٣).

(٣) وهو قول ابن عباس، وقتادة، «تفسير الطبري» (٢٤/ ٣٥٣).

﴿فَلۡيَنظُرِ ٱلۡإِنسَٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝٥ خُلِقَ مِن مَّآءٖ دَافِقٖ﴾: أَيْ مِنْ مَاءٍ ذِي انْدِفَاقٍ[١]، وَهُوَ بِمَعْنَىٰ: مَدْفُوقٍ[٢]، أَيْ: مَصْبُوبٍ فِي الرَّحِمِ.

﴿يَخۡرُجُ مِنۢ بَيۡنِ ٱلصُّلۡبِ وَٱلتَّرَآئِبِ﴾: وَالصُّلْب: عَظْمُ الظَّهْرِ مِنَ الرَّجُلِ، وَالتَّرَائِب: هِيَ عِظَامُ الصَّدْرِ، وَمَوْضِعُ الْقِلَادَةِ مِنَ الصَّدْرِ[٣].

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ﴾: إِنَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ إِعَادَةِ الْإِنْسَانِ بِالْبَعْثِ بَعْدَ الموْتِ لَقَادِرٌ[٤].

﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾: أَيْ: تُخْتَبَرُ، وَتُعْرَفُ السَّرَائِرُ، وَهِيَ مَا يُسِرُّ النَّاسُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْعَقَائِدِ، وَالنِّيَّاتِ وَغَيْرِهَا، وَالسَّرَائِرُ: جَمْعُ سَرِيرَةٍ كَالسِّرِّ.

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣١١).

(٢) قَالَ الْفَرَّاءُ في «معاني القرآن» (٣/ ٢٥٥): «وَأَهْلُ الْحِجَازِ يَجْعَلُونَ الْفَاعِلَ بِمَعْنَىٰ: الْمَفْعُولِ فِي كَثِيرٍ مِنْ كَلَامِهِمْ، كَقَوْلِهِ: (عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ)، أَيْ: مَرْضِيَّةٍ، وَقَوْلِهِمْ: (سِرٌّ كَاتِمٌ)، أَيُّ: مَكْتُومٌ، وَ(همٌّ ناصب)، أَيْ: مَنْصُوبٌ، وَنَحْوَ ذَلِكَ».

(٣) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٥٤)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٧٥)، والضياء في «المختارة» (١٢/ ١١٠، رقم ١٣٤)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: «**التَّرَائِبُ: مَوْضِعُ الْقِلَادَةِ**»، وهو قول عكرمة، وقتادة، وسعيد بن جبير، وابن زيد، والسدي، واختاره ابن جرير الطبري (٢٤/ ٣٥٦)، وغيره.

(٤) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٥٨)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، في قَوْله: ﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ لَقَادِرٞ﴾، قال: «**إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ عَلَىٰ بَعْثِهِ وَإِعَادَتِهِ قَادِرٌ**»، وهو قول جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، واختاره الطبري وغيره؛ لِقَوْلِهِ: ﴿يَوۡمَ تُبۡلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾، أي: «تظْهَر الْخَفَايَا».

﴿إِنَّهُۥ عَلَىٰ رَجۡعِهِۦ﴾: عَلَىٰ إِعَادَتِهِ بِالْبَعْثِ بَعْدَ أَنْ مَاتَ، وَصَارَ تُرَابًا ﴿لَقَادِرٌ﴾، وَذَلِكَ يَوْمَ تُخْتَبَرُ، وَتُعْرَفُ السَّرَائِرُ، وَيُخْرَجُ مَا فِي الْقُلُوبِ مِنَ الْعَقَائِدِ وَالنِّيَّاتِ.

﴿فَمَا لَهُۥ مِن قُوَّةٖ وَلَا نَاصِرٖ﴾: ﴿فَمَا لَهُۥ﴾: أَيْ: فَمَا لِلْإِنْسَانِ يَوْمَئِذٍ مِنْ قُوَّةٍ، وَلَا نَاصِرٍ، فَمَا لِلْإِنْسَانِ مِنْ قُوَّةٍ فِي نَفْسِهِ يَمْتَنِعُ بِهَا مِنَ الْعَذَابِ، وَلَيْسَ لَهُ نَاصِرٌ يُنْقِذُهُ مِمَّا نَزَلَ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ.

﴿فَمَا لَهُۥ﴾: فَمَا لِلْإِنْسَانِ يَوْمَ تُبْلَىٰ السَّرَائِرُ، يَوْمَ يُرْجِعُ اللهُ الْخَلْقَ إِلَيْهِ، فَمَا لِلْإِنْسَانِ يَوْمَئِذٍ مِنْ قُوَّةٍ مِنْ ذَاتِهِ هُوَ يَدْفَعُ بِهَا الْعَذَابَ، ﴿وَلَا نَاصِرٖ﴾: وَلَيْسَتْ لَهُ قُوَّةٌ مِنْ غَيْرِهِ تُنْقِذُهُ مِمَّا نَزَلَ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ.

***

الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

أَقْسَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِالسَّمَاءِ، وَأَقْسَمَ بِالطَّارِقِ، وَللهِ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، أَمَّا المَخْلُوقُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِغَيْرِ اللهِ تَعَالَىٰ، «وَمَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ»(١).

---

(١) أخرجه أبو داود في (الأيمان والنذور، باب ٦، رقم ٣٢٥١)، والترمذي في (النذور والأيمان، باب ٨، رقم ١٥٣٥)، وأحمد (٢/ ١٢٥)، والحاكم في «المستدرك» (١/ ١٨، رقم ٤٥) (١/ ٥٢، رقم ١٦٩)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٠/ رقم ١٩٨٢٩)، من طريق: الْحَسَنِ بْنِ عُبَيْدِ اللهِ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ، قَالَ: سَمِعَ ابْنُ عُمَرَ، رَجُلًا يَحْلِفُ: لَا وَالْكَعْبَةِ، فَقَالَ لَهُ ابْنُ عُمَرَ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، يَقُولُ: «**مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ أَشْرَكَ**».

قال البيهقي: «وهذا مما لم يسمعه سعد بن عبيدة من ابن عمر»، بينهما الكندي، وهو: مجهول.

فقد أخرجه أحمد (٢/ ٦٩، و ٨٦، و ١٢٥)، والطحاوي في «المشكل» (٢/ رقم ٨٣٠، ٨٣١)، وأبو نعيم في «الحلية» (٩/ ٢٥٣)، والبيهقي في «الكبرىٰ» (١٠/ رقم ١٩٨٣٠)، من طرق: عَنْ مَنْصُورٍ، عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ قَالَ: كُنْتُ جَالِسًا عِنْدَ ابْنِ عُمَرَ، فَجِئْتُ سَعِيدَ بْنَ الْمُسَيِّبِ، وَتَرَكْتُ عِنْدَهُ رَجُلًا مِنْ كِنْدَةَ، فَجَاءَ الْكِنْدِيُّ مُرَوَّعًا، فَقُلْتُ: مَا وَرَاءَكَ؟، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَىٰ ابْنِ عُمَرَ آنِفًا فَقَالَ: أَحْلِفُ بِالْكَعْبَةِ، فَقَالَ: «**احْلِفْ بِرَبِّ الْكَعْبَةِ، فَإِنَّ عُمَرَ كَانَ يَحْلِفُ بِأَبِيهِ**»، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَحْلِفْ بِأَبِيكَ، فَإِنَّهُ مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ، فَقَدْ أَشْرَكَ**».

=

وَأَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالسَّمَاءِ، وَأَقْسَمَ بِالطَّارِقِ، ثُمَّ فَسَّرَ الطَّارِقَ، فَسَّرَهُ بِأَنَّهُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ، وَهَذَا النَّجْمُ هُوَ الشِّهَابُ الَّذِي يُرْجَمُ بِهِ[1].

وَالْمُرَادُ بِهِ هُنَا: جِنْسُ النُّجُومِ، ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ﴾: وَإِنَّمَا سُمِّيَ النَّجْمُ طَارِقًا؛ لِأَنَّهُ يَبْدُو فِي اللَّيْلِ، كَمَا يُقَالُ لِمَنْ يَأْتِي إِلَىٰ النَّاسِ لَيْلًا: طَارِقٌ.

إِذَنْ، فَقَدْ أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِكُلِّ سَمَاءٍ، وَبِكُلِّ نَجْمٍ، ﴿إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ مِنْ رَبِّهَا يَحْفَظُهَا، وَيَحْفَظُ عَمَلَهَا، وَيُحْصِي عَلَيْهَا مَا تَكْسِبُ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَهُمُ الْحَفَظَةُ مِنَ الْمَلَائِكَةِ.

=

قال الطحاوي: «فَوَقَفْنَا عَلَىٰ أَنَّ مَنْصُورَ بْنَ الْمُعْتَمِرِ قَدْ زَادَ فِي إِسْنَادِ هَذَا عَنْ سَعْدِ بْنِ عُبَيْدَةَ رَجُلًا مَجْهُولًا بَيْنَهُ وَبَيْنَ ابْنِ عُمَرَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ، فَفَسَدَ بِذَلِكَ إِسْنَادُهُ».

وقال الألباني في «الإرواء» (٢٥٦١): «وهذا إسناد صحيح إن سلم من الانقطاع».

وأما الحاكم فقال: ««هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَىٰ شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَيْسَ لَهُ عِلَّةٌ!، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، وقال: «وَإِنَّمَا أَوْدَعْتُهُ كِتَابَ الْإِيمَانِ لِلَفْظِ الشِّرْكِ فِيهِ.

فَأَمَّا الشَّيْخَانِ فَإِنَّمَا أَخْرَجَاهُ، مِنْ حَدِيثِ سَالِمٍ وَنَافِعٍ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ دِينَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ لِعُمَرَ: «**إِنَّ اللهَ يَنْهَاكُمْ أَنْ تَحْلِفُوا بِآبَائِكُمْ**» فَقَطْ، وَهَذَا غَيْرُ ذَاكَ»، قلت: أخرجه البخاري في (الأيمان، باب٤، رقم ٦٦٤٦، و٦٦٤٧، و٦٦٤٨) وفي مواضع، ومسلم في (الأيمان، باب١، رقم ١٦٤٦).

(١) وهو قول إِسْمَاعِيلُ بنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّدِّيُّ، أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٨)، بإسناد صحيح، عَنِ السُّدِّيِّ، فِي قَوْلِهِ: ﴿شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ [الصافات: ١١]، قَالَ: «**شِهَابٌ مُضِيءٌ يُحْرِقُهُ حِينَ يُرْمَىٰ بِهِ**».

وَهَذِهِ الْآيَةُ هِيَ جَوَابُ الْقَسَمِ، ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ﴾: فَأَقْسَمَ اللهُ تَعَالَىٰ بِالسَّمَاءِ -بِجِنْسِ السَّمَاءِ-، وَأَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالطَّارِقِ -بِجِنْسِ النُّجُومِ-، ثُمَّ فَسَّرَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الطَّارِقَ بِأَنَّهُ النَّجْمُ الثَّاقِبُ الَّذِي يَثْقُبُ سَوَادَ اللَّيْلِ بِضَوْئِهِ.

فَأَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِذَلِكَ عَلَىٰ شَيْءٍ، وَالْمُقْسَمُ عَلَيْهِ هُوَ قَوْلُهُ جَلَّ وَعَلَا: ﴿إِن كُلُّ نَفۡسٍ لَّمَّا عَلَيۡهَا حَافِظٌ﴾، فَلَنْ يَغِيبَ مِنْكُمْ شَيْءٌ، وَكُلُّ شَيْءٍ مَسْطُورٌ مَكْتُوبٌ عَلَيْكُمْ، مِمَّا تَكْسِبُونَهُ مِنَ الخَيْرِ وَالشَّرِّ، يَكْتُبُهُ المَلَائِكَةُ.

ثُمَّ نَبَّهَ سُبْحَانَهُ الْإِنْسَانَ، وَأَرْشَدَهُ لِلتَّدَبُّرِ فِي أَصْلِ خَلْقِهِ؛ حَتَّىٰ يَعْلَمَ أَنَّ مَنْ أَنْشَأَهُ قَادِرٌ عَلَىٰ إِعَادَتِهِ وَمُجَازَاتِهِ.

وَنَبَّهَهُ أَيْضًا إِلَىٰ أَنَّ مَنْ كَانَ عَلَيهِ حَفَظَةٌ يَحْفَظُونَ عَلَيهِ أَعْمَالَهُ فَجَدِيرٌ بِهِ أَلَّا يُمْلِيَ عَلَىٰ حَافِظِهِ -الَّذِي يُسَجِّلُ عَلَيهِ كُلَّ مَا يَقُولُ وَيَفْعَلُ- جَدِيرٌ بِهِ أَلَّا يُمْلِيَ عَلَيْهِ إِلَّا مَا يَسُرُّهُ فِي عَاقِبَتِهِ أَنْ يَرَاهُ.

وَأَوْضَحَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْإِنْسَانَ مَخْلُوقٌ مِنْ مَاءٍ، وَهُوَ المَنِيُّ الضَّعِيفُ الدَّفُوقُ فِي الرَّحِمِ، الْخَارِجُ مِنْ بَيْنِ صُلْبِ الرَّجُلِ وَتَرَائِبِ المَرْأَةِ.

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَىٰ إِرْجَاعِ الْإِنْسَانِ بَعْدَ الموْتِ، وَذَلِكَ بَعْدَ الْبَعْثِ، فَمَعْرُوفٌ بِبَدَاهَةِ الْعُقُولِ أَنَّ مَنْ قَدَرَ عَلَىٰ الْإِنْشَاءِ مِنْ هَذَا الْأَصْلِ

الضَّعِيفِ قَدَرَ عَلَىٰ الْإِعَادَةِ، وَالْإِرْجَاعِ إِلَىٰ الحَيَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَهُوَ الْيَوْمُ الَّذِي تُمْتَحَنُ فِيهِ السَّرَائِرُ، وَتَظْهَرُ فِيهِ خَفَايَا الصُّدُورِ، وَتَبْدُو فِيهِ مَكْنُونَاتُ الْأَنْفُسِ.

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَظِيمِ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ مِنْ نَاصِرٍ يَنْصُرُهُ، وَلَيْسَتْ لَدَيْهِ قُوَّةٌ تَمْنَعُهُ مِنْ عَذَابِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

***





مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ:

١- وَفِي الْآيَاتِ: بَيَانُ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَنْ يُتْرَكَ سُدًىٰ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يُخْلَقْ عَبَثًا.

٢- وَفِي الْآيَاتِ: تَقْرِيرُ المَعَادِ، وَالْبَعْثِ، وَالجَزَاءِ.

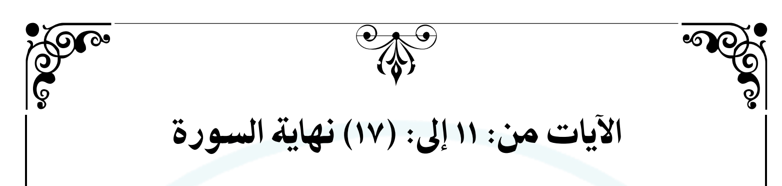
٣- وَفِيهَا: وُجُوبُ الْإِيمَانِ بِالملَائِكَةِ الحَفَظَةِ الْكَاتِبِينَ الَّذِينَ يُحْصُونَ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ مَا لَهُ وَمَا عَلَيْهِ.

فَعَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَتَأَمَّلَ، وَيَتَفَكَّرَ فِي بَدْءِ خَلْقِ اللهِ تَعَالَىٰ لَهُ، وَأَنَّ مَنْ خَلَقَهُ مِنْ ضَعْفٍ قَادِرٌ عَلَىٰ إِعَادَتِهِ بَعْدَ الموْتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعَالمينَ؛ لِلْجَزَاءِ وَالْحِسَابِ.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: ظُهُورُ مَكْنُونَاتِ الصُّدُورِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

٥- وَفِيهَا: بَيَانُ ضَعْفِ الْإِنْسَانِ عَنِ الدِّفَاعِ عَنْ نَفْسِهِ حَيْثُ لَا يَمْلِكُ لِنَفْسِهِ حَوْلًا وَلَا قُوَّةً.

⦿⦿⦿



الآيات من: ١١ إلى: (١٧) نهاية السورة



﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ ﴿١١﴾ وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ ﴿١٢﴾ إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾ إِنَّهُمۡ يَكِيدُونَ كَيۡدٗا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيۡدٗا ﴿١٦﴾ فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾.



مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿ٱلرَّجۡعِ﴾: المَطَرُ؛ لِرُجُوعِهِ، وَعَوْدِهِ كُلَّ حِينٍ.

﴿ٱلصَّدۡعِ﴾: الشَّقُّ بِالنَّبَاتِ.

﴿فَصۡلٞ﴾: حَقٌّ يَفْصِلُ بَيْنَ الحَقِّ وَالْبَاطِلِ، ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾: يَفْصِلُ بَيْنَ الحَقِّ وَالْبَاطِلِ، فَفِي الخُصُومَاتِ يَقْطَعُهَا بِالحُكْمِ الحَاسِمِ الجَازِمِ.

﴿بِٱلۡهَزۡلِ﴾: بِاللَّعِبِ، وَبِالْبَاطِلِ، ﴿وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ﴾.

﴿يَكِيدُونَ كَيۡدٗا﴾: يُخَاتِلُونَ النَّبِيَّ ﷺ(١)، يُرِيدُونَ خِدَاعَهُ ﷺ، وَيَمْكُرُونَ بِهِ.

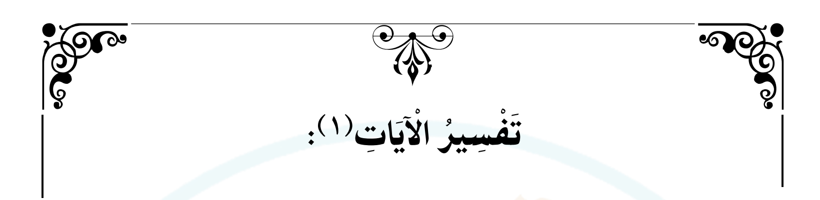
﴿وَأَكِيدُ كَيۡدٗا﴾: أَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ.

﴿فَمَهِّلِ﴾: فَتَأَنَّ، وَأَنْظِرْ.

﴿فَمَهِّلِ ٱلۡكَٰفِرِينَ أَمۡهِلۡهُمۡ رُوَيۡدَۢا﴾: أَيْ زَمَنًا قَلِيلًا.

•••

(١) «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣١٣).



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[(١)]:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾: فَأَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالسَّمَاءِ ذَاتِ المَطَرِ.

﴿ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾: ذَاتِ المَطَرِ؛ لِرُجُوعِهِ كُلَّ حِينٍ[(٢)]، وَالرَّجْعُ مِنْ أَسْمَاءِ المَطَرِ.

وَأَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ، ﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾: أَيِ الَّتِي تَتَصَدَّعُ، وَتَتَشَقَّقُ بِالنَّبَاتِ.

أَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالسَّمَاءِ ذَاتِ المَطَرِ، وَبِالْأَرْضِ الَّتِي تَتَشَقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهَا النَّبَاتُ عَلَىٰ أَمْرٍ كَبِيرٍ.

﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ﴾: يَفْصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَفِي الْخُصُومَاتِ يَقْطَعُهَا بِالحُكْمِ الحَازِمِ.

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٥٣).

(٢) أخرج ابن وهب في «تفسيره من الجامع» (١/ رقم ٢٧٩)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٥٧١)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٦٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ رقم ٧٤٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٢٠، رقم ٣٩١٩)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾، قَالَ: «**ذَاتِ الْمَطَرِ**»، وعلقه البخاري في «التاريخ الكبير» (٨/ ترجمة ٢٩٣٠)، وفي رواية الطبري: «**ذَاتِ السَّحَابِ فِيهِ الْمَطَرُ**»، والمعنىٰ متقارب، وهو قول عكرمة، ومجاهد، وقتادة، والحسن، والضحاك، وأكثر المفسرين.

﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ﴾: وَمَا هُوَ بِاللَّعِبِ وَلَا الْبَاطِلِ، بَلْ هُوَ الجِدُّ كُلُّ الجِدِّ.

﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾: يَعْمَلُونَ المَكَائِدَ لِلنَّبِيِّ ﷺ.

ثُمَّ هَدَّدَهُمُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿وَأَكِيدُ كَيْدًا﴾: وَأَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ؛ لِيَقَعُوا فِي المَكْرُوهِ، فَإِذَا وَقَعُوا فِيهِ أَخَذْتُهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ.

﴿فَمَهِّلِ ٱلْكَٰفِرِينَ أَمْهِلْهُمْ رُوَيْدًۢا﴾: رُوَيْدًا: أَيْ زَمَنًا قَلِيلًا، وَقَدْ أَخَذَهُمُ اللهُ تَعَالَىٰ فِي بَدْرٍ، وَجَعَلَهُمْ نَكَالًا.

● ● ●

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

أَقْسَمَ تَعَالَىٰ بِالسَّمَاءِ الَّتِي يَنْزِلُ مِنْهَا المَطَرُ؛ لِأَنَّهُ يَرْجِعُ وَيَتَكَرَّرُ، وَيُقْسِمُ تَعَالَىٰ بِالْأَرْضِ ذَاتِ الانْشِقَاقِ عَنِ النَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَالْأَنْهَارِ وَالْعُيُونِ.

وَفِي هَذَا خِطَابٌ لِلْعَرَبِ بِمَا يُشَاهِدُونَهُ، وَللهِ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، أَمَّا المَخْلُوقُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِغَيْرِ اللهِ، وَجَوَابُ الْقَسَمِ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾، فَأَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ، وَبِالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ عَلَىٰ مُقْسَمٍ بِهِ، وَهُوَ: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ﴾، فَيَفْصِلُ اللهُ بِهِ بَيْنَ الحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَلَيْسَ بِاللَّعِبِ وَلَا بِالْبَاطِلِ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ عَنِ الْكُفَّارِ: ﴿إِنَّهُمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا﴾: يَكِيدُونَ لِلرَّسُولِ ﷺ وَلِلْأُمَّةِ، وَيُدَبِّرُونَ مَا يُدَبِّرُونَ مِنْ مَكْرٍ بِلَيْلٍ؛ مِنْ أَجْلِ أَنْ يُحْبِطُوا أَمْرَ الدِّينِ، وَأَنْ يُذْهِبُوا سَنَاهُ، وَنُورَهُ عَنِ الْعَالمِينَ، وَهَيْهَاتَ إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَسْتَدْرِجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ؛ حَتَّىٰ يُحْبِطَ عَمَلَهُمْ، وَحَتَّىٰ يُهْلِكَهُمْ.

ثُمَّ أَمَرَ اللهُ الرَّسُولَ ﷺ أَلَّا يَعْجَلَ بِالدُّعَاءِ عَلَيْهِمْ فِي طَلَبِ هَلَاكِهِمْ، وَأَمَرَهُ تَعَالَىٰ أَنْ يُمْهِلَهُمْ إِمْهَالًا قَلِيلًا، فَسَوْفَ يَحُلُّ بِهِمُ الْعَذَابُ لَا مَحَالَةَ.

● ● ●



مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ:

١- وَفِي الْآيَاتِ: شَرَفُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَفِي الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ مَا فِيهِ مِنَ المَعَانِي الجَلِيلَةِ، وَالحِكَمِ الرَّشِيدَةِ، وَالتَّوْجِيهِ السَّدِيدِ.

فَبَيَّنَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ شَرَفَ الْقُرْآنِ، وَعظَمَتَهُ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ، وَبَيَّنَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ يَنْبَغِي لِقَارِئِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَسَامِعِهِ؛ يَنْبَغِي لَهُمَا إِجْلَالُهُ، وَالتَّرَفُّعُ بِهِ عَنِ اللَّهْوِ وَالْهَزْلِ، وَاللَّعِبِ؛ إِكْرَامًا لَهُ وَتَعْظِيمًا.

٢- وَفِي الْآيَاتِ: الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ لِلْكَافِرِينَ.

٣- وَفِيهَا أَنَّ الْقُرْآنَ قَوْلٌ فَصْلٌ، لَيْسَ فِيهِ مِنَ الْبَاطِلِ شَيْءٌ، وَقَدْ عَرَفَ النَّاسُ ذَلِكَ يَقِينًا بِمُرُورِ الزَّمَنِ، وَقَدْ رَأَوا أَنْبَاءَهُ تَتَحَقَّقُ فِي الحَيَاةِ، فَمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْغُيُوبِ رَأَوْهُ قَائِمًا كَمَا نَصَّ عَلَيهِ[1].

فَبَيَّنَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أَنَّ الْقُرْآنَ قَوْلٌ فَصْلٌ، لَيْسَ فِيهِ مِنَ الْهَزْلِ شَيْءٌ.



(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٥٥).

بَيْنَ يَدَيْ سُورَةِ الْأَعْلَى

* سُورَةُ الْأَعْلَىٰ مِنَ السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ، وَهِيَ تُعَالِجُ بِاخْتِصَارٍ الْمَوَاضِيعَ الْآتِيَةَ:

١- الذَّاتَ الْعَلِيَّةَ وَبَعْضَ صِفَاتِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَالدَّلَائِلَ عَلَىٰ الْقُدْرَةِ وَالْوَحْدَانِيَّةِ.

٢- الْوَحْيَ وَالْقُرْآنَ الْمُنَزَّلَ عَلَىٰ خَاتَمِ الرُّسُلِ ﷺ وَتَيْسِيرَ حِفْظِهِ عَلَيْهِ.

٣- الْمَوْعِظَةَ الْحَسَنَةَ الَّتِي يَنْتَفِعُ بِهَا أَهْلُ الْقُلُوبِ الْحَيَّةِ، وَيَسْتَفِيدُ مِنْهَا أَهْلُ السَّعَادَةِ وَالْإِيمَانِ.

* ابْتَدَأَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِتَنْزِيهِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، الَّذِي خَلَقَ فَأَبْدَعَ، وَصَوَّرَ فَأَحْسَنَ، وَأَخْرَجَ الْعُشْبَ، وَالنَّبَاتَ، رَحْمَةً بِالْعِبَادِ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ① ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ ② وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ الْآيَاتِ.

ثُمَّ تَحَدَّثَتْ عَنِ الْوَحْيِ وَالْقُرْآنِ، وَآنَسَتِ الرَّسُولَ ﷺ بِالْبِشَارَةِ بِتَحْفِيظِهِ هَذَا الْكِتَابَ الْمَجِيدَ، وَتَيْسِيرِ حِفْظِهِ عَلَيْهِ، بِحَيْثُ لَا يَنْسَاهُ أَبَدًا ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ ⑥ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ﴾.

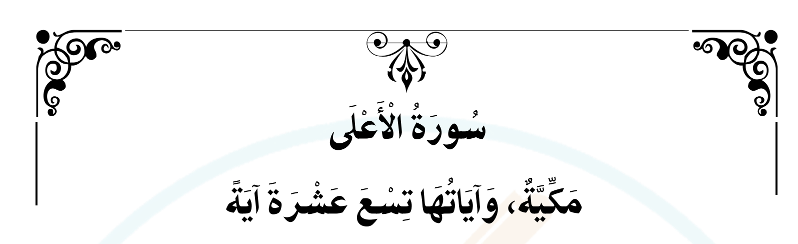
* ثُمَّ أَمَرَتْ بِالتَّذْكِيرِ بِهَذَا الْقُرْآنِ، الَّذِي يَسْتَفِيدُ مِنْ نُورِهِ الْمُؤْمِنُونَ، وَيَتَّعِظُ بِهَدْيِهِ الْمُتَّقُونَ، ﴿فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾ وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى﴾ الْآيَاتِ.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ بِبَيَانِ فَوْزِ مَنْ طَهَّرَ نَفْسَهُ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْآثَامِ، وَزَكَّاهَا بِصَالِحِ الْأَعْمَالِ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾ إِلَىٰ نِهَايَةِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ.

فَائِدَةٌ:

رَوَىٰ الْبُخَارِيُّ عَنِ الْبَرَاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «أَوَّلُ مَنْ قَدِمَ عَلَيْنَا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ وَابْنُ أُمِّ مَكْتُومٍ، فَجَعَلَا يُقْرِآنِنَا الْقُرْآنَ، ثُمَّ جَاءَ عَمَّارٌ، وَبِلَالٌ، وَسَعْدٌ، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ فِي عِشْرِينَ -أَيْ: مِنَ الْمُهَاجِرِينَ-، ثُمَّ جَاءَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَمَا رَأَيْتُ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَرِحُوا بِشَيْءٍ فَرَحَهُمْ بِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، حَتَّىٰ رَأَيْتُ الْوَلَائِدَ وَالصِّبْيَانَ يَقُولُونَ: هَذَا رَسُولُ اللهِ قَدْ جَاءَ، فَمَا جَاءَ حَتَّىٰ قُرِأَتْ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ فِي سُوَرٍ مِثْلِهَا» الْبُخَارِيُّ كِتَابُ التَّفْسِيرِ.





سُورَةُ الأَعْلَى

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا تِسْعَ عَشْرَةَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: ١٣

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى (١) ٱلَّذِي خَلَقَ فَسَوَّىٰ (٢) وَٱلَّذِي قَدَّرَ فَهَدَىٰ (٣) وَٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ (٤) فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ (٥) سَنُقۡرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ (٦) إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ (٧) وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ (٨) فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ (٩) سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ (١٠) وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى (١١) ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ (١٢) ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحۡيَىٰ﴾.

• • •

مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿سَبِّحِ﴾: نَزِّهْ رَبَّكَ.

﴿فَسَوَّىٰ﴾: جَعَلَ مَخْلُوقَهُ فِي أَحْسَنِ هَيْئَةٍ.

﴿ٱلْمَرْعَىٰ﴾: الْعُشْبُ، وَمَا تَرْعَاهُ الْأَنْعَامُ مِنَ النَّبَاتِ.

﴿غُثَآءً﴾: جَافًّا هَشِيمًا.

﴿أَحْوَىٰ﴾: أَسْوَدَ، يَابِسًا.

﴿وَنُيَسِّرُكَ﴾: نُيَسِّرُكَ: نُوَفِّقُكَ.

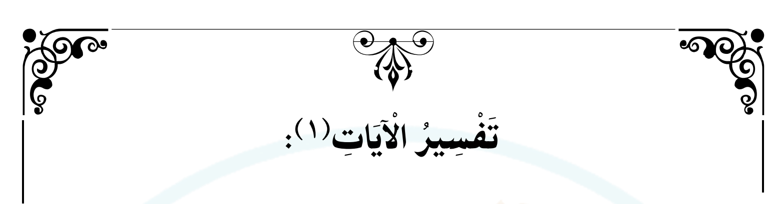
﴿لِلْيُسْرَىٰ﴾: الْيُسْرَىٰ: الشَّرِيعَةُ السَّمْحَةُ السَّهْلَةُ.

﴿ٱلذِّكْرَىٰ﴾: الْعِظَةُ.

﴿يَخْشَىٰ﴾: يَخَافُ اللهَ تَعَالَىٰ.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا﴾: يَتْرُكُهَا جَانِبًا، وَلَا يَلْتَفِتُ إِلَيْهَا.

●●●



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

ذَكَرَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ فِيمَا أَوْحَىٰ إِلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ سُورَةَ الْأَعْلَىٰ، فَقَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾: الْأَعْلَىٰ: أَيْ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ، وَهُوَ الْقَاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَلَهُ الْعُلُوُّ؛ عُلُوُّ الذَّاتِ، وَعُلُوُّ الصِّفَةِ، وَعُلُوُّ الْقَدْرِ.

﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾: نَزِّهِ اسْمَ رَبِّكَ أَنْ يُسَمَّىٰ بِهِ غَيْرُهُ، وَأَنْ يُذْكَرَ بِسُخْرِيَةٍ أَوْ لَعِبٍ، أَيْ: لَا يُذْكَرُ اسْمُ اللهِ إِلَّا بِإِجْلَالٍ وَإِكْبَارٍ، وَنَزِّهْ رَبَّكَ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ مِنَ الشِّرْكِ، وَالصَّاحِبَةِ، وَالْوَلَدِ، وَالنَّظِيرِ، وَالشَّبِيهِ، فَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

﴿ٱلَّذِى خَلَقَ فَسَوَّىٰ﴾: خَلَقَ الإِنْسَانَ مُسْتَوِيًا(٢)، فَعَدَّلَ قَامَتَهُ، وَسَوَّىٰ فَهْمَهُ، وَهَيَّأَهُ لِلتَّكْلِيفِ، وَأَحْسَنَ اللهُ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ، وَسَوَّاهُ، وَفَطَرَهُ.

﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلىٰ: ٣](٣).

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٥٥ - ٥٥٦)، و«فتح القدير» (٥/ ٥١٤ - ٥١٦).

(٢) «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣١٥).

(٣) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٦٩)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾، قَالَ: «**هَدَىٰ الْإِنْسَانَ لِلشِّقْوَةِ وَالسَّعَادَةِ، وَهَدَىٰ الْأَنْعَامَ لِمَرَاتِعِهَا**».

قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٣٧٩): «وَهَذِهِ الْآيَةُ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ إِخْبَارًا عَنْ مُوسَىٰ أَنَّهُ قَالَ لِفِرْعَوْنَ: ﴿رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه:٥٠] أَيْ: قَدَّرَ قَدْرًا، وَهَدَىٰ =

﴿وَٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلۡمَرۡعَىٰ﴾: وَالمَرْعَىٰ: الْعُشْبُ، وَمَا تَرْعَاهُ الْأَنْعَامُ مِنَ النَّبَاتِ.

﴿فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحۡوَىٰ﴾: وَالْغُثَاءُ: الهَشِيمُ الجَافُّ، فَجَعَلَهُ هَشِيمًا بَعْدَ أَنْ كَانَ أَخْضَرَ، فَاسْوَدَّ بَعْدَ اِخْضِرَارِهِ.

﴿سَنُقۡرِئُكَ﴾: الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ، ﴿فَلَا تَنسَىٰٓ﴾: الْقُرْآنَ بِإِذْنِنَا ﴿إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾: إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يُنَسِّيكَهُ، فَإِنَّكَ تَنْسَاهُ.

وَذَلِكَ إِذَا أَرَادَ اللهُ تَعَالَىٰ نَسْخَ شَيْءٍ مِنَ الْقُرْآنِ بِلَفْظِهِ، فَإِنَّهُ يُنَسِّي فِيهِ رَسُولَ اللهِ ﷺ لِما نُسِخَ مِنَ الْقُرْآنِ(١).

﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ وَمَا يَخۡفَىٰ﴾: وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ، وَمَا تُبْدُونَ، وَمَا تُخْفُونَ، فَلَا يَخْفَىٰ عَلَيهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ، وَلَا فِي السَّمَاءِ، وَهُوَ الْعَلِيمُ الْخَبِيرُ.

﴿وَنُيَسِّرُكَ لِلۡيُسۡرَىٰ﴾: أَيْ لِلشَّرِيعَةِ السَّهْلَةِ السَّمْحَةِ(٢)، وَهِيَ الْإِسْلَامُ الْعَظِيمُ.

﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾: فَعِظْ بِالْقُرْآنِ النَّاسَ، وَأَرْشِدْهُمْ إِلَىٰ سُبُلِ الْخَيْرِ، وَاهْدِهِمْ إِلَىٰ شَرَائِعِ الدِّينِ، حَيْثُ نَفَعَتِ الذِّكْرَىٰ.

فَأَمَّا مَنْ ذُكِّرَ، وَبُيِّنَ لَهُ الْحَقُّ بِجَلَاءٍ، فَاتَّبَعَ هَوَاهُ، وَأَصَرَّ عَلَىٰ الْعِصْيَانِ؛ فَلَا حَاجَةَ إِلَىٰ تَذْكِيرِهِ، وَهَذَا فِي تَكْرِيرِ الدَّعْوَةِ، أَمَّا الدُّعَاءُ الْأَوَّلُ فَعَامٌّ، ﴿فَذَكِّرۡ إِن

=

الْخَلَائِقَ إِلَيْهِ». اهـ.

(١) وهو قول مجاهد، وقتادة، واختاره ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٧١).

(٢) عزاه الماوردي في «تفسيره» (٦/ ٢٥٤) للضحاك.

نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ﴾: الدُّعَاءُ إِلَىٰ دِينِ الإِسْلَام، وَالدَّعْوَةُ إِلَيْهِ عَامٌّ لِكُلِّ أَحدٍ، وَأَمَّا تَكْرِيرُ الدَّعْوَةِ فَهِيَ الَّتِي تُقْصَدُ هَاهُنَا، الدَّعْوَةُ الَّتِي تُكَرَّرُ.

﴿فَذَكِّرۡ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكۡرَىٰ ۝٩ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخۡشَىٰ﴾: سَيَتَّعِظُ بِوَعْظِكَ مَنْ يَخْشَىٰ اللهَ، فَيَزْدَادُ بِالتَّذْكِيرِ خَشْيَةً وَصَلَاحًا.

﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلۡأَشۡقَى﴾: وَسَيَتَجَنَّبُ الذِّكْرَىٰ، وَيَبْعُدُ عَنْهَا الْأَشْقَىٰ مِنَ الْكُفَّارِ.

﴿ٱلَّذِي يَصۡلَى ٱلنَّارَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾: أَيِ الْعَظِيمَةَ الْفَظِيعَةَ، وَالنَّارُ الصُّغْرَىٰ: نَارُ الدُّنْيَا[1]، وَنَارُ الدُّنْيَا جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ الْآخِرَةِ كَمَا قَالَ الرَّسُولُ ﷺ[2].

﴿ثُمَّ لَا يَمُوتُ فِيهَا﴾: فَيَسْتَرِيحُ مِمَّا هُوَ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ، ﴿وَلَا يَحۡيَىٰ﴾: حَيَاةً يَنْتَفِعُ بِهَا، لَا يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ، وَلَا يَحْيَا فَيَهْنَأُ.

⁂

(١) قاله يحيىٰ بن سلام كما في «التفسير» لابن أبي زمنين (٥/ ١٢١)، وعزاه غير واحد للحسن البصري رحمه الله، وقال الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٥٦): «**النَّارُ الْكُبْرَىٰ: هِيَ السُّفْلَىٰ مِنْ أَطْبَاقِ النَّارِ**».

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» في (بدء الخلق، ١٠: ٨، رقم ٣٢٦٥)، ومسلم في «صحيحه» في (صفة الجنة، ١٢: ٢ و٣، رقم ٢٨٤٣)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ، قَالَ: «**نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي يُوقِدُ ابْنُ آدَمَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا، مِنْ حَرِّ جَهَنَّمَ**» قَالُوا: وَاللهِ إِنْ كَانَتْ لَكَافِيَةً، يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «**فَإِنَّهَا فُضِّلَتْ عَلَيْهَا بِتِسْعَةٍ وَسِتِّينَ جُزْءًا، كُلُّهَا مِثْلُ حَرِّهَا**».

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

أَمَرَ سُبْحَانَهُ رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَقُولَ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَىٰ»(١)، ثُمَّ وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ خَلَقَ الخَلَائِقَ، وَسَوَّىٰ كُلَّ مَخْلُوقٍ فِي أَحْسَنِ هَيْئَةٍ.

وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ الْإِنْسَانُ جَعَلَهُ مُسْتَوِيًا، وَعَدَّلَ قَامَتَهُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ قَدَّرَ الخَيْرَ وَالشَّرَّ، وَقَدَّرَ السَّعَادَةَ لِأَقْوَامٍ، وَالشَّقَاءَ لِآخَرِينَ، ثُمَّ هَدَىٰ كُلَّ فَرِيقٍ مِنَ الطَّائِفَتَيْنِ إِلَىٰ مَا قَدَّرَ لَهُ أَوْ عَلَيْهِ.

وَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي أَنْبَتَ الْعُشْبَ، وَمَا تَرْعَاهُ الْأَنْعَامُ، قَدَّرَهُ أَلْوَانًا بَيْنَ أَخْضَرَ، وَأَصْفَرَ، وَأَحْمَرَ، وَأَبْيَضَ، وَجَعَلَهُ بَعْدَ الخُضْرَةِ وَالانْتِعَاشِ ذَابِلًا مُتَهَالِكًا أَسْوَدَ، فَالْعُشْبُ إِذَا ذَبُلَ، وَتَكَسَّرَ اسْوَدَّ.

ثُمَّ وَجَّهَ الْخِطَابَ إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ قَائِلًا: إِنَّهُ سَوْفَ يُقْرِئُهُ قِرَاءَةً لَا يَنْسَاهَا، وَتِلْكَ مُعْجِزَةٌ لَهُ ﷺ، فَقَدْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أُمِّيًّا لَا يَكْتُبُ، وَمَعَ ذَلِكَ كَانَ لَا يَنْسَىٰ

---

(١) أخرج أبو داود في «سننه» في (الصلاة، ١٥٠: ١، رقم ٨٦٩)، وابن ماجه في «سننه» في (إقامة الصلاة، ٢٠: ١، رقم ٨٨٧)، من حديث: عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رضي الله عنه، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ﴾ [الواقعة: ٧٤]، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**اجْعَلُوهَا فِي رُكُوعِكُمْ**»، فَلَمَّا نَزَلَتْ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾، قَالَ: «**اجْعَلُوهَا فِي سُجُودِكُمْ**».

قال الألباني في «المشكاة» (رقم ٨٧٩): «وإسناده محتمل للتحسين».

مَا يَقْرَؤُهُ لَهُ جِبْرِيلُ مِنَ الْقُرْآنِ؛ لِوَعْدِ اللهِ بِعَدَمِ النِّسْيَانِ إِلَّا مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يُنَسَّاهُ مِمَّا نُسِخَتْ تِلَاوَتُهُ مِنَ الْقُرْآنِ، فَلَا عَلَيْهِ أَنْ يُنَسَّاهُ وَيَتْرُكَهُ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ يُوَفِّقُهُ وَيَشْرَعُ لَهُ الشَّرِيعَةَ الْيُسْرَىٰ السَّمْحَةَ السَّهْلَةَ.

وَأَمَرَهُ سُبْحَانَهُ بِالتَّذْكِيرِ وَالْمَوْعِظَةِ بِالْقُرْآنِ فِي الْمَوَاضِعِ الَّتِي تَنْفَعُ فِيهَا الذِّكْرَىٰ، وَإِنَّمَا يَنْتَفِعُ بِالْمَوْعِظَةِ مَنْ يَخْشَىٰ قَلْبُهُ اللهَ، وَيَبْتَعِدُ عَنْهَا الشَّقِيُّ الَّذِي يَدْخُلُ النَّارَ الْكُبْرَىٰ، فَيَصْلَىٰ بِحَرِّهَا وَعَذَابِهَا.

وَسَمَّاهَا كُبْرَىٰ بِالنَّظَرِ لِنَارِ الدُّنْيَا، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَارُكُمْ هَذِهِ الَّتِي تُوقِدُونَ جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ**»(١).

فَإِذَا دَخَلَ هَذَا الشَّقِيُّ النَّارَ فَهُوَ مُضْطَرِبٌ، مُبَلْبَلٌ؛ حَيْثُ لَا يَمُوتُ فَيَسْتَرِيحُ مِنْ عَنَاءِ الْعَذَابِ، وَلَا يَحْيَا حَيَاةً طَيِّبَةً تَنْفَعُهُ، وَإِنَّمَا هُوَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ.

●●●

(١) تقدم تخريجه.



مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[١]:

١- فِي الْآيَاتِ: وُجُوبُ تَسْبِيحِ اِسْمِ اللهِ، وَوُجُوبُ تَنْزِيهُهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِهِ، وَوُجُوبُ تَنْزِيهِ ذَاتِ اللهِ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَكَمَالِهِ.

٢- وَفِي الْآيَاتِ: مَشْرُوعِيَّةُ قَوْلِ: «سُبْحَانَ رَبِّيَ الْأَعْلَىٰ» عِنْدَ قِرَاءَةِ هَذِهِ الْآيَةِ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: الْأَمْرُ بِالثَّنَاءِ عَلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ.

٤- وَفِيهَا: تَنْزِيهُهُ عَمَّا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ.

٥- وَفِي الْآيَاتِ: إِثْبَاتُ قُدْرَتِهِ تَعَالَىٰ.

٦- وَفِيهَا: الْبِشَارَةُ لِلرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ أَنَّ اللهَ سَيُعَلِّمُهُ عِلْمًا لَا يَنْسَاهُ، وَسَيُيَسِّرُ لَهُ شَرِيعَتَهُ.

٧- وَفِي الْآيَاتِ: الْأَدَبُ فِي نَشْرِ الْعِلْمِ وَالْمَوَاعِظِ، وَأَلَّا يُبْذَلُ ذَلِكَ إِلَّا لِمَنْ يَنْتَفِعُ بِهِ.

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٥٧).

٨- وَفِي الْآيَاتِ: شِدَّةُ عَذَابِ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ اتِّبَاعِ الشَّرِيعَةِ، وَجَانَبَ الهُدَىٰ وَالدِّينَ.

●●●



الآيات من: ١٤ إلى: (١٩) نهاية السورة

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧ إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾.



مَعَانِي الْكَلِمَاتِ:

﴿أَفۡلَحَ﴾: فَازَ، وَظَفِرَ بِالمَقْصُودِ.

﴿تَزَكَّىٰ﴾: تَطَهَّرَ مِنَ الشِّرْكِ، وَالمَعَاصِي.

﴿تُؤۡثِرُونَ﴾: تُفَضِّلُونَ.

﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾: أَدْوَم.

●●●



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾: قَدْ أَفْلَحَ: فَازَ بِأَنْ نَجَا مِنَ النَّارِ، وَدَخَلَ الجَنَّةَ، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ تَزَكَّىٰ: تَطَهَّرَ بِالإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ بَعْدَ التَّخَلِّي عَنِ الشِّرْكِ وَالمَعَاصِي(٢).

﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ﴾: فِي كُلِّ أَحَايِينِهِ، فَذَكَرَ اِسْمَ رَبِّهِ عِنْدَ أَكْلِهِ وَشُرْبِهِ، وَعِنْدَ قِيَامِهِ وَنَوْمِهِ، وَفِي الصَّلَاةِ وَخَارِجَ الصَّلَاةِ، وَفِي التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ، وَالتَّهْلِيلِ وَالتَّكْبِيرِ، ﴿وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ﴾: أَيِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، وَصَلَّىٰ النَّوَافِلَ مِنْ رَوَاتِبَ، وَغَيْرِهَا(٣).

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٥٨).

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٧٣)، وابن أبي حاتم كما في «الدر» (٨/ ٤٨٤)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (رقم ٢٠٥)، عن ابن عباس، قوله: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ﴾، يقول: «**مَنْ تَزَكَّىٰ من الشرك**»، وهو صحيح عنه، وروي نحوه عن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مرفوعا، ولا يصح، وهو قول الحسن، وقتادة، وعطاء، وعكرمة.

(٣) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٧٥)، وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٤٨٤)، بإسناد صحيح، عن ابن عباس، قوله: ﴿فَصَلَّىٰ﴾، يقول: «**صلَّىٰ الصلوات الخمس**»، واختاره ابن جرير الطبري.

﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا﴾: ﴿بَلۡ تُؤۡثِرُونَ﴾: بَلْ تُقَدِّمُونَ، وَتُفَضِّلُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ.

﴿وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾: ﴿وَأَبۡقَىٰٓ﴾: وَأَدْوَمُ.

﴿إِنَّ هَٰذَا﴾: يَعْنِي قَوْلَهُ تَعَالَىٰ: ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ١٤ وَذَكَرَ ٱسۡمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ١٥ بَلۡ تُؤۡثِرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ١٦ وَٱلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ ١٧ إِنَّ هَٰذَا﴾: يُشِيرُ إِلَىٰ مَا مَرَّ[(١)]، ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾: ثُمَّ فَسَّرَهَا تَعَالَىٰ بِقَوْلِهِ: ﴿صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ﴾: وَهِيَ عَشْرُ صُحُفٍ ﴿صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾: يَعْنِي التَّوْرَاةَ.

● ● ●

---

(١) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٢٣)، والبزار في «مسنده» (٣/ ٨٠، رقم ٢٢٨٥/ كشف الأستار)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠/ ٣٣٣، رقم ١١٦٠٤)، وابن عدي في «الكامل» (٧/ ٧٥ - ٧٦، ترجمة ١٥٢٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٧٦)، والإسماعيلي في «معجمه» (١/ ٤٨٤، ترجمة ١٣٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٣٧، و٤٢٦، و٤٧٠، رقم ٢٩٣٠، و٣٥٩١، و٣٧٥٤)، من طريق: عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ﴾، يَقُولُ: «**إِنَّ هَذِهِ السُّورَةَ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَىٰ**».

وأخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٧٦)، بإسناد صحيح، عن عكرمة، قوله، وهو قول أبو العالية، وقتادة، واختاره ابن جرير الطبري.



المَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

يَذْكُرُ تَعَالَىٰ أَنَّ الْفَوْزَ لِمَنْ تَطَهَّرَ مِنَ الشِّرْكِ وَالذُّنُوبِ، وَأَدَامَ الذِّكْرَ لِرَبِّهِ، وَدَاوَمَ عَلَىٰ أَدَاءِ الصَّلَوَاتِ المَكْتُوبَةِ؛ اِبْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَامْتِثَالًا لِأَمْرِهِ، وَحَافَظَ عَلَيْهَا فِي أَوْقَاتِهَا.

ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ مِنْ طَبْعِ النُّفُوسِ تَقْدِيمَ الْعَاجِلِ عَلَىٰ الْآجِلِ مَعَ مَا فِي الْآجِلِ مِنَ الخَيْرِ وَالْفَلَاحِ، وَالمُرَادُ بِالْعَاجِلِ: الدُّنْيَا. وَبِالْآجِلِ: الْآخِرَةُ. وَإِيثَارُ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ خَطَأٌ وَاضِحٌ، وَخَطَأٌ عَظِيمٌ.

ذَكَرَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ أَنَّ فَلَاحَ المُتَزَكِّي وَالمُصَلِّي، وَأَنَّ إِيثَارَ الخَلْقِ دُنْيَاهُمْ عَلَىٰ آخِرَتِهِمْ مَعَ أَنَّ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لَهُمْ وَأَبْقَىٰ؛ كُلُّ ذَلِكَ مَذْكُورٌ فِي كُتُبِ الْأَنْبِيَاءِ المُتَقَدِّمِينَ، وَهِيَ المَعْنِيَّةُ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾.



مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ:

١- فِي الْآيَاتِ[1]: التَّرْغِيبُ فِي الزَّكَاةِ، وَالذِّكْرِ وَالصَّلَاةِ، وَيَحْصُلُ هَذَا لِلْمُسْلِمِ كُلَّ عِيدِ فِطْرٍ؛ إِذْ يُخْرِجُ زَكَاةَ الْفِطْرِ، وَلَا يَأْتِي المُصَلَّىٰ إِلَّا وَهُوَ يُكَبِّرُ، ثُمَّ يُصَلِّي، حَتَّىٰ إِنَّ بَعْضَهُمْ يَرَىٰ أَنَّ هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِي ذَلِكَ.

٢- وَفِي الْآيَاتِ: وَعْدُ مَنِ امْتَثَلَ أَوَامِرَ رَبِّهِ، وَأَدَّىٰ الصَّلَوَاتِ المَفْرُوضَةَ، فِيهَا، وَوَعْدُهُ لِهَذَا بِالْفَوْزِ وَالْفَلَاحِ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: التَّزْهِيدُ فِي الدُّنْيَا.

٤- وَفِيهَا: أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ جَعَلَ هَذِهِ الدُّنْيَا فَانِيَةً، وَجَعَلَ الْآخِرَةَ هِيَ الْبَاقِيَةَ.

٥- وَفِي الْآيَاتِ: عِتَابُ مَنْ قَدَّمَ دُنْيَاهُ عَلَىٰ آخِرَتِهِ.

٦- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّ دِينَ اللهِ وَاحِدٌ، وَالرِّسَالَاتُ كُلُّهَا تُرْشِدُ لِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ، وَسَعَادَةِ الْبَشَرِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَإِنِ اخْتَلَفَتِ الشَّرَائِعُ، وَكَيْفِيَّةُ الْعِبَادَةِ.

فَدِينُ اللهِ وَاحِدٌ، وَمَا جَاءَ بِهِ الْمُرْسَلُونَ إِنَّمَا هُوَ الْأَمْرُ بِتَوْحِيدِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وَصَرْفُ الْعِبَادَةِ لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ.

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٥٩).

وَأَمَّا الشَّرَائِعُ فَإِنَّهَا تَخْتَلِفُ بِاخْتِلَافِ الْأُمَمِ، فَقَدْ نُسِخَتْ تِلْكَ الشَّرَائِعُ كُلُّهَا، نَسَخَتْهَا شَرِيعَةُ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَلَا دِينَ إِلَّا دِينُهُ، وَلَا طَرِيقَ إِلَّا طَرِيقُهُ.

● ● ●


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com



يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَةُ الثَّامِنَةُ)

مِنْ مَادَّةِ التَّفْسِيرِ

تفسير جزء عم

[سُورَتَيِ: الْغَاشِيَةِ، وَالْفَجْرِ]


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com



بَيْنَ يَدَيْ سُورَةِ الْغَاشِيَةِ

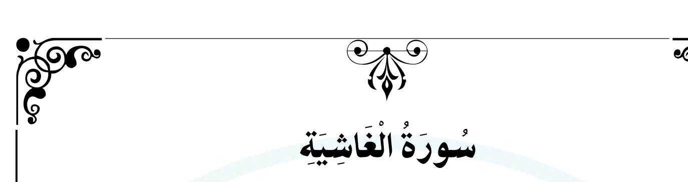
* سُورَةُ الْغَاشِيَةِ مَكِّيَّةٌ، وَقَدْ تَنَاوَلَتْ مَوْضُوعَيْنِ أَسَاسِيَّيْنِ وَهُمَا:

١ - الْقِيَامَةُ وَأَحْوَالُهَا وَأَهْوَالُهَا، وَمَا يَلْقَاهُ الْكَافِرُ فِيهَا مِنَ الْعَنَاءِ وَالْبَلَاءِ، وَمَا يَلْقَاهُ الْمُؤْمِنُ فِيهَا مِنَ السَّعَادَةِ وَالْهَنَاءِ ﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ۝٣ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً﴾ الْآيَاتِ.

٢ - الْأَدِلَّةُ وَالْبَرَاهِينُ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَقُدْرَتِهِ الْبَاهِرَةِ، فِي خَلْقِ الْإِبِلِ الْعَجِيبَةِ وَالسَّمَاءِ الْبَدِيعَةِ، وَالْجِبَالِ الْمُرْتَفِعَةِ، وَالْأَرْضِ الْمُمْتَدَّةِ الْوَاسِعَةِ، وَكُلُّهَا شَوَاهِدُ عَلَىٰ وَحْدَانِيَّةِ اللهِ وَجَلَالِ سُلْطَانِهِ: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ۝١٧ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ۝١٨ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ۝١٩ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ الْآيَاتِ.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِالتَّذْكِيرِ بِرُجُوعِ النَّاسِ جَمِيعًا إِلَىٰ اللهِ سُبْحَانَهُ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.





سُورَةُ الْغَاشِيَةِ

مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا سِتٌّ وَعِشْرُونَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: ١٦

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾ لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ ﴿٧﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ ﴿٨﴾ لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ﴿٩﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿١٠﴾ لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً ﴿١١﴾ فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾ فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ ﴿١٣﴾ وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾ وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾.

● ● ●



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

يَقُولُ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا **فِي** «**سُورَةِ الْغَاشِيَةِ**»(١): ﴿**هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ**﴾: قَالَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ: ﴿**هَلْ**﴾ هُنَا بِمَعْنَىٰ: قَدْ؛ أَيْ: قَدْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ.

وَالْغَاشِيَةُ: الْقِيَامَةُ؛ لِأَنَّهَا تَغْشَىٰ الْخَلَائِقَ بِأَهْوَالِهَا(٢).

وَقِيلَ: إِنَّ بَقَاءَ ﴿**هَلْ**﴾ هُنَا عَلَىٰ مَعْنَاهَا الاسْتِفْهَامِيِّ الْمُتَضَمِّنِ لِلتَّعْجِيبِ مِمَّا فِي خَبَرِهِ، وَالتَّشْوِيقِ إِلَىٰ اسْتِمَاعِهِ أَوْلَىٰ(٣)، فَقَوْلَانِ:

---

(١) «فتح القدير» (٥/ ٥٢٠).

(٢) أخرج إبراهيم الحربي في «غريب الحديث» بَابُ: (غش) (٢/ ٦٥٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٨١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٨/ ٤٩٠)، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: ﴿ٱلْغَٰشِيَةِ﴾: «**الْقِيَامَةُ**»، وهو قول قتادة، والضحاك، وابن زيد، واختاره الشوكاني، وعزاه لأَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ.

(٣) ويؤيده ما رُوي عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ، قَالَ: مَرَّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَىٰ امْرَأَةٍ تَقْرَأُ: ﴿**هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ**﴾، فَقَامَ يَسْمَعُ، وَيَقُولُ: «**نَعَمْ قَدْ جَاءَنِي**»، أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٤٢٠)، من طريق: أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ عَمْرِو بْنِ مَيْمُونٍ،...به، مرسلا، وأخرجه موصولا أبو طاهر السلفي في «الطيوريات» (٢/ رقم ٦٦٢)، من حديث: ابْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه، والحديث لا يصح.

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾:

١- أَيْ: قَدْ جَاءَ يَا مُحَمَّدُ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ، فَـ﴿هَلۡ﴾: بِمَعْنَىٰ: قَدْ.

٢- الْقَوْلُ الثَّانِي: أَنَّ ﴿هَلۡ﴾ عَلَىٰ أَصْلِهَا الاسْتِفْهَامِيِّ، وَذَلِكَ مِنْ أَجْلِ التَّشْوِيقِ، وَمِنْ أَجْلِ التَّعْجِيبِ مِمَّا فِي الْخَبَرِ.

﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ﴾: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ﴾: التَّنْوِينُ فِي ﴿يَوۡمَئِذٍ﴾: تَنْوِينُ عِوَضٍ عَنِ الْمُضَافِ إِلَيهِ؛ أَيْ: وُجُوهٌ يَوْمَ غَشَيَانِ الْغَاشِيَةِ خَاشِعَةٌ.

﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ﴾: ﴿عَامِلَةٞ﴾: تَعْمَلُ عَمَلًا شَاقًّا، وَهُوَ جَرُّ السَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ، وَالْخَوْضُ فِي النَّارِ. ﴿نَّاصِبَةٞ﴾: تَعِبَة[1].

يَقُولُ رَبُّنَا تَبَارَكَوَتَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ: هَلْ أَتَاكَ يَا مُحَمَّدُ خَبَرُ الْقِيَامَةِ الَّتِي تَغْشَىٰ النَّاسَ بِأَهْوَالِهَا، ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ﴾.

﴿تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ﴾: تَدْخُلُ نَارًا مُتَنَاهِيَةً فِي الْحَرَارَةِ.

---

(١) أخرج ابن أبي الدنيا في «صفة النار» (رقم ١٢٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٨٢)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «طبقات المحدثين» (٢/ ٢٠٣)، بإسناد صحيح، عَنِ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ۝٢ عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ﴾، قَالَ: «**لَمْ تَخْشَعْ لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا فَأَخْشَعَهَا وَأَنْصَبَهَا فِي النَّارِ، فَذَلِكَ عَمَلُهَا**»، وروي نحوه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهو قول قتادة، وسعيد بن جبير، والضحاك، وابن زيد، ومقاتل، واختاره الشوكاني.

﴿تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ آنِيَةٍ﴾: ﴿آنِيَةٍ﴾: أَيْ مُتَنَاهِيَةٍ فِي الْحَرَارَةِ.

﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾: وَالضَّرِيعُ: نَوْعٌ مِنَ الشَّوْكِ، يُقَالُ لَهُ: الشِّبْرِقُ(١)، فَإِذَا يَبِسَ فَهُوَ الضَّرِيعُ(٢).

﴿لَّا يُسْمِنُ﴾: ذَلِكَ الطَّعَامُ، ﴿وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾ [الغاشية: ٧].

وَالتَّدَرُّجُ هَاهُنَا فِيهِ مِنَ النِّكَايَةِ بِهِمْ، وَالزِّرَايَةِ عَلَيْهِمْ مَا فِيهِ؛ لِأَنَّ النَّفْيَ إِنَّمَا جَاءَ عَلَىٰ هَذَا النَّحْوِ ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ﴾، ثُمَّ اسْتَثْنَىٰ ﴿إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ۝٦ لَّا يُسْمِنُ﴾: قَدْ يَقُولُ قَائِلٌ: إِنَّهُ إِذَا كَانَ لَا يُسْمِنُ فَهُوَ يُغْنِي مِنْ جُوعٍ، فَنَفَىٰ ذَلِكَ أَيْضًا ﴿لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِن جُوعٍ﴾.

---

(١) (**الشِّبْرِقُ**) بكسر الشين والراء، علىٰ وزن: (فِعْلِل) كـ(زِبْرِجٍ): نَبْتٌ حِجَازِيٌّ يُؤْكَلُ وَلَهُ شَوْكٌ، وَإِذَا يَبِس سُمِّي: (**الضَّرِيعُ**)، انظر: «شمس العلوم» (٦/ ٣٣٦٤)، و«لسان العرب» (١٠/ ١٧٢) مادة: (شبرق)، و«القاموس المحيط» باب القاف، فصل الشين (١/ ٨٩٦).

(٢) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٢٤)، وهناد بن السري في «الزهد» (٢٦٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٨٤)، والبيهقي في «البعث والنشور» (رقم ٥٥٣)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿ضَرِيعٍ﴾، قَالَ: «**الشِّبْرِقُ الْيَابِسُ**»، وذكره معلقا البخاري في «صحيحه» في (كِتَابُ تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ، سُورَةُ ٨٨)، وروي نحوه عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهو قول عكرمة، وقتادة، وأبو الجوزاء، وشريك بن عبد الله، وابن زيد، وعزاه الشوكاني لِجُمْهُورِ أَهْلِ اللُّغَةِ وَالتَّفْسِيرِ.

«وُجُوهُ الْكُفَّارِ يَوْمَئِذٍ ذَلِيلَةٌ بِالْعَذَابِ، مُجْهَدَةٌ بِالْعَمَلِ، تَعِبَةٌ، يُصِيبُهَا مَا يُصِيبُهَا مِنْ نَارٍ شَدِيدَةِ التَّوَهُّجِ، تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ شَدِيدَةِ الحَرَارَةِ، لَيْسَ لِأَصْحَابِ النَّارِ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ نَبْتٍ ذِي شَوْكٍ لَاصِقٍ بِالْأَرْضِ، وَهُوَ مِنْ شَرِّ الطَّعَامِ وَأَخْبَثِهِ، لَا يُسْمِنُ بَدَنَ صَاحِبِهِ مِنَ الهُزَالِ، وَلَا يَسُدُّ جُوعَهُ وَرَمَقَهُ»(١).

﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاعِمَةٌ﴾: نَاعِمَةٌ: ذَاتُ نِعْمَةٍ وَبَهْجَةٍ، وَهِيَ وُجُوهُ الْمُؤْمِنِينَ.

﴿لِّسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ﴾: لِعَمَلِهَا الَّذِي عَمِلَتْهُ فِي الدُّنْيَا رَاضِيَةٌ.

﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ﴾: عَالِيَةٍ فِي قَدْرِهَا، وَعَالِيَةٍ فِي مَكَانِهَا، فَهِيَ عَالِيَةُ الْمَكَانِ وَالمَكَانَةِ، ﴿لَّا تَسْمَعُ﴾ أَيُّهَا الْمُخَاطَبُ ﴿فِيهَا لَٰغِيَةً﴾؛ كَلِمَةَ لَغْوٍ أَوْ بَاطِلٍ.

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ﴾: وَالمُرَادُ بِالْعَيْنِ: الْعُيُونُ تَجْرِي مِيَاهُهَا، وَتَتَدَفَّقُ بِأَنْوَاعِ الْأَشْرِبَةِ الْمُسْتَلَذَّةِ.

﴿فِيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَةٌ﴾: عَالِيَةٌ مُرْتَفِعَةٌ فِي سَمْكِهَا، مُرْتَفِعَةٌ فِي قَدْرِهَا.

﴿وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ﴾: وَالْأَكْوَابُ: جَمْعُ كُوبٍ، وَهُوَ الْقَدَحُ الَّذِي لَا عُرْوَةَ لَهُ، وَمَوْضُوعَةٌ: أَيْ بَيْنَ أَيْدِهِمْ يَشْرَبُونَ مِنْهَا.

﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ﴾: وَالنَّمَارِقُ: جَمْعُ نُمْرُقَةٍ، وَهِيَ الوِسَادَةُ، فَالنَّمَارِقُ أَيِ: الْوَسَائِدُ مَصْفُوفَةٌ.

---

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٢).

﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ﴾: وَالزَّرَابِيُّ: الطَّنَافِسُ، وَالْبُسُطُ الْعِرَاضُ الْفَاخِرَةُ.

﴿مَبْثُوثَةٌ﴾: أَيْ: كَثِيرَةٌ(١)، مَبْسُوطَةٌ(٢)، وَمُفَرَّقَةٌ فِي المَجَالِسِ(٣).

«وُجُوهُ المُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَاتُ نِعْمَةٍ؛ لِسَعْيِهَا فِي الدُّنْيَا بِالطَّاعَاتِ، رَاضِيَةٌ فِي الْآخِرَةِ، فِي جَنَّةٍ رَفِيعَةِ المَكَانِ وَالمَكَانَةِ، لَا تَسْمَعُ فِيهَا كَلِمَةَ لَغْوٍ وَاحِدَةٍ، فِيهَا عَينٌ تَتَدَفَّقُ مِيَاهُهَا.

فِيهَا سُرُرٌ عَالِيَةٌ فِي مَكَانِهَا وَمَكَانَتِهَا، وَأَكْوَابٌ مُعَدَّةٌ لِلشَّارِبِينَ، وَوَسَائِدُ مَصْفُوفَةٌ، الْوَاحِدَةُ جَنْبَ الْأُخْرَىٰ، وَفِيهَا بُسُطٌ كَثِيرَةٌ مَفْرُوشَةٌ»(٤).

● ● ●

---

(١) «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٢٥٨).

(٢) وهو قول قتادة، أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٨٨)، بإسناد صحيح.

(٣) «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٦٢)، و«غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٤٥١).

(٤) «التفسير الميسر» (ص٥٩٢).

الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

يُخَاطِبُ اللهَ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ قَائِلًا: قَدْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ، وَهِيَ الْقِيَامَةِ؛ سُمِّيَتْ بِذَلِكَ لِأَنَّهَا تَغْشَىٰ كُلَّ شَيْءٍ بِأَهْوَالِهَا.

فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تَكُونُ بَعْضُ الْوُجُوهِ ذَلِيلَةً لِمَا اعْتَرَىٰ أَصْحَابَهَا مِنَ الْخِزْيِ وَالْهَوَانِ، وَهِيَ وُجُوهُ الْكُفَّارِ(١)، عَامِلَةٌ فِي الدُّنْيَا بِالمَعَاصِي، نَاصِبَةٌ فِي الْآخِرَةِ بِالنَّارِ، تَعِبَةٌ تُعَانِي.

أَصْحَابُ هَذِهِ الْوُجُوهِ يَصْلَوْنَ نَارًا حَارَّةً، هِيَ أَشَدُّ مَا تَكُونُ فِي الحَرَارَةِ، وَيَشْرَبُونَ مِنْ عَيْنٍ مُتَنَاهِيَةٍ فِي حَرَارَتِهَا، أَمَّا طَعَامُهُمْ فَلَيْسَ لَهُمْ فِي جَهَنَّمَ سِوَىٰ شَجَرِ الشَّوْكِ مِنْ شَرِّ الطَّعَامِ وَأَبْشَعِهِ، قَدِ انْتَفَتْ مِنْهُ مَنْفَعَةُ الطَّعَامِ، فَلَا هُوَ بِالَّذِي يُفِيدُ الْجِسْمَ، وَلَا هُوَ بِالَّذِي يَدْفَعُ الجُوعَ.

وَبَعْدَ أَنْ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ حَالَ الْكُفَّارِ وَحَيَاتَهُمْ فِي الجَحِيمِ، ذَكَّرَ المُؤْمِنِينَ بِحَالِهِمْ فِي النَّعِيمِ، فَقَالَ: إِنَّ المُؤْمِنِينَ فِي حَالَةٍ مِنَ النَّعِيمِ يَبْدُو أَثَرُهَا عَلَيْهِمْ، وَذَلِكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِينَ يَدْخُلُونَ الجَنَّةَ رَاضِينَ فِيهَا بِالنَّعِيمِ الَّذِي حَصَلُوا عَلَيْهِ،

(١) وهو قول مقاتل، ورواية عن ابن عباس، واختاره الشوكاني في «فتح القدير» (٥/ ٥٢١).

ثُمَّ أَخَذَ يُفَصِّلُ فِي أَلْوَانِ النَّعِيمِ، فَذَكَرَ أَنَّهُمْ فِي جِنَانٍ رَفِيعَةٍ عَالِيَةِ الْقَدْرِ، لَا يُسْمَعُ فِيهَا كَلِمَةُ لَغْوٍ، وَلَا يُسْمَعُ فِيهَا بَاطِلٌ بِحَالٍ، بَلْ فِيهَا الْعُيُونُ الْجَارِيَةُ الْمُتَدَفِّقَةُ فِي غَيْرِ أُخْدُودٍ.

وَفِيهَا السُّرُرُ الْعَالِيَةُ النَّاعِمَةُ كَثِيرَةُ الْفُرُشِ، وَفِيهَا أَوَانِي الشُّرْبِ مُعَدَّةٌ لِمَنْ أَرَادَهَا مِنَ الشَّارِبِينَ، وَفِيهَا الْوَسَائِدُ مَصْفُوفَةٌ بَعْضُهَا إِلَىٰ جَنْبِ بَعْضٍ، وَفِيهَا الْبُسُطُ الْعِرَاضُ الْفَاخِرَةُ مَبْسُوطَةٌ، وَمُتَفَرِّقَةٌ فِي الْمَجَالِسِ؛ لِكَثْرَتِهَا وَوَفْرَتِهَا.

***

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[١]:

١- تَقْرِيرُ عَقِيدَةِ الْبَعْثِ، وَالجَزَاءِ بِذِكْرِ عَرْضٍ سَرِيعٍ لَهَا.

٢- فِي الْآيَاتِ: بَيَانُ شِدَّةِ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمِنْ أَسْمَاءِ الْقِيَامَةِ «الْغَاشِيَةُ»؛ لِأَنَّهَا تَغْشَىٰ النَّاسَ بِأَهْوَالِهَا.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: انْقِسَامُ النَّاسِ إِلَىٰ قِسْمَينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَعَ بَيَانِ مَا يُعَانِيهِ أَهْلُ الشَّقَاوَةِ مِنْ شِدَّةِ الْعَذَابِ وَالنَّكَالِ، وَبَيَانُ مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ مِنَ النَّعِيمِ، وَالْبَهْجَةِ، وَالسُّرُورِ.

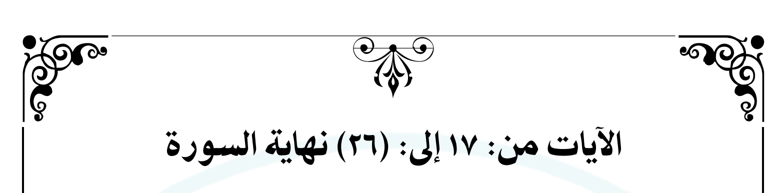
٤- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّ مِمَّا يُؤْلِمُ النَّفْسَ الْإِنْسَانِيَّةَ لَغْوُ الْكَلَامِ وَكَذِبُهُ وَبَاطِلُهُ، وَهُوَ مَا يُنَزَّهُ عَنْهُ الْمُؤْمِنُونَ فِي الجَنَّةِ، كَمَا بَيَّنَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا فِي الْآيَاتِ الَّتِي مَرَّتْ.

● ● ●

---

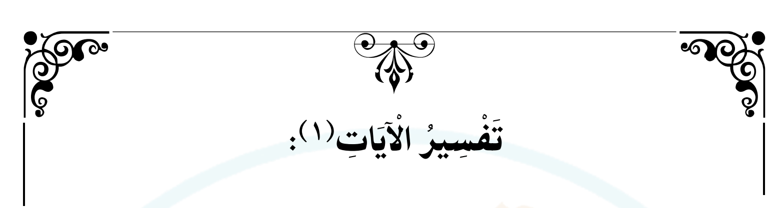
(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٦١).





الآيات من: ١٧ إلى: (٢٦) نهاية السورة

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾ فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾.



تَفْسِيرُ الآيَاتِ[١]:

قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾: وَالاسْتِفْهَامُ؛ لِلتَّقْرِيعِ وَالتَّوْبِيخِ، وَالسِّيَاقُ لِتَقْرِيرِ أَمْرِ الْبَعْثِ، وَالاسْتِدْلَالِ عَلَيهِ.

﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ﴾: كَيْفَ خُلِقَتْ عَلَىٰ مَا هِيَ عَلَيهِ مِنَ الْخَلْقِ الْبَدِيعِ، مِنْ عِظَمِ جُثَّتِهَا، وَمَزِيدِ قُوَّتِهَا، وَبَدِيعِ أَوْصَافِهَا.

﴿وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ﴾: فَوْقَ الْأَرْضِ بِلَا عَمَدٍ، عَلَىٰ وَجْهٍ لَا يَنَالُهُ الْفَهْمُ، وَلَا يُدْرِكُهُ الْعَقْلُ.

﴿وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ﴾: عَلَىٰ الْأَرْضِ مُرْسَاةً رَاسِخَةً، لَا تَمِيدُ وَلَا تَمِيلُ وَلَا تَزُولُ، وَقَدْ أُقِيمَتْ بِهَذَا الشَّكْلِ الْبَدِيعِ.

﴿وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾: كَيْفَ بُسِطَتْ؟

«أَفَلَا يَنْظُرُونَ -الْكَافِرُونَ الْمُكَذِّبُونَ- إِلَىٰ الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ هَذَا الْخَلْقَ الْعَجِيبَ، وَإِلَىٰ السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ هَذَا الرَّفْعَ الْبَدِيعَ، وَإِلَىٰ الجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ فَحَصَلَ بِهَا الثَّبَاتُ لِلْأَرْضِ وَالاسْتِقْرَارِ، وَإِلَىٰ الْأَرْضِ كَيْفَ بُسِطَتْ، وَمُهِّدَتْ لِمَعَايِشِ الْإِنْسَانِ، وَالحَيَوَانِ، وَسَائِرِ أَلْوَانِ الحَيَاةِ»[٢].

---

(١) «فتح القدير» (٥/ ٥٢٣ - ٥٢٤).

(٢) «التفسير الميسر» (ص٥٩٢).

﴿فَذَكِّرْ﴾: فَعِظْهُمْ يَا مُحَمَّدُ ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ﴾: لَيْسَ عَلَيْكَ إِلَّا ذَلِكَ.

﴿لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾: «وَالْمُسَيْطِرُ، وَالْمُصَيْطِرُ -بِالسِّينِ وَالصَّادِ-: الْمُسَلَّطُ عَلَىٰ الشَّيْءِ؛ لِيُشْرِفَ عَلَيْهِ، وَيَتَعَهَّدَ أَحْوَالَهُ»(١).

يَقُولُ تَعَالَىٰ: فَعِظْ يَا مُحَمَّدُ الْمُعْرِضِينَ بِمَا أُرْسِلْتَ بِهِ إِلَيْهِمْ، وَلَا تَحْزَنْ عَلَىٰ إِعْرَاضِهِمْ، إِنَّمَا أَنْتَ وَاعِظٌ لَهُمْ، لَيْسَ عَلَيْكَ إِكْرَاهُهُمْ عَلَىٰ الْإِيمَانِ(٢).

﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ﴾: وَهَذَا اسْتِثْنَاءٌ مُنْقَطِعٌ، لَكِنَّ مَنْ تَوَلَّىٰ عَنِ الْوَعْظِ وَالتَّذْكِيرِ وَأَعْرَضَ مُدْبِرًا مُكَذِّبًا وَكَافِرًا ﴿فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾: وَهُوَ عَذَابُ جَهَنَّمَ دَائِمٌ، وَقَدْ عُذِّبُوا فِي الدُّنْيَا بِالْجُوعِ وَالْقَحْطِ وَالْقَتْلِ وَالْأَسْرِ.

وَأَمَّا الْعَذَابُ الْأَكْبَرُ فَهُوَ عَذَابُ جَهَنَّمَ، «لَكِنَّ الَّذِي أَعْرَضَ عَنِ التَّذْكِيرِ وَالْمَوْعِظَةِ، وَأَصَرَّ عَلَىٰ كُفْرِهِ فَيُعَذِّبُهُ اللهُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ فِي النَّارِ»(٣).

﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾: أَيْ: إِنَّ إِلَيْنَا رُجُوعَهُمْ.

﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾: جَزَاءَهُمْ بَعْدَ رُجُوعِهِمْ إِلَىٰ اللهِ بِالْبَعْثِ.

«إِنَّ إِلَيْنَا مَرْجِعَهُمْ بَعْدَ الْمَوْتِ، ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا جَزَاءَهُمْ عَلَىٰ مَا عَمِلُوا»(٤).

---

(١) «الصحاح» (٢/ ٦٨٤) مادة: (سطر).

(٢) «التفسير الميسر» (ص٥٩٢).

(٣) «التفسير الميسر» (ص٥٩٣).

(٤) «التفسير الميسر» (ص٥٩٣).

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

لمَّا ذَكَرَ سُبْحَانَهُ حَالَ أَهْلِ الجَنَّةِ وَنَعِيمِهَا، وَحَالَ أَهْلِ النَّارِ وَعَذَابِهَا عَجِبَ الْكُفَّارُ، وَكَذَّبُوا وَأَنْكَرُوا أَنْ يَكُونَ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ.

فَذَكَّرَهُم بِصُنْعِهِ فِي أَنْفَسِ أَمْوَالِهِمْ، وَهِيَ الْإِبِلُ قَائِلًا: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾ إِلَىٰ هَذَا المَخْلُوقِ الْعَجِيبِ فِي تَرْكِيبِهِ وَشِدَّةِ قُوَّتِهِ، وَحَمْلِهِ الْأَثْقَالَ، وَانْقِيَادِهِ إِلَىٰ الْقَائِدِ الصَّغِيرِ الضَّعِيفِ، فَإِنَّ مَنْ صَنَعَ هَذَا فِي الدُّنْيَا هُوَ الَّذِي صَنَعَ لِأَهْلِ الجَنَّةِ مَا صَنَعَ مِنَ النَّعِيمِ، وَوَسَائِلِ التَّرْفِيهِ.

ثُمَّ أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ السَّمَاءِ كَيْفَ رَفَعَهَا اللهُ رَفْعًا بَعِيدَ المَدَىٰ، بِلَا رَكِيزَةٍ تَرْتَكِزُ عَلَيْهَا، وَمِنْ غَيْرِ عُمُدٍ تَسْتَقِرُّ عَلَيْهَا.

ثُمَّ أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الجِبَالِ كَيْفَ جَعَلَهَا مَنْصُوبَةً عَلَىٰ الْأَرْضِ، لَا تَزُولُ وَلَا تَحُولُ، وَلِئَلَّا تَمِيدَ الْأَرْضُ.

ثُمَّ أَلَا يَنْظُرُونَ إِلَىٰ الْأَرْضِ كَيْفَ مُهِّدَتْ بِحَيْثُ يَسْتَقِرُّ عَلَيْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَنَبَّهَ الْعَرَبَ بِهَذِهِ المُشَاهَدَاتِ الَّتِي تَقَعُ تَحْتَ حَوَاسِّهِمْ: الْإِبِلُ الَّتِي يَرْكَبُونَهَا، وَالسَّمَاءُ الَّتِي فَوْقَ رُؤُوسِهِمْ، وَالجِبَالُ المَنْصُوبَةُ أَمَامَهُمْ، وَالْأَرْضُ الَّتِي يَطَئُونَهَا بِأَقْدَامِهِمْ، نَبَّهَهُمْ أَنَّ لِهَذِهِ الْأَشْيَاءِ خَالِقًا هُوَ اللهُ سُبْحَانَهُ، وَهُوَ الَّذِي يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ دُونَ غَيْرِهِ.

ثُمَّ وَجَّهَ الْخِطَابَ لِنَبِيِّهِ ﷺ قَائِلًا: ذَكِّرِ النَّاسَ وَعِظْهُمْ بِمَا أُرْسِلْتَ بِهِ، فَلَسْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ، وَلَيْسَ بِيَدِكَ خَلْقُ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِهِمْ أَوْ إِكْرَاهُهُمْ عَلَيهِ، لَكِنْ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْعَمَلِ بِمَا أُرْسِلْتَ بِهِ، وَكَفَرَ بِالحَقِّ فَلَمْ يُصَدِّقْ بِهِ بَعْدَ التَّذَكُّرِ فَإِنَّ للهِ الْوِلَايَةَ عَلَيهِ، فَهُوَ يُعَذِّبُهُ الْعَذَابَ الْأَكْبَرَ فِي جَهَنَّمَ، فَرُجُوعُهُمْ إِلَىٰ اللهِ بَعْدَ الموْتِ، وَعَلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ يَقَعُ جَزَاؤُهُمْ.

●●●

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[1]:

١- فِي الْآيَاتِ: تَقْرِيرُ الْبَعْثِ، وَالجَزَاءِ بِالنَّظَرِ إِلَىٰ الْأَدِلَّةِ المُوجِبَةِ لِلْإِيمَانِ، فَإِنَّ فِي الْآيَاتِ مِنَ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ النَّظَرِ فِي تِلْكَ الْأَدِلَّةِ الَّتِي نَبَّهَ اللهُ عَلَيْهَا، وَأَرْشَدَ إِلَيْهَا مَا فِيهَا.

٢- وَفِي الْآيَاتِ: الْأَمْرُ بِالتَّفْكِيرِ فِي مَخْلُوقَاتِ اللهِ المُشَاهَدَةِ، وَالاسْتِدْلَالِ بِذَلِكَ عَلَىٰ عِظَمِ قُدْرَتِهِ تَعَالَىٰ، وَأَنَّهُ لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ سُبْحَانَهُ.

٣- وَفِيهَا: الْأَمْرُ بِالتَّذْكِيرِ وَالموْعِظَةِ.

٤- وَفِيهَا: أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ لَيْسَ مُسَيْطِرًا عَلَىٰ الْقُلُوبِ، إِنَّمَا أَمْرُ ذَلِكَ إِلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ، وَالدَّاعِي إِلَىٰ اللهِ مُهِمَّتُهُ الدَّعْوَةُ دُونَ هِدَايَةِ الْقُلُوبِ، فَهِدَايَةُ الْقُلُوبِ للهِ وَحْدَهُ.

٥- وَفِي الْآيَاتِ: الْوَعِيدُ لِمَنْ تَجَبَّرَ، وَأَعْرَضَ عَنِ اتِّبَاعِ الحَقِّ، مَعَ بَيَانِ أَنَّ مَصِيرَ الْبَشَرِيَّةِ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَهَذَا يَدْعُو إِلَىٰ الطَّاعَةِ وَالإِنَابَةِ إِلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ.

● ● ●

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٦٣).



بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ الْفَجْرِ

* سُورَةُ الْفَجْرِ مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ تَتَحَدَّثُ عَنْ أُمُورٍ ثَلَاثَةٍ رَئِيسِيَّةٍ هِيَ:

١ - ذِكْرُ قِصَصِ بَعْضِ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبِينَ لِرُسُلِ اللهِ، كَقَوْمِ عَادٍ، وَثَمُودَ، وَقَوْمِ فِرْعَوْنَ، وَبَيَانِ مَا حَلَّ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالدَّمَارِ، بِسَبَبِ فُجُورِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ ۝٧ الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾؟ الْآيَاتِ.

٢ - بَيَانُ سُنَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ فِي ابْتِلَاءِ الْعِبَادِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْغِنَىٰ وَالْفَقْرِ، وَطَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ فِي حُبِّهِ الشَّدِيدِ لِلْمَالِ ﴿فَأَمَّا الْإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ﴾ الْآيَاتِ.

٣ - ذِكْرُ الدَّارِ الْآخِرَةِ وَأَهْوَالِهَا وَشَدَائِدِهَا، وَانْقِسَامِ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَىٰ سُعَدَاءَ وَأَشْقِيَاءٍ وَبَيَانِ مَآلِ النَّفْسِ الشِّرِّيرَةِ، وَالنَّفْسِ الْكَرِيمَةِ الْخَيِّرَةِ ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ۝٢١ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا ۝٢٢ وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنسَانُ وَأَنَّىٰ لَهُ الذِّكْرَىٰ﴾ إِلَىٰ نِهَايَةِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ.

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَالْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ...﴾ إِلَىٰ قَوْلِهِ: ﴿فَادْخُلِي فِي عِبَادِي ۝٢٩ وَادْخُلِي جَنَّتِي﴾ (مِنْ أَوَّلِ آيَةٍ إِلَىٰ آيَة (٣٠) نِهَايَةِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ).

● ● ●



سُورَةُ الْفَجْرِ

مَكِّيَّةٌ وَآيَاتُهَا ثَلَاثُونَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: ١٤

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿وَالْفَجْرِ (١) وَلَيَالٍ عَشْرٍ (٢) وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ (٣) وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ (٤) هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حِجْرٍ (٥) أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ (٦) إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ (٧) الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ (٨) وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ (٩) وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (١٠) الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ (١١) فَأَكْثَرُوا فِيهَا الْفَسَادَ (١٢) فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ (١٣) إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ﴾.



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا **فِي** «**سُورَةِ الْفَجْرِ**»[١]: ﴿وَالْفَجْرِ﴾: فَأَقْسَمَ رَبُّنَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِالْفَجْرِ، وَهُوَ الْوَقْتُ الْمَعْرُوفُ، وَهُوَ الصُّبْحُ، وَسُمِّيَ بِالْفَجْرِ؛ لِأَنَّهُ وَقْتُ انْفِجَارِ الظُّلْمَةِ عَنِ النَّهَارِ مِنْ كُلِّ يَوْمٍ[٢].

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: «يُرِيدُ فَجْرَ يَوْمِ النَّحْرِ»[٣].

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٤١٧ - ٤٢١)، و«فتح القدير» (٥/ ٥٢٦ - ٥٣١).

(٢) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٢٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٩٥)، وابن أبي حاتم كما في «الدر» (٨/ ٤٩٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٢٢، رقم ٣٩٢٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ رقم ٣٤٦٩)، وفي «فضائل الأوقات» (رقم ١٦٨)، من طريق: خَلِيفَةَ بْنِ حُصَيْنٍ، عَنْ أَبِي نَصْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَالْفَجْرِ﴾، قَالَ: «**هُوَ الْفَجْرُ الَّذِي تَرَوْنَ مِنَ الْمَشْرِقِ يَقُولُ: فَجْرُ النَّهَارِ**»، وهو قول عكرمة.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٨/ ٤٩٨)، وصح عن مجاهد أيضا مثل قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا المتقدم، أخرجه عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٢٦)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، مِثْلَهُ.

﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾: أَغْلَبُ الْمُفَسِّرِينَ عَلَىٰ أَنَّهَا عَشْرُ ذِي الْحِجَّةِ[١].

﴿وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ﴾: فَأَقْسَمَ بِكُلِّ شَفْعٍ وَوَتْرٍ[٢]، وَقَالَ جَمْهَرَةُ الْمُفَسِّرِينَ: الشَّفْعُ: يَوْمُ النَّحْرِ، وَالْوَتْرُ: يَوْمُ عَرَفَةَ[٣].

---

(١) أخرج أحمد في «المسند» (٣/ ٣٢٧، رقم ١٤٥١١)، والبزار في «مسنده» (٣/ ٢٢٨٦/ كشف الأستار)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠/ ٣٣٥، رقم ١١٦٠٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٩٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤/ ٢٢٠، رقم ٧٥١٧)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ رقم ٣٤٦٨)، وفي «فضائل الأوقات» (رقم ١٧٠)، من طريق: زَيْدِ بْنِ الْحُبَابِ، عَنْ عَيَّاش بْنِ عُقْبَةَ، عَنْ خَير بْنِ نُعَيْمٍ، عَنْ أَبِي الزُّبَيْرِ، عَنْ جَابِرٍ،، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**إِنَّ الْعَشْرَ عَشْرُ الْأَضْحَىٰ، وَالْوَتْرَ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّفْعَ يَوْمُ النَّحْرِ**».

قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٤/ ٢٠٥، رقم ١٤٨٧): «وَهَذَا سَنَد لَا بَأْس بِرِجَالِهِ»، وقال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٣٩١): «هَذَا إِسْنَادٌ رِجَالُهُ لَا بَأْسَ بِهِمْ، وَعِنْدِي أَنَّ الْمَتْنَ فِي رَفْعِهِ نكَارَةٌ»، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (٣١٧٨، و٣٩٣٨)، وقال: «منكر»؛ لعنعنة أبي الزبير، وهو مدلس.

هو قول ابن عباس، وابن الزبير، ومسروق، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، واختاره الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٩٧)، وقال: «لِإِجْمَاعِ الْحُجَّةِ مِنْ أَهْلِ التَّأْوِيلِ عَلَيْهِ».

(٢) قال ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٠) بعد ذكر أقول أهل العلم: «...، وَالصَّوَابُ مِنَ الْقَوْلِ فِي ذَلِكَ: أَنْ يُقَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ أَقْسَمَ بِالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ نَوْعًا مِنَ الشَّفْعِ وَلَا مِنَ الْوَتْرِ دُونَ نَوْعٍ بِخَبَرٍ وَلَا عَقْلٍ، وَكُلُّ شَفْعٍ وَوَتْرٍ فَهُوَ مِمَّا أَقْسَمَ بِهِ مِمَّا قَالَ أَهْلُ التَّأْوِيلِ إِنَّهُ دَاخِلٌ فِي قَسَمِهِ هَذَا؛ لِعُمُومِ قَسَمِهِ بِذَلِكَ».

(٣) ويؤيده حديث جابر رضي الله عنه المتقدم: «**الْوَتْرَ يَوْمُ عَرَفَةَ، وَالشَّفْعَ يَوْمُ النَّحْرِ**»، وهو قول =

فَأَقْسَمَ اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ بِالْفَجْرِ، وَبِاللَّيَالِي الْعَشْرِ، وَبِالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَسۡرِ﴾: أَيْ: يَمْضِي، وَيَسِيرُ مُقْبِلًا وَمُدْبِرًا، يَسْر: «إِذَا سَارَ وَذَهَبَ»[(١)].

﴿هَلۡ فِي ذَٰلِكَ قَسَمٞ لِّذِي حِجۡرٍ﴾: وَالاسْتِفْهَامُ لِتَقْرِيرِ تَعْظِيمِ مَا أَقْسَمَ بِهِ سُبْحَانَهُ، وَتَفْخِيمِهِ مِنْ هَذِهِ الْأُمُورِ الْمَذْكُورَةِ، ﴿لِّذِي حِجۡرٍ﴾: لِذِي عَقْلٍ، وَلُبٍّ، وَحِلْمٍ[(٢)].

﴿أَلَمۡ تَرَ كَيۡفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾: قَومُ هُودٍ، أَوْ هُمْ عَادٌ الْأُولَىٰ، وَيُقَالُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ: عَادٌ الْأُخْرَىٰ، نَبِيُّهُمْ هُودٌ ﵇، كَذَّبُوهُ، فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ[(٣)].

=

ابن عباس، وعطاء، وعكرمة، وقتادة، والضحاك.

(١) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (رقم ٣٥٩٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠١)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، ﴿إِذَا يَسۡرِ﴾، يَقُولُ: «إِذَا سَارَ»، وهو قول أبي العالية، وابن زيد، وروي عن ابن عباس، وابن الزبير، ومجاهد، نحوه.

(٢) قال الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٦٠): «...، وكله يرجع إلىٰ أمر واحد من العقل، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: (إِنَّهُ لَذُو حِجْرٍ): إِذَا كَانَ قَاهِرًا لِنَفْسِهِ ضَابِطًا لَهَا، كأنه أخذ من قولك: (حجرت علَىٰ الرجل)»، وَمِنْهُ: سُمِّيَ (الْحَجَرُ) لِامْتِنَاعِهِ بِصَلَابَتِهِ، وَمِنْهُ: (حَجَرَ الْحَاكِمُ عَلَىٰ فُلَانٍ)، أَيْ: مَنَعَهُ.

(٣) قال الشوكاني في «فتح القدير» (٥/ ٥٢٩)، في قوله: ﴿بِعَادٍ ٦ إِرَمَ﴾: «قَرَأَ الْجُمْهُورُ بِتَنْوِينِ: (عَادٍ) عَلَىٰ أَنْ يَكُونَ (إِرَمَ) عَطْفَ بَيَانٍ لِـ(عَادٍ)، وَالْمُرَادُ بِـ(عَادٍ): «اسْمُ أَبِيهِمْ، وَ(إِرَمُ): اسْمُ الْقَبِيلَةِ أو بدلا مِنْهُ»، وَامْتِنَاعُ صَرْفِ (إِرَمَ)؛ لِلتَّعْرِيفِ وَالتَّأْنِيثِ.

وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِـ(عَادٍ): «أَوْلَادُ عَادٍ»، وَهُمْ: «عَادٌ الْأُولَىٰ»، وَيُقَالُ لِمَنْ بَعْدَهُمْ: «عَادٌ

=

﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾: ﴿إِرَمَ﴾: اِسْمٌ آخَرُ لِعَادٍ الْأُولَىٰ(١)، أَوِ اِسْمُ بَلْدَتِهِمْ(٢)، أَوْ هُوَ عَادُ بْنُ إِرَمَ؛ تَسْمِيَةً لَهُمْ بِاِسْمِ جَدِّهِمْ(٣).

=

الْأُخْرَىٰ»، فَيَكُونُ ذِكْرُ (إِرَمَ) عَلَىٰ طَرِيقَةِ عَطْفِ الْبَيَانِ أَوِ الْبَدَلِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَىٰ أَنَّهُمْ عَادٌ الْأُولَىٰ لَا عَادٌ الْأُخْرَىٰ.

وَلَا بُدَّ مِنْ تَقْدِيرِ مُضَافٍ عَلَىٰ كِلَا الْقَوْلَيْنِ: أَيْ أَهْلِ إِرَمَ، أَوْ سِبْطِ إِرَمَ؛ فَإِنَّ (إِرَمَ) هُوَ جَدُّ (عَادٍ)، لِأَنَّهُ عاد بن إرم بن عوص بن سام ابن نُوحٍ».

(١) قَالَ قَتَادَةُ: «﴿إِرَمَ﴾: **اسْمُ قَبِيلَةٍ مِنْ عَادٍ**»، أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (رقم ٣٦٠٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٤)، بإسناد صحيح، وهو قول السدي، ومقاتل، واختاره ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٥)، فقال:

«وَأَشْبَهُ الْأَقْوَالِ فِيهِ بِالصَّوَابِ عِنْدِي: أَنَّهَا: «اسْمُ قَبِيلَةٍ مِنْ (عَادٍ)»، وَلِذَلِكَ جَاءَتِ الْقِرَاءَةُ بِتَرْكِ إِضَافَةِ عَادٍ إِلَيْهَا، وَتَرْكُ إِجْرَائِهَا، وَأَمَّا اسْمُ: (عَادٍ) فَلَمْ يُجْرَ؛ إِذْ كَانَ اسْمًا أَعْجَمِيًّا، وَلَوْ كَانَتْ (إِرَمُ): اسْمَ بَلْدَةٍ، أَوِ اسْمَ جَدٍّ لِـ(عَادٍ)؛ لَجَاءَتِ الْقِرَاءَةُ بِإِضَافَةِ (عَادٍ) إِلَيْهَا، كَمَا يُقَالُ: هَذَا عُمَرُ وَزُبَيْدٌ وَحَاتِمُ طَيِّئٍ وَأَعْشَىٰ هَمْدَانَ، وَلَكِنَّهَا اسْمُ قَبِيلَةٍ مِنْهَا، فِيمَا أَرَىٰ، كَمَا قَالَ قَتَادَةُ، وَاللهُ أَعْلَمُ، فَلِذَلِكَ أَجْمَعَتِ الْقُرَّاءُ فِيهَا عَلَىٰ تَرْكِ الْإِضَافَةِ، وَتَرْكِ الْإِجْرَاءِ».

وقال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٣٩٥): «وَهَذَا قَوْلٌ حَسَنٌ جَيِّدٌ قَوِيٌّ».

(٢) اختلف الذين قالوا ذلك في البلدة التي عُنيت بذلك علىٰ ما يأتي إن شاء الله.

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٤)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ، يَقُولُ اللهُ: ﴿بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ﴾: «**إِنَّ عَادَ بْنَ إِرَمَ بْنِ عَوْصَ بْنِ بَسَّامِ بْنِ نُوحٍ**»، وهو قول السدي.

وَقِيلَ: إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ: دِمَشْقُ(١)، أَوْ هِيَ الْإِسْكَنْدَرِيَّةُ(٢)، أَوْ هِيَ أُمَّةٌ(٣).

وَقِيلَ مَعْنَاهُ: الْقَدِيمَةُ(٤).

---

(١) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٤)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (١/ ٢١٧-٢١٨)، بإسناد صحيح، عَنِ سَعِيدٍ الْمَقْبُرِيِّ، ﴿بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾، قَالَ: «دِمَشْقُ»، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٠٦) لعبد بن حميد، وهو قول عكرمة، ومالك بن أنس، وروي عن سعيد بن المسيب، وخالد بن معدان مثله.

(٢) أخرجه ابن وهب في «الجامع - تفسير القرآن» رواية سحنون (٢/ رقم ٢٤٩)، ومن طريقه: الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٤)، بإسناد صحيح، عَنِ محمد بن كعب الْقُرَظِيِّ، أَنَّهُ قَالَ: «﴿إِرَمَ﴾: الْإِسْكَنْدَرِيَّةُ».

(٣) أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٤)، بإسناد ضعيف، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿إِرَمَ﴾ قَالَ: «أُمَّةٌ»، وعزاه السيوطي في «الدر المنثور» (٨/ ٥٠٥) للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وقد صح عن مجاهد أنه قال: «معناها القديمة»، ويأتي إن شاء الله.

(٤) أخرجه عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٢٧)، والفريابي كما في «تغليق التعليق» لابن حجر (٤/ ٣٦٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٤)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿إِرَمَ﴾، يَعْنِي: «الْقَدِيمَةَ»، وذكره البخاري معلقا في «صحيحه» في (كتاب التفسير، سورة ٨٩)، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٠٥) لعبد بن حميد، وابن المنذر.

وقد جمع بين هذا القول والذي قبله ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٤٤٠)، فقال: «...، والقول الثاني: أنه اسم أمة من الأمم، ومعناه: القديمة، قاله مجاهد»، وكذا ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٣٩٥).

وَ﴿ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ﴾: ذَاتُ الْقُوَّةِ وَالشِّدَّةِ[١]، أَوْ كَانُوا أَهْلَ عُمُدٍ وَخِيَامٍ[٢]، مَدِينَتُهُمْ مُحْكَمَةُ الْبُنْيَانِ، ذَاتُ أَعْمِدَةٍ طِوَالٍ مَنْحُوتَةٍ[٣].

﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِي لَمۡ يُخۡلَقۡ مِثۡلُهَا فِي ٱلۡبِلَٰدِ﴾: لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُ تِلْكَ الْقَبِيلَةِ فِي الطُّولِ وَالْقُوَّةِ[٤].

---

(١) أخرج الطبري في «تفسير» (٢٤/ ٤٠٦)، بإسناد صحيح، عن الضحاك، فِي قَوْلِهِ: ﴿ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ﴾، قال: «**يَعْنِي: الشِّدَّةَ وَالْقُوَّةَ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٠٦) لابن أبي حاتم.

(٢) أخرجه عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٢٧)، والفريابي كما في «تغليق التعليق» لابن حجر (٤/ ٣٦٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٦)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ﴾، قَالَ: «**كَانُوا أَهْلَ عَمُودٍ** -أي خيام-، **لَا يُقِيمُونَ**»، وذكره البخاري معلقا في «صحيحه» في (كتاب التفسير، سورة ٨٩)، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٠٥) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وَهُوَ قَوْلُ قَتَادَةَ، وَالْكَلْبِيِّ، والفراء، وَرِوَايَةٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، واختاره ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٦ - ٤٠٧)، وقال: «...، لأن المعروف في كلام العرب من (العماد)، ما عمل به الخيام من الخشب والسواري التي يحمل عليها البناء».

(٣) قَالَه ابْنُ زَيْدٍ، أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٦)، بإسناد صحيح.

(٤) فالضمير في ﴿مِثۡلُهَا﴾ عائد علىٰ (**إرم**)، وهي قبيلة من (**عاد**)، كما تقدم، وهو قول قتادة، أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٦٠٠) مختصرا، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٧)، بإسناد صحيح، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٠٥) لعبد بن حميد، وابن أبي حاتم، وقاله أيضا الحسن، ومقاتل، واختاره ابن جرير الطبري، وابن كثير، والشوكاني.

﴿وَثَمُودَ﴾: يَعْنِي: وَبِثَمُودَ، ﴿ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ﴾: وَذَكَرَ مَا ذَكَرَ، وَبِثَمُودَ؛ أَيْ: أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِثَمُودَ ﴿ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ﴾؟

وَجَابَ الشَّيْءَ: قَطَعَهُ، وَجَابَ الصَّخْرَةَ: نَقَبَهَا.

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾: ﴿بِٱلْوَادِ﴾: هُوَ وَادِي الْقُرَىٰ.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾: كَانَ يُعَذِّبُ النَّاسَ بِالْأَوْتَادِ(١).

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾: ﴿طَغَوْا۟﴾: تَجَاوَزُوا الْحَدَّ بِالْعَصَبِيَّةِ وَالْجَبَرُوتِ.

---

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٩ - ٤١٠)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾، قَالَ: «**كَانَ يُوتِدُ النَّاسَ بِالْأَوْتَادِ**»، وهو قول سعيد بن جبير، والربيع بن أنس، والسدي، ومقاتل، والفراء، والزجاج.

ويؤيده ما أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٢ - ٥٢٣، رقم ٣٩٢٩)، بإسناده، عَنْ عَبْدِ الرَّزَّاقِ، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ ثَابِتٍ الْبُنَانِيِّ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فِي قَوْلِهِ: ﴿ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾، قَالَ: «**وَتَدَ فِرْعَوْنَ لِامْرَأَتِهِ أَرْبَعَةَ أَوْتَادٍ، ثُمَّ جَعَلَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا رَحًىٰ عَظِيمًا حَتَّىٰ مَاتَتْ**».

وهذا إسناد غريب من قول ابن مسعود؛ فقد أخرجه عبد الرزاق في «المصنف - جامع معمر» (٢٠٤٤٥)، وفي «التفسير» (٣/ رقم ٣٦٠٤)، ومن طريقه: الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٠٩)، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ ثَابِتٍ، عَنْ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ: «**وَتَّدَ فِرْعَوْنُ لِامْرَأَتِهِ أَرْبَعَةَ أَوْتَادٍ**،...» فذكره، مرسلا.

فَيَكُونُ المَوْصُولِ ﴿ٱلَّذِينَ﴾ الَّذِينَ طَغَوا، يَكُونُ المَوْصُولُ مُرَادًا بِهِ: عَادًا، وَإِرَمَ، وَثَمُودَ، وَفِرْعَوْنَ، وَقَدْ يَكُونُ عَائِدًا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ.

﴿وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ ۝١٠ ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَـٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾: لَوْنًا مِنَ الْعَذَابِ صَبَّهُ عَلَيْهِمْ، «جَعَلَ سَوْطَهُ الَّذِي ضَرَبَهُمْ بِهِ الْعَذَابَ»(١).

﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾: يَرَىٰ، وَيَسْمَعُ مَا تَقُولُ، وَتَفْعَلُ، وَتَهْجِسُ بِهِ الْعِبَادُ، يَرْقُبُ أَعْمَالَ الْعِبَادِ، وَيُحْصِيهَا عَلَيْهِمْ(٢).

﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ۝٢ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ۝٣ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ۝٤ هَلْ فِى ذَٰلِكَ قَسَمٌ لِّذِى حِجْرٍ﴾: «أَقْسَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِوَقْتِ الْفَجْرِ، وَبِاللَّيَالِي الْعَشْرِ الْأُولَىٰ مِنْ شَهْرِ ذِي الحِجَّةِ وَمَا شَرُفَتْ بِهِ، وَبِكُلِّ شَفْعٍ وَوَتْرٍ، وَبِاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِي ظَلَامُهُ، وَيَسْرِي بِظَلَامِهِ، أَلَيْسَ فِي الْأَقْسَامِ المَذْكُورَةِ مَقْنَعٌ لِذِي عَقْلٍ؟!»(٣).

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ۝٦ إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ ۝٧ ٱلَّتِى لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِى ٱلْبِلَـٰدِ﴾: «أَلَمْ تَرَ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِقَوْمِ عَادٍ، قَبِيلَةِ إِرَمَ ذَاتِ الْقُوَّةِ، وَالْأَبْنِيَةِ

---

(١) «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٢٢).

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤١١)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾، يَقُولُ: «يَرَىٰ وَيَسْمَعُ»، وهو قول الحسن.

(٣) «التفسير الميسر» (ص٥٩٣).

الْمَرْفُوعَةِ عَلَىٰ الْأَعْمِدَةِ، الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ فِي عِظَمِ الْأَجْسَادِ، وَقُوَّةِ الْبَأْسِ، وَوَفْرَةِ الْعَتَادِ؟»(١).

﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُوا۟ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ ۝٩ وَفِرْعَوْنَ ذِى ٱلْأَوْتَادِ﴾: «فَبَيَّنَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مَا فَعَلَ بِهَؤُلَاءِ، وَبِثَمُودَ الَّذِينَ جَابُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِ؛ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِثَمُودَ، قَومِ صَالِحٍ الَّذِينَ قَطَعُوا الصَّخْرَ بِالْوَادِي، وَاتَّخَذُوا مِنْهُ بُيُوتًا، وَبِفِرْعَوْنَ مَلِكِ مِصْرَ صَاحِبِ الْجُنُودِ، الَّذِينَ ثَبَّتُوا مُلْكَهُ، وَقَوَّوْا لَهُ أَمْرَهُ»(٢).

﴿ٱلَّذِينَ طَغَوْا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ۝١١ فَأَكْثَرُوا۟ فِيهَا ٱلْفَسَادَ ۝١٢ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ ۝١٣ إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ﴾: «هَؤُلَاءِ الَّذِينَ اِسْتَبَدُّوا، وَظَلَمُوا فِي بِلَادِ اللهِ، فَأَكْثَرُوا فِيهَا بِظُلْمِهِمُ الْفَسَادَ، فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ عَذَابًا شَدِيدًا، إِنَّ رَبَّكَ يَا مُحَمَّدُ لَبِالمِرْصَادِ لِمَنْ يَعْصِيهِ، يُمْهِلُهُ قَلِيلًا، ثُمَّ يَأْخُذُهُ أَخْذَ عَزِيزٍ مُقْتَدِرٍ»(٣).

●●●

(١) المرجع السابق.

(٢) المرجع السابق.

(٣) المرجع السابق.

المَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِالْفَجْرِ، وَبِعَشْرِ ذِي الحِجَّةِ، وَيَوْمِ النَّحْرِ، وَيَوْمِ عَرَفَةَ، وَبِاللَّيْلِ إِذَا ذَهَبَ وَسَارَ.

وَللهِ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، أَمَّا المَخْلُوقُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِغَيْرِ اللهِ، ثُمَّ عَقَّبَ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ هَذِهِ الْأَقْسَامِ بِقَوْلِهِ: هَلْ فِي هَذِهِ الْأَقْسَامِ الَّتِي أَقْسَمْتُ بِهَا قَسَمٌ مُقْنِعٌ يَكْتَفِي بِهِ فِي الْقَسَمِ أَصْحَابُ الْعُقُولِ؟

ثُمَّ أَخَذَ يُخَوِّفُ المُشْرِكِينَ أَهْلَ مَكَّةَ؛ بِذِكْرِ قِصَّةِ عَادِ إِرَمَ، وَهِيَ عَادٌ الْأُولَىٰ الَّتِي أَهْلَكَهَا اللهُ لما خَالَفُوا رَسُولَهُمْ هُودًا.

وَقَدْ كَانُوا أَطْوَلَ أَعْمَارًا، وَأَشَدَّ قُوَّةً مِنْ كُفَّارِ مَكَّةَ، وَوَجَّهَ الخِطَابَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ وَهُوَ عَامٌّ قَائِلًا: أَلَمْ تَعْلَمْ أَيُّهَا الرَّسُولُ كَيْفَ أَهْلَكَ رَبُّكَ، وَمَالِكُ أَمْرِكَ عَادًا الْأُولَىٰ -وَهُمْ وَلَدُ عَادِ بْنِ إِرَمَ- لَمَّا كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ هُودًا؟- أَنْجَاهُ اللهُ وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنْهُمْ، وَأَهْلَكَ المُكَذِّبِينَ بِرِيحٍ صَرْصَرٍ عَاتِيَةٍ.

وَذَكَرَ اللهُ قِصَّتَهُمْ فِي الْقُرْآنِ؛ لِيَعْتَبِرَ بِمَصِيرِهِمُ المُؤْمِنُونَ، وَفَعَلَ بِثَمُودَ وَهُمْ قَوْمُ نَبِيِّ اللهِ صَالِحٍ كَمَا فَعَلَ بِعَادٍ مِنَ الْإِهْلَاكِ، وَصَفَهُمُ اللهُ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَقْطَعُونَ الصَّخْرَ بِوَادِي الْقُرَىٰ، وَيَنْحِتُونَ مِنْهُ بُيُوتَهُمْ، وَكَمَا فَعَلَ بِعَادٍ وَثَمُودَ فَعَلَ

بِفِرْعَوْنَ؛ حَيْثُ أَهْلَكَهُ اللهُ بِالْغَرَقِ لمَّا عَصَىٰ رَسُولَ اللهِ مُوسَىٰ ﷺ، وَصَفَهُ اللهُ تَعَالَىٰ بِأَنَّهُ ذُو الْأَوْتَادِ؛ لِأَنَّهُ كَانَ لَهُ أَوْتَادٌ يُعَذِّبُ النَّاسَ بِهَا.

ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ عَادٍ، وَثَمُودَ، وَفِرْعَوْنَ أَنَّهُمْ طَغَوا فِي الْأَرْضِ، وَتَجَاوَزُوا الْقَدْرَ، وَالحَدَّ فِي الظُّلْمِ وَالْعُدْوَانِ، وَأَكْثَرُوا الْأَذَىٰ وَالجَوْرَ، وَالْفُجُورَ، وَعَاثُوا فِي الْأَرْضِ بِالْإِفْسَادِ.

وَالْفَسَادُ يَشْمَلُ جَمِيعَ أَنْوَاعِ الْإِثْمِ، فَعَاقَبَهُمُ اللهُ، وَانْتَقَمَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَأَنْزَلَ عَلَيْهِمْ نَصِيبًا مِنَ الْعَذَابِ، وَتَوَعَّدَ سُبْحَانَهُ الْكُفَّارَ، وَكُلَّ مَنْ يُخَالِفُ أَمْرَهُ وَيَرْتَكِبُ نَهْيَهُ بِأَنَّهُ لَهُ بِالمِرْصَادِ يَرْصُدُ خَلْقَهُ فِيمَا يَعْمَلُونَ، وَيُجَازِي كُلًّا بِعَمَلِهِ وَسَعْيِهِ يَوْمَ تُعْرَضُ عَلَيهِ الخَلَائِقُ، فَيَحْكُمُ فِيهِمْ بِعَدْلِهِ.



مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[(١)]:

١- فِي الْآيَاتِ: تَعْظِيمٌ وَتَشْرِيفٌ لِلْفَجْرِ وَمَا بَعْدَهُ؛ حَيْثُ أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَىٰ بِذَلِكَ، وَإِذَا أَقْسَمَ اللهُ بِشَيْءٍ فَإِنَّمَا يَدُلُّ ذَلِكَ عَلَىٰ عَظَمَتِهِ وَشَرَفِهِ.

٢- وَفِيهَا: فَضْلُ اللَّيَالِي الْعَشْرِ مِنْ أَوَّلِ ذِي الحِجَّةِ إِلَىٰ الْعَاشِرِ مِنْهَا.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّ المَخْلُوقَ مَهْمَا أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ، وَمَنَعَةٍ فَإِنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ مِنْ عَذَابِ اللهِ، مَعَ بَيَانِ مَظَاهِرِ قُدْرَةِ اللهِ فِي إِهْلَاكِ الْأُمَمِ الْعَاتِيَةِ، وَالشُّعُوبِ الْفَاجِرَةِ الظَّالِمَةِ، وَذَلِكَ مُسْتَلْزِمٌ لِقُدْرَتِهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ الْبَعْثِ وَالجَزَاءِ وَالتَّوْحِيدِ وَالنُّبُوَّةِ، وَهَذَا هُوَ مَا أَنْكَرَهُ أَهْلُ مَكَّةَ.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: الْوَعِيدُ لِمَنْ عَصَىٰ، وَتَكَبَّرَ، وَبَغَىٰ، وَتَجَبَّرَ عَلَىٰ عِبَادِ اللهِ.

٥- وَفِيهَا: أَنَّ اللهَ يُحْصِي أَعْمَالَهُ، وَيُجَازِيهِ عَلَيْهَا.

٦- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ أَنْ يَأْخُذَ الْعِبْرَةَ، وَالْعِظَةَ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ، وَيَبْتَعِدُ عَنِ الصِّفَاتِ الذَّمِيمَةِ الَّتِي تَضَمَّنَتْهَا، وَنَفَّرَتْ مِنْهَا؛ حَتَّىٰ لَا يَحِلَّ بِهِ مَا حَلَّ بِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ.

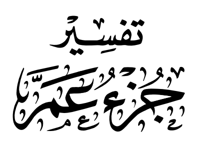
⁂

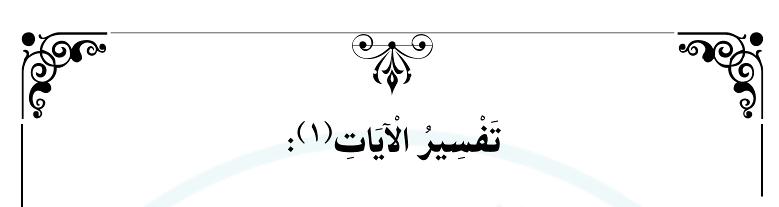
(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٦٦).



الآيات من: ١٥ إلى: ٢٠

﴿فَأَمَّا ٱلۡإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكۡرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَكۡرَمَنِ ۝١٥ وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبۡتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيۡهِ رِزۡقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّيٓ أَهَٰنَنِ ۝١٦ كَلَّاۖ بَل لَّا تُكۡرِمُونَ ٱلۡيَتِيمَ ۝١٧ وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلۡمِسۡكِينِ ۝١٨ وَتَأۡكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكۡلٗا لَّمّٗا ۝١٩ وَتُحِبُّونَ ٱلۡمَالَ حُبّٗا جَمّٗا﴾.





تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[١]:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾: فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا اِخْتَبَرَهُ رَبُّهُ وَامْتَحَنَهُ بِالنِّعْمَةِ، فَأَكْرَمَهُ بِالمَالِ وَالجَاهِ وَالصِّحَّةِ، وَمَتَّعَهُ بِمَا وَسَّعَ عَلَيهِ وَنَعَّمَهُ، فَيَقُولُ حِينَئِذٍ: رَبِّي أَكْرَمَنِي بِمَا أَعْطَانِي وَحَبَانِي وَأَنْعَمَ عَلَيَّ.

﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾: بِالْفَقْرِ، ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ﴾: أَيْ: ضَيَّقَهُ عَلَيْهِ ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾: أَيْ: أَذَلَّنِي بِالْفَقْرِ.

﴿كَلَّا﴾: لَمْ أَبْتَلِهِ بِالْغِنَىٰ؛ لِكَرَامَتِهِ، وَلَمْ أَبْتَلِهِ بِالْفَقْرِ؛ لِهَوَانِهِ، فَأَخْبَرَ أَنَّ الْإِكْرَامَ وَالْإِهَانَةَ لَايَدُورَانِ عَلَىٰ الْمَالِ وَسَعَةِ الرِّزْقِ، وَلَكِنَّ الْفَقْرَ وَالْغِنَىٰ بِتَقْدِيرِهِ فَيُوَسِّعُ عَلَىٰ الْكَافِرِ لَا لِكَرَامَتِهِ، وَيَقْدُرُ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ لَا لِهَوَانِهِ، إِنَّمَا يُكْرِمُ الْمَرْءَ بِطَاعَتِهِ، وَيُهِينُهُ بِمَعْصِيَتِهِ[٢].

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٤٢١)، و«فتح القدير» (٥/ ٥٣٤).

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤١٣)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، قَالَ: «**مَا أَسْرَعَ مَا كَفَرَ ابْنُ آدَمَ، يَقُولُ اللهُ جَلَّ ثَنَاؤُهُ: كَلَّا إِنِّي لَا أُكْرِمُ مَنْ أَكْرَمْتُ بِكَثْرَةِ الدُّنْيَا، وَلَا أُهِينُ مَنْ أَهَنْتُ بِقِلَّتِهَا، وَلَكِنْ إِنَّمَا أُكْرِمُ مَنْ أَكْرَمْتُ بِطَاعَتِي، وَأُهِينُ مَنْ أَهَنْتُ بِمَعْصِيَتِي**»، وهو قول الحسن، ومجاهد، واختاره ابن جرير الطبري.

﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾: «فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا اِخْتَبَرَهُ رَبُّهُ بِالنِّعْمَةِ، وَبَسَطَ لَهُ رِزْقَهُ، وَوَسَّعَ عَلَيهِ فِيهِ، وَجَعَلَهُ فِي أَطْيَبِ عَيْشٍ، فَيَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ لِكَرَامَتِهِ عِنْدَ رَبِّهِ ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ﴾.

﴿وَأَمَّآ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾: وَأَمَّا إِذَا مَا اِخْتَبَرَهُ فَضَيَّقَ عَلَيهِ رِزْقَهُ، فَيَظُنُّ أَنَّ ذَلِكَ لِهَوَانِهِ عَلَىٰ اللهِ ﴿فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَهَٰنَنِ﴾»(١).

﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾: وَهُنَا اِلْتِفَاتٌ مِنَ الْغَيْبَةِ إِلَىٰ الخِطَابِ، فَإِنَّ الْكَلَامَ كَانَ قَبْلُ عَنِ الإِنْسَانِ، وَهَذَا عَلَىٰ سَبِيلِ الْغَيْبَةِ ﴿فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ﴾، ثُمَّ جَاءَ الالْتِفَاتُ إِلَىٰ الخِطَابِ، ﴿كَلَّا ۖ بَل لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾: فَتَوَجَّهَ إِلَيْهِمْ بِقَصْدِ التَّوْبِيخِ وَالتَّقْرِيعِ، ﴿لَّا تُكْرِمُونَ ٱلْيَتِيمَ﴾: لَا تُحْسِنُونَ إِلَيْهِ، وَلَا تُعْطُونَهُ حَقَّهُ.

﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾: وَلَا تَتَحَاضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ المِسْكِينِ مِنَ «الحَضِّ»؛ وَهُوَ الحَثُّ، لَا يَحُثُّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا عَلَىٰ طَعَامِ المِسْكِينِ، وَ«طَعَام»: إِمَّا اِسْمُ مَصْدَرٍ عَلَىٰ إِطْعَامٍ، وَلَا تَحَاضُّونَ عَلَىٰ إِطْعَامِ المِسْكِينِ، أَوْ هِيَ اِسْمٌ لِلْمَطْعُومِ.

﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾: وَالتُّرَاثُ: المِيرَاثُ، وَالمُرَادُ بِهِ: أَمْوَالُ الْيَتَامَىٰ الَّذِينَ يَرِثُونَهُ مِنْ قَرَابَاتِهِمْ، وَكَذَلِكَ أَمْوَالُ النِّسَاءِ، وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُوَرِّثُونَ النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ، وَيَأْخُذُونَ أَمْوَالَهُمْ.

---

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٣).

﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾: أَكْلًا لمًّا: أَكْلًا شَدِيدًا، بِنَهَمٍ وطَمَعٍ.

﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾: جمًّا: كَثِيرًا مَعَ حِرْصٍ، وَشَرَهٍ.

فَقَالَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا مُعَقِّبًا: «لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَظُنُّ الْإِنْسَانُ، بَلِ الْإِكْرَامُ بِطَاعَةِ اللهِ، وَالْإِهَانَةُ بِمَعْصِيَةِ اللهِ، وَأَنْتُمْ لَا تُكْرِمُونَ الْيَتِيمَ، وَلَا تُحْسِنُونَ مُعَامَلَتَهُ، وَلَا يَحُضُّ بَعْضُكُمْ بَعْضًا عَلَىٰ إِطْعَامِ المِسْكِينِ، وَتَأْكُلُونَ حُقُوقَ الْآخَرِينَ مِنَ الْيَتَامَىٰ وَالنِّسَاءِ، وَالْمُسْتَضْعَفِينَ فِي المِيرَاثِ أَكْلًا شَدِيدًا، وَتُحِبُّونَ المالَ حُبًّا مُفْرِطًا»(١).

●●●

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٣).



الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

قَالَ تَعَالَىٰ: إِنَّ مَنْ كَانَ لَهُ رَبُّهُ بِالمِرْصَادِ كَانَ مِنَ الوَاجِبِ عَلَيهِ أَنْ يَسْعَىٰ لِمَا يُسْعِدُهُ فِي عَاقِبَةِ أَمْرِهِ، وَعَلَيهِ أَلَّا يَكْتَرِثَ بِعَاجِلَتِهِ.

وَلَكِنَّ الإِنْسَانَ قَدِ اسْتَهْوَتْهُ الْعَاجِلَةُ، فَعَكَسَ الْأَمْرَ، فَاهْتَمَّ بِالدُّنْيَا وَبِحُظُوظِهِ مِنْهَا، فَإِذَا امْتَحَنَهُ اللهُ بِالنِّعْمَةِ وَسَعَةِ الرِّزْقِ، وَأَكْرَمَهُ بِالمالِ؛ لِيَشْكُرَ النِّعْمَةَ، قَالَ: رَبِّي فَضَّلَنِي وَأَكْرَمَنِي، وَإِذَا ابْتَلَاهُ بِالْفَقْرِ وَتَضْيِيقِ الرِّزْقِ عَلَيهِ؛ لِيَصْبِرَ فَيُؤْجَرَ قَالَ: رَبِّي أَهَانَنِي وَأَذَلَّنِي.

فَرَدَّ اللهُ عَلَيهِ هَذَا الزَّعْمَ بِقَولِهِ: لَيْسَ الْإِكْرَامُ وَالْإِهَانَةُ فِي كَثْرَةِ المالِ وَقِلَّتِهِ، وَلَا فِي سَعَةِ الرِّزْقِ وَضِيقِهِ، وَإِنَّما الإِكْرَامُ فِي تَوْفِيقِ الْعَبْدِ لِطَاعَةِ رَبِّهِ، وَالإِهَانَةُ فِي خِذْلَانِهِ وَالتَّخَلِّي عَنْهُ، وَحِينَئِذٍ يَقْتَحِمُ المَعَاصِي اقْتِحَامًا، كَانَ هَذَا فِي مَعْرِضِ ذَمِّ اللهِ لِأَقْوَالِ الْإِنْسَانِ.

ثُمَّ عَقَّبَ عَلَيهِ بِذَمِّ أَفْعَالِهِ مُخَاطِبًا لَهُ قَائِلًا لِكُلِّ مَنْ يَصْنَعُ هَذَا الصَّنِيعَ المَذْمُومَ: ﴿كَلَّا﴾ إِنَّ لَكُمْ أَفْعَالًا هِيَ شَرٌّ مِنْ أَقْوَالِكُمْ، إِنَّكُمْ إِنْ أُكْرِمْتُمْ بِالْغِنَىٰ لَا تُؤَدُّونَ فِيهِ الحُقُوقَ الْوَاجِبَةَ مِنْ إِكْرَامِ الْيَتِيمِ وَالْإِحْسَانِ إِلَيهِ، وَلَا يَحُضُّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا عَلَىٰ إِطْعَامِ المِسْكِينِ.

وَقَدْ ذَهَبْتُمْ إِلَىٰ أَبْعَدَ مِنْ ذَلِكَ فِي حُبِّ المَالِ؛ حَيْثُ تَجْمَعُونَهُ مِنْ حَلَالٍ وَحَرَامٍ، فتَأْكُلُونَ نَصِيبَ النِّسَاءِ وَالْأَطْفَالِ مِنَ المِيرَاثِ، وَتَجْمَعُونَهُ إِلَىٰ نَصِيبِكُمْ، وَتُحِبُّونَ جَمْعَ المالِ عَلَىٰ أَيِّ وَجْهٍ حُبًّا شَدِيدًا مُفْرِطًا حَتَّىٰ لَوْ كَانَ بِحِرْمَانِ أَصْحَابِ أَهْلِ الحُقُوقِ حُقُوقَهُمْ.

◉◉◉





مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[1]:

١- فِي الْآيَاتِ: أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ عَلَامَاتِ السَّعَادَةِ، أَوِ الشَّقَاوَةِ كَثْرَةُ المالِ أَوْ قِلَّتُهُ، بَلِ المِقْيَاسُ هُوَ التَّفَاوُتُ فِي طَاعَةِ اللهِ تَعَالَىٰ.

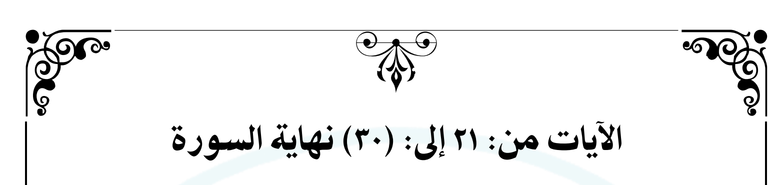
٢- وَفِيهَا: وُجُوبُ إِكْرَامِ الْيَتَامَىٰ، وَالحَضُّ عَلَىٰ إِطْعَامِ الجِيَاعِ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالمَسَاكِينِ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: التَّغْلِيظُ عَلَىٰ مَنْ أَهَانَ الْأَيْتَامَ وَالمَسَاكِينَ، أَوِ انْتَقَصَ شَيْئًا مِنْ حَقِّهِمْ.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: الْإِنْكَارُ الشَّدِيدُ عَلَىٰ مَنْ أَسْرَفَ فِي حُبِّ المَالِ، وَسَعَىٰ فِي جَمْعِهِ مِنْ أَيِّ طَرِيقٍ كَانَ.



(١) «أيسر التفسير» (٥/ ٥٦٩).



الآيات من: ٢١ إلى: (٣٠) نهاية السورة

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكّٗا دَكّٗا ٢١ وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفّٗا صَفّٗا ٢٢ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٖ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ٢٣ يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي ٢٤ فَيَوْمَئِذٖ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٥ وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٞ ٢٦ يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرْضِيَّةٗ ٢٨ فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي ٢٩ وَٱدْخُلِي جَنَّتِي﴾.

●●●



تفسير الآيات[١]:

ثُمَّ قَالَ رَبُّنَا جَلَّ وَعَلَا: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾: ﴿كَلَّآ﴾: كَلِمَةُ رَدْعٍ وَكَلِمَةُ زَجْرٍ، مَا هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ عَمَلُكُمْ.

﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾: اِسْتَأْنَفَ تَعَالَىٰ الْكَلَامَ[٢]، وَأَتَىٰ بِهَذَا الْوَعِيدِ الشَّدِيدِ بَعْدَ الرَّدْعِ وَالزَّجْرِ، ﴿كَلَّآ﴾: فَهَذَا رَدْعٌ وَزَجْرٌ، أَعْقَبَهُ وَعِيدًا شَدِيدًا ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾: وَالدَّكُّ: الْكَسْرُ وَالدَّقُّ، وَالْمُرَادُ: زُلْزِلَتْ.

﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾: ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ﴾: مَجِيئًا يَلِيقُ بِهِ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ الْعِبَادِ، ﴿وَجَآءَ رَبُّكَ وَٱلْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾: مُصْطَفِّينَ ذَوِي صُفُوفٍ.

«مَا هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ حَالُكُمْ، فَإِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ، وَكَسَرَ بَعْضُهَا بَعْضًا، وَجَاءَ رَبُّكَ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ خَلْقِهِ، وَالْمَلَائِكَةُ صُفُوفًا صُفُوفًا»[٣].

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٤٢٢ - ٤٢٤)، و«فتح القدير» (٥/ ٥٣٥ - ٥٣٧).

(٢) في «فتح القدير»: [اسْتَأْنَفَ سُبْحَانَهُ فَقَالَ: ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾، وَفِيهِ: وَعِيدٌ لَهُمْ بَعْدَ الرَّدْعِ وَالزَّجْرِ].

(٣) «التفسير الميسر» (ص٥٩٣).

﴿ وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَۚ يَوْمَئِذٍ ﴾: مَزْمُومَةً، وَالمَلَائِكَةُ يَجُرُّونَهَا بِأَزِمَّتِهَا[1].

﴿يَوْمَئِذٍ ﴾: يَوْمَ يُجَاءُ بِجَهَنَّمَ عَلَىٰ تِلْكَ الصِّفَةِ ﴿يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾: يَتَّعِظُ وَيَتُوبُ الْكَافِرُ، ﴿وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾: يُظْهِرُ التَّوْبَةَ، وَمِنْ أَيْنَ لَهُ التَّوْبَةُ؟!

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾: قَدَّمْتُ الْخَيْرَ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ لِحَيَاتِي فِي الْآخِرَةِ، أَيْ: لِآخِرَتِي.

«يَأْتِي فِي ذَلِكَ الْيَومِ الْعَظِيمِ بِجَهَنَّمَ، يَوْمَئِذٍ يَتَّعِظُ الْكَافِرُ وَيَتُوبُ، وَمِنْ أَيْنَ الاتِّعَاظُ وَالتَّوْبَةُ، وَقَدْ فَرَّطَ فِيهِمَا فِي الدُّنْيَا وَفَاتَ أَوَانُهُمَا؟

﴿يَقُولُ يَٰلَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾: فِي الآخِرَةِ أَيْ: لِآخِرَتِي، يَقُولُ: يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مَا يَنْفَعُنِي لِحَيَاتِي فِي الْآخِرَةِ»[2] الَّتِي لَا مَوْتَ فِيهَا.

﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُعَذِّبُ عَذَابَهُۥٓ أَحَدٌ﴾: لَا يُعَذَّبُ أَحَدٌ مِنَ الدُّنْيَا كَعَذَابِ اللهِ الْكَافِرَ يَوْمَئِذٍ.

﴿وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُۥٓ أَحَدٌ﴾: وَلَا يُوثِقُ: لَا يُقَيِّدُ، وَلَا يُوثِقُ كَوَثَاقِهِ أَحَدٌ، وَالْوَثَاقُ: الْإِسَارُ فِي السَّلَاسِلِ وَالْأَغْلَالِ.

---

(١) أخرج مسلم في «صحيحه» في (كتاب صفة الجنة، باب ١٢: ١، رقم ٢٨٤٢)، من حديث: ابن مسعود، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ، مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**».

(٢) «التفسير الميسر» (ص٥٩٤).

«فَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ لَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ، وَلَا يَقْدِرُ أَنْ يُعَذِّبَ مِثْلَ تَعْذِيبِ اللهِ مَنْ عَصَاهُ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُوثِقَ مِثْلَ وَثَاقِ اللهِ، وَلَا يَبْلُغُ أَحَدٌ مَبْلَغَهُ فِي ذَلِكَ»[١].

﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾: إِلَىٰ مَا وَعَدَ اللهُ، الْمُصَدِّقَةُ بِمَا قَالَ اللهُ[٢].

﴿ٱرْجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾: ارْجِعِي إِلَىٰ اللهِ، ﴿رَاضِيَةً﴾: بِالثَّوَابِ، ﴿مَّرْضِيَّةً﴾: عَنْكِ عِنْدَهُ.

﴿فَٱدْخُلِي فِي عِبَٰدِي﴾: فَادْخُلِي مَعَ عِبَادِي فِي جَنَّتِي، فِي جُمْلَةِ عِبَادِي الصَّالِحِينَ الْمُطِيعِينَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ[٣].

﴿وَٱدْخُلِي جَنَّتِي﴾: مَعَهُمْ، فَتِلْكَ هِيَ الْكَرَامَةُ الَّتِي لَا كَرَامَةَ سِوَاهَا، وَلَا فَوْقَهَا.

«يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ إِلَىٰ ذِكْرِ اللهِ وَالْإِيمَانِ بِهِ، وَبِمَا أَعَدَّهُ رَبُّهَا لَهَا مِنَ النَّعِيمِ لِلْمُؤْمِنِينَ ارْجِعِي إِلَىٰ رَبِّكِ وَجِوَارِهِ، رَاضِيَةً بِإِكْرَامِ اللهِ لَكِ، وَاللهُ سُبْحَانَهُ

---

(١) المرجع السابق.

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٢٣)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾، يَقُولُ: «**الْمُصَدِّقَةُ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥١٤) لابن المنذر، وهو قول الحسن، وقتادة، والزجاج.

(٣) وهو قول قتادة، أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٢٥)، بإسناد صحيح، واختاره ابن جرير الطبري.

قَدْ رَضِيَ عَنْكِ، فَأُدْخُلِي فِي عِبَادِي الصَّالِحِينَ مِنْ عِبَادِ اللهِ الْمُتَّقِينَ، وَادْخُلِي مَعَهُمْ جَنَّةَ رَبِّ الْعَالَمِينَ»(١).

◉ ◉ ◉

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٤).



المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

بَعْدَ أَنْ ذَمَّ سُبْحَانَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ أَقْوَالِ الْإِنْسَانِ، وَأَفْعَالِهِ أَوْرَدَ شَيْئًا مِنْ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَعْقَبَهَا بِتَحَسُّرِ الْإِنْسَانِ المفَرِّطِ فِي دُنْيَاهُ حِينَ يُشَاهِدُ الْأَهْوَالَ، فَذَكَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْأَرْضَ تُدَكُّ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَىٰ، وَيُكَسَّرُ كُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهَا مِنْ جِبَالٍ وَبِنَاءٍ وَشَجَرٍ.

وَيَجِيءُ اللهُ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ عِبَادِهِ مَجِيئًا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ وَعَظَمَتِهِ، وَتَجِيءُ المَلَائِكَةُ صُفُوفًا بَيْنَ يَدَيْهِ سُبْحَانَهُ، وَيُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ كَمَا جَاءَ فِي الحَدِيثِ عِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ غَيْرِهِ مِنْ رِوَايَةِ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «**يُؤْتَىٰ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمَامٍ مَعَ كُلِّ زِمَامٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَجُرُّونَهَا**»[١].

عِنْدَئِذٍ، وَفِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ تَفْرِيطَهُ وَمَا قَدَّمَهُ مِنْ عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا، وَيَتَّعِظُ الْكَافِرُ وَيَتُوبُ، وَلَكِنْ هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ: وَكَيْفَ تَنْفَعُهُ التَّذْكِرَةُ؟ وَمِنْ أَيْنَ لَهُ التَّوْبَةُ؟

(١) تقدم تخريجه.

فَيَنْدَمُ عَلَىٰ مَا كَانَ مِنْهُ مِنَ المَعَاصِي إِنْ كَانَ عَاصِيًا، وَيَتَمَنَّىٰ لَوْ قَدَّمَ فِي دُنْيَاهُ الخَيْرَ، وَالْعَمَلَ الصَّالِحَ لِآخِرَتِهِ، وَلِحَيَاتِهِ الدَّائِمَةِ.

وَفِيٰ ذَلِكَ الْيَوْمِ لَيْسَ أَحَدٌ أَشَدَّ عَذَابًا مِنْ تَعْذِيبِ اللهِ لِمَنْ عَصَاهُ، وَلَيْسَ أَحَدٌ أَشَدَّ وَثَاقًا مِنَ اللهِ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ، وَلَا يَبْلُغُ أَحَدٌ مِنَ الخَلْقِ مَا يَبْلُغُهُ اللهُ فِي الْعَذَابِ لِمَنْ كَفَرَ بِهِ وَعَصَاهُ، وَهَذَا الْعَذَابُ وَالْوَثَاقُ لِلْمُجْرِمِينَ وَالظَّالمِينَ.

أَمَّا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ الْآمِنَةُ الَّتِي لَا يَسْتَفِزُّهَا خَوفٌ وَلَا حَزَنٌ، وَهِيَ النَّفْسُ المُؤْمِنَةُ، فَيُقَالُ لَها: يَا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ جِوَارِ رَبِّكَ وَثَوَابِهِ، وَمَا أَعَدَّهُ لِعِبَادِهِ فِي جَنَّتِهِ، رَاضِيَةً فِي نَفْسِكِ بِالثَّوَابِ، مَرْضِيًّا عَنْكِ، قَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا وَأَرْضَاهَا.

وَيُقَالُ لَهَا: ادْخُلِي فِي جُمْلَةِ عِبَادِ اللهِ الصَّالحِينَ، وَادْخُلِي الجَنَّةَ دَارَ كَرَامَتِهِ، يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ عِنْدَ الاحْتِضَارِ، وَفِي سِيَاقَةِ المَوْتِ، وَفِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ.





مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[1]:

١- فِي الْآيَاتِ: تَقْرِيرُ المَعَادِ بِعَرْضٍ شِبْهِ تَفْصِيلِيٍّ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ.

٢- وَفِيهَا: إِثْبَاتُ صِفَةِ المَجِيءِ للهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ مَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، وَعَظَمَتِهِ دُونَ تَعَرُّضٍ لَا لِتَأْوِيلٍ، أَوْ تَشْبِيهٍ، أَوْ تَمْثِيلٍ، أَوْ تَكْيِيفٍ كَمَا أَثْبَتَهَا أَهْلُ السُّنَّةِ وَالجَمَاعَةِ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: بَيَانُ أَهْوَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَبَيَانُ وُجُوبِ الاسْتِعْدَادِ لِذَلِكَ بِالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: التَّحْذِيرُ مِنَ الاغْتِرَارِ بِالدُّنْيَا وَلَذَّاتِهَا.

٥- وَفِيهَا: التَّحْذِيرُ مِنْ تَقْدِيمِ الدُّنْيَا عَلَىٰ الْآخِرَةِ.

٦- وَفِيهَا: بَيَانُ شِدَّةِ عَذَابِ اللهِ لِمَنْ عَصَاهُ، وَفَرَّطَ فِيمَا أَوْجَبَ عَلَيهِ اللهُ.

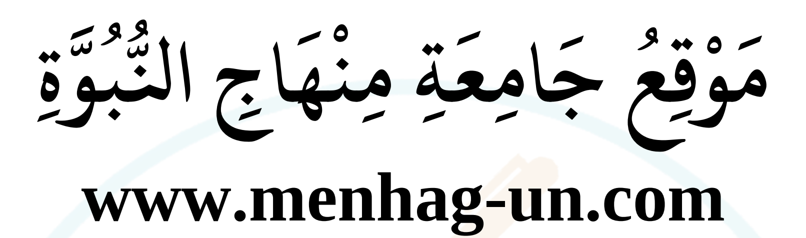
٧- وَفِيهَا: بَيَانُ اشْتِدَادِ حَسْرَةِ المُفَرِّطِينَ فِي طَاعَةِ اللهِ، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

---

(١) «أيسر التفاسير» (ص٥٧١).

٨- وَفِيهَا: بَيَانُ مَآلِ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، مَعَ مَا فِيهَا مِنْ تَبْشِيرِ النَّفْسِ الْمُطْمَئِنَّةِ بِالْإِيمَانِ، وَذِكْرِ اللهِ، وَوَعْدِهِ وَوَعِيدِهِ بِمَا يَكُونُ لَهَا مِنَ الْبُشْرَىٰ عِنْدَ الْمَوْتِ وَعِنْدَ الْقِيَامِ مِنَ الْقَبْرِ، وَعِنْدَ تَطَايُرِ الصُّحُفِ.

◉ ◉ ◉



يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَةَ التَّاسِعَةَ)

مِنْ مَادَّةِ التَّفْسِيرِ

تفسِيرُ

جُزْءِ عَمَّ

[سُورَتَيِ: الْبَلَدِ، وَالشَّمْسِ]


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بَيْنَ يَدَيْ سُورَةِ الْبَلَد

* هَذِهِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ مَكِّيَّةٌ، وَأَهْدَافُهَا نَفْسُ أَهْدَافِ السُّوَرِ الْمَكِّيَّةِ، مِنْ تَثْبِيتِ الْعَقِيدَةِ وَالْإِيمَانِ، وَالتَّرْكِيزِ عَلَىٰ الْإِيمَانِ بِيَوْمِ الْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، وَالتَّمْيِيزِ بَيْنَ الْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ، وَطَرِيقِ النَّجَاةِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ.

* ابْتَدَأَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِالْقَسَمِ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ، الَّذِي هُوَ سَكَنُ النَّبِيِّ ﷺ، تَعْظِيمًا لِشَأْنِهِ وَتَكْرِيمًا لِمَقَامِهِ الرَّفِيعِ عِنْدَ رَبِّهِ، وَلَفْتًا لِأَنْظَارِ الْكُفَّارِ إِلَىٰ أَنَّ إِيذَاءَ الرَّسُولِ فِي الْبَلَدِ الْأَمِينِ، مِنْ أَكْبَرِ الْكَبَائِرِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿١﴾ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ﴿٢﴾ وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾ الْآيَاتِ.

* ثُمَّ تَحَدَّثَتْ عَنْ بَعْضِ كُفَّارِ مَكَّةَ، الَّذِينَ اغْتَرُّوا بِقُوَّتِهِمْ، فَعَانَدُوا الْحَقَّ، وَكَذَّبُوا رَسُولَ اللهِ وَأَنْفَقُوا أَمْوَالَهُمْ فِي الْمُبَاهَاةِ وَالْمُفَاخَرَةِ، ظَنًّا مِنْهُمْ أَنَّ إِنْفَاقَ الْأَمْوَالِ فِي حَرْبِ الْإِسْلَامِ يَدْفَعُ عَنْهُمْ عَذَابَ اللهِ، وَقَدْ رَدَّتْ عَلَيْهِمُ الْآيَاتُ بِالْحُجَّةِ الْقَاطِعَةِ وَالْبُرْهَانِ السَّاطِعِ. ﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّن يَقۡدِرَ عَلَيۡهِ أَحَدٞ ﴿٥﴾ يَقُولُ أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا..﴾ الْآيَاتِ.

* ثُمَّ تَنَاوَلَتْ أَهْوَالَ الْقِيَامَةِ وَشَدَائِدَهَا، وَمَا يَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ الْإِنْسَانِ فِي الْآخِرَةِ، مِنْ مَصَاعِبَ وَمَتَاعِبَ وَعَقَبَاتٍ، لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقْطَعَهَا وَيَجْتَازَهَا إِلَّا

بِالْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ..﴾ الْآيَاتِ.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِالتَّفْرِيقِ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكُفَّارِ، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ، وَبَيَّنَتْ مَآلَ السُّعَدَاءِ، وَمَآلَ الْأَشْقِيَاءِ، فِي دَارِ الْخُلْدِ وَالْكَرَامَةِ ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ..﴾ الْآيَاتِ إِلَى نِهَايَةِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ.

●●●

سُورَةُ الْبَلَدِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا عِشْرُونَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: ٧



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝٢ وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤ أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ ۝٥ يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا ۝٦ أَيَحْسَبُ أَن لَّمْ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾.



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

فَيَقُولُ تَعَالَىٰ فِي «سُورَةِ الْبَلَدِ»: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾: ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾: يَعْنِي: أُقْسِمُ، ﴿بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾: يَعْنِي: مَكَّةَ الْبَلَدَ الْحَرَامَ.

﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ﴾: أَيْ: وَأَنْتَ حَلَالٌ، ﴿بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾.

أَيْ: أُقْسِمُ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ الَّذِي أَنْتَ حِلٌّ فِيهِ، اِسْتَحَلَّ مِنْكَ مُشْرِكُو مَكَّةَ أَنْ يُؤْذُوكَ بِالْبَلَدِ الْحَرَامِ يَا مُحَمَّدُ(٢).

أَوْ وَأَنْتَ حَلَالٌ بِهَذَا الْبَلَدِ، تَصْنَعُ فِيهِ مَا تُرِيدُ مِنَ الْقَتْلِ، وَالْأَسْرِ لَيْسَ عَلَيْكَ مَا عَلَىٰ النَّاسِ فِيهِ مِنَ الْإِثْمِ وَلَا الْعَذَابِ، أَحَلَّهُ لَكَ اللهُ يَوْمَ الْفَتْحِ(٣).

﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾: أَيْ: أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ، ﴿وَوَالِدٖ وَمَا وَلَدَ﴾: أَيْ: وَمَا نَسَلَ(٤).

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٤٢٦ - ٤٣١)، و«فتح القدير» (٥/ ٥٣٨).

(٢) قوله شُرَحْبِيل بن سعد، عزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥١٨) لسعيد بن منصور، وابن المنذر.

(٣) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٣٠)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٢٣، رقم ٣٩٣١)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾، قَالَ: «**أَحَلَّ لَهُ أَنْ يَصْنَعَ فِيهِ مَا شَاءَ**»، وهو قول مجاهد.

(٤) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٣١ - ٤٣٢)، بإسناد لا بأس به، عَنْ عِكْرِمَةَ، عَنِ =

وَقِيلَ: هُوَ آدَمَ عليه السلام وَذُرِّيَّتُهُ(١).

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾: ﴿فِى كَبَدٍ﴾: فِي نَصَبٍ وَشِدَّةٍ، يُكَابِدُ مَصَائِبَ الدُّنْيَا، وَشَدَائِدَ الْآخِرَةِ(٢).

=

ابْنِ عَبَّاسٍ، ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾، قَالَ: «**الْوَالِدُ: الَّذِي يَلِدُ، وَمَا وَلَدَ: الْعَاقِرُ الَّذِي لَا يُولَدُ لَهُ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥١٩) للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وهو قول عكرمة أيضا، واختاره ابن جرير الطبري، وقال: «لِأَنَّ اللهَ عَمَّ كُلَّ وَالِدٍ وَمَا وَلَدَ، وَغَيْرُ جَائِزٍ أَنْ يَخُصَّ ذَلِكَ إِلَّا بِحُجَّةٍ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهَا مِنْ خَبَرٍ أَوْ عَقْلٍ، وَلَا خَبَرَ بِخُصُوصِ ذَلِكَ، وَلَا بُرْهَانَ يَجِبُ التَّسْلِيمُ لَهُ بِخُصُوصِهِ، فَهُوَ عَلَىٰ عُمُومِهِ كَمَا عَمَّهُ».

(١) أخرجه عبد الرحمن بن الحسن الهمداني في «تفسير مجاهد» (ص٧٢٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٣٢)، والفريابي كما في «تغليق التعليق» لابن حجر (٤/ ٣٦٨)، من طرق: عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾، قَالَ: «**الْوَالِدُ: آدَمُ، وَمَا وَلَدَ: وَلَدُهُ**»، وهو صحيح عنه، وذكره البخاري معلقا في «صحيحه» في (التفسير، سورة ٩٠)، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥١٩) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

وقد أغرب الحاكم فأخرجه في «المستدرك» (٢/ ٥٢٣، رقم ٣٩٣٢): عن عبدالرحمن بن الحسن الهمداني، بإسناده، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قوله، وروي من طريق آخر عن ابن عباس مثله، ولا يصح.

وهذا القول هو أيضا قول قتادة، والحسن، وسعيد بن جبير، وأبو صالح، وخُصيف، وَشُرَحْبِيلُ بْنُ سَعْدٍ، والضحاك، والثوري، والسدي، والفراء، وابن قتيبة، وغيرهم.

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٣٣ - ٤٣٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢/

=

«فَأَقْسَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِهَذَا الْبَلَدِ الْحَرَامِ وَهُوَ مَكَّةُ، وَأَنْتَ يَا مُحَمَّدُ مُقِيمٌ فِي هَذَا الْبَلَدِ الْحَرَامِ، وَأَقْسَمَ بِوَالِدِ الْبَشَرِيَّةِ آدَمَ عليه السلام، وَمَا تَنَاسَلَ مِنْهُ مِنْ وَلَدٍ، لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي شِدَّةٍ، وَعَذَابٍ مِنْ مُكَابَدَةِ الدُّنْيَا، وَشَدَائِدِهَا، وَمَصَائِبِهَا»(١).

﴿أَيَحْسَبُ أَن لَّن يَقْدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ﴾: فَيَظُنُّ مِنْ شِدَّتِهِ أَنْ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيهِ اللهُ تعالَىٰ.

﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَالًا لُّبَدًا﴾: يَقُولُ أَنْفَقْتُ مَالًا كَثِيرًا بَعْضُهُ فَوْقَ بَعْضٍ مِنَ التَّلْبِيدِ(٢)، وَكُلُّ ذَلِكَ أُنْفِقَ فِي عَدَاوَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم(٣).

=

٥٢٣، رقم ٣٩٣٣)، والضياء في «المختارة» (١١/ رقم ٢٥٣)، وابن حجر في «تغليق التعليق» (٤/ ٣)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿فِي كَبَدٍ﴾، يَقُولُ: «فِي نَصَبٍ»، وفي رواية: «فِي شِدَّةٍ»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥١٩) للفريابي، وَعبد بن حميد، وَابْن الْمُنْذر، وَابْن أبي حَاتِم.

وهو قول مجاهد، وعكرمة، وقتادة، وسعيد بن جبير، والحسن، وابن قتيبة، واختاره ابن جرير الطبري.

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٤).

(٢) **(التلبيد)**: كل شيء لصق وجمع بعضه فوق بعض حتىٰ يكون طبقة كثيفة ثخينة، فهي كلمة يراد بها: الكثرة والاجتماع، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩]، أَي: مُجْتَمِعِينَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ، انظر: «الصحاح» (٢/ ٥٣٣ - ٥٣٤)، و«مقاييس اللغة» (٥/ ٢٢٨ - ٢٢٩)، و«لسان العرب» (٣/ ٣٨٥ - ٣٨٨) مادة: (لبد).

(٣) أخرج عبد الله بن وهب في «الجامع - تفسيره» (رقم ٤٣)، وعبد الرحمن بن الحسن الهمداني في «تفسيره» (ص٧٢٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٣٦)، والفريابي كما

=

﴿أَيَحۡسَبُ أَن لَّمۡ يَرَهُۥٓ أَحَدٌ﴾: أَيَظُنُّ أَنَّ اللهَ تعالىٰ لَمْ يَرَهُ، وَأَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَنْ يَسْأَلَهُ عَنْ مَالِهِ: مِنْ أَيْنَ اِكْتَسَبَهُ؟ وَفِيمَا أَنْفَقَهُ؟

«أَيَظُنُّ بِمَا جَمَعَهُ مِنْ مَالٍ أَنَّ اللهَ لَنْ يَقْدِرَ عَلَيهِ؟! يَقُولُ مُتَبَاهِيًا: أَنْفَقْتُ مَالًا كَثِيرًا، أَيَظُنُّ فِي فِعْلِهِ هَذَا أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ لَا يَرَاهُ، وَأَنَّهُ لَا يُحَاسِبُهُ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ الصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ؟!!»(١).

●●●

=

في «تغليق التعليق» (٤/ ٣٦٨)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿أَهۡلَكۡتُ مَالٗا لُّبَدًا﴾، قَالَ: «مَالًا كَثِيرًا»، وذكره البخاري معلقا في «صحيحه» في (التفسير، سورة ٩٠)، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥١٩) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

وهو قول قتادة، والضحاك، وابن زيد، والفراء.

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٤).

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِأَحَبِّ الْبِلَادِ إِلَيْهِ، وَهِيَ مَكَّةُ؛ لِحُرْمَتِهَا، وَعِظَمِ قَدْرِهَا عِنْدَهُ، وَوَعَدَ نَبِيَّهُ ﷺ أَنْ يُحِلَّهَا لَهُ؛ حَتَّىٰ يُقَاتِلَ فِيهَا، وَقَدْ أَحَلَّهَا سُبْحَانَهُ لِرَسُولِهِ ﷺ يَوْمَ الْفَتْحِ قَاتَلَ فِيهَا، وَقَتَلَ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ، وَلَمْ تَحِلَّ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَا تَحِلُّ لِأَحَدٍ بَعْدِي، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَهِيَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ**». وَالحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَىٰ صِحَّتِهِ[1].

ثُمَّ أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِالْوَالِدِ -وَهُوَ آدَمُ أَبُو الْبَشَرِ-، وَمَا وَلَدَ وَهُمْ ذُرِّيَّتُهُ، أَقْسَمَ بِهِمْ سُبْحَانَهُ؛ لِأَنَّ فِيهِمُ الْأَنْبِيَاءَ وَالصَّالِحِينَ وَالدُّعَاةَ إِلَىٰ اللهِ رَبِّ الْعَالمِينَ.

وَللهِ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، أَمَّا المَخْلُوقُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِغَيْرِ اللهِ، وَجَوَابُ الْقَسَمِ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾.

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في (كتاب جزء الصيد، باب ١٠، رقم ١٨٣٤) ومواضع، ومسلم في «صحيحه» في (كتاب الحج، باب ٨٢: ١، رقم ١٣٥٣)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، بلفظ: «**إِنَّ هَذَا الْبَلَدَ حَرَّمَهُ اللهُ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّهُ لَمْ يَحِلَّ الْقِتَالُ فِيهِ لِأَحَدٍ قَبْلِي، وَلَمْ يَحِلَّ لِي إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، فَهُوَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ،...**» الحديث، ورواه أيضا أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بنحوه في «الصحيحين».

وَمَعْنَىٰ الْآيَةِ: لَقَدْ خَلَقَ اللهُ ابْنَ آدَمَ فِي شِدَّةٍ، وَعَنَاءٍ يُكَابِدُ شَدَائِدَ الدُّنْيَا وَيُقَاسِي شَدَائِدَ الْآخِرَةِ بَعْدَ ذَلِكَ.

ثُمَّ أَخَذَ سُبْحَانَهُ يَذْكُرُ غُرُورَ الإِنْسَانِ بِمَا أُوتِيَ مِنْ نِعَمِ اللهِ عَلَيهِ، وَيَقُولُ: إِنَّنِي لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مَهْمَا أُوتِيَ مِنْ قُوَّةٍ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ قَهْرِي، أَيَظُنُّ أَنَّ اللهَ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ بَعْثِهِ وَمُعَاقَبَتِهِ؟!

يَقُولُ: لَقَدْ أَنْفَقْتُ مَالًا كَثِيرًا فَمَنْ يُحَاسِبُنِي بِهِ، أَيَظُنُّ أَنَّ اللهَ لَا يَرَاهُ فَيَعْلَمُ مِقْدَارَ نَفَقَتِهِ؟!



مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[(١)]:

١- فِي الْآيَاتِ: بَيَانُ شَرَفِ مَكَّةَ، وَعِظَمِ قَدْرِهَا، وَعُلُوِّ شَأْنِ الرَّسُولِ ﷺ وَسُمُوِّ مَقَامِهِ، وَهُوَ فِيهَا ﷺ قَدْ أَحَلَّهَا اللهُ لَهُ، وَلَم تَحِلَّ لِأَحَدٍ سِوَاهُ.

٢- وَفِي الْآيَاتِ: بَيَانُ شَرَفِ آدَمَ، وَذُرِّيَّتِهِ الصَّالِحِينَ مِنْهُمْ.

٣- وَفِيهَا: أَنَّ الْقِتَالَ بِمَكَّةَ حَرَامٌ، وَقَدْ أَحَلَّهُ تَعَالَىٰ لِنَبِيِّهِ ﷺ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ.

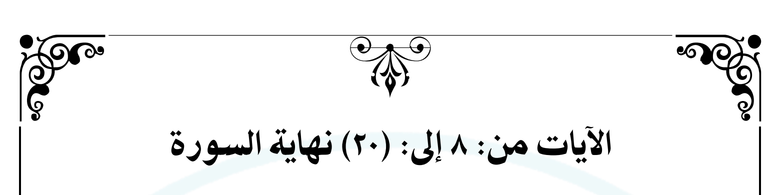
٤- وَفِي الْآيَاتِ: بَيَانُ مَا يُعَانِيهِ الْإِنْسَانُ مِنَ الشَّدَائِدِ، وَبَيَانُ حَقِيقَةِ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَبْرَحُ يُعَانِي مِنْ تَعَبِ الحَيَاةِ حَتَّىٰ المَمَاتِ.

٥- وَفِي الْآيَاتِ: التَّحْذِيرُ مِنَ الاغْتِرَارِ بِنِعَمِ اللهِ تَعَالَىٰ.

٦- وَفِيهَا: وَعِيدٌ لِمَنْ أَفْرَطَ فِي الْإِنْفَاقِ عَلَىٰ شَهَوَاتِهِ، وَظَنَّ أَنْ لَا رَقِيبَ عَلَيهِ.

● ● ●

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٧٣).



الآيات من: ٨ إلى: (٢٠) نهاية السورة

﴿أَلَمْ نَجْعَل لَّهُۥ عَيْنَيْنِ ﴿٨﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿٩﴾ وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ﴿١٠﴾ فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ﴿١٢﴾ فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴿١٧﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾.

●●●



تَفْسِيرُ الآيَاتِ(١):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ﴾: فَنِعَمُ اللهِ مُتَظَاهِرَةٌ، يُقَرِّرُكَ بِهَا؛ كَيْمَا تَشْكُرَ نِعَمَ اللهِ عَلَيْكَ(٢).

«﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ﴾: يُبْصِرُ بِهِمَا، ﴿وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ﴾: يَنْطِقُ بِهِمَا، وَبَيَّنَّا لَهُ سَبِيلَيِ الخَيْرِ وَالشَّرِّ»(٣).

﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾: وَبَيَّنَّا لَهُ طَرِيقَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ(٤)،........................

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٤٣١ - ٤٣٣).

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٣٧)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، قَوْلُهُ: ﴿أَلَمۡ نَجۡعَل لَّهُۥ عَيۡنَيۡنِ ۝٨ وَلِسَانٗا وَشَفَتَيۡنِ﴾، قال: «**نِعَمٌ مِنَ اللهِ مُتَظَاهِرَةٌ، يُقَرِّرُكَ بِهَا كَيْمَا تَشْكُرَهُ**».

(٣) «التفسير الميسر» (ص٥٩٤).

(٤) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (رقم ٣٦٢٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٣٧)، والطبراني في «الكبير» (٩/ رقم ٩٠٩٧)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٢٣، رقم ٣٩٣٤)، واللالكائي في «شرح أصول الاعتقاد» (٣/ رقم ٩٥٦)، بإسناد حسن، عَنْ ابْنِ مَسْعُودٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهَدَيۡنَٰهُ ٱلنَّجۡدَيۡنِ﴾، قَالَ: «**سَبِيلُ الْخَيْرِ، وَسَبِيلُ الشَّرِّ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٢١) للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

وروي عن علي بن أبي طالب، وابن عباس مثله، وهو قول مجاهد، وعكرمة، والحسن، والضحاك، وقتادة، وابن زيد، وعزاه البغوي لِأَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ، واختاره =

وَبيَّنَّا لَهُ الْحَقَّ وَالْبَاطِلَ، وَالْهُدَىٰ وَالضَّلَالَ(١).

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾: فَهَلَّا أَنْفَقَ مَالَهُ فِيمَا يَجُوزُ بِهِ -الْعَقَبَةَ-؟ مِنْ فَكِّ الرِّقَابِ وَإِطْعَامِ السَّغْبَانِ(٢).

﴿فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ﴾: وَالْعَقَبَةُ: الْأَمْرُ الصَّعْبُ(٣)، ....

=

ابن جرير الطبري.

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٣٨)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (رقم ٤٩٣)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ﴾، قَالَ: «**الضَّلَالَةُ وَالْهُدَىٰ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٢١) لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وهذا القول والذي قبله بمعنىٰ واحد.

(٢) (**سَغْبانُ**): جَوْعَانُ، ومنه قَوْله تَعَالَىٰ: ﴿فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ﴾، أَي: مَجاعةٍ، انظر: «لسان العرب» (١/ ٤٦٨) مادة: (سغب)، ويأتي إن شاء الله.

وَ(**الِاقْتِحَامُ**): الرَّمْيُ بِالنَّفْسِ فِي شَيْءٍ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ، يُقَالُ مِنْهُ: قَحَمَ فِي الْأَمْرِ قُحُومًا، أَيْ: رَمَىٰ بِنَفْسِهِ فِيهِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ، وَتَقْحِيمُ النَّفْسِ فِي الشَّيْءِ: إِدْخَالُهَا فِيهِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ، وَالْقُحْمَةُ بِالضَّمِّ: الْمَهْلَكَةُ، انظر: «الصحاح» (٥/ ٢٠٠٦)، و«لسان العرب» (١٢/ ٤٦٢) مادة: (قحم)، «فتح القدير» (٥/ ٥٤٠).

(٣) قال أهل اللغة: (**الْعَقَبَةُ**): طَرِيقٌ فِي الْجَبَلِ وَعْرٌ يُرْتَقَىٰ بمَشَقَةٍ، وجمعُه: عَقَبٌ وعِقابٌ، ثُمَّ رُدَّ هَذَا إِلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ فِيهِ عُلُوٌّ أَوْ شِدَّةٌ، انظر: «مقاييس اللغة» (٤/ ٨٤)، و«لسان العرب» (١/ ٦٢١) مادة: (عقب).

قال البغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٣١): «...، وَذِكْرُ (الْعَقَبَةِ) هَاهُنَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ اللهُ لِمُجَاهِدَةِ
=

«فهَلَّا تـجَاوَزَ مَشَقَّةَ الآخِرَةِ بِإِنْفَاقِ مَالِهِ فَيأْمَنُ»(١).

=

النَّفْسِ وَالْهوىٰ وَالشَّيْطَانِ فِي أَعْمَالِ الْبِرِّ، فَجعَلَهُ كَالَّذِي يَتكَلَّفُ صُعُودَ الْعَقَبةِ، يَقُولُ: (لَمْ يَحْمِلْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الْمَشَقَّةَ بِعِتْقِ الرَّقَبَةِ وَلَا طَعَامٍ)، وَهَذَا مَعْنَىٰ قَوْلِ قَتَادَةَ»؛ فقد أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٦٢٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٤٠)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعالَىٰ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾، قَالَ: «**النَّارُ عَقَبَةٌ دُونَ الْجَنَّةِ**»، قَالَ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ ﴿١١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ﴾، ثُمَّ أَخْبَرَ عَنِ اقْتِحامِهَا، قَالَ: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ﴾، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٢٣) لعبد بن حميد، وابن المنذر.

وَعلىٰ هذا فمَعْنَىٰ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾، أَيْ: (لم يقتحم العقبة)، وَالْعَرَبُ إِذَا نَفَتْ بِـ(لَا) فِعْلًا مَاضيا كَرَّرَتْ (لَا) وكان المراد به الإخبار، كَقَوْلِهِ: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ﴾ [القيامة: ٣١]، وَقَوْلِهِ: ﴿**وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ**﴾، وَلَمْ يُكَرِّرْهَا هَاهُنَا؛ اسْتِغْنَاءً بِدَلَالَةِ آخِرِ الْكَلَامِ عَلَىٰ مَعْنَاهُ، مِنْ إِعَادَتِهَا مَرَّةً أُخْرَىٰ، وَذَلِكَ قَوْلُهُ إِذْ فَسَّرَ اقْتِحَامَ الْعَقَبةِ، فَقَالَ: ﴿فَكُّ رَقَبَةٍ ﴿١٣﴾ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ﴿١٤﴾ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ ﴿١٥﴾ أَوْ مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ ﴿١٦﴾ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾، فَفَسَّرَ ذَلِكَ بِأَشْيَاءَ ثَلَاثَةٍ، فَكَانَ كَأَنَّهُ فِي أَوَّلِ الْكَلَامِ، قَالَ: (فَلَا فك رقبة، وَلَا أطعم مسكينا، وَلَا آمن)، انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٤٠).

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٤)، وهو معنىٰ قول ابن زيد؛ فقد فسر (**فَلَا**) بمعنىٰ: (**أفلا**)، فيكون المراد بـ(لَا) الاستفهام، أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٤٠)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾، قَالَ: «**أَفَلَا سَلَكَ الطَّرِيقَ الَّتِي مِنْهَا النَّجَاةُ وَالْخَيْرُ**».

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾: «وَأَيُّ شَيْءٍ أَعْلَمَكَ مَا مَشَقَّةُ الآخِرَةِ، وَمَا يُعِينُ عَلَىٰ تَجَاوُزِهَا»(١).

﴿فَكُّ رَقَبَةٍ﴾: إِطْلَاقُهَا وَعِتْقُهَا، «إِنَّهُ عِتْقُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٍ مِنْ أَسْرِ الرِّقِّ»(٢).

﴿أَوۡ إِطۡعَٰمٞ فِي يَوۡمٖ ذِي مَسۡغَبَةٖ﴾: ذِي مَجَاعَةٍ، «إِطْعَامٌ فِي يَومٍ مَجَاعَةٍ شَدِيدَةٍ»(٣).

﴿يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ ۝١٥ أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾: ﴿يَتِيمٗا ذَا مَقۡرَبَةٍ﴾: ذَا قَرَابَةٍ وَرَحِمٍ، [لَاسِيَّمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ](٤).

﴿أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾: قَدْ لَصِقَ بِالتُّرَابِ مِنْ فَقْرِهِ وَضُرِّهِ(٥).

---

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٤)، وقد قال ابنُ عُيَيْنَةَ: «مَا كَانَ فِي القُرْآنِ: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ﴾ فَلَمْ يُخْبِرْهُ، وَمَا كَانَ: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ﴾ فَقَدْ أَخْبَرَهُ»، أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٧٠)، وابن حجر في «تغليق التعليق» (٣/ ٢٠٤)، وهو صحيح عنه.

(٢) «التفسير الميسر» (ص٥٩٤).

(٣) المرجع السابق.

(٤) «تفسير البغوي»: [يُرِيدُ يَتِيمًا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ قَرَابَةٌ].

(٥) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٤٣ - ٤٤٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٢٤، رقم ٣٩٣٦، و ٣٩٣٧)، وابن حجر في «تغليق التعليق» (٤/ ٣٦٨ - ٣٦٩)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّهُ قَالَ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَوۡ مِسۡكِينٗا ذَا مَتۡرَبَةٖ﴾: «**هُوَ اللَّازِقُ بِالتُّرَابِ مِنْ شِدَّةِ الْفَقْرِ**»، وفي لفظ: «**الْمِسْكِينُ الْمَطْرُوحُ فِي التُّرَابِ**»، وفي لفظ: «**الَّذِي**
=

«أَوْ إِطْعَامٌ فِي يَوْمٍ مَجَاعَةٍ شَدِيدَةٍ، يَتِيمًا مِنْ ذَوِي الْقَرَابَةِ، يَجْتَمِعُ فِيهِ فَضْلُ الصَّدَقَةِ وَصِلَةِ الرَّحِمِ، أَوْ فَقِيرًا مُعْدَمًا لَا شَيْءَ عِنْدَهُ»(١).

﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾: عَلَىٰ فَرَائِضِ اللهِ(٢)، ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْمَرْحَمَةِ﴾: وَأَوْصَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالرَّحْمَةِ بِالنَّاسِ.

«ثُمَّ كَانَ مَعَ فِعْلِ مَا ذُكِرَ مِنْ أَعْمَالِ الخَيْرِ مِنَ الَّذِينَ أَخْلَصُوا الإِيمانَ للهِ وَأَوْصَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَبِالصَّبْرِ عَنْ مَعَاصِي اللهِ، وَتَوَاصَوا بِالرَّحْمَةِ بِالخَلْقِ.

=

لَيْسَ لَهُ مَأْوَىٰ إِلَّا التُّرَابُ»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٢٥) للفريابي، وسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وهو قول مجاهد، وعكرمة، واختاره ابن جرير الطبري، والشوكاني.

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٤).

(٢) وهو قول هِشَام بن حسان، عزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٢٦) لابن أبي حاتم، وقول أيضا كعب الأحبار، ومقاتل بن سليمان، ويحيىٰ بن سلام.

وأخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٦٩٣)، وابن أبي الدنيا في «الإشراف في منازل الأشراف» (رقم ١٣٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٩١)، بإسناد صحيح، عَنِ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾: «الصَّبْرُ: طَاعَةُ اللهِ»، وهو قول قتادة، والمعنىٰ متقارب.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَيۡمَنَةِ﴾: الَّذِينَ فَعَلُوا هَذِهِ الْأَفْعَالَ هُمْ أَصْحَابُ الْيَمِينِ، الَّذِينَ يُؤْخَذُ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَاتَ الْيَمِينِ إِلَىٰ الجَنَّةِ.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمۡ أَصۡحَٰبُ ٱلۡمَشۡـَٔمَةِ﴾: وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِالْقُرْآنِ[1]، هُمُ الَّذِينَ يُؤْخَذُ بِهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ذَاتَ الشِّمَالِ إِلَىٰ النَّارِ»[2]، ﴿عَلَيۡهِمۡ نَارٞ مُّؤۡصَدَةُۢ﴾: هِيَ مُطْبَقَةٌ عَلَيْهِمْ أَبْوَابُهَا، لَا يَدْخُلُ فِيهَا رَوْحٌ وَلَا يَخْرُجُ مِنْهَا غَمٌّ، «جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ مُطْبَقَةٌ عَلَيهِمْ مُغْلَقَةٌ»[3].

●●●

(١) وهو قول سعيد بن جبير، «تفسير الماوردي» (٦/ ٢٨٠).

(٢) «التفسير الميسر» (ص٥٩٤ - ٥٩٥).

(٣) المرجع السابق (ص٥٩٥).

الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

يُعَدِّدُ سُبْحَانَهُ عَلَىٰ الإِنسَانِ شَيْئًا مِنْ نِعَمِهِ الَّتِي أَنْعَمَ بِهَا عَلَيهِ، وَيَذْكُرُهَا لِيَشْكُرَ، فَقَالَ فِي صِيغَةِ الاسْتِفْهَامِ التَّقْرِيرِيِّ: أَمَا جَعَلْنَا لَهُ عَيْنَينِ يُبْصِرُ بِهِمَا المَرْئِيَّاتِ؟

وَلِسَانًا يَنْطِقُ بِهِ وَيُعَبِّرُ عَمَّا فِي ضَمِيرِهِ مِنَ المُغَيَّبَاتِ؟

وَشَفَتَينِ يَسْتَعِينُ بِهِمَا عَلَىٰ الْكَلَامِ، وأَكْلِ الطَّعَامِ وَجَمَالًا لِوَجْهِهِ وَفَمِهِ؟

وَبَيَّنَّا لَهُ طَرِيقَ الخَيرِ وَالشَّرِّ، وَالحَقَّ وَالبَاطِلَ، وَالهُدَىٰ وَالضَّلَالَ؟

فَهَلَّا كَانَ مِنَ الْأَجْدَرِ بِهِ مُقَابَلَةُ هَذِهِ النِّعَمِ أَنْ يُنْفِقَ مَالَهُ فِي مَرْضَاةِ اللهِ مِمَّا يَجْتَازُ بِهِ الْعَقَبَةَ؟

ثُمَّ عَظَّمَ شَأْنَ الْعَقَبَةِ بِالسُّؤَالِ عَنْهَا: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡعَقَبَةُ﴾؟

وَأَرْشَدَ إِلَىٰ اقْتِحَامِهَا بِسُلُوكِ أَبْوَابٍ مِنَ الخَيْرِ: مِنْ فَكِّ الرِّقَابِ مِنَ الرِّقِّ، وَإِطْعَامِ الْيَتِيمِ الْقَرِيبِ فِي يَوم المَجَاعَةِ، وَإِطْعَامِ المِسْكِينِ الَّذِي لَا شَيْءَ لَهُ حَتَّىٰ كَأَنَّهُ لَصِقَ بِالتُّرَابِ مِنَ الْفَقْرِ.

ثُمَّ كَانَ مَعَ هَذِهِ الْأَعْمَالِ الْكَرِيمَةِ الَّتِي ذُكِرَتْ مِنَ المُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَحْتَسِبُونَ ثَوَابَ مَا قَدَّمُوا مِنْ عَمَلٍ صَالِحٍ عِنْدَ اللهِ، وَمِنَ الَّذِينَ يُوصِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا

بِالصَّبْرِ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَالصَّبْرِ عَنْ المَعَاصِي، وَالصَّبْرِ عَلَىٰ مَا يُصِيبُهُمْ مِنَ الْبَلَاءِ وَمِنْ أَذَىٰ النَّاسِ، مِنَ الَّذِينَ يُوصِي بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالتَّرَاحُمِ، وَالرِّفْقِ بِالخَلْقِ، وَلِذَلِكَ رَحِمُوا الْيَتِيمَ وَالمِسْكِينَ.

وَأَصْحَابُ هَذِهِ الْأَوْصَافِ؛ وَصَفَهُمُ اللهُ سُبْحَانَهُ بِأَنَّهُمْ أَصْحَابُ الْيَمِينِ الَّذِينَ يُؤْتَوْنَ كُتُبَ أَعْمَالِهِمْ بِأَيْمَانِهِمْ، أَمَّا الَّذِينَ جَحَدُوا آيَاتِ اللهِ، وَكَفَرُوا فَهُمْ أَصْحَابُ الشِّمَالِ تُطْبِقُ عَلَيهِمُ النَّارُ، فَلَا مَحِيدَ عَنْهَا، وَلَا مَخْرَجَ لَهُمْ مِنْهَا.

⦿ ⦿ ⦿

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ:

١- فِي الْآيَاتِ: تَذْكِيرُ اللهِ عِبَادَهُ بِنِعَمِهِ عَلَيهِمْ؛ لِيَقُومُوا بِحَقِّهَا، وَهُوَ الشُّكْرُ لَهُ تَعَالَىٰ.

٢- وَفِيهَا: التَّنْدِيدُ بِمَنْ يُنْفِقُ مَالَهُ فِي مَعْصِيَةِ اللهِ وَالرَّسُولِ ﷺ.

٣- وَفِيهَا: الحَثُّ عَلَىٰ أَفْعَالِ الخَيرِ مِنْ عِتْقِ الرِّقَابِ، وَإِطْعَامِ الطَّعَامِ أَوْقَاتِ المَسَاغِبِ وَالمَجَاعَاتِ، وَصِلَةِ الْأَرْحَامِ، وَالْعَطْفِ عَلَىٰ الْأَيْتَامِ، وَالبِرِّ بِالمَسَاكِينِ.

٤- وَفِيهَا: بَيَانُ مَآلِ المُؤْمِنِينَ الصَّادِقِينَ الْعَامِلِينَ أَعْمَالَ الخَيْرِ.

٥- وَفِيهَا: بَيَانُ مَآلِ الْكَافِرِينَ الجَاحِدِينَ مَعَ التَّنْدِيدِ بِالْكُفْرِ، وَالْوَعِيدِ الشَّدِيدِ لِأَهْلِهِ.

● ● ●

بَيْنَ يَدَيْ سُورَةِ الشَّمْسِ

قَدْ تَنَاوَلَتْ مَوْضُوعَيْنِ اثْنَيْنِ وَهُمَا:

١- مَوْضُوعُ النَّفْسِ الْإِنْسَانِيَّةِ، وَمَا جَبَلَهَا اللهُ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَالْهُدَىٰ وَالضَّلَالِ.

٢- وَمَوْضُوعُ الطُّغْيَانِ مُمَثَّلًا فِي قِصَّةِ (ثَمُودَ) الَّذِينَ عَقَرُوا النَّاقَةَ، فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ وَدَمَّرَهُمْ، وَأَبَادَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ.

* ابْتَدَأَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِالْقَسَمِ بِسَبْعَةِ أَشْيَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، فَأَقْسَمَ تَعَالَىٰ بِالشَّمْسِ وَضَوْئِهَا السَّاطِعِ، وَبِالْقَمَرِ إِذَا أَعْقَبَهَا وَهُوَ طَالِعٌ، ثُمَّ بِالنَّهَارِ إِذَا جَلَا ظُلْمَةَ اللَّيْلِ بِضِيَائِهِ، وَبِاللَّيْلِ إِذَا غَطَّىٰ الْكَائِنَاتِ بِظَلَامِهِ، ثُمَّ بِالْقَادِرِ الَّذِي أَحْكَمَ بِنَاءَ السَّمَاءِ بِلَا عَمَدٍ، وَبِالْأَرْضِ الَّذِي بَسَطَهَا عَلَىٰ مَاءٍ جَمُدَ، وَبِالنَّفْسِ الْبَشَرِيَّةِ الَّتِي كَمَّلَهَا اللهُ، وَزَيَّنَهَا بِالْفَضَائِلِ وَالْكَمَالَاتِ، أَقْسَمَ بِهَذِهِ الْأُمُورِ عَلَىٰ فَلَاحِ الْإِنْسَانِ وَنَجَاحِهِ إِذَا اتَّقَىٰ اللهَ، وَعَلَىٰ شَقَاوَتِهِ وَخُسْرَانِهِ إِذَا طَغَىٰ وَتَمَرَّدَ، وَفَسَقَ وَفَجَرَ.

* ثُمَّ ذَكَرَ تَعَالَىٰ قِصَّةَ (ثَمُودَ) قَوْمِ صَالِحٍ حِينَ كَذَّبُوا رَسُولَهُمْ، وَطَغَوْا وَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَعَقَرُوا النَّاقَةَ الَّتِي خَلَقَهَا اللهُ تَعَالَىٰ مِنْ صَخْرٍ أَصَمَّ مُعْجِزَةً لِرَسُولِهِ

صَالِحٍ عليه السلام، وَمَا كَانَ مِنْ أَمْرِ هَلَاكِهِمُ الْفَظِيعِ الَّذِي بَقِيَ عِبْرَةً لِمَنْ يَعْتَبِرُ، وَهُوَ نُمُوذَجٌ لِكُلِّ كَافِرٍ فَاجِرٍ، مُكَذِّبٍ لِرُسُلِ اللهِ ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴿١٢﴾ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ﴿١٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ..﴾ الْآيَاتِ.

* وَقَدْ خُتِمَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِأَنَّهُ تَعَالَىٰ لَا يَخَافُ عَاقِبَةَ إِهْلَاكِهِمْ وَتَدْمِيرِهِمْ، لِأَنَّهُ ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وَلِهَذَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴿١٤﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾.

● ● ●

سُورَةُ الشَّمْسِ

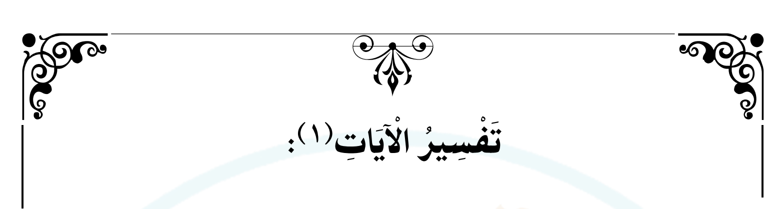
مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا خَمْسَ عَشْرَةَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: ١٠



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴿٦﴾ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾.



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

قَالَ تَعَالَىٰ فِي «سُورَةِ الشَّمْسِ»: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾: وَأَقْسَمَ اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ بِالشَّمْسِ، وَأَقْسَمَ اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ بِضُحَاهَا.

وَضُحَاهَا: ضَوْءُهَا وَإِشْرَاقُهَا(٢)، وَقَدْ أَضَافَ الضُّحَىٰ إِلَىٰ الشَّمْسِ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَكُونُ عِنْدَ ارْتِفَاعِهَا.

﴿وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾: وَأَقْسَمَ اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ بِالْقَمَرِ إِذَا تَبِعَهَا أَيْ: تَبِعَ الشَّمْسَ.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا﴾: أَظْهَرَهَا وَاضِحَةً جَلِيَّةً، فَأَقْسَمَ اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ بِالنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰ الشَّمْسَ.

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٤٣٩)، و«فتح القدير» (٥/ ٥٤٥ - ٥٤٧).

(٢) وهو قول مجاهد، أخرجه عبد الرحمن بن الحسن الهمداني في «تفسير مجاهد» (ص٧٣٢)، والفريابي كما في «تغليق التعليق» لابن حجر (٣/ ٤٩١ - ٤٩٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٥١)، من طرق: عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾، قَالَ: «**ضَوْءُهَا**»، وفي رواية: «**إشراقها**»، وهو صحيح عنه، وذكره البخاري معلقا في «صحيحه» (كتاب بدء الخلق، باب ٤)، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٢٩) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا﴾: وَأَقْسَمَ اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ بِاللَّيْلِ، يَغْشَاهَا: يُغَطِّيهَا، فَيَغْشَىٰ الشَّمْسَ حَتَّىٰ يُذْهِبَ ضَوْءَهَا.

﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾: فَأَقْسَمَ اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ بِالسَّمَاءِ، ﴿وَمَا بَنَىٰهَا﴾: «وَمَا»: إِمَّا أَنْ تَكُونَ مَصْدَرِيَّةً، فَالتَّقْدِيرُ: وَالسَّمَاءِ أَوْ عَلَىٰ حَسَبِ مَا وَرَدَ فِي الْقَسَمِ: وَالسَّمَاءِ وَبُنْيَانِهَا[١]، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مَوْصُولَةً: وَالسَّمَاءِ وَالَّذِي بَنَاهَا[٢].

وَ«مَا» فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا ۝٦ وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ كَمَا هِيَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾: إِمَّا أَنْ تَكُونَ مَصْدَرِيَّةً، وَالتَّقْدِيرُ: وَالسَّمَاءِ وَبُنْيَانِهَا، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مَوْصُولَةً، وَالتَّقْدِيرُ: وَالسَّمَاءِ وَالَّذِي بَنَاهَا، وَالسَّمَاءِ وَمَنْ بَنَاهَا.

﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾: ﴿طَحَىٰهَا﴾: بَسَطَهَا[٣].

---

(١) وهو قول الْفَرَّاءُ، وَالزَّجَّاجُ في «معاني القرآن» (٥/ ٣٣٢).

(٢) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمداني في «تفسير مجاهد» (ص٧٣٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٥٣)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٣/ رقم ٥٥٥)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾، قَالَ: «اللهُ بَنَىٰ السَّمَاءَ»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٢٩) لعبد بن حميد، ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وروي عن ابن عباس نحوه، وهو قول قتادة، واختاره ابن جرير الطبري.

(٣) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمداني في «تفسير مجاهد» (ص٧٣٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٥٣)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا طَحَىٰهَا﴾، يَعْنِي: «وَمَا دَحَاهَا»، أي: بسطها، وذكره البخاري معلقا في «صحيحه» (كتاب بدء الخلق، باب ٢)، =

﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا﴾: فَأَقْسَمَ اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ بِالنَّفْسِ وَتَسْوِيَتِهَا، أَوْ أَقْسَمَ بِالنَّفْسِ، وَبِمَنْ سَوَّاهَا فَأَحْسَنَ خَلْقَهَا.

﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا﴾: فَأَفْهَمَهَا وَعَرَّفَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا، طَرِيقَ الخَيرِ وَالشَّرِّ، وَسَبِيلَ الهُدَىٰ وَالضَّلَالِ(١).

ثُمَّ جَاءَ جَوَابُ الْقَسَمِ بَعْدَ تِلْكَ الْأَقْسَامِ الَّتِي مَرَّ ذِكْرُهَا: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾: قَدْ فَازَ مَنْ طَهَّرَ النَّفْسَ.

﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾: [مَنْ أَضَلَّهَا وَأَغْوَاهَا](٢)، وَدَسَّاهَا: أَصْلُهَا: دَسَّسَهَا مِنَ التَّدْسِيسِ، وَهُوَ إِخْفَاءُ الشَّيْءِ، فَأُبْدِلَتِ السِّينُ الثَّانِيَةُ يَاءً، دَسَسْتُ(١) دَسًّا.

=

وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٢٩) للفريابي، وعبد بن حميد، ابن المنذر، وابن أبي حاتم، وروي عن ابن عباس مثله، وهو قول قتادة، وأبو صالح، والضحاك، وابن زيد، ومقاتل، والزجاج، واختاره ابن جرير الطبري، وعزاه الشوكاني لعامة المفسرين.

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٥٤)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَوْلُهُ: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا﴾، يَقُولُ: «**بَيَّنَ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ**»، وفي رواية: «**عَلَّمَهَا الطَّاعَةَ وَالْمَعْصِيَةَ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٢٨) لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وهو قول مجاهد، وقتادة، والضحاك، والثوري، ومقاتل، والفراء.

(٢) في «فتح القدير»: [خَسِرَ مَنْ أَضَلَّهَا وَأَغْوَاهَا].

أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمداني في «تفسير مجاهد» (ص٧٣٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٥٧ – ٤٥٨)، والفريابي كما في «تغليق التعليق» (٥/ ١٩٠)، والبيهقي في «القضاء والقدر» (رقم ٣٥٤)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿مَن دَسَّىٰهَا﴾، قَالَ:
=

فَجاءَ جَوابُ الْقَسَمِ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ اللهُ رَبُّ الْعالمينَ تِلْكَ الْأَقْسامِ عَلَىٰ هَذَا الْأَمْرِ الْكَبِيرِ، وَعَلَىٰ هَذِهِ الحَقِيقَةِ النَّاصِعَةِ ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾.

«أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِالشَّمْسِ وَنَهَارِهَا، وَإِشْرَاقِهَا ضُحًىٰ، وَبِالْقَمَرِ إِذَا تَبِعَهَا فِي الطُّلُوعِ وَالْأُفُولِ، وَبِالنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰ الظُّلْمَةَ وَكَشَفَهَا، وَبِاللَّيْلِ عِنْدَمَا يُغَطِّي الْأَرْضَ حَتَّىٰ يَكُونَ مَا عَلَيْهَا مُظْلِمًا، وَبِالسَّمَاءِ وَبِنَائِهَا المُحْكَمِ، وَبِالْأَرْضِ وَبَسْطِهَا، وَبِكُلِّ نَفْسٍ وَإِكْمَالِ اللهِ خَلْقَهَا؛ لِأَدَاءِ مُهِمَّتِهَا، فَبَيَّنَ لَهَا طَرِيقَ الشَّرِّ وَطَرِيقَ الخَيرِ.

أَقْسَمَ تَعَالَىٰ بِذَلِكَ كُلِّهِ عَلَىٰ أَنَّهُ قَدْ فَازَ مَنْ طَهَّرَهَا وَنَمَّاهَا بِالخَيرِ، وَقَدْ خَسِرَ مَنْ أَخْفَىٰ نَفْسَهُ فِي المَعَاصِي»[٢].

◉ ◉ ◉

=

«**أَغْوَاهَا**»، وذكره البخاري معلقا في «صحيحه» في (كتاب القدر، باب ٨).

وفي رواية عَنْ مُجَاهِدٍ، وَسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، قَالَ أَحَدُهُمَا: «**أَغْوَاهَا**»، وَقَالَ الْآخَرُ: «**أَضَلَّهَا**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٢٩) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وروي مثله عن ابن عباس، وهو قول الحسن.

(١) انظر: «مقاييس اللغة» لابن فارس (٢/ ٢٥٦) مادة: (دَسَّ)

(٢) «التفسير الميسر» (ص٥٩٥).

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

هَذِهِ جُمْلَةُ أَشْيَاءَ أَقْسَمَ اللهُ بِهَا: فَأَقْسَمَ بِالشَّمْسِ وَارْتِفَاعِ ضَوْئِهَا، وَأَقْسَمَ بِالْقَمَرِ إِذَا تَبِعَ الشَّمْسَ فِي الضِّيَاءِ وَالنُّورِ، وَذَلِكَ فِي النِّصْفِ الْأَوَّلِ مِنَ الشَّهْرِ إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ تَلَاهَا الْقَمَرُ فِي الْإِضَاءَةِ.

وَأَقْسَمَ بِالنَّهَارِ إِذَا جَلَا ظُلْمَةَ الْبَسِيطَةِ، وَأَقْسَمَ بِاللَّيْلِ إِذَا غَشَّىٰ الشَّمْسَ حِينَ تَغِيبُ فَتُظْلِمُ الآفَاقَ، وَأَقْسَمَ بِالسَّمَاءِ وَمَنْ خَلَقَهَا وَهُوَ اللهُ جَلَّوَعَلَا، وَأَقْسَمَ بِالْأَرْضِ وَمَنْ بَسَطَهَا وَمَهَّدَهَا لِلسُّكْنَىٰ.

وَأَقْسَمَ بِالنَّفْسِ، وَالمُرَادُ بِهَا: كُلُّ نَفْسٍ مِنَ الجِنِّ وَمِنَ الْإِنْسِ ﴿وَمَا سَوَّىٰهَا﴾ وَعَدَلَ خَلْقَهَا وَسَوَّىٰ أَعْضَاءَهَا، وَأَقْسَمَ بِمَنْ سَوَّىٰ النَّفْسَ، وَبَيَّنَ لَهَا طَرِيقَ الخَيْرِ وَالشَّرِّ، وَعَرَّفَهَا طَرِيقَ الْفُجُورِ وَالتَّقْوَىٰ؛ لِتَسْلُكَ أَيَّهُمَا شَاءَتْ حَسْبَ تَقْدِيرِهِ لَهَا فِي الْأَزَلِ مِنَ الشَّقَاوَةِ وَالسَّعَادَةِ.

وَللهِ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، أَمَّا المَخْلُوقُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِغَيْرِ اللهِ.

أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِكُلِّ هَذِهِ الْأَقْسَامِ أَنَّ الْفَوْزَ وَالْفَلَاحَ لِمَنْ يُزَكِّي نَفْسَهُ وَيُطَهِّرُهَا مِنَ الذُّنُوبِ وَالمعَاصِي، وَأَنَّ الخَيْبَةَ وَالخُسْرَانَ لِمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ، وَيُحَقِّرُهَا بِالذُّنُوبِ وَالْكُفْرَانِ.



مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[١]:

١- فِي الْآيَاتِ: الإِقْسَامُ بِهَذِهِ المَخْلُوقَاتِ؛ لِتَعْظِيمِهَا، وَتَشْرِيفِهَا، وَالدَّلَالَةِ عَلَىٰ عِظَمِ قَدْرِهَا، مَعَ بَيَانِ مَظَاهِرِ الْقُدْرَةِ الإِلَهِيَّةِ فِي الْآيَاتِ الَّتِي أَقْسَمَ بِهَا الرَّبُّ جَلَّ وَعَلَا.

٢- وَفِي الْآيَاتِ: إِتْقَانُ هَذِهِ المَخْلُوقَاتِ الْعَظِيمَةِ، وَهُوَ يَدُلُّ عَلَىٰ قُدْرَتِهِ تَعَالَىٰ وَأَنَّهُ المُسْتَحِقُّ لِلْعِبَادَةِ دُونَ غَيْرِهِ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: بَيَانُ مَا يَكُونُ بِهِ الْفَلَاحُ، وَمَا يَكُونُ بِهِ الخُسْرَانُ.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: الحَثُّ عَلَىٰ تَزْكِيَةِ النَّفْسِ.

٥- وَفِيهَا: التَّحْذِيرُ مِنَ الْوُقُوعِ فِي الْآثَامِ وَالرَّذَائِلِ.

٦- وَفِيهَا: التَّرْغِيبُ فِي الإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، وَالتَّرْهِيبِ مِنَ الشِّرْكِ وَالمعاصِي.



(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٧٧).



الآيات من: ١١ إلى: (١٥) نهاية السورة

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا (١١) إِذِ انْبَعَثَ أَشْقَاهَا (١٢) فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا (١٣) فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ فَسَوَّاهَا (١٤) وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾.



تَفْسِيرُ الآيَاتِ[(١)]:

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾: الطَّغْوَىٰ: اِسْمٌ مِنَ الطُّغْيَانِ، كَالدَّعْوَىٰ مِنَ الدُّعَاءِ، وَالطُّغْيَانُ: مُجَاوَزَةُ الحَدِّ بِالمعَاصِي وَالانْحِرَافِ[(٢)]، وَالبَاءُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿بِطَغۡوَىٰهَآ﴾ لِلسَّبَبِيَّةِ، فَكَانَ الطُّغْيَانُ سَبَبًا لِحَمْلِهَا عَلَىٰ التَّكْذِيبِ.

﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾: حِينَ قَامَ أَشْقَىٰ ثَمُودَ، وَهُوَ قُدَارُ بْنُ سَالِفٍ، عَاقِرُ النَّاقَةِ فَعَقَرَ النَّاقَةَ، ﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشۡقَىٰهَا﴾: فَانْتُدِبَ لِذَلِكَ، وَقَامَ بِهِ.

﴿فَقَالَ لَهُمۡ رَسُولُ ٱللَّهِ﴾: صَالِحٌ عليه السلام، ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ﴾: وَهِيَ مَنْصُوبَةٌ عَلَىٰ التَّحْذِيرِ: اِحْذَرُوا نَاقَةَ اللهِ، فَلَا تَعْقِرُوهَا، ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقۡيَٰهَا﴾: دَعُوا سُقْيَاهَا، وَهُوَ شُرْبُهَا، فَلَا تَعْرِضُوا لَهَا يَوْمَ شُرْبِهَا.

---

(١) «فتح القدير» (٥/ ٥٤٧ - ٥٤٨).

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٥٨)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، ﴿كَذَّبَتۡ ثَمُودُ بِطَغۡوَىٰهَآ﴾، أَيْ: «بِالطُّغْيَانِ»، وَقَالَ مُجَاهِدٌ: «كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِمَعْصِيَتِهِمُ اللهَ»، أخرجه عبد الرحمن بن الحسن الهمداني في «تفسر مجاهد» (ص٧٣٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٥٨ - ٤٥٩)، والفريابي كما في «تغليق التعليق» لابن حجر (٤/ ٣٦٩)، بإسناد صحيح، وذكره البخاري معلقا في «صحيحه» في (كتاب التفسير، سورة ٩١)، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٢٩) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وقال ابن زيد مثله، والمعنىٰ متقارب، قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٤١٣): «وهو الأولىٰ».

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا﴾: عقَرَهَا الْأَشْقَىٰ، وَكَانُوا مُوَافِقِينَ لَهُ فِي ذَلِكَ، فَكَأَنَّمَا قامُوا جَمِيعًا بِعقْرِهَا.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم﴾: أَطْبَقَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ ﴿فَسَوَّىٰهَا﴾: فَسَوَّىٰ الدَّمْدَمَةَ عَلَيْهِمْ، وَعَمَّهُمْ بِهَا، وَحَقِيقَةُ الدَّمْدَمَةِ: تَضْعِيفُ الْعَذَابِ وَتَرْدِيدُهُ.

﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾: وَلَا يَخَافُ عَاقِبَةً وَلَا تَبِعَةً[١].

«كَذَّبَتْ ثَمُودُ نَبِيَّهَا بِبُلُوغِهَا الْغَايَةَ فِي الْعِصْيَانِ؛ إِذْ نَهَضَ أَكْثَرُ الْقَبِيلَةِ شَقَاوَةً لِعقْرِ النَّاقَةِ، فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَالِحٌ ﷺ: اِحْذَرُوا النَّاقَةَ الَّتِي أَرْسَلَهَا اللهُ لَكُمْ آيَةً، اِحْذَرُوهَا أَنْ تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ، وَأَنْ تَعْتَدُوا عَلَىٰ سَقْيِهَا، فَإِنَّ لَهَا شِرْبَ يَومٍ وَلَكُمْ شِرْبَ يَومٍ مَعْلُومٍ.

فَشَقَّ عَلَيهِمْ ذَلِكَ، فَكَذَّبُوهُ فِيمَا تَوَعَدَهُمْ بِهِ، فَنَحَرُوهَا، فَأَطْبَقَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمُ الْعُقُوبَةَ بِجُرْمِهِمْ، فَجَعَلَ الْعُقُوبَةَ عَلَيهِمْ عَلَىٰ السَّوَاءِ، فَلَمْ يُفْلِت مِنْهمْ أَحَدٌ، وَلَا يَخَافُ -جَلَّتْ قُدْرَتُهُ- تَبِعَةَ مَا أَنْزَلَهُ بِهِم مِنْ شَدِيدِ الْعِقَابِ»[٢].

* * *

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٦١)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا﴾، قَالَ: «لَا يَخَافُ اللهُ مِنْ أَحَدٍ تَبِعَةً»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٣١) لابن المنذر، وابن أبي حاتم، وهو قول مجاهد، وقتادة، والحسن، وبكر بن عبد الله المزني، واختاره ابن كثير (٨/ ٤١٥)، والشوكاني.

(٢) «التفسير الميسر» (ص٥٩٥).

الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

يَذْكُرُ سُبْحَانَهُ قِصَّةَ ثَمُودَ، وَهُمْ قَوْمُ صَالِحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لِكَيْ نَأْخُذَ الْعِبْرَةَ وَلِيَأْخُذَ الْعَالمونَ مِنْهَا الْعِبْرَةَ، وَلِيَرْتَدِعَ مَنْ كَذَّبَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ قُرَيشٍ عَنْ تَكْذِيبِهِ، خَشْيَةَ أَنْ يُصِيبَهُ مَا أَصَابَ مَنْ قَبْلَهُ مِنَ الْأُمَمِ الْمُكَذِّبَةِ.

فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ ثَمُودَ بِسَبَبِ طُغْيَانِهَا كَذَّبَتْ رَسُولَ اللهِ صَالِحًا عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيمَا أَخْبَرَهُمْ بِهِ مِنْ عَذَابِ اللهِ حِينَ قَامَ أَشْقَىٰ ثَمُودَ بِعَقْرِ النَّاقَةِ الَّتِي جَعَلَهَا اللهُ لَهُمْ آيَةً، فَنَهَاهُمْ رَسُولُ اللهِ صَالِحٌ عَنْ عَقْرِهَا قَائِلًا: اِحْذَرُوا عَقْرَ نَاقَةِ اللهِ، وَذَرُوا الماءَ فِي الْيَومِ الَّذِي تَشْرَبُ مِنْهُ، لَا تَتَعَرَّضُوا لَهُ، وَلَا تَعْتَدُوا عَلَيْهَا فِي سُقْيَاهَا، فَكَذَّبُوا صَالِحًا فِيمَا جَاءَهُمْ، وَفِيمَا أَنْذَرَهُمْ بِهِ مِنَ الْعَذَابِ.

وَتَجَرَّءُوا عَلَىٰ عَقْرِ النَّاقَةِ، فَأَهْلَكَهُمُ اللهُ هَلَاكَ اِسْتِئْصَالٍ فَلَمْ يُفْلِت مِنْهُمْ أَحَدٌ؛ لِأَنَّهُمْ أَجْمَعُوا عَلَىٰ قَتْلِ النَّاقَةِ، وَتَكْذِيبِ الرَّسُولِ، فَسَوَّىٰ اللهُ بَيْنَهُمْ فِي الْعَذَابِ وَالدَّمْدَمَةِ وَالتَّدْمِيرِ، وَتَضْعِيفِ الْعَذَابِ وَإِطْبَاقِهِ عَلَيهِمْ، فَعَلَ بِهِمْ سُبْحَانَهُ كُلَّ ذَلِكَ، وَلَمْ يَخَفْ فِيهِ تَبِعَةً مِنْ أَحَدٍ، فَهُوَ الحَكِيمُ فِي صُنْعِهِ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وَهُمْ يُسْأَلُونَ.

●●●

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[١]:

١- فِي الْآيَاتِ: التَّحْذِيرُ مِنْ تَكْذِيبِ الرُّسُلِ، فَإِنَّ الْكُفْرَ بِنِعَمِ اللهِ سَبَبٌ لِتَعْجِيلِ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا.

٢- وَفِيهَا: التَّحْذِيرُ مِنَ الطُّغْيَانِ؛ فَإِنَّهُ مُهلِكٌ، وَمُدَمِّرٌ، وَمُوجِبٌ لِلْهَلَاكِ، وَالدَّمَارِ فِي الدُّنْيَا مَعَ مَا يَكُونُ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّ نَجَاةَ الْعَبْدِ مِنَ النَّارِ وَأَنَّ دُخُولَهُ الجَنَّةَ؛ كُلُّ ذَلِكَ مُتَوَقِّفٌ عَلَىٰ زَكَاةِ النَّفْسِ، وَتَطْهِيرِهَا مِنْ أَوْضَارِ الذُّنُوبِ وَالمعَاصِي وَأَدْرَانِهَا، وَأَنَّ شَقَاءَ الْعَبْدِ، وَخُسْرَانِهِ سَبَبُهُ تَدْنِيسُهُ نَفْسَه بِالشِّرْكِ وَالمعَاصِي.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَاهِرٌ لَا يُغْلَبُ، وَلَا يَمْتَنِعُ مِنْ عَذَابِهِ أَحَدٌ، فَعَلَىٰ المَرْءِ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ يُطِيعَ رُسُلَ اللهِ فِيمَا جَاءُوا بِهِ مِنْ عِنْدِ اللهِ، وَأَنْ يَمْتَثِلَ أَوَامِرَ رَبِّهِ؛ لِيَنْجُوَ مِنْ عَذَابِ سَيِّدِهِ وَمَوْلَاهُ.

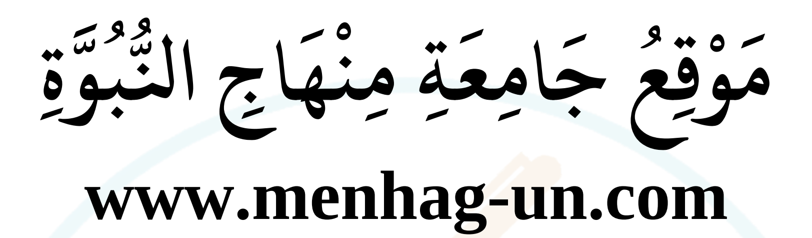
٥- وَفِي الْآيَاتِ: بَيَانُ أَحْوَالِ بَعْضِ الْأُمَمِ كَأَصْحَابِ مَدْيَنَ، وَقَوْمِ لُوطٍ وَفِرْعَونَ.

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٧٩).

٦- وَفِيهَا: بَيَانُ سُنَّةِ اللهِ فِي المُكَذِّبِينَ، وَفِي قَصِّ الْقَصَصِ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ تَسْلِيَةً لَهُ؛ إِذْ كَذَّبَهُ قَوْمُهُ، وَعَانَدُوهُ.

***


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com



يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَةُ الْعَاشِرَةُ)

مِنْ مَادَّةِ التَّفْسِيرِ

تفسير

جزء عمّ

[سُورَتَيِ: اللَّيْلِ، وَالضُّحَى]


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ اللَّيْلِ

* سُورَةُ اللَّيْلِ مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ تَتَحَدَّثُ عَنْ سَعْيِ الْإِنْسَانِ وَعَمَلِهِ، وَعَنْ كِفَاحِهِ وَنِضَالِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، ثُمَّ نِهَايَتِهِ إِلَىٰ النَّعِيمِ أَوْ إِلَىٰ الْجَحِيمِ.

* ابْتَدَأَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِالْقَسَمِ بِاللَّيْلِ إِذَا غَشِيَ الْخَلِيقَةَ بِظَلَامِهِ، وَبِالنَّهَارِ إِذَا أَنَارَ الْوُجُودَ بِإِشْرَاقِهِ وَضِيَائِهِ، وَبِالْخَالِقِ الْعَظِيمِ الَّذِي أَوْجَدَ النَّوْعَيْنِ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَىٰ، أَقْسَمَ عَلَىٰ أَنَّ عَمَلَ الْخَلَائِقِ مُخْتَلِفٌ، وَطَرِيقَهُمْ مُتَبَايِنٌ ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ۝١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ۝٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۝٣ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ الْآيَاتِ.

* ثُمَّ وَضَّحَتِ السُّورَةُ سَبِيلَ السَّعَادَةِ، وَسَبِيلَ الشَّقَاءِ، وَرَسَمَتِ الْخَطَّ الْبَيَانِيَّ لِطَالِبِ النَّجَاةِ، وَبَيَّنَتْ أَوْصَافَ الْأَبْرَارِ وَالْفُجَّارِ، وَأَهْلَ الْجَنَّةِ وَأَهْلَ النَّارِ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ﴾ الْآيَاتِ.

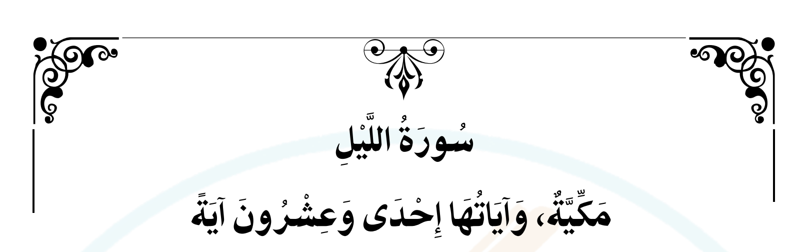
* ثُمَّ نَبَّهَتْ إِلَىٰ اغْتِرَارِ بَعْضِ النَّاسِ بِأَمْوَالِهِمُ الَّتِي جَمَعُوهَا، وَثَرْوَاتِهِمُ الَّتِي كَدَّسُوهَا، وَهِيَ لَا تَنْفَعُهُمْ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ شَيْئًا، وَذَكَّرَتْهُمْ بِحِكْمَةِ اللهِ فِي تَوْضِيحِهِ لِعِبَادِهِ طَرِيقَ الْهِدَايَةِ وَطَرِيقَ الضَّلَالَةِ ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُ إِذَا تَرَدَّىٰ ۝١١ إِنَّ عَلَيْنَا لَلْهُدَىٰ ۝١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ وَالْأُولَىٰ﴾ الْآيَاتِ.

* ثُمَّ حَذَّرَتْ أَهْلَ مَكَّةَ مِنْ عَذَابِ اللهِ وَانْتِقَامِهِ مِمَّنْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ وَرُسُلِهِ، وَأَنْذَرَهُمْ مِنْ نَارٍ حَامِيَةٍ، تَتَوَهَّجُ مِنْ شِدَّةِ حَرِّهَا، لَا يَدْخُلُهَا وَلَا يَذُوقُ سَعِيرَهَا إِلَّا الْكَافِرُ الشَّقِيُّ، الْمُعْرِضُ عَنْ هِدَايَةِ اللهِ ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ بِذِكْرِ نُمُوذَجٍ لِلْمُؤْمِنِ الصَّالِحِ، الَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ فِي وُجُوهِ الْخَيْرِ، لِيُزَكِّيَ نَفْسَهُ وَيَصُونَهَا مِنْ عَذَابِ اللهِ، وَضَرَبَتِ الْمَثَلَ بِأَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رضي الله عنه حِينَ اشْتَرَىٰ بِلَالًا وَأَعْتَقَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾.

●●●





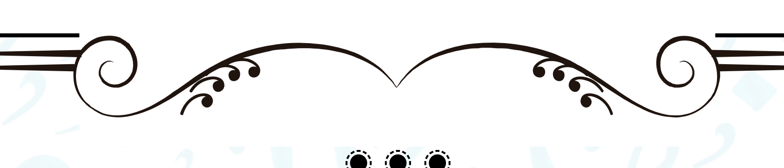
سُورَةُ اللَّيْلِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا إِحْدَى وَعِشْرُونَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: ١٣

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ ٣ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ٤ فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ ١٠ وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ ١١ إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ ١٢ وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ﴾.



● ● ●

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[(١)]:

قَالَ تَعَالَىٰ فِي «سُورَةِ اللَّيْلِ»:

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾: وَاللَّيْلِ إِذْ يُغَطِّي بِظُلْمَتِهِ مَا كَانَ مُضِيئًا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ.

﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾: ظَهَرَ نُورُهُ، وَانْكَشَفَ، وَوَضُحَ؛ لِزَوَالِ الظُّلْمَةِ فَتَجَلَّىٰ.

﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾: ﴿مَا﴾[(٢)]: إِمَّا أَنْ تَكُونَ مَوْصُولَةً: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾: يَعْنِي: وَالَّذِي خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ[(٣)]، وَإِمَّا أَنْ تَكُونَ مَصْدَرِيَّةً: وَخَلْقِ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَىٰ[(٤)].

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٤٤٧)، و«فتح القدير» (٥/ ٥٥٠ - ٥٥١).

(٢) فيها الوجهين كما تقدم في قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا﴾ [الشمس: ٥]، وفي: ﴿وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾ [الشمس: ٦].

(٣) فيكون (ما) بمعنىٰ (منْ)، ويكون ذلك قسما من الله ﷻ بخالق الذّكر والأنثىٰ، وهو ذلك الخالق، وهذا قول الحسن، أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٦٧)، بإسناد صحيح، عَنِ الْحَسَنِ، أَنَّهُ كَانَ يَقْرَؤُهَا: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾، يَقُولُ: «**وَالَّذِي خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٣٤) لابن أبي حاتم.

(٤) فيكون (ما) مع ما بعدها بمعنىٰ المصدر، ويكون قسما بخلقه الذكر والأنثىٰ، وقد ثبت عن ابن مسعود وأبي الدرداء: أنهما كانا يقرآن ذلك: ﴿ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾، ويأثُره أبو الدرداء =

أَقْسَمَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا بِهَذِهِ الْأَقْسَامِ، وَللهِ جَلَّ وَعَلَا أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ، وَأَمَّا الْعَبْدُ فَلَيْسَ لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِغَيْرِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ ٢ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾: جَوَابُ الْقَسَمِ: ﴿إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ﴾: إِنَّ عَمَلَكُمْ لَمُخْتَلِفٌ، فَمِنْهُ عَمَلٌ لِلْجَنَّةِ، وَمِنْهُ عَمَلٌ لِلنَّارِ.

«فَأَقْسَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِاللَّيْلِ عِنْدَمَا يُغَطِّي بِظَلَامِهِ الْأَرْضَ وَمَا عَلَيْهَا، وَأَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِالنَّهَارِ إِذَا انْكَشَفَ عَنْ ظَلَامِ اللَّيْلِ بِضِيَائِهِ، وَبِخَلْقِ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرِ وَالْأُنْثَىٰ أَوْ بِخَالِقِهِمَا جَلَّ وَعَلَا إِنَّ عَمَلَكُمْ لَمُخْتَلِفٌ، بَيْنَ عَامِلٍ لِلدُّنْيَا، وَعَامِلٍ لِلْآخِرَةِ»[1].

=

عن رسول الله ﷺ، أخرجه البخاري في «صحيحه» في (كتاب التفسير، سورة ٩٢: باب ٢، رقم ٤٩٤٤) ومواضع، ومسلم في «صحيحه» في (كتاب صلاة المسافرين، باب ٥٠: ٣، رقم ٨٢٤)، عَنْ إِبْرَاهِيمَ، قَالَ: قَدِمَ أَصْحَابُ ابْنِ مَسْعُودٍ عَلَىٰ أَبِي الدَّرْدَاءِ فَطَلَبَهُمْ فَوَجَدَهُمْ، فَقَالَ: أَيُّكُمْ يَقْرَأُ عَلَىٰ قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ؟ قَالَ: كُلُّنَا، قَالَ: فَأَيُّكُمْ أَحْفَظُ؟ فَأَشَارُوا إِلَىٰ عَلْقَمَةَ، قَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَهُ يَقْرَأُ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ﴾؟ قَالَ عَلْقَمَةُ: (**وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَىٰ**)، قَالَ: «**أَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقْرَأُ هَكَذَا**»، ...الحديث، قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٤١٦): «وَأَمَّا الْجُمْهُورُ فَقَرَأُوا ذَلِكَ كَمَا هُوَ مُثْبَت فِي الْمُصْحَفِ الْإِمَامُ الْعُثْمَانِيُّ فِي سائر الآفاق: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾».

وهو أيضا قول قتادة، أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٦٣٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٦٧)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ﴾، قَالَ: فِي بَعْضِ الْحُرُوفِ: «**وَالذَّكَرِ وَالْأُنْثَىٰ**».

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٥).

﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ﴾: فَأَمَّا مَنْ بَذَلَ مَالَهُ فِي وُجُوهِ الخَيْرِ، وَاتَّقَىٰ مَحَارِمَ اللهِ الَّتِي نَهَىٰ اللهُ تَعَالَىٰ عَنْهَا، ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾: بِالخَلَفِ مِنَ اللهِ رَبِّ الْعَالمين، بِالْعَطَاءِ وَالجُودِ مِنْ أَكْرَمِ الْأَكْرَمِينَ(١).

﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾: فَسَنُهَيِّئُهُ لِلْخَصْلَةِ الحُسْنَىٰ، وَهِيَ عَمَلُ الخَيْرِ(٢).

---

(١) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٣٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٦٨ - ٤٦٩)، والبيهقي من طريق: سعيد بن منصور في «شعب الإيمان» (١٣/ رقم ١٠٣٣٢)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾، قَالَ: «**وَصَدَّقَ بِالْخَلَفِ مِنَ اللهِ**»، وفي رواية: «**أَيْقَنَ بِالْخَلَفِ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٣٥) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وهو قول عكرمة، وأبو صالح، ومقاتل، ورواية عن مجاهد، واختاره ابن جرير الطبري.

وَيُؤَيِّدُهُ ما أخرجه البخاري في «صحيحه» في (الزكاة، ٢٧، رقم ١٤٤٢)، ومسلم في «صحيحه» في (الزكاة، ١٧، رقم ١٠١٠)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَا مِنْ يَوْمٍ يُصْبِحُ الْعِبَادُ فِيهِ إِلَّا مَلَكَانِ يَنْزِلَانِ، فَيَقُولُ أَحَدُهُمَا: اللهُمَّ، أَعْطِ مُنْفِقًا خَلَفًا، وَيَقُولُ الْآخَرُ: اللهُمَّ، أَعْطِ مُمْسِكًا تَلَفًا**».

(٢) وهو قول ابن عباس ﵄ فِي قَوْلِهِ: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ﴾، قَالَ: «**لِلْخَيْرِ مِنَ اللهِ** ﷻ»، وقد تقدم تخريجه فِي قَوْلِهِ: ﴿وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾، وهو قول مقاتل والفراء أيضا.

وَيُؤَيِّدُهُ ما أخرجه البخاري في (التفسير، ٩٢: ٤، رقم ٤٩٤٦) ومواضع، ومسلم في (القدر، ١: ٩، رقم ٢٦٤٧)، من حديث: عَلِيٍّ ﵁، قَالَ: كُنَّا فِي جَنَازَةٍ فِي بَقِيعِ الْغَرْقَدِ، فَأَتَانَا رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَعَدَ وَقَعَدْنَا حَوْلَهُ، وَمَعَهُ مِخْصَرَةٌ فَنَكَّسَ فَجَعَلَ يَنْكُتُ بِمِخْصَرَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ، مَا مِنْ نَفْسٍ مَنْفُوسَةٍ، إِلَّا وَقَدْ كَتَبَ اللهُ مَكَانَهَا**

=

«فَأَمَّا مَنْ بَذَلَ مِنْ مَالِهِ وَاتَّقَىٰ اللهَ فِي ذَلِكَ، وَصَدَّقَ بِالحِسَابِ وَالثَّوَابِ، وَبِمَا يُؤْتِيهِ اللهُ جَلَّ وَعَلَا مِنَ الخَيْرِ عَلَىٰ أَعْمَالِهِ، أَمَّا مَنْ كَانَ كَذَلِكَ فَسَنُرْشِدُهُ إِلَىٰ أَسْبَابِ الخَيْرِ وَالصَّلَاحِ، وَسَنُيَسِّرُ لَهُ أُمُورَهُ»(١).

﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾: وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ بِمَالِهِ، فَلَمْ يُنْفِقْ شَيْئًا مِنْ مَالِهِ فِي سُبُلِ الخَيْرِ، ﴿وَٱسۡتَغۡنَىٰ﴾: فَزَهِدَ فِي الْأَجْرِ وَالثَّوَابِ، ﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: بِالخَلَفِ مِنَ اللهِ(٢)، وَبِالجَنَّةِ(٣)، ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾: فَسَنُهَيِّئُهُ لِلْخَصْلَةِ الْعُسْرَىٰ، وَنُسَهِّلُهَا لَهُ حَتَّىٰ تَتَعَسَّرَ عَلَيهِ أَسْبَابُ الخَيْرِ.

=

مِنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَإِلَّا وَقَدْ كُتِبَتْ شَقِيَّةً أَوْ سَعِيدَةً»، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَفَلَا نَمْكُثُ عَلَىٰ كِتَابِنَا، وَنَدَعُ الْعَمَلَ؟ فَقَالَ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ، أَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ، وَأَمَّا أَهْلُ الشَّقَاوَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاوَةِ**»، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ ٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسۡتَغۡنَىٰ ٨ وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡعُسۡرَىٰ﴾.

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٥).

(٢) وهو قول ابن عباس وغيره، كما تقدم في قوله: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾.

(٣) وهو قول مجاهد، أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٧٠، و٤٧٢ - ٤٧٣)، بإسناد صحيح، قَالَ في قوله: ﴿بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾: «**بِالْجَنَّةِ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٣٥) للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وهو قول ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص٥٣١).

﴿وَمَا يُغۡنِي عَنۡهُ مَالُهُۥٓ﴾: الَّذِي بَخِلَ بِهِ، ﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾: إِذَا هَوَىٰ فِي النَّارِ هَالِكًا(١).

«وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ بِمَالِهِ وَاسْتَغْنَىٰ عَنْ جَزَاءِ رَبِّهِ، وَكَذَّبَ بِالحِسَابِ وَالثَّوَابِ فَسَنُعِينُهُ عَلَىٰ مَا اخْتَارَ، وَسَنُيَسِّرُ لَهُ مُهَيِّئِينَ إِيَّاهُ الخَصْلَةَ الْعَسِيرَةَ الْعُسْرَىٰ، فَلَا يَنْفَعُهُ مَالُهُ الَّذِي بَخِلَ بِهِ إِذَا وَقَعَ هَاوِيًا عَلَىٰ أُمِّ رَأْسِهِ مُتَرَدِّيًا فِي النَّارِ»(٢).

﴿إِنَّ عَلَيۡنَا لَلۡهُدَىٰ﴾: إِنَّ عَلَيْنَا الْبَيَانَ وَالإِرْشَادَ.

﴿وَإِنَّ لَنَا لَلۡأٓخِرَةَ وَٱلۡأُولَىٰ﴾: وَلَنَا كُلُّ مَا فِي الْآخِرَةِ، وَلَنَا كُلُّ مَا فِي الدُّنْيَا.

«إِنَّ عَلَيْنَا بِفَضْلِنَا، وَحِكْمَتِنَا أَنْ نُبَيِّنَ طَرِيقَ الْهُدَىٰ المُوصِلَ إِلَىٰ اللهِ وَإِلَىٰ جَنَّتِهِ، وَأَنْ نُمَيِّزَهُ مِنْ طَرِيقِ الضَّلَالِ، وَإِنَّ لَنَا مِلْكَ الحَيَاةِ الْآخِرَةِ وَالحَيَاةِ الدُّنْيَا، فَحَذَّرْتُكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ، وَخَوَّفْتُكُمْ نَارًا تَتَوَهَّجُ وَهِيَ نَارُ جَهَنَّمَ»(٣).

●●●

(١) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٦٣٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٧٦)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾، قَالَ: «**إِذَا تَرَدَّىٰ -سَقَطَ- فِي النَّارِ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٣٦) لعبد بن حميد، وهو قول أبو صالح ذكوان السمان، وزيد بن أسلم، واختاره ابن جرير الطبري.

(٢) «التفسير الميسر» (ص٥٩٥ - ٥٩٦) بتصرف يسير.

(٣) المصدر السابق (ص٥٩٦).

الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِاللَّيْلِ حِينَ يَغْشَىٰ النَّهَارَ بِظُلْمَتِهِ، فَيَذْهَبُ بِضَوْئِهِ، وَأَقْسَمَ بِالنَّهَارِ إِذَا بَانَ وَظَهَرَ بِضِيَائِهِ وَإِشْرَاقِهِ، وَأَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِنَفْسِهِ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَىٰ مِنْ مَاءٍ وَاحِدٍ.

وَللهِ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، أَمَّا الْمَخْلُوقُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِغَيْرِ اللهِ.

أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ أَنَّ أَعْمَالَ الْعِبَادِ مُخْتَلِفَةٌ مُتَضَادَّةٌ، فَمِنْ فَاعِلِ خَيْرٍ، وَمِنْ فَاعِلِ شَرٍّ، ثُمَّ فَصَّلَ فِي ذَلِكَ فَقَالَ: أَمَّا الَّذِي أَعْطَىٰ مَالَهُ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَأَعْطَىٰ مَا أُمِرَ بِإِخْرَاجِهِ مِنَ الزَّكَاةِ، وَخَافَ اللهَ تَعَالَىٰ فَلَمْ يَرْتَكِبْ مَحَارِمَهُ، وَصَدَّقَ بِكَلِمَةِ التَّوْحِيدِ وَعَمِلَ بِمُقْتَضَاهَا، فَسَيُهَيِّئُهُ اللهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لِلْعَمَلِ بِمَا يُرْضِيهِ سُبْحَانَهُ.

وَعَلَىٰ الْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ مَنْ بَخِلَ بِالنَّفَقَةِ فِي الْخَيْرِ، وَاسْتَغْنَىٰ عَنْ ثَوَابِ اللهِ، فَلَمْ يَرْغَبْ فِيهِ، وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَىٰ، فَسَيُهَيِّئُهُ اللهُ لِطَرِيقِ الشَّرِّ؛ حَتَّىٰ يَعْمَلَ بِمَا لَا يُرْضِي اللهَ فَيَسْتَوْجِبَ النَّارَ.

جاءَ فِي الحَدِيثِ: «**اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لمَا خُلِقَ لَهُ، أَمَّا أَهْلُ الشَّقَاءِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ الشَّقَاءِ، وَأَمَّا أَهْلُ السَّعَادَةِ فَيُيَسَّرُونَ لِعَمَلِ أَهْلِ السَّعَادَةِ،...**»(١).

وَلَكِنْ بِهَذَا المَلْحَظِ يَتبَيَّنُ أَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا عَمِلَ الخَيْرَ وَصَدَّقَ بِالحُسْنَىٰ؛ فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَىٰ، وَيُهَيِّئُهُ لِلْخَصْلَةِ الحُسْنَىٰ، وَهِيَ عَمَلُ الخَيْرِ.

وَأَمَّا إِذَا مَا بَخِلَ وَاسْتَغْنَىٰ، وَكَذَّبَ بِالخَلَفِ مِنَ اللهِ وَبِالجَنَّةِ؛ فَإِنَّ اللهَ يُهَيِّئُهُ لِلْخَصْلَةِ الْعُسْرَىٰ، وَيُسَهِّلُهَا لَهُ؛ حَتَّىٰ تَتَعَسَّرَ عَلَيهِ أَسْبَابُ الخَيْرِ.

وَقَدْ جَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالمِينَ -وَلَهُ المَشِيئَةُ المُطْلَقَةُ- لِلْعَبْدِ مَشِيئَةً تَحْتَ مَشِيئَتِهِ جَلَّ وَعَلَا، وَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالمِينَ المُبَادَرَةَ بِيَدِ الْعَبْدِ؛ لِأَنَّ الإِنْسَانَ إِذَا ذَكَرَ اللهَ رَبَّ الْعَالمِينَ فِي نَفْسِهِ ذَكَرَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالمِينَ فِي نَفْسِهِ، وَإِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ فِي مَلَأٍ ذَكَرَهُ اللهُ رَبُّ الْعَالمِينَ فِي مَلَأٍ خَيْرٍ مِنْه، وَإِذَا تَقَرَّبَ الْعَبْدُ إِلَىٰ رَبِّهِ شِبْرًا تَقَرَّبَ اللهُ إِلَيهِ ذِرَاعًا، وَإِذَا تَقَرَّبَ إِلَىٰ رَبِّهِ ذِرَاعًا تَقَرَّبَ إِلَيهِ رَبُّهُ بَاعًا، فَإِذَا جَاءَ رَبَّهُ يَمْشِي جَاءَهُ رَبُّهُ هَرْوَلَةً(٢).

---

(١) تقدم تخريجه.

(٢) أخرج البخاري في (كتاب التوحيد، باب ١٥: ٣، و٣٥: ١٤، رقم ٧٤٠٥، و٧٥٠٥)، ومسلم في (كتاب الدعوات، باب ١: ١، و٦: ١)، وفي (كتاب التوبة، باب ١: ١، رقم ٢٦٧٥)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ**
=

فَجَعَلَ اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ ذَلِكَ الْأَمْرَ لِلْإِنْسَانِ عَلَىٰ حَسَبِ اخْتِيَارِهِ، وَاللهُ رَبُّ الْعَالمينَ يَزِيدُهُ هُدًىٰ، أَوْ يُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَىٰ عَلَىٰ حَسَبِ اخْتِيَارِ الْعَبْدِ بِمَشِيئَتِهِ الَّتِي هِيَ تَحْتَ مَشِيئَةِ الرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

ثُمَّ قَالَ ﷻ: وَأَيُّ شَيْءٍ يَنْفَعُ هَذَا الْبَخِيلَ بِالمالِ إِذَا مَاتَ، وَوَقَعَ فِي جَهَنَّمَ؟

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ بِيَدِهِ الْإِرْشَادَ وَالتَّوْفِيقَ وَالهِدَايَةَ، وَعَلَيْهِ بَيَانَ طَرِيقِهِمَا، يُرْشِدُ أَوْلِيَاءَهُ إِلَىٰ الْعَمَلِ بِطَاعَتِهِ، وَيَصْرِفُ عَنِ الْعَمَلِ بِهَا أَعْدَاءَهُ، فَأَخْبَرَ أَنَّ الدُّنْيَا وَالآخِرَةَ مِلْكًا لَهُ، فَمَنْ طَلَبَهُمَا مِنْ غَيْرِهِ فَقَدْ أَخْطَأَ الطَّرِيقَ.

◉ ◉ ◉

=

ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ بِشِبْرٍ تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَإِنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً».

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ(١):

١- فِي الْآيَاتِ: بَيَانُ عَظَمَةِ اللهِ، وَقُدْرَتُهُ وَعِلْمُهُ، وَكُلُّ ذَلِكَ مُوجِبٌ لِرُبُوبِيَّتِهِ المقْتَضِيةِ لِعِبَادَتِهِ وَحْدَه سُبْحَانَهُ دُونَ سِوَاهُ.

٢- وَفِي الْآيَاتِ: بَيَانُ أَنَّ أَعْمَالَ النَّاسِ مُخْتَلِفَةٌ، وَمُتبَايِنَةٌ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: الدَّلَالَةُ عَلَىٰ أَنَّ مَنْ أَطَاعَ اللهَ، وَسَارَعَ إِلَىٰ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ يُوَفَّقُ لِكُلِّ خَيْرٍ.

٤- وَفِيهَا: الدَّلَالَةُ عَلَىٰ خُسْرَانِ مَنْ أَعْرَضَ عَنْ طَاعَةٍ، وَتَرَكَ مَا أَوْجَبَهُ اللهُ عَلَيهِ.

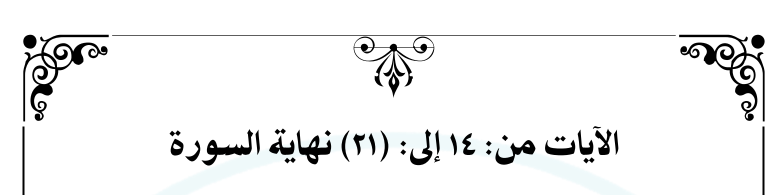
٥- وَفِيهَا: تَقْرِيرُ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ، وَأَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ لَهُ.

٦- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّ المالَ لَا يُنْجِي صَاحِبَهُ مِنَ النَّارِ مَا لَمْ يَتَّقِ اللهَ تَعَالَىٰ.

٧- وَفِي الْآيَاتِ: بَيَانُ أَنَّ الهِدَايَةَ بِيَدِ اللهِ سُبْحَانَهُ، وَأَنَّ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ مِلْكٌ للهِ وَحْدَهُ جَلَّ وَعَلَا.

● ● ●

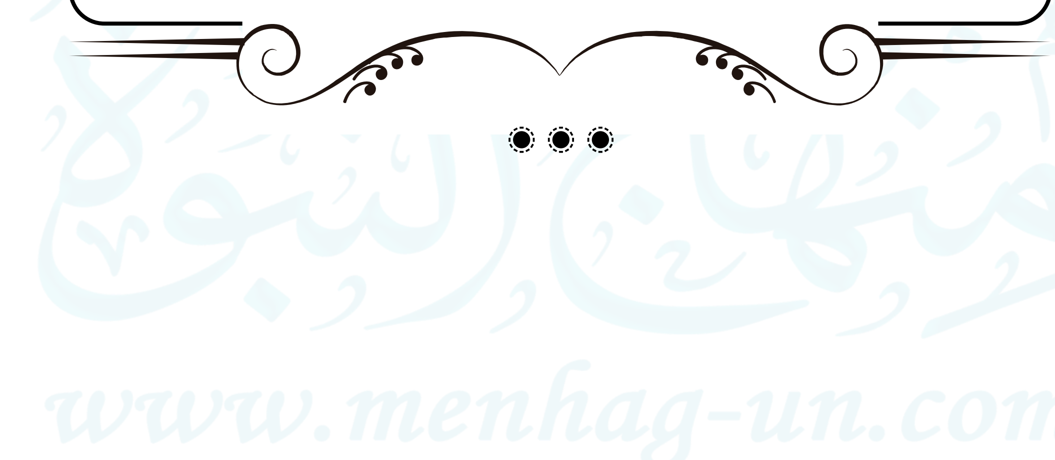
(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٨٢).

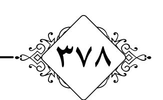


الآيات من: ١٤ إلى: (٢١) نهاية السورة



﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ ﴿١٤﴾ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى ﴿١٥﴾ ٱلَّذِى كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٦﴾ وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ﴾.





تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

قَالَ سُبْحَانَهُ:

﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾: فَخَوَّفْتُكُمْ نَارًا تَتَوَقَّدُ.

﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى﴾: لَا يَدْخُلُهَا إِلَّا الْكَافِرُ يَجِدُ صَلَاهَا وَهُوَ حَرُّهَا.

﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى ⑮ الَّذِي كَذَّبَ﴾: الرَّسُولَ، ﴿وَتَوَلَّىٰ﴾ عَنِ الْإِيمَانِ مُعْرِضًا.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾: وَسَيُبَاعَدُ عَنْهَا -عَنْ تِلْكَ النَّارِ- الْمُتَّقِي لِلْكُفْرِ اتِّقَاءً بَالِغًا.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى ⑰ الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ﴾: الَّذِي يُعْطِي مَالَهُ، ﴿يَتَزَكَّىٰ﴾: يَطْلُبُ أَنْ يَكُونَ زَاكِيًا لَا رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً، وَهُوَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيهِ-، فِي قَوْلِ الْجَمِيعِ، وَأَمَّا حُكْمُ الْآيَةِ فَعَامٌّ(٢).

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٤٤٧ - ٤٤٩)، و«فتح القدير» (٥/ ٥٥١ - ٥٥٣).

(٢) أخرج ابن هشام في «السيرة» (١/ ٣١٩)، وأحمد في «فضائل الصحابة» (رقم ٦٦)، وعبد الله بن أحمد في زوائده على «الفضائل» (رقم ٢٩١)، وابن أبي الدنيا في «مكارم الأخلاق» (رقم ٤١٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٢٥ - ٥٢٦، رقم ٣٩٤٢)، =

﴿وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعۡمَةٖ﴾: أَيْ: مِنْ يَدٍ ﴿تُجۡزَىٰٓ﴾: فَيُكَافِئُهُ عَلَيْهَا(١).

﴿إِلَّا﴾: لَكِنْ ﴿ٱبۡتِغَآءَ وَجۡهِ رَبِّهِ ٱلۡأَعۡلَىٰ﴾: لَا يَفْعَلُ ذَلِكَ مُجَازَاةً لِأَحَدٍ بِيَدٍ لَهُ عِنْدَهُ، وَلَكِنْ يَفْعَلُهُ؛ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَىٰ.

﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ﴾: بِمَا يُعْطِيهِ اللهُ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْجَنَّةِ وَالْكَرَامَةِ؛ جَزَاءً عَلَىٰ مَا فَعَلَ.

=

والواحدي في «أسباب النزول» (ص٤٥٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٠/ ٦٩، ترجمة ٣٣٩٨)، من طريق: ابْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ: حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي عَتِيقٍ، عَنْ عَامِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، عَنْ بَعْضِ أَهْلِهِ، قَالَ: قَالَ أَبُو قُحَافَةَ لِابْنِهِ أَبِي بَكْرٍ: «يَا بُنَيَّ، إِنِّي أَرَاكَ تُعْتِقُ رِقَابًا ضِعَافًا، فَلَوْ أَنَّكَ إِذْ فَعَلْتَ مَا فَعَلْتَ أَعْتَقْتَ رِجَالًا جلدًا يَمْنَعُونَكَ وَيَقُومُونَ دُونَكَ»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: «**يَا أَبَتِ، إِنِّي أُرِيدُ مَا أُرِيدُ**»، قَالَ: فَيُتَحَدَّثُ مَا نَزَلَ هَؤُلَاءِ الْآيَاتُ إِلَّا فِيهِ وَفِيمَا قَالَ أَبُوهُ: ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ٥ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ ٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلۡيُسۡرَىٰ...﴾ إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ.

وجميع المفسرين علىٰ القول بهذا من غير خلاف بينهم، قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٤٢٢): «وَقَدْ ذَكَرَ غَيْرُ وَاحِدٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ أَنَّ هَذِهِ الْآيَاتِ نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، حَتَّىٰ إِنَّ بَعْضَهُمْ حَكَىٰ الْإِجْمَاعَ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَلَا شَكَّ أَنَّهُ دَاخِلٌ فِيهَا، وَأَوْلَىٰ الْأُمَّةِ بِعُمُومِهَا، فَإِنَّ لَفْظَهَا لَفْظُ الْعُمُومِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلۡأَتۡقَى ١٧ ٱلَّذِي يُؤۡتِي مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ﴾، وَلَكِنَّهُ مُقَدَّمُ الْأُمَّةِ وَسَابِقُهُمْ فِي جَمِيعِ هَذِهِ الْأَوْصَافِ وَسَائِرِ الْأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ».

(١) «تفسير الطبري» (٢٤/ ٤٧٨ - ٤٧٩).

«لَا يَدْخُلُهَا -أَيْ: لَا يَدْخُلُ النَّارَ الَّتِي حَذَّرْتُكُمْ لَظَاهَا وَتَوَقُّدَهَا- إِلَّا مَنْ كَانَ شَدِيدَ الشَّقَاءِ، الَّذِي كَذَّبَ نَبِيَّ اللهِ مُحَمَّدًا ﷺ، وَأَعْرَضَ عَنِ الْإِيمَانِ بِاللهِ وَرَسُولِهِ وَطَاعَتِهِمَا، وَسَيُزَحْزَحُ عَنْهَا شَدِيدُ التَّقْوَىٰ الَّذِي يَبْذُلُ مَالَهُ ابْتِغَاءَ المَزِيدِ مِنَ الخَيْرِ، وَلَيْسَ إِنْفَاقُهُ ذَا مُكَافَئَةٍ لِمَنْ أَسْدَىٰ إِلَيهِ مَعْرُوفًا أَوِ اصْطَنَعَ عِنْدَهُ يَدًا، لَكِنَّهُ يَبْتَغِي بِذَلِكَ وَجْهَ رَبِّهِ تَعَالَىٰ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ الْأَعْلَىٰ يَلْتَمِسُ بِذَلِكَ رِضَاهُ، وَلَسَوْفَ يُعْطِيهِ اللهُ فِي الجَنَّةِ مَا يَرْضَىٰ بِهِ وَتَقَرُّ بِهِ عَيْنُهُ»[١].

***

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٦).



الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

يُخَوِّفُ اللهُ سُبْحَانَهُ الْمُكَذِّبِينَ لِرَسُولِهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ، وَأَخْبَرَ أَنَّهَا تَتَوَقَّدُ وَتَتَهَلَّبُ، وَلَا يَدْخُلُهَا إِلَّا الشَّقِيُّ الَّذِي كَذَّبَ النَّبِيَّ ﷺ وَأَعْرَضَ عَنِ الإِيمَانِ، وَسَوْفَ يُبْعَدُ عَنِ النَّارِ التَّقِيُّ الَّذِي يُعْطِي مَالَهُ فِي طَاعَةِ رَبِّهِ؛ لِيُزَكِّيَ نَفْسَهُ وَيُطَهِّرَهَا، فَلَا يَطْلُبُ بِمَا يُنْفِقُهُ رِيَاءً وَلَا سُمْعَةً.

وَسَبَبُ النُّزُولِ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِ أَبِي بَكْرٍ -رِضْوَانُ اللهِ عَلَيهِ-: كَانَ يَشْتَرِي الْعَبْدَ الْمُسْلِمَ، ثُمَّ يُعْتِقُهُ تَخْلِيصًا لَهُ مِنْ تَعْذِيبِ قُرَيشٍ، يَفْعَلُ ذَلِكَ؛ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللهِ وَحْدَهُ(١).

وَلَفْظُ الآيَةِ عَامٌّ فِي كُلِّ مَنْ يَتَّصِفُ بِخِلَالِ وَخِصَالِ الخَيْرِ، وَلَا يَفْعَلُ الخَيْرَ جَزَاءً عَلَىٰ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ بِهَا عَلَيهِ أَحَدٌ فِيمَا سَبَقَ فَيَكُونُ كَرَدِّ الجَمِيلِ، لَكِنَّهُ يَفْعَلُ الخَيرَ خَالِصًا لِوَجْهِ اللهِ تَعَالَىٰ؛ رَجاءَ أَنْ يُثِيبَهُ اللهُ عَلَيهِ فِي الْآخِرَةِ، وَمِنْ حُسْنِ الثَّوَابِ النَّظَرُ إِلَىٰ وَجْهِ الرَّبِّ الْكَرِيمِ سُبْحَانَهُ فِي رَوْضَاتِ الجَنَّاتِ، اللَّهُمَّ لَا تَحْرِمْنَا لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَىٰ وَجْهِكَ فِي الجَنَّةِ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

---

(١) تقدم تخريجه.

وَسَوفَ يَرْضَىٰ هَذَا المُحْسِنُ بِمَا يُعْطِيهِ اللهُ لَهُ مِنَ الجَزَاءِ فِي الآخِرَةِ عَلَىٰ إِحْسَانِهِ فِي الدُّنْيَا، وَعَلَىٰ طَاعَتِهِ لِرَبِّهِ، وَتَصْفِيَةِ نَفْسِهِ، وَتَهْذِيبِهَا مِنْ شَوَائِبِهَا.

◉ ◉ ◉



مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ:

١- فِي الْآيَاتِ: التَّحْذِيرُ مِنَ النَّارِ، وَالتَّحْذِيرُ مِنْ أَسْبَابِ الْوُقُوعِ فِيهَا.

٢- وَفِيهَا: أَنَّ النَّارَ مَآلُ مَنْ كَذَّبَ بِالحَقِّ وَأَعْرَضَ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: بِشَارَةٌ لِمَنْ أَطَاعَ اللهَ، وَأَدَّىٰ حُقُوقَهُ بِالْبُعْدِ عَنِ النَّارِ وَالنَّجَاةِ مِنْهَا.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّ الإِخْلَاصَ فِي الْأَعْمَالِ شَرْطٌ فِي قَبُولِهَا وَالثَّوَابِ عَلَيْهَا.

نَسْأَلُ اللهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ أَنْ يَرْزُقَنَا الإِخْلَاصَ فِي الْقَصْدِ، وَالنِّيَّةِ وَالإِحْسَانِ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ.





بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ الضُّحَى

* سُورَةُ الضُّحَىٰ مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ تَتَنَاوَلُ شَخْصِيَةَ النَّبِيِّ ﷺ الْأَعْظَمِ، وَمَا حَبَاهُ اللهُ بِهِ مِنَ الْفَضْلِ وَالْإِنْعَامِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، لِيَشْكُرَ اللهَ عَلَىٰ تِلْكَ النِّعَمِ الْجَلِيلَةِ، الَّتِي أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَيْهِ.

* ابْتَدَأَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِالْقَسَمِ عَلَىٰ جَلَالَةِ قَدْرِ الرَّسُولِ ﷺ وَأَنَّ رَبَّهُ لَمْ يَهْجُرْهُ وَلَمْ يُبْغِضْهُ كَمَا زَعَمَ الْمُشْرِكُونَ، بَلْ هُوَ عِنْدَ اللهِ رَفِيعُ الْقَدْرِ، عَظِيمُ الشَّأْنِ وَالْمَكَانَةِ ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ﴾.

* ثُمَّ بَشَّرَتْهُ بِالْعَطَاءِ الْجَزِيلِ فِي الْآخِرَةِ، وَمَا أَعَدَّهُ اللهُ تَعَالَىٰ لِرَسُولِهِ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَرَامَاتِ، وَمِنْهَا الشَّفَاعَةُ الْعُظْمَىٰ ﴿وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ﴾.

* ثُمَّ ذَكَّرَتْهُ بِمَا كَانَ عَلَيْهِ فِي الصِّغَرِ، مِنَ الْيُتْمِ، وَالْفَقْرِ، وَالْفَاقَةِ، وَالضَّيَاعِ، فَآوَاهُ رَبُّهُ وَأَغْنَاهُ، وَأَحَاطَهُ بِكَلَئِهِ وَعِنَايَتِهِ ﴿أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ﴾.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ بِتَوْصِيَتِهِ ﷺ بِوَصَايَا ثَلَاثٍ، مُقَابِلَ تِلْكَ النِّعَمِ الثَّلَاثِ، لِيَعْطِفَ عَلَىٰ الْيَتِيمِ، وَيَرْحَمَ الْمُحْتَاجَ، وَيَمْسَحَ دَمْعَةَ الْبَائِسِ الْمُسْكِينِ ﴿فَأَمَّا

﴿ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾ وَهُوَ خَتْمٌ يَتَنَاسَقُ فِيهِ جَمَالُ اللَّفْظِ، مَعَ رَوْعَةِ الْبَيَانِ، فِي أَرْوَعِ صُوَرِ الْإِبْدَاعِ وَالْجَلَالِ.

وَسُورَةُ الضُّحَىٰ[١]؛ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ- فِي سَبَبِ نُزُولِهَا[٢]، عَنْ جُنْدُبِ بْنِ سُفْيَانَ، قَالَ: «اشْتَكَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ -هِيَ أُمُّ جَمِيلٍ الْعَوْرَاءُ امْرَأَةُ أَبِي لَهَبٍ[٣]-، فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾».

وَقِيلَ: لَمَّا سُئِلَ عَنِ الرُّوحِ، وَأَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَذِي الْقَرْنَيْنِ، فَقَالَ: سَأُخْبِرُكُمْ غَدًا، وَلَمْ يَسْتَثْنِ -يَعْنِي: وَلَمْ يَقُلْ: إِنْ شَاءَ اللهُ-، فَعُوقِبَ بِانْتِظَارِ الْوَحْيِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْمًا، وَقَالَ الْمُشْرِكُونَ: قَلَاهُ - أَيْ: قَلَاهُ رَبُّهُ-، فَأَنْزَلَ اللهُ سُورَةَ الضُّحَىٰ[٤].

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٤٥٦)، و«فتح القدير» (٥/ ٥٥٧ - ٥٥٩).

(٢) «صحيح البخاري» في (التفسير، سورة ٩٣: باب ١، رقم ٤٩٥٠)، وأخرجه أيضا مسلم في (الجهاد، باب ٣٩: ٩، رقم ١٧٩٧).

(٣) انظر: «فتح الباري» (٣/ ٩)، و(٨/ ٧١٠).

(٤) قال ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٧١٠): «ذَكَرَ ابن إسحاق فِي «السيرة» فِي سَبَبِ نُزُولِ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾: أَنَّ الْمُشْرِكِينَ لَمَّا سَأَلُوا النَّبِيَّ ﷺ عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ وَالرُّوحِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، وَوَعَدَهُمْ بِالْجَوَابِ وَلَمْ يَسْتَثْنِ، فَأَبْطَأَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً أَوْ أَكْثَرَ فَضَاقَ صَدْرُهُ، وَتَكَلَّمَ الْمُشْرِكُونَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ بِسُورَةِ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾، وَبِجَوَابِ مَا سَأَلُوا، وَبِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ۝٢٣ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣- =



سُورَةُ الضُّحَى

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: (١١) نهاية السورة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥ أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨ فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝٩ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝١٠ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ﴾.

●●●

=

٢٤]، انْتَهَىٰ.

وَذِكْرُ (سُورَةِ الضُّحَىٰ) هُنَا بَعِيدٌ، لَكِنْ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الزَّمَانُ فِي الْقِصَّتَيْنِ مُتَقَارِبًا فَضَمَّ بَعْضُ الرُّوَاةِ إِحْدَىٰ الْقِصَّتَيْنِ إِلَىٰ الْأُخْرَىٰ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا لَمْ يَكُنْ فِي ابْتِدَاءِ الْبَعْثِ، وَإِنَّمَا كَانَ بَعْدَ ذَلِكَ بِمُدَّةٍ، وَاللهُ أَعْلَمُ».



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾: وَالمُرَادُ بِالضُّحَىٰ هُنَا: النَّهَارُ كُلُّهُ؛ لِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾، فَلَمَّا قَابَلَ الضُّحَىٰ بِاللَّيْلِ؛ دَلَّ عَلَىٰ أَنَّ المرَادَ بِهِ النَّهَارُ كُلُّهُ لَا بَعْضُهُ(١)، وَالضُّحَىٰ فِي الْأَصْلِ: اسْمٌ لِوَقْتِ ارْتِفَاعِ الشَّمْسِ قِيدَ رُمْحٍ إِلَىٰ الزَّوَالِ(٢).

﴿وَٱلضُّحَىٰ ١ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾: وَاللَّيْلِ إِذَا غَطَّىٰ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ شَيْءٍ(٣)، وَسَكَنَ فَسَكَنَ النَّاسُ، وَأَخْلَدُوا لِلرَّاحَةِ(٤).

---

(١) وهو قول قتادة، أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٥١)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، في قوله: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس: ١]، قَالَ: «**هَذَا النَّهَارُ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٢٩) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وهو قول الفراء، والزجاج، واختاره ابن جرير الطبري، والشوكاني.

(٢) «لسان العرب» (١٤/ ٤٧٤ - ٤٧٥) مادة: (ضحا).

(٣) وهو قول سعيد بن جبير، عزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٤١) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، بلفظ: «**إذا أقبل فغطّى كل شَيْء**»، وروي نحوه عن ابن عباس، والحسن.

(٤) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٦٣٤)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨٤)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ﴾، قَالَ: «**إِذَا سَكَنَ بِالنَّاسِ**»، =

﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ﴾: أَيْ: مَا تَرَكَكَ، وَلَا تَخَلَّىٰ عَنْكَ مِنَ التَّوْدِيعِ؛ تَوْدِيعِ الْمُفَارِقِ، ﴿وَمَا قَلَىٰ﴾: وَمَا أَبْغَضَكَ.

«أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَىٰ بِالنَّهَارِ كُلِّهِ، وَبِاللَّيْلِ إِذَا سَكَنَ بِالْخَلْقِ وَاشْتَدَّ ظَلَامُهُ، وَيُقْسِمُ اللهُ تَعَالَىٰ بِمَا يَشَاءُ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، وَأَمَّا الْمَخْلُوقُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِغَيْرِ خَالِقِهِ، فَإِنَّ الْقَسَمَ بِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ.

مَا تَرَكَكَ يَا مُحَمَّدُ رَبُّكَ، وَمَا أَبْغَضَكَ؛ لِإِبْطَاءِ الْوَحْيِ عَنْكَ»(١).

﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَىٰ﴾: وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ﴾ جَوَابُ قَسَمٍ مَحْذُوفٍ أَيِ: الْجَنَّةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا.

﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ﴾: وَاللَّامُ هِيَ لَامُ الِابْتِدَاءِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَلَسَوْفَ﴾: دَخَلَتْ عَلَىٰ الْخَبَرِ؛ لِتَأْكِيدِ مَضْمُونِ الْجُمْلَةِ، وَالْمُبْتَدَأُ مَحْذُوفٌ تَقْدِيرُهُ: وَلَأَنْتَ سَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰ(٢)، وَقِيلَ: اللَّامُ لِلْقَسَمِ(٣).

=

وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٤١) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وهو قول عطاء، وعكرمة، وابن زيد، والضحاك، واختاره ابن جرير الطبري، والشوكاني، وقال: «وَعَلَيْهِ جُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ وَأَهْلُ اللُّغَةِ».

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٦).

(٢) «الكشاف» (٤/ ٧٦٧)، و«تفسير أبي السعود» (٩/ ١٧٠).

(٣) «أمالي ابن الحاجب» (١/ ٢٧٧ - ٢٧٨).

﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾: وَالاسْتِفْهَامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ﴾: لِلتَّقْرِيرِ، فَجَعَلَ اللهُ تَعَالَىٰ لَكَ مَأْوَىٰ تَأْوِي إِلَيْهِ.

وَمِنْ بِدَايَةِ هَذِهِ الآيَةِ شُرُوعٌ فِي تَعْدَادِ مَا أَفَاضَهُ اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ مِنَ النِّعَمِ(١)، فَإِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لَمْ يَتْرُكْهُ، بَلْ آوَاهُ وَهَدَاهُ وَأَغْنَاهُ.

فَقَوْلُ مَنْ قَالَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ: إِنَّ رَبَّهُ أَبْغَضَهُ، وَقَلَاهُ قَوْلٌ مَرْدُودٌ.

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ، وَمُسْلِمٌ، وَأَحْمَدُ، وَالتِّرْمِذِيُّ، وَابْنُ مَاجَهْ عَنْ جُنْدُبٍ، قَالَ: «اشْتَكَىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَلَمْ يَقُمْ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَجَاءَتِ امْرَأَةٌ -هِيَ أُمُّ جَمِيلٍ الْعَوْرَاءُ امْرَأَةُ أَبِي لَهَبٍ-، فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي لَأَرْجُو أَنْ يَكُونَ شَيْطَانُكَ قَدْ تَرَكَكَ، لَمْ أَرَهُ قَرِبَكَ مُنْذُ لَيْلَتَيْنِ أَوْ ثَلَاثَةٍ، فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ هَذِهِ السُّورَةَ»(٢).

﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾: وَوَجَدَكَ حَائِرًا، ضَالًّا عَمَّا أَنْتَ عَلَيْهِ، فَهَدَاكَ لِلتَّوْحِيدِ، وَالنُّبُوَّةِ(٣).

---

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨٨)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، في قوله: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝٧ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾، قَالَ: «كَانَتْ هَذِهِ مَنَازِلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَبْلَ أَنْ يَبْعَثَهُ اللهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ».

(٢) تقدم تخريجه.

(٣) قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٤٢٦): «﴿وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ﴾ كَقَوْلِهِ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَٰكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشُّورَى:٥٢]»، وهو معنىٰ قول السدي، وابن =

«وَالدَّارُ الآخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنْ دَارِ الدُّنْيَا، وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ يَا مُحَمَّدُ مِنْ أَنْوَاعِ الإِنْعَامِ فِي الْآخِرَةِ فَتَرْضَىٰ بِذَلِكَ، أَلَمْ يَجِدْكَ مِنْ قَبْلُ يَتِيمًا فَآوَاكَ وَرَعَاكَ، وَوَجَدَكَ لَا تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الإِيمانُ؛ فَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ، وَوَفَّقَكَ لِأَحْسَنِ الْأَعْمَالِ.

﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ﴾: ﴿عَآئِلًا﴾: فَقِيرًا[1]، ﴿فَأَغْنَىٰ﴾: وَسَاقَ لَكَ الرِّزْقَ، وَأَغْنَىٰ نَفْسَكَ بِالْقَنَاعَةِ وَالصَّبْرِ[2]»[3].

﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾: فَأَمَّا الْيَتِيمُ فَلَا تَذِلَّ.

﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾: وَأَمَّا المِسْكِينُ، وَأَمَّا الْفَقِيرُ، وَأَمَّا ذُو الحَاجَةِ، وَأَمَّا الَّذِي يَسْأَلُ الْعِلْمَ فَإِنَّهُ يَنْبَغِي عَلَيْكَ أَلَّا تَنْهَرَهُ بِزَجْرٍ وَلَا غَيْرِهِ.

=

جرير الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨٨).

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٨٨)، بإسناد صحيح، عَنْ سُفْيَانَ الثوري، في قوله: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾، قال: «فَقِيرًا»، وهو قول مقاتل في «تفسيره» (٤/ ٧٣٢)، والفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٧٤)، وغير واحد من المفسرين، واختاره ابن جرير الطبري.

(٢) وهو قول الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٧٤)، قال: «لَمْ يَكُنْ غَنِيًّا عَنْ كَثْرَةِ الْمَالِ وَلَكِنَّ اللهَ أَرْضَاهُ بِمَا آتَاهُ».

(٣) «التفسير الميسر» (ص٥٩٦).

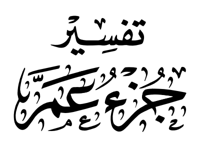
﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾: اُشْكُرْ نِعْمَةَ الإِيمَانِ، وَالإِحْسَانِ، وَالْوَحْيِ وَالْعِلْمِ، وَالْفُرْقَانِ.

«فَأَمَّا الْيَتِيمُ فَلَا تُسِئْ مُعَامَلَتَهُ، وَأَمَّا السَّائِلُ فَلَا تَزْجُرْهُ، بَلْ أَطْعِمْهُ وَاقْضِ حَاجَتَهُ، وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ الَّتِي أَسْبَغَهَا عَلَيكَ فَتَحَدَّثْ بِهَا»(١).

◉ ◉ ◉



(١) المصدر السابق.



الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ بِوَقْتِ الضُّحَىٰ، وَبِاللَّيْلِ إِذَا غَطَّىٰ بِظَلَامِهِ كُلَّ شَيْءٍ، وَللهِ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، أَمَّا الْمَخْلُوقُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِغَيْرِ خَالِقِهِ وَمَوْلَاهُ.

أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ مَا تَرَكَ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ اخْتَارَهُ لِرِسَالَتِهِ، وَلَا أَبْغَضَهُ مُنْذُ أَحَبَّهُ، وَهُوَ الْخَلِيلُ الْمُخْتَارُ، وَإِنَّ لَهُ فِي الدَّارِ الْآخِرَةِ مِنَ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ وَالْحَوْضِ الْمَوْرُودِ، وَرَفْعِ الدَّرَجَاتِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ مَا يَجْعَلُهُ يَزْهَدُ فِي الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا، فَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَهُ مِنَ الدُّنْيَا، وَلَسَوْفَ يُعْطِيهِ اللهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ كُلِّ ذَلِكَ حَتَّىٰ يَرْضَىٰ.

ثُمَّ أَخَذَ سُبْحَانَهُ يُعَدِّدُ نِعَمَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مُنْذُ طُفُولَتِهِ؛ لِيَقِيسَ عَلَيْهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَا يَسْتَقْبِلُ مِنْ نِعَمِ اللهِ، فَتَطِيبُ نَفْسِهِ وَيَقْوَىٰ رَجَاؤُهُ فِي اللهِ، وَجَّهَ الْخِطَابَ إِلَيْهِ قَائِلًا: أَلَمْ تَكُنْ يَتِيمًا بِفَقْدِكَ أَبَوَيْكَ فِي طُفُولَتِكَ، فَآوَاكَ إِلَىٰ عَمِّكَ أَبِي طَالِبٍ فَكَفَلَكَ.

وَوَجَدَكَ ضَالًّا عَنْ مَعْرِفَةِ الشَّرِيعَةِ فَهَدَاكَ إِلَيْهَا، وَوَجَدَكَ فَقِيرًا فَأَغْنَاكَ عَمَّنْ سِوَاهُ، وَغَنَاؤُهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هُوَ أَنَّ اللهَ أَعْطَاهُ الْكَفَافَ، وَجَعَلَهُ قَانِعًا بِمَا أَعْطَاهُ، وَفِي

الحَدِيثِ: «**لَيْسَ الْغِنَىٰ عَنْ كَثْرَةِ الْعَرَضِ، وَلَكِنَّ الْغِنَىٰ غِنَىٰ النَّفْسِ**». وَهَذَا الحَدِيثُ مُتَّفَقٌ عَلَيهِ[(١)].

ثُمَّ ذَكَرَ سُبْحَانَهُ ثَلَاثَ وَصَايَا وَصَّىٰ بِهَا رَسُولَهُ ﷺ، وَالخِطَابُ بَعْدُ عَامٌّ وَإِنْ كَانَ خَاصًّا فِي بَدْءِ تَوَجُّهِهِ.

وَصَّاهُ بِعَدَمِ إِذْلَالِ الْيَتِيمِ، وَإِهَانَتِهِ وَغَلَبَتِهِ عَلَىٰ حَقِّهِ، فَلْيَتَلَطَّفْ بِهِ، وَيُحْسِنُ إِلَيهِ، وَوَصَّاهُ بِعَدَمِ زَجْرِ السَّائِلِ وَنَهْرِهِ، بَلْ يَرُدُّهُ بِلِينٍ وَلُطْفٍ، وَوَصَّاهُ أَيْضًا بِأَنْ يَتَحَدَّثَ بِنِعَمِ اللهِ عَلَيهِ، وَالمُرَادُ بِنِعَمِ اللهِ: جَمِيعُ النِّعَمِ، وَيَدْخُلُ فِيهَا نِعْمَةُ النُّبُوَّةِ، وَنِعْمَةُ تَعْلِيمِ الْقُرْآنِ وَالشَّرِيعَةِ، فَهُوَ مِنَ التَّبْلِيغِ الَّذِي يَشْمَلُهُ مَعْنَىٰ التَّحَدُّثِ بِالنِّعْمَةِ.

● ● ●

---

(١) أخرجه البخاري في (الرقاق، ١٥، رقم ٦٤٤٦)، ومسلم في (الزكاة، ٤٠، رقم ١٠٥١)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[١]:

١ - وَيُسْتَفَادُ مِنْ هَذِهِ الْآيَاتِ: أَنَّ الدُّنْيَا لَا تَخْلُو مِنْ كَدَرٍ، وَأَنَّ الدُّنْيَا لَا تَخْلُو مِنَ الْمُنَغِّصَاتِ، وَقَدْ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد:٤].

٢- وَفِي الْآيَاتِ: تَطْيِيبُ قَلْبِ الرَّسُولِ ﷺ؛ لِيَطْمَئِنَّ بِأَنَّ رَبَّهُ لَمْ يَتْرُكْهُ، وَلَمْ يُبْغِضْهُ.

٣- وَفِيهَا: بَيَانُ عُلُوِّ مَقَامِهِ ﷺ، وَشَرَفِ مَكَانَتِهِ.

٤ - وَفِيهَا: بِشَارَتُهُ ﷺ بِأَنَّ مَا أُعِدَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا.

٥- وَفِي الْآيَاتِ: امْتِنَانُ اللهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ ﷺ بِتَعْدَادِ بَعْضِ نِعَمِهِ عَلَيهِ، وَفِيهَا: مَشْرُوعِيَّةُ التَّذْكِيرِ بِالنِّعَمِ وَالنِّقَمِ؛ حَمْلًا لِلْعَبْدِ عَلَىٰ الشُّكْرِ وَالصَّبْرِ.

٦- وَفِي الْآيَاتِ: الْوَصِيَّةُ بِالْعَطْفِ عَلَىٰ الْيَتِيمِ، وَالرِّفْقِ بِهِ.

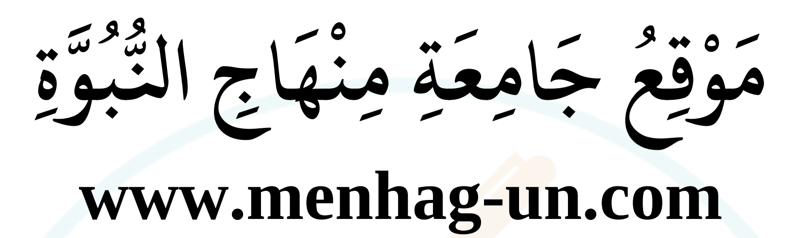
٧- وَفِيهَا: النَّهْيُ عَنْ رَدِّ السَّائِلِ بِعُنْفٍ، وَيَدْخُلُ فِي ذَلِكَ سَائِلُ المالِ، وَسَائِلُ الْعِلْمِ.

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٨٧).

٨- وَفِي الْآيَاتِ: الْأَمْرُ بِالتَّحَدُّثِ بِنِعَمِ اللهِ عَلَىٰ سَبِيلِ الثَّنَاءِ، وَالشُّكْرِ للهِ جَلَّ وَعَلَا.

● ● ●


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com



يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الْحَادِيَة عَشْرَة)

مِنْ مَادَّةِ التَّفْسِيرِ

تفسِيرُ

جُزْءِ عَمَّ

[سُورَتَيِ: الشَّرْحِ، وَالتِّينِ]


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بَيْنَ يَدَيْ سُورَةِ الشَّرْحِ

* سُورَةُ الانْشِرَاحِ مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ تَتَحَدَّثُ عَنْ مَكَانَةِ الرَّسُولِ الْجَلِيلَةِ، وَمَقَامِهِ الرَّفِيعِ عِنْدَ اللهِ تَعَالَىٰ، وَقَدْ تَنَاوَلَتِ الْحَدِيثَ عَنْ نِعَمِ اللهِ الْعَدِيدَةِ عَلَىٰ عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ وَذَلِكَ بِشَرْحِ صَدْرِهِ بِالْإِيمَانِ، وَتَنْوِيرِ قَلْبِهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْعِرْفَانِ، وَتَطْهِيرِهِ مِنَ الذُّنُوبِ وَالْأَوْزَارِ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِقَصْدِ التَّسْلِيَةِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ عَمَّا يَلْقَاهُ مِنْ أَذَىٰ الْكُفَّارِ الْفُجَّارِ، وَتَطْيِيبِ خَاطِرِهِ الشَّرِيفِ بِمَا مَنَحَهُ اللهُ مِنَ الْأَنْوَارِ ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾؟ الْآيَاتِ.

* ثُمَّ تَحَدَّثَتْ عَنْ إِعْلَاءِ مَنْزِلَةِ الرَّسُولِ ﷺ، وَرَفْعِ مَقَامِهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، حَيْثُ قَرَنَ اسْمَهُ بِاسْمِ اللهِ تَعَالَىٰ ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ الْآيَاتِ.

* وَتَنَاوَلَتِ السُّورَةُ دَعْوَةَ الرَّسُولِ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ يُقَاسِي مَعَ الْمُؤْمِنِينَ الشَّدَائِدَ وَالْأَهْوَالَ مِنَ الْكَفَرَةِ الْمُكَذِّبِينَ، فَآنَسَهُ بِقُرْبِ الْفَرَجِ، وَقُرْبِ النَّصْرِ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ ﴿فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا﴾ الْآيَاتِ.

وَخُتِمَتِ بِالتَّذْكِيرِ لِلْمُصْطَفَىٰ ﷺ بِوَاجِبِ التَّفَرُّغِ لِعِبَادَةِ اللهِ، بَعْدَ انْتِهَائِهِ مِنْ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، شُكْرًا لِلَّهِ عَلَىٰ مَا أَوْلَاهُ مِنَ النِّعَمِ الْجَلِيلَةِ ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَب﴾ وَهُوَ خِتَامٌ كَرِيمٌ لِنَبِيٍّ عَظِيمٍ.

●●●



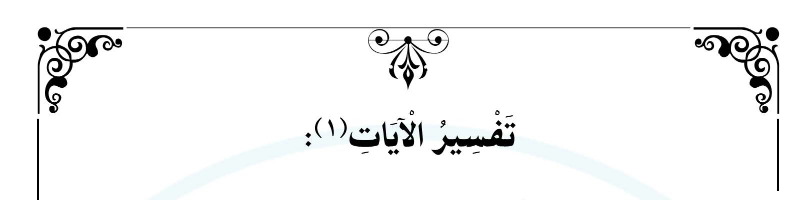
سُورَةُ الشَّرْحِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا ثَمَانِ آيَاتٍ

الآيات من: ١ إلى: (٨) نهاية السورة



﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٦ فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ ۝٧ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرْغَب ۝٨﴾.



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[(١)]:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾: أَلَمْ نَفْتَحْ، وَنُوَسِّعْ، وَنُلَيِّنْ لَكَ قَلْبَكَ بِالْإِيمَانِ وَالنُّبُوَّةِ وَالْعِلْمِ وَالْحِكْمَةِ؟

وَقَدْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَهُ ﷺ صَغِيرًا[(٢)]، وَلَيْلَةَ الْإِسْرَاءِ[(٣)]؛ قَدْ شَرَحْنَا لَكَ صَدْرَكَ لِقَبُولِ النُّبُوَّةِ.

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٤٦٣ - ٤٦٧)، و«فتح القدير» (٥/ ٥٦٤).

(٢) أخرج مسلم في «صحيحه» في (كتاب الإيمان، باب ٧٤: ٣، رقم ١٦٢)، من حديث: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: «أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغِلْمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ، فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: «**هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ**»، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ، وَجَاءَ الْغِلْمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَىٰ أُمِّهِ، فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ وَهُوَ مُنْتَقِعُ اللَّوْنِ»، قَالَ أَنَسٌ: «**وَقَدْ كُنْتُ أَرَىٰ أَثَرَ ذَلِكَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ**».

(٣) أخرج البخاري في «صحيحه» في (كتاب التوحيد، باب ٣٧: ٣، رقم ٧٥١٧)، ومسلم في «صحيحه» في (الإيمان، ٧٤: ٤، رقم ١٦٢)، من حديث: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، يَقُولُ: «لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ مَسْجِدِ الكَعْبَةِ، أَنَّهُ جَاءَهُ جِبْرِيل، فَشَقَّ مَا بَيْنَ نَحْرِهِ إِلَىٰ لَبَّتِهِ حَتَّىٰ فَرَغَ مِنْ صَدْرِهِ وَجَوْفِهِ، فَغَسَلَهُ مِنْ مَاءِ زَمْزَمَ بِيَدِهِ حَتَّىٰ أَنْقَىٰ جَوْفَهُ، ثُمَّ أُتِيَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ فِيهِ تَوْرٌ مِنْ ذَهَبٍ، مَحْشُوًّا إِيمَانًا وَحِكْمَةً، فَحَشَا بِهِ صَدْرَهُ وَلَغَادِيدَهُ -يَعْنِي =

يُذَكِّرُ اللهُ رَبُّ الْعَالمينَ نَبِيَّهُ ﷺ بِنِعَمِهِ عَلَيْهِ: «أَلَمْ نُوَسِّعْ لَكَ يَا مُحَمَّدُ بِنُورِ الْإِسْلَامِ صَدْرَكَ بَعْدَ حَيْرَةٍ وَضِيقٍ».

﴿وَوَضَعۡنَا عَنكَ وِزۡرَكَ﴾: ﴿وَوَضَعۡنَا﴾: أَيْ حَطَطْنَا عَنْكَ ﴿وِزۡرَكَ﴾: وَالْوِزْرُ: الحِمْلُ الثَّقِيلُ[١]، «فَحَطَطْنَا عَنْكَ -بِمَا كَانَ مِنْ شَرْحِ صَدْرِكَ- حَطَطْنَا عَنْكَ حِمْلَكَ الَّذِي أَثْقَلَ ظَهْرَكَ»، ﴿ٱلَّذِيٓ أَنقَضَ ظَهۡرَكَ﴾: [أَنْقَضَ: أَوْهَنَهُ حَتَّىٰ سُمِعَ نَقِيضٌ][٢]، أَيْ: صَوْتٌ.

﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾: «جَعَلْنَاكَ -بِمَا أَنْعَمْنَا عَلَيكَ مِنَ المكَارِمِ- فِي مَنْزِلَةٍ رَفِيعَةٍ عَالِيَةٍ»[٣]، ﴿وَرَفَعۡنَا لَكَ ذِكۡرَكَ﴾، فَلَا أُذْكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ كَمَا فِي الْأَذَانِ وَالْإِقَامَةِ وَالتَّشَهُّدِ، وَالخُطْبَةِ، لَا يُذْكَرُ اللهُ إِلَّا ذُكِرَ رَسُولُهُ ﷺ[٤].

=

عُرُوق حَلْقِهِ- ثُمَّ أَطْبَقَهُ ثُمَّ عَرَجَ بِهِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا،...» الحديث.

والحديث في «الصحيحين» أيضا من حديث: أَنَسٍ، عَنْ أَبِي ذَرٍّ، وعَنْ مَالِكِ بْنِ صَعْصَعَةَ رضي الله عنهم.

(١) وهو قول السدي، عزاه الماوردي له في «تفسيره» (٦/ ٢٩٧)، وقال: وهي في قراءة ابن مسعود رضي الله عنه: «**وحللنا عنك وِقرك**»، وانظر: «لسان العرب» (٥/ ٢٨٢) مادة: (وزر).

(٢) في الأصل «تفسير البغوي»: [أَثْقَلَ ظَهْرَكَ فَأَوْهَنَهُ حَتَّىٰ سُمِعَ لَهُ نَقِيضٌ].

(٣) «التفسير الميسر» (ص٥٩٧).

(٤) أخرج الشافعي في «مسنده» (٢/ رقم ٦٥١/ ترتيب السندي)، وفي «الرسالة» (ص١٦، رقم ٣٧)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٦٤١)، وابن أبي شيبة في «المصنف»

=

﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾: «وَلَا يُثْنِيكَ أَذَىٰ أَعْدَائِكَ عَلَىٰ نَشْرِ الرِّسَالَةِ؛ فَإِنَّ مَعَ الضِّيقِ فَرَجًا، إِنَّ مَعَ الضِّيقِ فَرَجًا»[(١)]، إِنَّ مَعَ الضِّيقِ سَعَةً، وَمَعَ الشِّدَّةِ رَخَاءً، وَإِنَّ مَعَ الْكَرْبِ فَرَجًا.

وَقَدْ ذَكَرَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ الْعُسْرَ مُعَرَّفًا وَكَرَّرَهُ، وَذَكَرَ الْيُسْرَ مُنَكَّرًا وَكَرَّرَهُ، وَالمَعْرِفَةُ إِذَا كُرِّرَتْ ثَبَتَتْ، وَالنَّكِرَةُ إِذَا كُرِّرَتْ تَغَايَرَتْ، وَقَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝٥ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾: عُسْرٌ، وَيُسْرَانِ[(٢)].

=

(٦/ رقم ٣١٦٨٩/ مكتبة الرشد)، وأبو إسحاق الجهضمي في «فضل الصلاة علىٰ النبي ﷺ» (رقم ١٠٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٩٤)، والبيهقي في «الدلائل» (٧/ ٦٣)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾، قَالَ: «**لَا أُذْكَرُ إِلَّا ذُكِرْتَ مَعِي: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ**»، وعزه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٤٨) للفريابي، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وهو قول الحسن البصري، وقتادة، ومحمد بن كعب القرظي، والضحاك، وروي نحوه مرفوعا ولا يصح.

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٧).

(٢) وَقَدْ رُوِي هَذَا الْمَعْنَىٰ عَنِ الْحَسَنِ مُرْسَلًا: أن هَذِهِ الْآيَةُ لَمَّا نَزَلَتْ بَشَّر بها رَسُولُ اللهِ ﷺ أصحابه، وَقَالَ: «**لَنْ يَغْلِبَ عُسْرٌ يُسْرَيْنِ**».

أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٦٤٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٩٥)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٢٨، رقم ٣٩٥٠)، والبيهقي في «الشعب» (١٢/ رقم ٩٥٤١)، بإسناد صحيح، عَنِ الْحَسَنِ، مرسلا، ...به، ورُوي عَنْ قَتَادَةَ مرسلا أيضا، أخرجه الطبري (٢٤/ ٤٩٥)، بإسناد صحيح، عَنْه.

=

﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾: فَاتْعَبْ فِي عِبَادَةِ رَبِّكَ، فَإِذَا فَرَغْتَ مِنَ صَلَاتِكَ[1]، أَوْ مِنْ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ[2]، أَوْ مِنَ الْغَزْوِ وَالجِهَادِ[3]، فَاتْعَبْ وَاجْتَهِدْ فِي الدُّعَاءِ، وَاُطْلُبْ مِنَ اللهِ تَعَالَىٰ حَاجَتَكَ.

=

والحديث ضعفه الألباني في «الضعيفة» (٩/ رقم ٤٣٤٢)، وقال: «ولا يقوي أحدهما الآخر»، وقال عمر بن الخطاب وابن مسعود رضي الله عنهما نحوه.

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٩٦)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾، قَالَ: «**إِذَا فَرَغْتَ مِنَ الصَّلاةِ فَانْصَبْ فِي الدُّعَاءِ، وَاسْأَلِ اللهَ وَارْغَبْ إِلَيْهِ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٥١) لعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وابن مرْدَوَيْه، وهو أيضا قول مجاهد في رواية عنه، وقَتَادَةُ، وَالضَّحَّاكُ، وَمُقَاتِلٌ.

(٢) وهو قول الكلبي، عزاه له الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٣٦) وغيره، بلفظ: «**إِذَا فَرَغْتَ مِنْ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ فَانْصَبْ: أَيِ اسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**».

(٣) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٩٦ - ٤٩٧)، بإسناد صحيح، عَنِ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾، قَالَ: «**أَمَرَهُ إِذَا فَرَغَ مِنْ غَزْوِهِ، أَنْ يَجْتَهِدَ فِي الدُّعَاءِ وَالْعِبَادَةِ**»، وهو أيضا قول ابن زيد.

قال الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٤٩٧): «وَأَوْلَىٰ الْأَقْوَالِ فِي ذَلِكَ بِالصَّوَابِ، قَوْلُ مَنْ قَالَ: إِنَّ اللهَ تَعَالَىٰ ذِكْرُهُ، أَمَرَ نَبِيَّهُ أَنْ يَجْعَلَ فَرَاغَهُ مِنْ كُلِّ مَا كَانَ بِهِ مُشْتَغِلًا، مِنْ أَمْرِ دُنْيَاهُ وَآخِرَتِهِ، مِمَّا أَدَّىٰ لَهُ الشُّغْلَ بِهِ، وَأَمَرَهُ بِالشُّغْلِ بِهِ إِلَىٰ النَّصَبِ فِي عِبَادَتِهِ، وَالِاشْتِغَالِ فِيمَا قَرَّبَهُ إِلَيْهِ، وَمَسْأَلَتِهِ حَاجَاتِهِ، وَلَمْ يُخَصِّصْ بِذَلِكَ حَالًا مِنْ أَحْوَالِ فَرَاغِهِ دُونَ حَالٍ، فَسَوَاءٌ كُلُّ أَحْوَالِ فَرَاغِهِ، مِنْ صَلَاةٍ كَانَ فَرَاغُهُ، أَوْ جِهَادٍ، أَوْ أَمْرِ دُنْيَا كَانَ بِهِ مُشْتَغِلًا، لِعُمُومِ الشَّرْطِ فِي ذَلِكَ، مِنْ غَيْرِ خُصُوصٍ حَالَ فَرَاغٍ، دُونَ حَالٍ أُخْرَىٰ».

﴿وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَٱرۡغَب﴾: اتَّجِهْ إِلَىٰ اللهِ تَعَالَىٰ، وَ«اجْعَلْ رَغْبَتَكَ إِلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ»(١)، «فَإِذَا فَرَغْتَ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا وَأَشْغَالِهَا، فَجِدَّ فِي الْعِبَادَةِ، وَإِلَىٰ رَبِّكَ وَحْدَهُ فَارْغَبْ فِيمَا عِنْدَهُ»(٢).

●●●

(١) «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٤١).

(٢) «التفسير الميسر» (ص٥٩٧).

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ[1]:

﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾: اسْتِفْهَامٌ بِمَعْنَىٰ التَّقْرِيرِ؛ أَيْ: قَدْ شَرَحَ اللهُ صَدْرَ نَبِيِّهِ ﷺ، وَشَرْحُ الصَّدْرِ فِي اتِّسَاعِهِ لِلْعِلْمِ وَتَنْوِيرِهِ بِالحِكْمَةِ وَالمَعْرِفَةِ.

وَمَا بَعْدَ ذَلِكَ مِنَ الآيَاتِ نِعَمٌ يُعَدِّدُهَا اللهُ تَعَالَىٰ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ: وَضَعَ اللهُ عَنْهُ وِزْرَهُ، وَحَطَّ عَنْهُ مَا سَلَفَ مِنْهُ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، هَذَا الْوِزْرُ أَثْقَلَ ظَهْرَ الرَّسُولِ ﷺ، فَصَارَ عَلَيْهِ كَالْحِمْلِ الثَّقِيلِ، فَرَفَعَهُ اللهُ عَنْهُ، وَرَفَعَ ذِكْرَهُ ﷺ فَلَا يُذْكَرُ اللهُ إِلَّا وَيُذْكَرُ اسْمُ رَسُولِهِ ﷺ مَعَهُ؛ فِي الْأَذَانِ، وَفِي الخُطَبِ، وَفِي التَّشَهُّدِ، وَفِي الدُّعَاءِ، وَفِي غَيْرِ ذَلِكَ، وَهُوَ أَعْظَمُ رِفْعَةً لِشَأْنِهِ ﷺ، -وَهُوَ يُغْنِي عَنْ إِحْيَاءِ لَيْلَةِ المِيلَادِ الَّتِي لَا مُبَرِّرَ لَهَا، وَلَا سَبَبَ شَرْعِيًّا فِي اتِّخَاذِهَا-.

وَبَعْدَ هَذِهِ النِّعَمِ؛ أَخَذَ يُسَلِّيهِ سُبْحَانَهُ عَنْ مُعَانَاةِ الشَّدَائِدِ فِي جِهَادِ المُشْرِكِينَ وَالصَّبْرِ عَلَىٰ أَذَاهُمْ.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٢٩ - ٤٣٣)، و«تفسير الجلالين» (ص٨١٢ - ٨١٣/ دار الحديث)، و«مختصر تفسير الطبري» (٧/ ٥٣٩ - ٥٤٠).

وَيُذَكِّرُ سُبْحَانَهُ نَبِيَّهُ ﷺ بِأَنَّهُ قَدْ أَنْعَمَ عَلَيْهِ بِالنِّعَمِ السَّابِقَةِ، وَسَوْفَ يُبْدِلُهُ مِنْ عُسْرِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ، وَشِدَّتِهِ الَّتِي يُعَانِيهَا، وَكَرَّرَ سُبْحَانَهُ الْوَعْدَ لَهُ بِذَلِكَ؛ لِيَعْظُمَ رَجَاؤُهُ.

وَبَعْدَ أَنْ عَدَّدَ عَلَيْهِ نِعَمَهُ، وَوَعَدَهُ بِالْيُسْرِ وَالنَّصْرِ، وَإِظْهَارِهِ عَلَىٰ أَعْدَائِهِ، أَمَرَهُ أَنْ يَتَفَرَّغَ لِعِبَادَةِ رَبِّهِ، بِحَيْثُ تَكُونُ كُلُّ أَوْقَاتِهِ عَامِرَةً بِهَا، فَلَا يَفْرُغُ مِنْ عِبَادَةٍ إِلَّا وَيُتْبِعُهَا بِأُخْرَىٰ؛ طَاعَةً للهِ، وَشُكْرًا لَهُ.

وَأَمَرَهُ أَيْضًا أَنْ يُعَلِّقَ قَلْبَهُ بِاللهِ وَحْدَهُ، بِحَيْثُ لَا يَرْغَبُ فِي كُلِّ أَحْوَالِهِ إِلَّا إِلَيهِ، لَا إِلَىٰ أَحَدٍ غَيْرِهِ.

●●●



مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[١]:

١- فِي الْآيَاتِ: بَيَانُ مَا أَكْرَمَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهِ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ مِنْ شَرْحِ صَدْرِهِ، وَمَغْفِرَةِ ذَنْبِهِ، وَرَفْعِ ذِكْرِهِ.

٢- وَفِيهَا: امْتِنَانُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ نَبِيِّهِ ﷺ بِتَعْدَادِ نِعَمِهِ عَلَيْهِ.

٣- وَفِيهَا: أَنَّ بَيَانَ انْشِرَاحِ صَدْرِ الْمُؤْمِنِ لِلدِّينِ، وَاتِّسَاعِهِ لِتَحَمُّلِ الْأَذَىٰ فِي سَبِيلِ اللهِ نِعْمَةٌ عَظِيمَةٌ، وَمِنَّةٌ جَلِيلَةٌ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: الْبِشَارَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِأَنَّ كُلَّ عُسْرٍ يَعْقُبُهُ يُسْرٌ؛ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبُهُ وَيَعْظُمُ رَجَاؤُهُ.

٤- وَفِيهَا: حَثُّهُ ﷺ عَلَىٰ التَّفَرُّغِ لِلْعِبَادَةِ، وَالاسْتِمْرَارِ عَلَيْهَا؛ شُكْرًا للهِ ﷻ.

٥- وَفِي الْآيَاتِ: بَيَانُ أَنَّ حَيَاةَ الْمُؤْمِنِ لَيْسَ فِيهَا لَهْوٌ وَلَا بَاطِلٌ وَلَا فَرَاغٌ، بَلْ هِيَ جِدٌّ وَعَمَلٌ، وَذِكْرٌ وَدُعَاءٌ، وَتَبَتُّلٌ وَرَجَاءٌ.

⊙⊙⊙

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٨٩).

بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ التِّينِ

* سُورَةُ التِّينِ مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ تُعَالِجُ مَوْضُوعَيْنِ بَارِزَيْنِ هُمَا:

- الْأَوَّلُ: تَكْرِيمُ اللهِ جَلَّ وَعَلَا لِلنَّوْعِ الْبَشَرِيِّ.

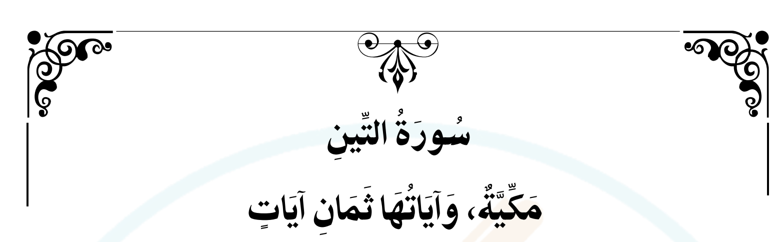
- الثَّانِي: مَوْضُوعُ الْإِيمَانِ بِالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

* ابْتَدَأَتِ السُّورَةُ بِالْقَسَمِ بِالْبِقَاعِ الْمُقَدَّسَةِ وَالْأَمَاكِنِ الْمُشَرَّفَةِ، الَّتِي خَصَّهَا اللهُ تَعَالَىٰ بِإِنْزَالِ الْوَحْيِ فِيهَا عَلَىٰ أَنْبِيَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَهِيَ (بَيْتُ الْمَقْدِسِ) وَ(جَبَلُ الطُّورِ) وَ(مَكَّةُ الْمُكَرَّمَةُ) أَقْسَمَ عَلَىٰ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ كَرَّمَ الْإِنْسَانَ، فَخَلَقَهُ فِي أَجْمَلِ صُورَةٍ، وَأَبْدَعِ شَكْلٍ، وَإِذَا لَمْ يَشْكُرْ نِعْمَةَ رَبِّهِ، فَسَيُرَدُّ إِلَىٰ أَسْفَلِ دَرَكَاتِ الْجَحِيمِ ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾.

* وَوَبَّخَتِ الْكَافِرَ عَلَىٰ إِنْكَارِهِ لِلْبَعْثِ وَالنُّشُورِ، بَعْدَ تِلْكَ الدَّلَائِلِ الْبَاهِرَةِ الَّتِي تَدُلُّ عَلَىٰ قُدْرَةِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فِي خَلْقِهِ لِلْإِنْسَانِ فِي أَحْسَنِ شَكْلٍ، وَأَجْمَلِ صُورَةٍ ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾.

* وَخُتِمَتْ بِبَيَانِ عَدْلِ اللهِ بِإِثَابَةِ الْمُؤْمِنِينَ، وَعِقَابِ الْكَافِرِينَ ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾ وَفِيهَا تَقْرِيرٌ لِلْجَزَاءِ، وَإِثْبَاتٌ لِلْمَعَادِ، بِطَرِيقِ التَّأْكِيدِ وَالتَّحْقِيقِ، مَعَ التَّوْبِيخِ لِلْكَفَرَةِ الْمُكَذِّبِينَ بِيَوْمِ الدِّينِ.

◉ ◉ ◉



سُورَةُ التِّينِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا ثَمَانِ آيَاتٍ

الآيات من: ١ إلى: (٨) نهاية السورة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ ۝٢ وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ ۝٣ لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝٤ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝٥ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝٦ فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ ۝٧ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾.



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[١]:

قَالَ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ التِّينِ:

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾: التِّينُ وَالزَّيْتُونُ: الشَّجَرَتَانِ المَعْرُوفتَانِ؛ التِّينُ الَّذِي يَأْكُلُهُ النَّاسُ، وَالزَّيْتُونُ الَّذِي يَعْصِرُونَ مِنْهُ الزَّيْتَ[٢].

﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ ۝١ وَطُورِ سِينِينَ﴾: وَهُوَ طُورُ سَيْنَاءَ، وَهُوَ الجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللهُ عَلَيْهِ مُوسَىٰ عليه السلام[٣].

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٤٦٨ - ٤٧٣).

(٢) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٣٧)، والفريابي كما في «تغليق التعليق» (٤/ ٣٧٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٠١ - ٥٠٢)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيۡتُونِ﴾، قَالَ: «**التِّينُ الَّذِي يُؤْكَلُ، وَالزَّيْتُونُ: الَّذِي يُعْصَرُ**»، وذكره البخاري معلقا في «صحيحه» في (كتاب التفسير، سورة ٩٥)، وعزاه السيوطي في «الدر» (٥/ ٥٥٦) لعبد بن حميد، وابن النذر، وابن أبي حاتم، وروي عن ابن عباس نحوه، وهو أيضا قول الحسن، وعكرمة، وإبراهيم، وَمُقَاتِلٌ، وَالْكَلْبِيُّ، وعزاه الشوكاني لِأَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ.

(٣) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٠٣)، بإسناد صحيح، عَنِ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾، قَالَ: «**جَبَلُ مُوسَىٰ** عليه السلام»، وروي عن ابن عباس نحوه، وهو أيضا قول كعب الأحبار، وابن زيد، وأبو عبد الله نصر الفارسي، واختاره ابن جرير الطبري.

﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾: وَهَذَا الْبَلَدِ الْآمَنِ، مَكَّةَ يَأْمَنُ فِيهَا النَّاسُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَفِي الْإِسْلَامِ.

ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ جَوَابَ الْقَسَمِ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾: لَقَدْ خلقْنَا جِنْسَ الإِنْسَانِ فِي أَعْدَلِ، وَأَكْمَلِ صُورَةٍ(١).

﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾: رَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ(٢)، وَهُوَ الهَرَمُ، فَيَنْقُصُ عَقْلُهُ، وَيَضْعُفُ بَدَنُهُ، ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾: وَالسَّافِلُونَ: الضُّعَفَاءُ، وَالزَّمْنَىٰ(٣)، ....

---

(١) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٣٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٠٧)، والبيهقي في «الزهد» (رقم ٦٣٨)، والخطيب في «المتفق والمفترق» (٣/ ترجمة ١٤١٠، رقم ١٦٢١)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: ﴿فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾، قَالَ يَعْنِي: «فِي أَعْدَلِ خَلْقٍ»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٥٦) لسعيد بن منصور، وعبد بن حميد، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وَابْن مرْدَوَيْه، وهو أيضا قول إبراهيم النخعي، وأبو العالية، ومجاهد، وقتادة، والكلبي، واختاره ابن جرير الطبري.

(٢) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٣٧)، وسُنَيْدٌ ابن داود كما في «التمهيد» لابن عبد البر (١٢/ ٢٦٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٠٨)، والبيهقي في «الزهد» (رقم ٦٣٨)، والخطيب في «الجامع لأخلاق الراوي» (٢/ رقم ١٩٢٤)، وفي «المتفق والمفترق» (٣/ ترجمة ١٤١٠، رقم ١٦٢١)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾، قَالَ: «إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ»، وهو أيضا قول عكرمة، وإبراهيم، وقتادة، والضحاك، والكلبي، ومقاتل، واختاره ابن جرير الطبري.

(٣) (الزمنىٰ): أصحاب العاهات، انظر: «لسان العرب» (١٣/ ١٩٩) مادة: (زمن).

وَالْأَطْفَالُ، وَقِيلَ: ﴿رَدَدْنَٰهُ﴾ أَيِ: الْكَافِرُ إِلَىٰ النَّارِ(١).

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: فَإِنَّهُمْ لَا يُرَدُّونَ إِلَىٰ النَّارِ، وَعَلَىٰ الْقَوْلِ بِأَنَّ أَسْفَلَ سَافِلِينَ: الهَرَمُ؛ فَإِنَّهُمْ يُكْتَبُ لَهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ فِي حَالِ الشَّبَابِ، وَالصِّحَّةِ وَافِيًا غَيرَ مَقْطُوعٍ.

﴿فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ﴾: فَلَهُمْ أَجْرٌ مَوْصُولٌ، غَيْرُ مَقْطُوعٍ(٢).

«فَأَقْسَمَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا بِالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ، وَهُمَا مِنَ الثِّمَارِ المَشْهُورَةِ، وَأَقْسَمَ بِجَبَلِ الطُّورِ -طُورِ سَيْنَاءَ- الَّذِي كَلَّمَ اللهُ عَلَيْهِ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا، وَأَقْسَمَ بِهَذَا الْبَلَدِ

---

(١) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٦٥٠)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٠٩ - ٥١٠، و٥١٣)، بإسناد صحيح، عَنْ الْحَسَنِ، فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ رَدَدۡنَٰهُ أَسۡفَلَ سَٰفِلِينَ﴾، قَالَ: «**فِي النَّارِ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٥٧) لعبد بن حميد، وهو أيضا قول أبو العالية رفيع بن مهران، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد.

(٢) وهو قول أهل اللغة، انظر: «غريب القرآن» لابن قتيبة (ص٥٣٣)، و«غريب الحديث» للخطابي (١/ ٩٣).

وقال ابن عباس فِي قَوْلِهِ: ﴿فَلَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٍ﴾: «**غَيْرُ مَنْقُوصٍ**»، أخرجه عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٣٧)، والطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٣٢) و(٢٤/ ٣٢٧ و٥١٣)، بإسناد صحيح، واختاره ابن جرير الطبري.

قال الخطابي في هذين المعنيين: «وكلاهما قريب، ومنه سُمِّي المَوتُ: (مَنُونًا)؛ وذلك أنه يَنقُص الأعداد ويقطع الأعمار».

ويؤيد هذا المعنىٰ ما أخرجه البخاري في «صحيحه» في (كتاب الجهاد، باب ١٣٤، رقم ٢٩٩٦)، مِنْ حَدِيثِ: أَبِي مُوسَىٰ الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِذَا مَرِضَ العَبْدُ أَوْ سَافَرَ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ مَا كَانَ يَعْمَلُ مُقِيمًا صَحِيحًا**».

الْأَمِينِ الآمِنِ مِنْ كُلِّ خَوْفٍ، وَهُوَ مَكَّةُ مَهْبِطُ الْوَحْيِ؛ لَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، ثُمَّ رَدَدْنَاهُ إِلَىٰ النَّارِ، إِنْ لَمْ يُطِعِ اللهَ وَيَتَّبِعِ الرُّسُلَ؛ لَكِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ لَهُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ غَيْرُ مَقْطُوعٍ، وَلَا مَنْقُوصٍ»[١].

﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾: فَمَا يُكَذِّبُكَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ بَعْدَ هَذِهِ الْحُجَّةِ، وَبَعْدَ هَذَا الْبَيَانِ[٢]، ﴿بِٱلدِّينِ﴾ أَيْ: بِالْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ.

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ﴾: أَلَيْسَ اللهُ بِأَقْضَىٰ الْقَاضِينَ، يَحْكُمُ بَيْنَكَ، وَبَيْنَ أَهْلِ التَّكْذِيبِ يَا مُحَمَّدُ؟[٣].

«أَلَيْسَ اللهُ الَّذِي جَعَلَ هَذَا الْيَوْمَ لِلْفَصْلِ بَيْنَ النَّاسِ بِأَحْكَمِ الحَاكِمِينَ فِي كُلِّ مَا خَلَقَ؟! بَلَىٰ؛ فَهَلْ يُتْرَكُ الخَلْقُ سُدًى، لَا يُؤْمَرُونَ وَلَا يُنْهَونَ، وَلَا يُثَابُونَ، وَلَا يُعَاقَبُونَ؟!»[٤].

***

(١) «التفسير المسير» (ص٥٩٧).

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥١٤ - ٥١٥)، وابن أبي حاتم كما في «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٣٥)، بإسناد صحيح، عَنْ مَنْصُورٍ، قَالَ: قُلْتُ لِمُجَاهِدٍ: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ عُنِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: «**مَعَاذَ اللهِ!، عُنِيَ بِهِ الْإِنْسَانُ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٥٩) للفريابي، وعبد بن حميد، وهو أيضا قول عكرمة، والكلبي.

(٣) «تفسير مقاتل» (٤/ ٧٥٢).

(٤) «التفسير الميسر» (ص٥٩٧)، وتمامه: «...، وَلَا يُثَابُونَ، وَلَا يُعَاقَبُونَ؟! لا يصحُّ ذلك ولا يكون».



الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ(١):

أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِهَاتَيْنِ الشَّجَرَتَيْنِ؛ لِكَثْرَةِ شَجَرِهِمَا وَثَمَرِهِمَا، وَلِأَنَّ نَبَاتَهُمَا فِي أَرْضِ الشَّامِ مَحَلِّ نُبُوَّةِ عِيسَىٰ عليه السلام.

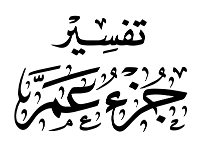
وَأَقْسَمَ بِطُورِ سِينِينَ، وَهُوَ مَحَلُّ نُبُوَّةِ مُوسَىٰ عليه السلام، وَأَقْسَمَ بِهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ مَكَّةَ، وَهِيَ مَحَلُّ نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم.

فَأَقْسَمَ اللهُ تَعَالَىٰ بِهَذِهِ المَوَاضِعِ المُقَدَّسَةِ الَّتِي اخْتَارَهَا، وَابْتَعَثَ مِنْهَا أَفْضَلَ الْأَنْبِيَاءِ وَأَشْرَفَهُمْ، وَللهِ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، أَمَّا المَخْلُوقُ؛ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِغَيْرِ اللهِ، وَأَمَّا جَوَابُ الْقَسَمِ؛ فَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِيٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤].

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ يُخْبِرُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ خَلَقَ الإِنْسَانَ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ وَشَكْلٍ، مُعْتَدِلَ الْقَامَةِ مُسْتَوِيًا، عَلَىٰ عَكْسِ سَائِرِ الحَيَوَانِ.

وَلَكِنَّ الإِنْسَانَ غَفَلَ عَمَّا مُيِّزَ بِهِ عَنْ سَائِرِ المَخْلُوقَاتِ، وَعَمِلَ بِمَعَاصِي اللهِ، وَأَعْرَضَ عَمَّا يَنْفَعُهُ فِي مَعَادِهِ؛ مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ جَعَلَ اللهُ مَرَدَّهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَىٰ

(١) «تفسير السعدي» (ص٩٢٩، تحقيق ابن معلا اللويحق).



النَّارِ فِي الآخِرَةِ؛ إِذْ تَمَادَىٰ فِي غَيِّهِ، وَلَمْ يَعْمَلْ بِطَاعَةِ رَبِّهِ، وَلَمْ يَتَّبِعْ رُسُلَهُ، أَمَّا الْمُؤْمِنُ الَّذِي يَعْمَلُ الصَّالِحَاتِ؛ فَإِنَّهُ لَا يُرَدُّ إِلَىٰ النَّارِ؛ بَلْ يُعْطَىٰ جَزَاءَ أَعْمَالِهِ أَجْرًا غَيْرَ مَقْطُوعٍ.

ثُمَّ خَاطَبَ اللهُ الإِنْسَانَ قَائِلًا لَهُ: أَيُّ سَبَبٍ يَحْمِلُكَ أَيُّهَا الإِنْسَانُ عَلَىٰ التَّكْذِيبِ بِالمَعَادِ وَالجَزَاءِ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ بَعْدَ أَنْ ظَهَرَتْ لَكَ الْبَرَاهِينُ وَاضِحَةً فِي خَلْقِكَ، وَانْتِقَالِكَ مِنْ حَالٍ إِلَىٰ حَالٍ؟! وَمَنْ قَدَرَ عَلَىٰ الخَلْقِ؛ قَدَرَ عَلَىٰ إِعَادَتِهِ.

أَلَيْسَ اللهُ بِأَعْدَلِ الحَاكِمِينَ قَضَاءً وَحُكْمًا؟!

وَمِنْ عَدْلِهِ: جَعَلَ المَعَادَ؛ لِيَنْتَصِفَ لِلْمَظْلُومِ مِنَ الظَّالِمِ.

⊙⊙⊙





مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[١]:

١- فِي الْآيَاتِ: الإِقْسَامُ بِالتِّينِ وَمَا بَعْدَهُ؛ لِلتَّشْرِيفِ وَالتَّعْظِيمِ، وَفِي ذَلِكَ: بَيَانٌ لِشَرَفِ مَكَّةَ وَحَرَمِهَا، زَادَهَا اللهُ تَشْرِيفًا.

٢- وَفِي الْآيَاتِ: امْتِنَانُ اللهِ عَلَىٰ الإِنْسَانِ؛ حَيْثُ جَعَلَهُ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ، وَأَكْمَلِ خَلْقٍ، وَأَقْوَمِ تَعْدِيلٍ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّ النَّارَ مَآلُ مَنْ أَعْرَضَ عَنِ اللهِ، وَلَمْ يَقُمْ بِشُكْرِ نِعَمِهِ.

٤- وَفِيهَا: وَعْدُ مَنْ آمَنَ، وَعَمِلَ صَالِحًا بِالنَّعِيمِ الْمُقِيمِ، وَالْأَجْرِ الدَّائِمِ الَّذِي لَا يَنْقَطِعُ.

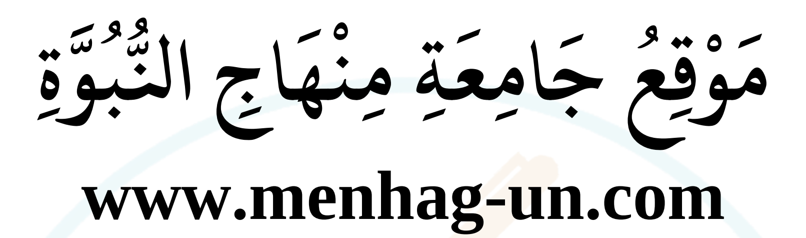
٥- وَفِي الْآيَاتِ: الْإِنْكَارُ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ بِالْبَعْثِ وَالْجَزَاءِ.

٦- وَفِيهَا: التَّقْرِيرُ بِأَنَّ اللهَ أَعْدَلُ الحَاكِمِينَ قَضَاءً وَحُكْمًا.



(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٩٢).


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com



يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الثَّانِيَة عَشْرَة)

مِنْ مَادَّةِ التَّفْسِيرِ

تفسير جزء عمّ

[سُورَتَيِ: الْعَلَقِ، وَالْقَدْرِ]


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ الْعَلَقِ

* سُورَةُ الْعَلَقِ، وَتُسَمَّىٰ (سُورَةُ اقْرَأْ) مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ تُعَالِجُ الْقَضَايَا الْآتِيَةَ:

أَوَّلًا: مَوْضُوعُ بَدْءِ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَىٰ خَاتَمِ الْأَنْبِيَاءِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

ثَانِيًا: مَوْضُوعُ طُغْيَانِ الْإِنْسَانِ بِالْمَالِ، وَتَمَرُّدِهِ عَلَىٰ أَوَامِرِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

ثَالِثًا: قِصَّةُ الشَّقِيِّ (أَبِي جَهْلٍ) وَنَهْيِهِ الرَّسُولَ ﷺ، عَنِ الصَّلَاةِ، وَمَا نَزَلَ فِي حَقِّهِ.

* ابْتَدَأَتِ السُّورَةُ بِبَيَانِ فَضْلِ اللهِ عَلَىٰ رَسُولِهِ الْكَرِيمِ، بِإِنْزَالِهِ هَذَا الْقُرْآنَ (الْمُعْجِزَةَ الْخَالِدَةَ) عَلَيْهِ، وَتَذْكِيرِهِ بِأَوَّلِ النَّعْمَاءِ، وَهُوَ يَتَعَبَّدُ رَبَّهُ بِغَارِ حِرَاءَ، حَيْثُ تَنَزَّلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ بِآيَاتِ الذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾.

* ثُمَّ تَحَدَّثَتْ عَنْ طُغْيَانِ الْإِنْسَانِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ بِالْقُوَّةِ وَالثَّرَاءِ، وَتَمَرُّدِهِ عَلَىٰ أَوَامِرِ اللهِ، بِسَبَبِ نِعْمَةِ الْغِنَىٰ، وَكَأَنَّ الْوَاجِبَ عَلَيْهِ أَنْ يَشْكُرَ رَبَّهُ عَلَىٰ أَفْضَالِهِ، لَا أَنْ يَجْحَدَ النَّعْمَاءَ، وَذَكَّرَتْهُ بِالْعَوْدَةِ إِلَىٰ رَبِّهِ لِيَنَالَ الْجَزَاءَ ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝٦ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝٧ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾.

* ثُمَّ تناوَلَتْ قِصَّةَ الشَّقِيِّ (أَبِي جَهْلٍ) فِرْعَوْنِ هَذِهِ الْأُمَّةِ، الَّذِي كَانَ يَتَوَعَّدُ الرَّسُولَ ﷺ وَيَتَهَدَّدُهُ، وَيَنْهَاهُ عَنِ الصَّلَاةِ، انْتِصَارًا لِلْأَوْثَانِ وَالْأَصْنَامِ ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾ الْآيَاتِ.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ بِوَعِيدِ ذَلِكَ الشَّقِيِّ الْكَافِرِ، بِأَشَدِّ الْعِقَابِ إِنِ اسْتَمَرَّ عَلَىٰ ضَلَالِهِ وَطُغْيَانِهِ، كَمَا أَمَرَتِ الرَّسُولَ الْكَرِيمَ، بِعَدَمِ الْإِصْغَاءِ إِلَىٰ وَعِيدِ ذَلِكَ الْمُجْرِمِ الْأَثِيمِ ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ إِلَىٰ خِتَامِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ ﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩﴾.

* وَقَدْ بَدَأَتِ السُّورَةُ بِالدَّعْوَةِ إِلَىٰ الْقِرَاءَةِ وَالتَّعَلُّمِ، وَخُتِمَتْ بِالصَّلَاةِ وَالْعِبَادَةِ، لِيَقْتَرِنَ الْعِلْمُ بِالْعَمَلِ، وَيَتَنَاسَقَ الْبَدْءُ مَعَ الْخِتَامِ، فِي أَرْوَعِ صُوَرِ الْبَيَانِ.

* * *

سُورَةُ الْعَلَقِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا تِسْعَةَ عَشْرَةَ آيَةً

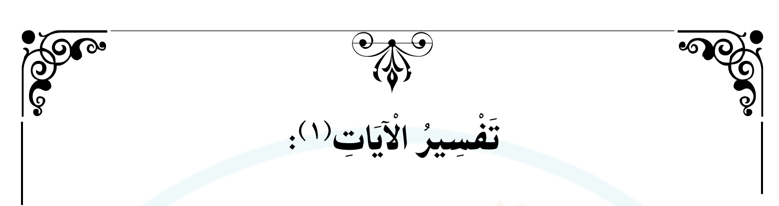
الآيات من: ١ إلى: ٨



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾.

●●●



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[(١)]:

قَالَ تَعَالَىٰ فِي سُورَةِ الْعَلَقِ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾.

وَسُورَةُ الْعَلَقِ: هِيَ سُورَةُ (اقْرَأْ)، وَهِيَ أَوَّلُ شَيْءٍ نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ، كَمَا فِي «الصَّحِيحَيْنِ» مِنْ رِوَايَةِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا[(٢)].

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾: اقْرَأْ مُتَلَبِّسًا بِاسْمِ رَبِّكَ، مُبْتَدِئًا بِهِ، مُفْتَتِحًا مُسْتَعِينًا.

﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾: الَّذِي خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَخَصَّ الإِنْسَانَ؛ تَشْرِيفًا، فَذَكَرَهُ تَحْدِيدًا.

﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾: وَالْعَلَقُ: جَمْعٌ، أَوِ اسْمُ جَمْعٍ، وَالْمُفْرَدُ: عَلَقَةٌ، وَالْعَلَقَةُ: الدَّمُ الجَامِدُ، وَهِيَ مَرْحَلَةٌ مِنْ مَرَاحِلِ الخَلْقِ فِي الرَّحِمِ، تَعْلَقُ بِجِدَارِهِ، فَيُنْشِيهَا اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَيَبْرَأُهَا.

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٤٧٩)، و«تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٣٧)، و«فتح القدير» (٥/ ٥٧٠ - ٥٧٢).

(٢) «صحيح البخاري» في (كتاب بدء الوحي، باب ١، رقم ٣) وفي مواضع، و«صحيح مسلم» في (كتاب الإيمان، باب ٧٣، رقم ١٦٠)، بلفظ: «أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ جَاءَهُ المَلَكُ، فَقَالَ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝٢ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ ۝٣ ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾،...» الحديث.

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾: الَّذِي هُوَ أَكْرَمُ مِنْ كُلِّ كَرِيمٍ.

﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾: وَمِنْ كَرَمِهِ: أَنْ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ بِالْقَلَمِ مَا لَمْ يَعْلَمْ.

﴿عَلَّمَ ٱلۡإِنسَٰنَ مَا لَمۡ يَعۡلَمۡ﴾: فَتَارَةً يَكُونُ الْعِلْمُ فِي الْأَذْهَانِ، وَتَارَةً يَكُونُ فِي اللِّسَانِ، وَتَارَةً يَكُونُ فِي الْكِتَابَةِ وَالْبَنَانِ، فَالْعِلْمُ: ذِهْنِيٌّ، وَلَفْظِيٌّ، وَرَسْمِيٌّ، وَالرَّسْمِيُّ يَسْتَلْزِمُ الذِّهْنِيَّ، وَاللَّفْظِيَّ مِنْ غَيْرِ عَكْسٍ.

«اقْرَأْ يَا مُحَمَّدُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ، مُفْتَتِحًا بِاسْمِ رَبِّكَ الْمُنْفَرِدِ بِالْخَلْقِ، الَّذِي خَلَقَ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْ قِطْعَةِ دَمٍ غَلِيظٍ رَطْبٍ.

اقْرَأْ يَا مُحَمَّدُ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ، وَإِنَّ رَبَّكَ لَكَثِيرُ الإِحْسَانِ وَاسِعُ الجُودِ، الَّذِي عَلَّمَ خَلْقَهُ الْكِتَابَةَ بِالْقَلَمِ، عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ، وَنَقَلَهُ مِنْ ظُلْمَةِ الجَهْلِ إِلَىٰ نُورِ الْعِلْمِ»[1].

﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ﴾: ﴿كَلَّآ﴾: رَدْعٌ، وَزَجْرٌ لِمَنْ كَفَرَ نِعْمَةَ اللهِ عَلَيْهِ؛ بِسَبَبِ طُغْيَانِهِ، ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ﴾: يَتَجَاوَزُ الحَدَّ، وَيَسْتَكْبِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ.

﴿أَن﴾ لِأَنْ ﴿رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾: رَأَىٰ نَفْسَهُ قَدِ اسْتَغْنَىٰ، طَغَىٰ وَتَكَبَّرَ، وَجَاوَزَ الحَدَّ وَتَجَبَّرَ، فَعِلَّةُ الطُّغْيَانِ: أَنْ رَأَىٰ نَفْسَهُ مُسْتَغْنِيًا، وَالرُّؤْيَةُ هُنَا: الْعِلْمُ، ﴿أَن رَّءَاهُ ٱسۡتَغۡنَىٰٓ﴾.

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٧).

﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجۡعَىٰٓ﴾: الرُّجْعَىٰ: الْمَرْجِعُ، وَالمرجعُ إِلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ، لَا إِلَىٰ غَيْرِهِ.

«حَقًّا؛ أَنَّ الْإِنْسَانَ لَيَتَجَاوَزُ حُدُودَ اللهِ إِذَا أَبْطَرَهُ الْغِنَىٰ، فَلْيَعْلَمْ كُلُّ طَاغِيَةٍ أَنَّ المَصِيرَ إِلَىٰ اللهِ وَحْدَهُ»[1].

⦿ ⦿ ⦿



(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٧)، بلفظ: «...، فَلْيَعْلَمْ كُلُّ طَاغِيَةٍ أَنَّ المَصِيرَ إِلَىٰ اللهِ، فيجازي كلَّ إنسان بعمله».



المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ[1]:

وَالخِطَابُ بِكَلِمَةِ: ﴿ٱقْرَأْ﴾ مُوَجَّهٌ إِلَىٰ الرَّسُولِ ﷺ أَوَّلَ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ؛ إِذْ كَانَ يَتَعَبَّدُ ﷺ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِوَحْيِ اللهِ، وَابْتَدَأَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ أَيْ: اقْرَأْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنَ الْقُرْآنِ، مُفْتَتِحًا بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ جَمِيعَ المَخْلُوقَاتِ، ثُمَّ خَصَّ الْإِنْسَانَ بِالذِّكْرِ مِنْ بَيْنِ المَخْلُوقَاتِ؛ لِشَرَفِهِ، وَلِأَنَّهُ هُوَ المُخَاطَبُ بِالتَّنْزِيلِ.

وَأَخَذَ يُفَصِّلُ سُبْحَانَهُ فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ، وَذَكَرَ أَنَّهُ خَلَقَهُ مِنْ عَلَقٍ، ذَكَرَهُ بِلَفْظِ الجَمْعِ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ بِالإِنْسَانِ: الجَمِيعَ، وَالإِنْسَانُ هُوَ ابْنُ آدَمَ، ثُمَّ كَرَّرَ الْأَمْرَ لَهُ بِالْقِرَاءَةِ؛ لِلتَّأْكِيدِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾: الْبَالِغُ أَقْصَىٰ حُدُودِ الحِلْمِ وَالْكَرَمِ، فَلَا يَعْجَلُ بِالْعُقُوبَةِ عَلَىٰ عِبَادِهِ، بَلْ يَعْفُو وَيَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ.

وَمِنْ عَظِيمِ نِعَمِهِ وَكَرَمِهِ: أَنَّهُ عَلَّمَ الإِنْسَانَ الخَطَّ بِالْقَلَمِ، وَنَقَلَهُ بِذَلِكَ مِنْ ظُلْمَةِ الجَهْلِ إِلَىٰ نُورِ الْعِلْمِ، وَلَوْلَا الْكِتَابَةُ لَمَا دُوِّنَتِ الْعُلُومُ، وَلَمَا اسْتَقَامَتْ أُمُورُ الدِّينِ وَالدُّنْيَا؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾: بِالْكِتَابَةِ، عَلَّمَهُ مَا لَمْ يَكُنْ يَعْلَمُ مِنَ الْعُلُومِ النَّافِعَةِ، وَالْكُتُبِ المُنَزَّلَةِ.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٣٧)، و«فتح القدير» (٥/ ٥٧٠ - ٥٧٢).

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ حَالِ الإِنْسَانِ وَجَهْلِهِ، وَمِنْ دَلَائِلِ ذَلِكَ الجَهْلِ: أَنَّ الْغِنَىٰ يُطْغِيهِ، وَبَدَأَ رَبُّنَا ذِكْرَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿كَلَّآ﴾؛ زَجْرًا وَرَدْعًا، حقًّا، ثُمَّ قَالَ: إِنَّهُ إِذَا رَأَىٰ نَفْسَهُ كَثِيرَ المَالِ، وَاسِعَ الثَّرْوَةِ، يَرْفُلُ[1] فِي النَّعِيمِ؛ طَغَىٰ وَتَجَاوَزَ حَدَّهُ، وَتَمَرَّدَ وَبَغَىٰ وَتَكَبَّرَ.

قِيلَ: إِنَّ هَذِهِ، وَمَا بَعْدَهَا فِي أَبِي جَهْلٍ، وَقَدْ تَوَعَّدَهُ اللهُ؛ سَوَاءٌ كَانَ أَبَا جَهْلٍ أَوْ غَيْرَهُ بِمَا لَعَلَّهُ أَنْ يَزْجُرَهُ، قَائِلًا: إِنَّ المَرْجِعَ وَالمَصِيرَ إِلَىٰ اللهِ، وَسَوْفَ يُحَاسَبُ كُلُّ إِنْسَانٍ عَنْ مَالِهِ: مِنْ أَيْنَ جَمَعَهُ؟ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ؟[2].

◉ ◉ ◉

---

(١) (**يَرْفُلُ**) أَيْ: يَتَبَخْتَر، انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٢٤٧) مادة: (رَفَلَ).

(٢) أخرج الترمذي في «جامعه» في (كتاب صفة القيامة، باب ١، رقم ٢٤١٧)، من حديث: أَبِي بَرْزَةَ نَضْلَةَ بْنِ عُبَيْدٍ الأَسْلَمِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تَزُولُ قَدَمَا عَبْدٍ يَوْمَ القِيَامَةِ حَتَّىٰ يُسْأَلَ عَنْ عُمُرِهِ فِيمَا أَفْنَاهُ، وَعَنْ عِلْمِهِ فِيمَ فَعَلَ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ وَفِيمَ أَنْفَقَهُ، وَعَنْ جِسْمِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ**»، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (رقم ١٢٦، و٣٥٩٢).

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[١]:

١- فِي الْآيَاتِ: تَقْرِيرُ الْوَحْيِ الإِلَهِيِّ، وَإِثْبَاتُ النُّبُوَّةِ المُحَمَّدِيَّةِ، وَمَشْرُوعِيَّةِ ابْتِدَاءِ الْقِرَاءَةِ بِذِكْرِ اسْمِ اللهِ تَعَالَىٰ.

٢- وَفِيهَا: أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِ اللهِ عَلَىٰ نَبِيِّهِ مُحَمَّدٍ ﷺ: الْأَمْرُ لَهُ بِالْقِرَاءَةِ بِاسْمِ خَالِقِ الْأَكْوَانِ، وَفِي هَذِهِ الْقِرَاءَةِ نِعْمَةٌ وَفَضْلٌ لِأُمَّتِهِ ﷺ إِلَىٰ أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: امْتِنَانُ اللهِ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ بِإِيجَادِهِ مِنَ الْعَدَمِ.

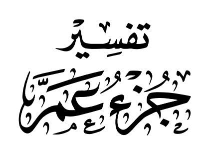
٤- وَفِيهَا: بَيَانُ بَعْضِ أَطْوَارِ خَلْقِهِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ، فَتَتَطَوَّرُ النُّطْفَةُ فِي الرَّحِمِ إِلَىٰ عَلَقَةٍ، وَمِنْهَا يَتَخَلَّقُ الإِنْسَانُ فِي سَائِرِ أَطْوَارِ خَلْقِهِ.

٥- وَفِي الْآيَاتِ: وَصْفُهُ تَعَالَىٰ بِأَنَّهُ أَكْرَمُ الْأَكْرَمِينَ، وَمِنْ كَرَمِهِ: أَنَّهُ عَلَّمَ الإِنْسَانَ مَا يَنْفَعُهُ فِي دِينِهِ، وَدُنْيَاهُ.

٦- وَفِي الْآيَاتِ: وَعِيدٌ لِمَنِ اسْتَعْمَلَ نِعَمَ اللهِ فِي مَعَاصِيهِ، وَنَسِيَ أَنَّ المَعَادَ إِلَىٰ اللهِ.

---

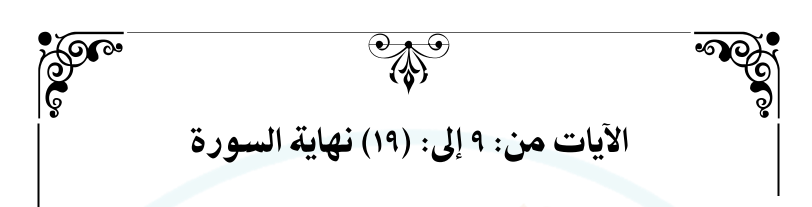
(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٩٣ - ٥٩٦).





٧- وَفِيهَا: بَيَانُ طَبْعِ الإِنْسَانِ إِذَا لَمْ يُهَذَّبْ بِالتُّقَىٰ وَالإِيمَانِ.

●●●



الآيات من: ٩ إلى: (١٩) نهاية السورة



﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ۝٩ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ۝١٠ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ۝١١ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ۝١٢ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١٣ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ۝١٤ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝١٥ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ۝١٦ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ۝١٧ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ۝١٨ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ۝١٩﴾.



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[1]:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِي يَنْهَىٰ﴾: أَخْبِرْنِي عَنْ ذَلِكَ الَّذِي يَنْهَىٰ، وَهُوَ أَبُو جَهْلٍ.

﴿عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ﴾: هُوَ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

أَخْبِرْنِي عَنِ الَّذِي يَنْهَىٰ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ، وَهُوَ وَإِنْ كَانَ مَصْرُوفًا إِلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ؛ فَهُوَ عَامٌّ.

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ﴾: أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ الْعَبْدُ الْمَنْهِيُّ إِذَا صَلَّىٰ عَلَىٰ الْهُدَىٰ.

﴿أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ﴾: أَوْ أَمَرَ بِالْإِخْلَاصِ، وَالتَّوْحِيدِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

﴿أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾: يَعْنِي: النَّاهِي أَبَا جَهْلٍ، أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ النَّاهِي كَذَّابًا، قَدْ تَوَلَّىٰ عَنْ سُبُلِ الحَقِّ، وَالهُدَىٰ وَالرَّشَادِ.

﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ﴾: يَطَّلِعُ عَلَىٰ أَحْوَالِهِ، فَيُجَازِيهِ بِهَا.

﴿كَلَّا﴾: رَدْعٌ لِلنَّاهِي، ﴿لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾: ﴿لَئِن﴾: اللَّامُ المُوَطِّئَةُ لِلْقَسَمِ.

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٤٨٠)، و«فتح القدير» (٥/ ٥٧٢ - ٥٧٤).

وَالمَعْنَىٰ: وَاللهِ إِنْ لَمْ يَنْتَهِ عَمَّا هُوَ عَلَيْهِ، وَلَمْ يَنْزَجِرْ؛ ﴿لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ﴾: وَالسَّفْعُ: الجَذْبُ الشَّدِيدُ، لَنَأْخُذَنَّ بِنَاصِيَتِهِ، وَالنَّاصِيَةُ: مُقَدَّمُ شَعْرِ الرَّأْسِ، وَلَنَجُرَّنَّهُ إِلَىٰ النَّارِ، ثُمَّ ذَكَرَ الْبَدَلَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾: أَيْ: فَلْيَدْعُ أَهْلَ نَادِيهِ.

﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾: وَهُوَ المَلَائِكَةُ الْغِلَاظُ الشِّدَادُ[1]، المُوَكَّلُونَ بِالإِشْرَافِ عَلَىٰ تَعْذِيبِ أَهْلِ النَّارِ، ﴿سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ﴾.

﴿كَلَّا لَا تُطِعْهُ﴾: فِيمَا دَعَاكَ إِلَيهِ مِنْ تَرْكِ الصَّلَاةِ وَالخَيْرِ، ﴿وَاسْجُدْ﴾: وَصَلِّ لِرَبِّكَ، غَيْرَ مُكْتَرِثٍ بِهِ، ﴿وَاقْتَرِب﴾: تَقَرَّبْ إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ، وَالْعِبَادَةِ.

«أَرَأَيْتَ أَعْجَبَ مِنْ طُغْيَانِ الَّذِي يَنْهَىٰ -وَهُوَ أَبُو جَهْلٍ- عَبْدًا لَنَا إِذَا صَلَّىٰ لِرَبِّهِ -وَهُوَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ؟ أَرَأَيْتَ إِنْ كَانَ المَنْهِيُّ عَنِ الصَّلَاةِ عَلَىٰ الهُدَىٰ؛ كَيْفَ يَنْهَاهُ؟! أَوْ إِنْ كَانَ آمِرًا غَيْرَهُ أَيَنْهَاهُ عَنْ ذَلِكَ؟! أَرَأَيْتَ إِنْ كَذَّبَ هَذَا النَّاهِي بِمَا يُدْعَىٰ إِلَيْهِ وَأَعْرَضَ عَنْهُ؛ أَلَمْ يَعْلَمْ بِأَنَّ اللهَ يَرَىٰ كُلَّ مَا يَفْعَلُ؟! لَيْسَ الْأَمْرُ كَذَلِكَ، لَئِنْ لَمْ يَرْجِعْ هَذَا عَنْ شِقَاقِهِ وَأَذَاهُ؛ [لَنَأْخُذَنَّ بِنَاصِيَتِهِ أَخْذًا عَنِيفًا، وَلَنَطْرَحَنَّهُ فِي النَّارِ، نَاصِيَةٍ كَاذِبَةٍ فِي مَقَالِهَا، نَاصِيَةٍ خَاطِئَةٍ فِي أَفْعَالِهَا][2]؛

(١) «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٤٦).

(٢) في الأصل: [لنأخذنَّ بمقدَّم رأسه أخذًا عنيفًا، ويُطرح في النار، ناصيته ناصية كاذبة في مقالها، خاطئة في أفعالها].

فَلْيُحْضِرْ هَذَا الطَّاغِيَةُ أَهْلَ نَادِيهِ الَّذِينَ يَسْتَنْصِرُ بِهِمْ، سَنَدْعُوا مَلَائِكَةَ الْعَذَابِ، لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَظُنُّ أَبُو جَهْلٍ، إِنَّهُ لَنْ يَنَالَكَ يَا مُحَمَّدُ بِسُوءٍ، فَلَا تُطِعْهُ فِيمَا دَعَاكَ إِلَيْهِ مِنْ تَرْكِ الصَّلَاةِ، وَاسْجُدْ لِرَبِّكَ، وَاقْتَرِبْ مِنْهُ [بِالتَّحَبُّبِ بِطَاعَتِهِ إِلَيْهِ][(١)]»[(٢)].

أَخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ[(٣)] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، أَنَّ أَبَا جَهْلٍ قَالَ: «لَئِنْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ؛ لَآتِيَنَّهُ حَتَّىٰ أَطَأَ عَلَىٰ عُنُقِهِ، قَالَ: فَقَالَ: لَوْ فَعَلَ لَأَخَذَتْهُ المَلَائِكَةُ عِيَانًا، وَلَوْ أَنَّ الْيَهُودَ تَمَنَّوُا المَوْتَ لَمَاتُوا، وَرَأَوا مَقَاعِدَهُمْ مِنَ النَّارِ، وَلَوْ خَرَجَ الَّذِينَ يُبَاهِلُونَ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم؛ لَرَجَعُوا لَا يَجِدُونَ مَالًا وَلَا أَهْلًا». وَالْحَدِيثُ صَحَّحَهُ الشَّيْخُ شَاكِرٌ فِي «تَعْلِيقِهِ عَلَىٰ المُسْنَدِ»[(٤)].

وَأَخْرَجَ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ»[(٥)] مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: «قَالَ أَبُو جَهْلٍ: هَلْ يُعَفِّرُ مُحَمَّدٌ وَجْهَهُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ؟

---

(١) في الأصل: [بالتحبب إليه بطاعته].

(٢) «التفسير الميسر» (ص٥٩٧ - ٥٩٨).

(٣) «المسند» (١/ ٢٤٨، رقم ٢٢٢٥، و٢٢٢٥)، وفي مواضع، وأخرجه أيضا البخاري في «صحيحه» في (كتاب التفسير، سورة ٩٦: باب ٤، رقم ٤٩٥٨)، بلفظ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ: لَئِنْ رَأَيْتُ مُحَمَّدًا يُصَلِّي عِنْدَ الكَعْبَةِ لَأَطَأَنَّ عَلَىٰ عُنُقِهِ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ صلى الله عليه وسلم. فَقَالَ: «**لَوْ فَعَلَهُ لَأَخَذَتْهُ المَلَائِكَةُ**»، وفي رواية للترمذي في «جامعه» في (كتاب التفسير، باب ٨٥: ٢، رقم ٣٣٤٩) بلفظ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «**وَاللهِ لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ زَبَانِيَةُ اللهِ**».

(٤) «المسند» (٣/ ٢٤، رقم ٢٢٢٥، و٢٢٢٦، دار الحديث - القاهرة).

(٥) «صحيح مسلم» في (كتاب صفات المنافقين، باب ٦، رقم ٢٧٩٧).

قَالَ: فَقِيلَ: نَعَمْ.

فَقَالَ: وَاللَّاتِ وَالْعُزَّىٰ، لَئِنْ رَأَيْتُهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ لَأَطَأَنَّ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ، أَوْ لَأُعَفِّرَنَّ وَجْهَهُ فِي التُّرَابِ. قَالَ: فَأَتَىٰ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي؛ -زَعَمَ- لِيَطَأَ عَلَىٰ رَقَبَتِهِ. قَالَ: فَمَا فَجِئَهُمْ مِنْهُ إِلَّا وَهُوَ يَنْكُصُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ وَيَتَّقِي بِيَدَيْهِ. قَالَ: فَقِيلَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ: إِنَّ بَيْنِي وَبَيْنَهُ لَخَنْدَقًا مِنْ نَارٍ، وَهَوْلًا وَأَجْنِحَةً، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَوْ دَنَا مِنِّي لَاخْتَطَفَتْهُ الْمَلَائِكَةُ عُضْوًا عُضْوًا**»، قَالَ: [فَنَزَلَتْ][(١)].

◉ ◉ ◉

(١) في الأصل: [فَأَنْزَلَ اللهُ ﷻ: ﴿كَلَّآ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَيَطۡغَىٰٓ...﴾ إِلَىٰ آخِرِ السُّورَةِ].

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ(١):

يَذْكُرُ تَعَالَىٰ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ طَرَفًا مِنْ عَدَاءِ أَبِي جَهْلٍ، وَهُوَ مِنْ أَقْرَبِ الْأَقْرَبِينَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، مُبْتَدِءًا ذَلِكَ بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ﴾: أَلَا تُخْبِرُنِي إِنْ كَانَ هَذَا الَّذِي تَنْهَاهُ عَنِ الصَّلَاةِ عِنْدَ الْبَيْتِ عَلَىٰ هُدًىٰ مِنْ رَبِّهِ، أَوْ كَانَ يَأْمُرُ بِالإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ، أَلَيْسَ يَكُونُ نَاهِيهِ عَنِ الصَّلَاةِ هَالِكًا؟!

ثُمَّ تَوَعَّدَ سُبْحَانَهُ هَذَا النَّاهِي بِصِيغَةِ الاسْتِفْهَامِ التَّقْرِيرِيِّ قَائِلًا: أَمَا عَلِمَ أَنَّ اللهَ يَرَىٰ، وَيَعْلَمُ فِعْلَهُ، وَيَسْمَعُ كَلَامَهُ وَتَهْدِيدَهُ وَنَجْوَاهُ، وَسَيُجَازِيهِ عَلَيْهِ؟!

ثُمَّ زَادَ فِي تَوَعُّدِ هَذَا النَّاهِي، وَتَهْدِيدِهِ قَائِلًا: إِنَّهُ إِنْ لَمْ يَنْتَهِ عَنْ إِيذَاءِ الرَّسُولِ وَتَكْذِيبِهِ؛ لَنَأْخُذَنَّ بِنَاصِيَتِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَتُطْوَىٰ مَعَ قَدَمَيْهِ، وَيُطْرَحُ فِي النَّارِ، وَوَصَفَ نَاصِيَةَ هَذَا الطَّاغِيَةِ بِأَنَّهَا نَاصِيَةٌ كَاذِبَةٌ فِي قَوْلِهَا، خَاطِئَةٌ فِي فِعْلِهَا، وَالْمُرَادُ: صَاحِبُهَا.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾: لِيَدْعُ قَوْمَهُ وَعَشِيرَتَهُ، وَلْيَسْتَنْصِرْ بِهِمْ إِنْ كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُ، وَأَمَّا نَحْنُ؛ فَإِنَّنَا ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾: مَلَائِكَةَ الْعَذَابِ الْغِلَاظَ الشِّدَادَ.

---

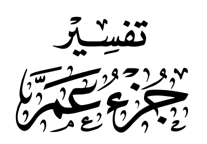
(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٣٨).

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «لَوْ دَعَا نَادِيَهُ لَأَخَذَتْهُ مَلَائِكَةُ الْعَذَابِ -سَاعَتَهَا-»[١].

وَأَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ بِعِصْيَانِ هَذَا النَّاهِي الْمُعْتَدِي، كَمَا أَمَرَهُ بِعِبَادَتِهِ تَعَالَىٰ، وَالاقْتِرَابِ مِنْهُ، وَاللُّجُوءِ إِلَيْهِ، وَالصَّلَاةِ لَهُ، وَعَبَّرَ عَنِ الصَّلَاةِ بِجُزْءٍ مِنْهَا -وَهُوَ السُّجُودُ-؛ لِشَرَفِهِ وَعَظِيمِ مَكَانَتِهِ عِنْدَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

◉ ◉ ◉

(١) تقدم تخريجه.






مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[١]:

١- فِي الْآيَاتِ: الإِنْكَارُ عَلَىٰ مَنْ نَهَىٰ عَنِ المَعْرُوفِ وَأَمَرَ بِالمُنْكَرِ، وَوَعِيدُهُ بِأَنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ، وَسَيُجَازِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

٢- وَفِي الْآيَاتِ: وَعِيدُ مَنْ أَصَرَّ عَلَىٰ أَفْعَالِهِ الْقَبِيحَةِ، وَلَمْ يَنْتَفِعْ بِالمَوَاعِظِ وَالزَّوَاجِرِ، وَالنَّوَاهِي بِأَنَّ اللهَ سَيُعَجِّلُ لَهُ الْعُقُوبَةَ.

٣- الْأَمْرُ لِلرَّسُولِ ﷺ بِالاسْتِمْرَارِ عَلَىٰ عِبَادَةِ رَبِّهِ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَيْهِ، وَعَدَمِ الالْتِفَاتِ إِلَىٰ مَنْ يُخَالِفُ أَمْرَهُ، مَعَ تَسْجِيلِ لَعْنَةِ اللهِ عَلَىٰ فِرْعَونِ هَذِهِ الْأُمَّةِ أَبِي جَهْلٍ، وَأَنَّهُ كَانَ أَظْلَمَ قُرَيْشٍ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، وَأَصْحَابِهِ رضي الله عنهم، مَعَ بَيَانِ نُصْرَةِ اللهِ تَعَالَىٰ لِرَسُولِهِ ﷺ بِالمَلَائِكَةِ جِهَارًا نَهَارًا فِي المَسْجِدِ الحَرَامِ.



(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٩٦).



بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ الْقَدْرِ

* سُورَةُ الْقَدْرِ مَكِّيَّةٌ، وَقَدْ تَحَدَّثَتْ عَنْ بَدْءِ نُزُولِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ، وَعَنْ فَضْلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ، عَلَىٰ سَائِرِ الْأَيَّامِ وَالشُّهُورِ، لَا فِيهَا مِنَ الْأَنْوَارِ وَالتَّجَلِّيَاتِ الْقُدْسِيَّةِ، وَالنَّفَحَاتِ الرَّبَّانِيَّةِ، الَّتِي يُفِيضُهَا الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا عَلَىٰ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ؛ تَكْرِيمًا لِنُزُولِ الْقُرْآنِ الْمُبِينِ.

* كَمَا تَحَدَّثَتْ عَنْ نُزُولِ الْمَلَائِكَةِ الْأَبْرَارِ حَتَّىٰ طُلُوعِ الْفَجْرِ، فَيَا لَهَا مِنْ لَيْلَةٍ عَظِيمَةِ الْقَدْرِ، هِيَ خَيْرٌ عِنْدَ اللهِ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ.

●●●



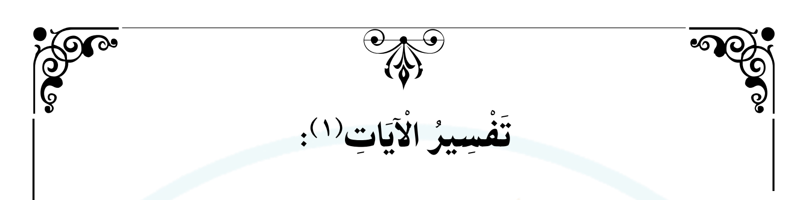
سُورَةُ الْقَدْرِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا خَمْسُ آيَاتٍ

الآيات من: ١ إلى: (٥) نهاية السورة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ ﴿٢﴾ لَيْلَةُ ٱلْقَدْرِ خَيْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴿٣﴾ تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ ﴿٤﴾ سَلَٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ ﴿٥﴾﴾.



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[١]:

قَالَ تَعَالَىٰ فِي «سُورَةِ الْقَدْرِ»:

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾: وَالْقَدْرُ: الشَّرَفُ وَالْعَظَمَةُ[٢].

«يُخْبِرُ تَعَالَىٰ أَنَّهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ، وَهِيَ اللَّيْلَةُ الْمُبَارَكَةُ، وَهِيَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ»[٣].

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾: كِنَايَةٌ عَنْ غَيْرِ مَذْكُورٍ، وَاسْتَغْنَىٰ بِشُهْرَتِهِ عَنْ ذِكْرِهِ، فَذَلِكَ يَعْرِفُهُ الْقَاصِي وَالدَّانِي، وَالْخَاصُّ وَالْعَامُّ.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾: أَيِ الْقُرْآنَ ﴿فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾: هِيَ لَيْلَةُ تَقْدِيرِ الْأُمُورِ وَالْأَحْكَامِ، ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ﴾ [الدُّخان: ٤].

﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾: عَمَلٌ صَالِحٌ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ خَيْرٌ مِنْ عَمِلِ أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ[٤].

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٤٨٢ - ٤٩٢).

(٢) «بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز» للفيروزآبادىٰ (٤/ ٢٤٣).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٤١).

(٤) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٣٣)، بإسناد صحيح، عَنْ عَمْرِو بْنِ قَيْسٍ الْمُلَائِيِّ، =

«﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ﴾: إِنَّا أَنْزَلْنَا الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةِ الشَّرَفِ وَالْفَضْلِ، وَهِيَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾: وَمَا أَدْرَاكَ يَا مُحَمَّدُ مَا لَيْلَةُ الشَّرَفِ وَالْقَدْرِ؟

﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾: لَيْلَةُ الْقَدْرِ لَيْلَةٌ مُبَارَكَةٌ، [فَضْلُهَا خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ](١) أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ قَدْرٍ»(٢).

﴿تَنَزَّلُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذۡنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾: وَالرُّوحُ: جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، ﴿مِّن كُلِّ أَمۡرٖ﴾ أَيْ: بِكُلِّ أَمْرٍ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ(٣).

=

فِي قَوْلِهِ: ﴿خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾، قَالَ: «**عَمَلٌ فِيهَا خَيْرٌ مِنْ عَمَلِ أَلْفِ شَهْرٍ**»، وهو قول أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ومجاهد، والحسن، وقتادة، والربيع بن أنس، وَالشَّافِعِيُّ، وَغَيْرُ وَاحِدٍ، واختاره ابن جرير الطبري، والفراء، والزجاج، وعزاه الشوكاني في «فتح القدير» (٥/ ٥٧٥) لأكثر المفسرين.

وقال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٤٤٣): «وَهَذَا الْقَوْلُ بِأَنَّهَا أَفْضَلُ مِنْ عِبَادَةِ أَلْفِ شَهْرٍ -وَلَيْسَ فِيهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ- هُوَ الصَّوَابُ لَا مَا عَدَاهُ، وَهُوَ كَقَوْلِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**رِباطُ لَيْلَةٍ فِي سَبِيلِ اللهِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ لَيْلَةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَنَازِلِ**»، وَكَمَا جَاءَ فِي قَاصِدِ الْجُمُعَةِ بِهَيْئَةٍ حَسَنَةٍ وَنِيَّةٍ صَالِحَةٍ: «**أَنَّهُ يُكتَبُ لَهُ عَمَلُ سَنَةٍ، أَجْرُ صِيَامِهَا وَقِيَامِهَا**»، إِلَىٰ غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ الْمَعَانِي الْمُشَابِهَةِ لِذَلِكَ».

(١) في الأصل: [العمل الصالح فيها خير من عمل].

(٢) «التفسير الميسر» (ص٥٩٨).

(٣) فيكون «مِنْ» بِمَعْنَىٰ: «الْبَاءِ»، كقوله تعالىٰ: ﴿يَحۡفَظُونَهُۥ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الرعد:١١] أي:
=

﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾: لَيْلَةُ الْقَدْرِ سَلَامٌ، وَخَيْرٌ كُلُّهَا ﴿حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾: إِلَىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ، وَانْبِثَاقِهِ(١).

«فَيَكْثُرُ نُزُولَ المَلَائِكَةِ، وَجِبْرِيلَ عليه السلام فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ قَضَاهُ فِي تِلْكَ السَّنَةِ، لَيْلَةُ الْقَدْرِ أَمْنٌ كُلُّهَا، لَا شَرَّ فِيهَا إِلَىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ»(٢).

◉◉◉

=

بأمر الله، وقوله: ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾ [غافرة:١٥]، أي: بأمره.

وقد أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٦٦٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٣٤)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾، قَالَ: «**يُقْضَىٰ فِيهَا مَا يَكُونُ فِي السَّنَةِ إِلَىٰ مِثْلِهَا**»، واختاره ابن جرير الطبري، وقال: «فَعَلَىٰ هَذَا الْقَوْلِ مُنْتَهَىٰ الْخَبَرِ وَمَوْضِعُ الْوَقْفِ: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾»، أي: قَدْ تَمَّ الْكَلَامُ عِنْدَ قَوْلِهِ: ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾، ثُمَّ ابْتَدَأَ فَقَالَ: ﴿سَلَٰمٌ هِيَ﴾ أَيْ: لَيْلَةُ الْقَدْرِ سَلَامٌ وَخَيْرٌ كُلُّهَا، لَيْسَ فِيهَا شَرٌّ، «فتح القدير» للشوكاني (٥/ ٥٧٦).

(١) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٦٦٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٣٥)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ ﴿مِّن كُلِّ أَمْرٍ ۝٤ سَلَٰمٌ هِيَ﴾، أَيْ: «**هِيَ خَيْرٌ كُلُّهَا إِلَىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ**»، وهو قول ابن زيد، وابن أبي ليلىٰ، وروي عن مجاهد نحوه.

(٢) «التفسير الميسر» (ص٥٩٨).

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ(١):

يُخْبِرُ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ أَنْزَلَ الْقُرْآنَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ؛ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ(٢)، وَغَيْرِهِ(١)، قَالَ: «أَنْزَلَ اللهُ الْقُرْآنَ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ المَحْفُوظِ إِلَىٰ بَيْتِ

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٤١)، و«تفسير السعدي» (ص٩٣١، مؤسسة الرسالة).

(٢) أخرجه عبد الرحمن بن الحسن الهمداني في «تفسير مجاهد» (ص٦٤٥)، وأبو عبيد القاسم بن سلام في «فضائل القرآن» (ص٣٦٧ - ٣٦٨)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٦/ رقم ٣٠١٨٧، مكتبة الرشد)، وأبو القاسم البغوي في «الجعديات» (رقم ٢٣٦٣، و٢٣٦٤)، والبزار في «مسنده» (١١/ رقم ٥٠٠٩)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٧/ ٢٤٧) و(١٠/ ٢٠٥، و٢٠٥)، والطبري في «تفسيره» (٣/ ٤٤٥ - ٤٤٧) و(٢٤/ ٥٣١ - ٥٣٢) ومواضع، والطبراني في «الكبير» (١٢/ رقم ١٢٣٨١، و١٢٣٨٢، و١٢٤٢٦)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٢٢٢، و٥٣٠، رقم ٢٨٧٧، و٣٩٥٨) ومواضع، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، بلفظ: «**نَزَلَ الْقُرْآنُ كُلُّهُ جُمْلَةً وَاحِدَةً فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ فِي رَمَضَانَ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَكَانَ اللهُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يُحْدِثَ فِي الْأَرْضِ شَيْئًا أَنْزَلَهُ مِنْهُ حَتَّىٰ جَمَعَهُ**»، وفي رواية: «...، **ثُمَّ نَزَلَ بَعْدَ ذَلِكَ فِي عِشْرِينَ سَنَةً، وَقَرَأَ**: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾ [الإسراء: ١٠٦]».

وفي رواية لابن منده في «الإيمان» (رقم ٧٠٤): «**أُنْزِلَ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً مِنَ اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ إِلَىٰ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ أَنْزَلَهُ جِبْرِيلُ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ** ﷺ...»، وفي رواية للنسائي (٧/ ٢٤٧): «**فُصِلَ الْقُرْآنُ مِنَ الذِّكْرِ فَوُضِعَ فِي بَيْتِ الْعِزَّةِ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا**
=

الْعِزَّةِ مِنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، ثُمَّ نَزَلَ مُفَصَّلًا بِحَسَبِ الْوَقَائِعِ فِي ثَلَاثٍ وَعِشْرِينَ سَنَةً عَلَىٰ رَسُولِ اللهِ ﷺ».

وَسُمِّيتْ «لَيْلَةُ الْقَدْرِ»؛ لِعِظَمِ قَدْرِهَا، وَجَلِيلِ فَضْلِهَا عِنْدَ رَبِّهَا جَلَّ وَعَلَا[٢].

ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ مُعَظِّمًا شَأْنَهَا: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ﴾؟

وَبَيَّنَ مِقْدَارَ فَضْلِهَا بِقَوْلِهِ: ﴿لَيۡلَةُ ٱلۡقَدۡرِ خَيۡرٞ مِّنۡ أَلۡفِ شَهۡرٖ﴾: الْعِبَادَةُ فِيهَا وَإِحْيَاؤُهَا بِالطَّاعَةِ يَعْدِلُ عِبَادَةَ أَلْفِ شَهْرٍ لَيْسَ فِي شَهْرٍ مِنْهَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ.

ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ زِيَادَةِ فَضْلِهَا، وَكَثْرَةِ بَرَكَتِهَا: أَنَّ الْمَلَائِكَةَ يَكْثُرُ تَنَزُّلُهُمْ فِيهَا، وَيَنْزِلُ مَعَهُمْ جِبْرِيلُ الْأَمِينُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، يَنْزِلُونَ بِكُلِّ أَمْرٍ مِنَ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ قَدَّرَهُ اللهُ، وَنُزُولُهُمْ بِأَمْرِ اللهِ سُبْحَانَهُ.

ثُمَّ زَادَ فِي فَضْلِهَا فَقَالَ: إِنَّهَا سَلَامٌ وَخَيْرٌ كُلُّهَا، لَيْسَ فِيهَا شَرٌّ إِلَىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ، وَإِنَّ الْمَلَائِكَةَ تُسَلِّمُ فِيهَا عَلَىٰ الْمُؤْمِنِينَ فِي الْأَرْضِ[٣].

=

فَجَعَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَنْزِلُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ يُرَتِّلُهُ تَرْتِيلًا».

(١) وهو أيضا قول الربيع بن أنس، وسعيد بن جبير، وعكرمة، والسدي، وغيرهم.

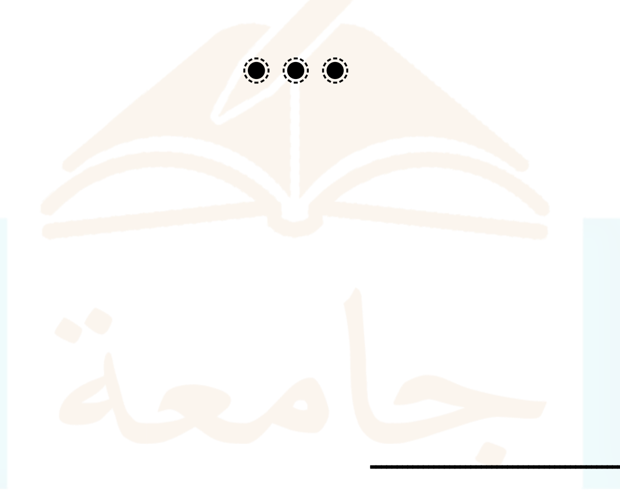
(٢) وهو قول الأزهري كما عزاه البغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٨٢)، وعزاه الماوردي في «تفسيره» (٦/ ٣١٢) أيضا لأبي الحسن علي بن عيسىٰ الرماني.

(٣) أخرج سعيد بن منصور كما في «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٤٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥/ رقم ٣٤٢٤)، وفي «فضائل الأوقات» (رقم ١١١)، بإسناد صحيح، عَنِ =

وَصَحَّ عَنْ رَسُولِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي فَضْلِ قِيَامِهَا: «**مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**»[1].

وَقَالَ فِي وَقْتِهَا: «**الْتَمِسُوهَا فِي أَوْتَارِ الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ مِنْ رَمَضَانَ**»[2]، وَذَلِكَ مِنْ كُلِّ رَمَضَانَ.

❁ ❁ ❁



=

الشَّعْبِيِّ، فِي قَوْلِهِ: ﴿مِّن كُلِّ أَمۡرٖ ٤ سَلَٰمٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطۡلَعِ ٱلۡفَجۡرِ﴾، قَالَ: «**هُوَ تَسْلِيمُ الْمَلَائِكَةِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ عَلَىٰ أَهْلِ الْمَسَاجِدِ حَتَّىٰ يَطْلُعَ الْفَجْرُ**»، وهو أيضا قول منصور بن زاذان، والحسن، والكلبي، وانظر: «تفسير الماوردي» (٦/ ٣١٤)، و«الدر» للسيوطي (٨/ ٥٧٠).

(١) أخرجه البخاري في (كتاب فضل ليلة القدر، باب ١، رقم ٢٠١٤) وفي مواضع، ومسلم في (كتاب صلاة المسافرين، باب ٢٥، رقم ٧٦٠)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه.

(٢) أخرجه البخاري في (كتاب فضل ليلة القدر، باب ٣، رقم ٢٠١٨) وفي مواضع، ومسلم في (كتاب الصيام، باب ٤٠، رقم ١١٦٧)، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه، بلفظ: «...، **الْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الْأَوَاخِرِ، فِي كُلِّ وِتْرٍ**،...» الحديث.



مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[١]:

١- فِي الْآيَاتِ: تَقْرِيرُ الْوَحْيِ، وَإِثْبَاتُ النُّبُوَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، مَعَ تَقْرِيرِ عَقِيدَةِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ.

٢- وَفِيهَا: فَضْلُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَعُلُوُّ قَدْرِهِ، وَعَظِيمُ شَأْنِهِ، وَأَنَّهُ أُنْزِلَ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: بَيَانُ فَضْلِ لَيْلَةِ الْقَدْرِ وَعِظَمِهَا، وَأَنَّهَا تَعْدِلُ أَلْفَ شَهْرٍ خَالِيَةٍ مِنْهَا.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: الحَثُّ عَلَىٰ اغْتِنَامِ مَوَاسِمِ الطَّاعَاتِ؛ كَهَذِهِ اللَّيْلَةِ الشَّرِيفَةِ الْمُبَارَكَةِ.

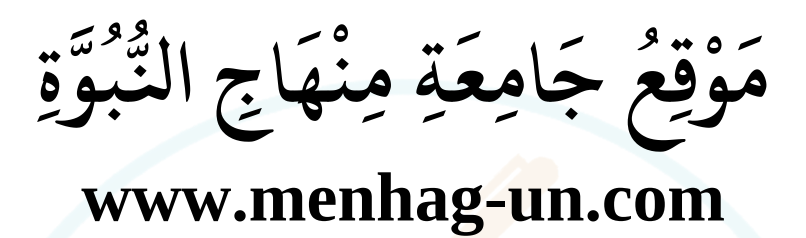
وَصَلَّىٰ اللهُ، وَسَلَّمَ عَلَىٰ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ، وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ.



---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٩٨).


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com



يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَةَ الثَّالِثَةَ عَشْرَةَ)

مِنْ مَادَّةِ التَّفْسِيرِ

تفسير

جزء عمّ

[سُورَتَيِ: الْبَيِّنَةِ، وَالزَّلْزَلَةِ]


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ الْبَيِّنَةِ

* سُورَةُ الْبَيِّنَةِ وَتُسَمَّىٰ [سُورَةَ لَمْ يَكُنْ] مَدَنِيَّةٌ، **وَهِيَ تُعَالِجُ الْقَضَايَا الْآتِيَةَ:**

١- مَوْقِفُ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ رِسَالَةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وآله وسلم.

٢- مَوْضُوعُ إِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ جَلَّ وَعَلَا.

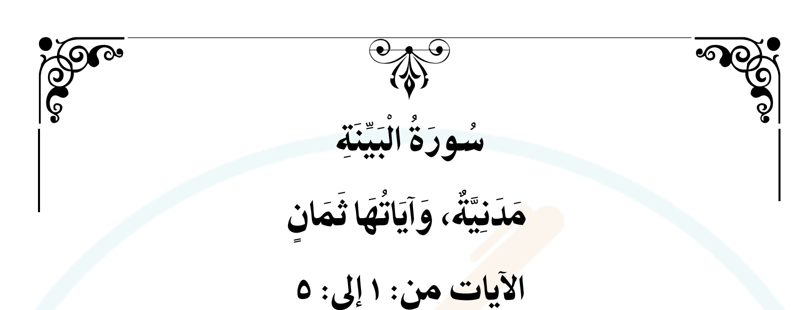
٣- مَصِيرُ كُلٍّ مِنَ السُّعَدَاءِ وَالْأَشْقِيَاءِ فِي الْآخِرَةِ.

٤- تَحَدَّثَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ عَنْ مَوْقِفِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ مِنْ دَعْوَةِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وآله وسلم بَعْدَ أَنْ كَانُوا يَنْتَظِرُونَ قُدُومَهُ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالنُّورِ وَالضِّيَاءِ كَانُوا أَوَّلَ مَنْ كَذَّبَ بِرِسَالَتِهِ ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ..﴾ الْآيَاتِ.

* ثُمَّ تَحَدَّثَتِ السُّورَةُ عَنْ عُنْصُرٍ هَامٍّ مِنْ عَنَاصِرِ الْإِيمَانِ، وَهُوَ: (**إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ**) لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ، الَّذِي أَمَرَ بِهِ جَمِيعَ أَهْلِ الْأَدْيَانِ، لِإِفْرَادِهِ جَلَّ وَعَلَا بِالذِّكْرِ، وَالْقَصْدِ، وَالتَّوَجُّهِ فِي جَمِيعِ الْأَقْوَالِ وَالْأَفْعَالِ وَالْأَعْمَالِ، خَالِصَةً لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ..﴾ الْآيَاتِ.

* كَمَا تَحَدَّثَتْ عَنْ مَصِيرِ أَهْلِ الْإِجْرَامِ -شَرِّ الْبَرِيَّةِ- مِنْ كَفَرَةِ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ، وَخُلُودِهِمْ فِي نَارِ الْجَحِيمِ، وَعَنْ مَصِيرِ الْمُؤْمِنِينَ، أَصْحَابِ الْمَنَازِلِ الْعَالِيَةِ -خَيْرِ الْبَرِيَّةِ- وَخُلُودِهِمْ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ، مَعَ النَّبِيِّينَ، وَالصِّدِّيقِينَ، وَالشُّهَدَاءِ، وَالصَّالِحِينَ، جَزَاءَ طَاعَتِهِمْ وَإِخْلَاصِهِمْ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ فِى نَارِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ شَرُّ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ..﴾ الْآيَاتِ إِلَىٰ نِهَايَةِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ.

◉ ◉ ◉



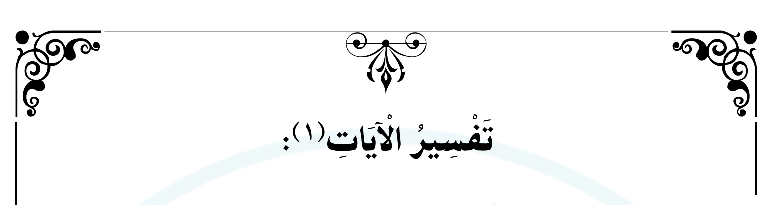
سُورَةُ الْبَيِّنَةِ

مَدَنِيَّةٌ، وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ

الآيات من: ١ إلى: ٥

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ لَمۡ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأۡتِيَهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ (١) رَسُولٞ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ (٢) فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ (٣) وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَتۡهُمُ ٱلۡبَيِّنَةُ (٤) وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ (٥) ﴾.



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[١]:

سُورَةُ الْبَيِّنَةِ، وَهِيَ أَيْضًا سُورَةُ الْقَيِّمَةِ، وَهِيَ أَيْضًا سُورَةُ «لَمْ يَكُنْ»[٢]؛ وَرَدَ فِي فَضْلِهَا عِنْدَ مُسْلِمٍ رَحِمَهُ اللَّهُ[٣] مِنْ رِوَايَةِ أُبَيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: «**إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا**».

قَالَ أُبَيٌّ: وَسَمَّانِي يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**».

فَبَكَىٰ أُبَيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ﴾: وَهُمُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَىٰ. ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾: وَهُمْ عَبَدَةُ الْأَوْثَانِ.

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٥٩٩ - ٦٠٠).

(٢) «جَمَال الْقُرَّاءِ» للسخاوي (١/ ٢٠١)، و«الإتقان في علوم القرآن» للسيوطي (١/ ١٩٦).

(٣) «صحيح مسلم» في (كتاب صلاة المسافرين، باب ٣٩)، وفي (كتاب فضائل الصحابة، باب ٢٣، رقم ٧٩٩)، وأخرجه أيضا البخاري في «صحيحه» في (كتاب مناقب الأنصار، باب ١٦، رقم ٣٨٠٩)، وفي (التفسير، سورة ٩٨، رقم ٤٩٥٩ - ٤٩٦١)، من حديث: أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ لِأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ: «**إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ:** ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا ...﴾»، الحديث.

﴿مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾: ﴿مُنفَكِّينَ﴾: زَائِلِينَ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ، مُفَارِقِينَهُ[١]، ﴿حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾: حَتَّىٰ تَجِيئَهُمُ الحُجَّةُ الْوَاضِحَةُ، وَهِيَ مُحَمَّدٌ ﷺ وَالْقُرْآنُ.

وَلِذَلِكَ بَيَّنَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ الْبَيِّنَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾: هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ ﴿يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾: مِنَ الْبَاطِلِ، وَالْكَذِبِ وَالزَّيْغِ.

﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾: فِي تِلْكَ الصُّحُفِ كُتُبٌ مِنَ اللهِ مُسْتَقِيمَةٌ.

«لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ اليَهُودِ، وَالنَّصَارَىٰ، وَالْمُشْرِكِينَ تَارِكِينَ كُفْرَهُمْ؛ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ الْعَلَامَةُ الَّتِي وُعِدُوا بِهَا فِي الْكُتُبِ السَّابِقَةِ، وَالْبَيِّنَةُ هِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَتْلُو قُرْآنًا فِي صُحُفٍ مُطَهَّرَةٍ، فِي تِلْكَ الصُّحُفِ أَخْبَارٌ صَادِقَةٌ، وَأَوَامِرُ عَادِلَةٌ تَهْدِي إِلَىٰ الحَقِّ، وَإِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ»[٢].

﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ﴾: مُحَمَّدٌ ﷺ وَالْقُرْآنُ.

---

(١) وَالْمَعْنَىٰ: لَمْ يَكُونُوا زَائِلِينَ عَنْ كُفْرِهِمْ وَلَا مُفَارِقِينَ لِشِرْكِهِمْ حَتَّىٰ أَتَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ، وهو قول أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٦)، وابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص٥٣٥)، وعزاه البغوي في «تفسيره» (٨/ ٤٩٣) وغيره لأهل اللغة، وقال ابن عباس، فِي قَوْله: ﴿مُنفَكِّينَ﴾: «**برحين**»، وقال مجاهد وقتادة وابن زيد: «**مُنْتَهِينَ**»، يَعْنِي: «**لَمْ يَكُونُوا لِيَنْتَهُوا عَمَّا هُمْ فِيهِ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ**»، والمعنىٰ متقارب، وانظر: «تهذيب اللغة» للأزهري (٩/ ٣٣٨)، و«لسان العرب» (١٠/ ٤٧٧)، مادة: (فكك).

(٢) «التفسير الميسر» (ص٥٩٨).

«وَمَا اخْتَلَفَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ فِي كَوْنِ مُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولًا حَقًّا فِيمَا يَجِدُونَهُ مِنْ نَعْتِهِ فِي كُتُبِهِمْ، إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنُوا أَنَّهُ النَّبِيُّ الَّذِي وُعِدُوا بِهِ فِي التَّوْرَاةِ وَالْإِنْجِيلِ، فَكَانُوا مُجْتَمِعِينَ عَلَىٰ صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ، فَلَمَّا بُعِثَ جَحَدُوا وَتَفَرَّقُوا»(١).

﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ﴾: فِي كُتُبِهِمْ -فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ-، ﴿إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾: مَائِلِينَ عَنِ الشِّرْكِ، وَالْأَدْيَانِ كُلِّهَا إِلَىٰ دِينَ الإِسْلَامِ الْعَظِيمِ، مُسْتَقِيمِينَ عَلَىٰ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ، وَدِينِ مُحَمَّدٍ الأَمِينِ.

﴿وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ﴾: وَذَلِكَ دِينُ المِلَّةِ الْقَيِّمَةِ، أَيِ: المُسْتَقِيمَةِ.

«وَمَا أُمِرُوا فِي سَائِرِ الشَّرَائِعِ إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللهَ وَحْدَهُ، قَاصِدِينَ بِعِبَادَتِهِمْ وَجْهَهُ، مَائِلِينَ عَنِ الشِّرْكِ إِلَىٰ الإِيمَانِ، وَمَا أُمِرُوا إِلَّا بِالتَّوْحِيدِ مَعَ إِقَامَةِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَذَلِكَ هُوَ دِينُ الاسْتِقَامَةِ، وَهُوَ دِينُ الإِسْلَامِ الْعَظِيمِ»(٢).

●●●

(١) المصدر السابق.

(٢) «التفسير الميسر» (ص٥٩٨)، بتصرف يسير.

الْمَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يُخْبِرُ اللهُ سُبْحَانَهُ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ لَمْ يَكُونُوا مُنْتَهِينَ عَنْ كُفْرِهِمْ، حَتَّىٰ جَاءَهُمْ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَهُوَ الْحُجَّةُ الْوَاضِحَةُ، أَتَاهُمْ بِالْقُرْآنِ، وَدَعَاهُمْ إِلَىٰ الإِسْلَامِ وَالإِيمَانِ، فَآمَنَ بِهِ فَرِيقٌ مِنْ كُلٍّ مِنَ الصِّنْفَيْنِ.

ثُمَّ وَضَّحَ الْبَيِّنَةَ بِقَوْلِهِ: ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُواْ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً﴾: يَقْرَأُ الْقُرْآنَ، وَالْقُرْآنُ مَكْتُوبٌ فِي صُحُفٍ وَصَفَهَا سُبْحَانَهُ بِأَنَّهَا مُطَهَّرَةٌ مِنَ الْبَاطِلِ وَالْكَذِبِ، ﴿فِيهَا﴾: أَيْ فِي تِلْكَ الصُّحُفِ ﴿كُتُبٌ﴾: مَكْتُوبٌ فِيهَا أَحْكَامٌ عَادِلَةٌ مُسْتَقِيمَةٌ، وَالْمُرَادُ بِهَا: الْقُرْآنُ، فِيهِ أَحْكَامُ الحَلَالِ وَالحَرَامِ، وَمَا سِوَىٰ ذَلِكَ.

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ كَانُوا مُجْتَمِعِينَ عَلَىٰ صِحَّةِ نُبُوَّةِ الرَّسُولِ مُحَمَّدٍ ﷺ؛ إِذْ كَانُوا يَعْلَمُونَ مِنْ كُتُبِهِمْ أَمْرَ بَعْثَتِهِ، فَلَمَّا بُعِثَ اخْتَلَفُوا فِيهِ، وَتَفَرَّقُوا عَلَيْهِ، فَآمَنَ بِهِ بَعْضُهُمْ، وَكَفَرَ بِهِ آخَرُونَ.

ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ لَمْ يُؤْمَرُوا فِي كُتُبِهِمْ إِلَّا بِعِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ وَبِإِخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ، وَبِأَنْ يَكُونُوا ﴿حُنَفَآءَ﴾ مُؤْمِنِينَ بِجَمِيعِ الرُّسُلِ، مَائِلِينَ عَنِ الْأَدْيَانِ كُلِّهَا إِلَىٰ دِينِ التَّوْحِيدِ، وَأُمِرُوا أَنْ يُقِيمُوا الصَّلَاةَ، وَيُؤَدُّوهَا فِي أَوْقَاتِهَا،

وَأُمِرُوا بِإِعْطَاءِ الزَّكَاةِ الْوَاجِبَةِ مَتَّىٰ وَجَبَتْ، وَهِيَ حَقُّ المَالِ، وَمَجْمُوعُ هَذِهِ الْأُمُورِ هِيَ المِلَّةُ المُسْتَقِيمَةُ الْعَادِلَةُ.

❁ ❁ ❁





مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[(١)]:

١- فِي الْآيَاتِ: بَيَانُ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ لَمْ يَزَالُوا عَلَىٰ كُفْرِهِمْ، وَفِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ؛ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الرَّسُولُ المأْمُونُ ﷺ.

٢- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّ الدِّيَانَاتِ السَّابِقَةَ لِلإِسْلَامِ، وَالَّتِي عَاصَرَتْهُ كَانَتْ مُنْحَرِفَةً، اخْتَلَطَ فِيهَا الحَقُّ بِالْبَاطِلِ، وَلَمْ تَعُدْ صَالِحَةً.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: بَيَانُ انْقِسَامِ أَهْلِ الْكِتَابِ بَعْدَ بَعْثَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ إِلَىٰ قِسْمَيْنِ: مُؤْمِنٍ وَكَافِرٍ.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: فَضْلُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وَسَلَامَتُهُ مِنَ الْكَذِبِ، وَالزُّورِ، وَالْبَاطِلِ، وَالْبُهْتَانِ.

٥- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّ الْغَايَةَ المَطْلُوبَةَ مِنْ بَعْثِ الرُّسُلِ، وَإِنْزَالِ الْكُتُبِ: إِفْرَادُ اللهِ وَحْدَهُ بِالْعِبَادَةِ، وَإِخْلَاصُ التَّوْحِيدِ لِلْعَزِيزِ المَجِيدِ.

٦- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّ الصَّلَاةَ، وَالزَّكَاةَ مِنْ أَرْكَانِ الإِسْلَامِ، لَا يَصِحُّ بِدُونِهِمَا، فَمَنْ تَرَكَ رُكْنًا مِنْ أَرْكَانِ الْإِسْلَامِ فَقَدْ كَفَرَ.

●●●

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٦٠٠ - ٦٠١).



الآيات من: ٦ إلى: (٨) نهاية السورة

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٦ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾.

●●●



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[١]:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ وَٱلۡمُشۡرِكِينَ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾: إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالإِسْلَامِ، وَنَبِيِّهِ، وَكِتَابِهِ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنَ اليَهُودِ وَالنَّصَارَىٰ وَالْمُشْرِكِينَ مِنْ عَبَدَةِ الْأَصْنَامِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا، أُولَئِكَ الَّذِينَ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَالْمُشْرِكِينَ هُمْ شَرُّ الخَلِيقَةِ.

«إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ اليَهُودِ، وَالنَّصَارَىٰ، وَالْمُشْرِكِينَ عِقَابُهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا، أُولَئِكَ هُمْ أَشَدُّ الخَلِيقَةِ شَرًّا»[٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ﴾: المَنْعُوتُونَ بِذَلِكَ ﴿هُمۡ خَيۡرُ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾: هُمْ خَيْرُ الخَلِيقَةِ ﴿جَزَآؤُهُمۡ﴾: ثَوَابُهُمْ ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾، وَخَالِقِهِمْ ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٍ﴾: جَنَّاتُ إِقَامَةٍ، وَمُكْثٍ مِنْ غَيْرِ تَحَوُّلٍ ﴿تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ﴾: وَمَقَامُ رِضَاهُ عَنْهُمْ أَعْلَىٰ مِمَّا أُوتُوهُ مِنَ النَّعِيمِ المُقِيمِ ﴿وَرَضُواْ عَنۡهُۚ﴾: فِيمَا مَنَحَهُمْ مِنَ الْفَضْلِ الْعَمِيمِ ﴿ذَٰلِكَ لِمَنۡ خَشِيَ رَبَّهُۥ﴾: لِمَنْ خَافَ اللهَ، وَاتَّقَاهُ حَقَّ تَقْوَاهُ، وَعَبَدَ اللهَ كَأَنَّهُ يَرَاهُ.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٥٨)، و«فتح القدير» (٥/ ٥٨١)، و«أيسر التفاسير» (٥/ ٦٠١).

(٢) «التفسير الميسر» (ص٥٩٩).

«إِنَّ الَّذِينَ صَدَّقُوا اللهَ، وَاتَّبَعُوا رَسُولَهُ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الخَلْقِ، جَزَاؤُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جَنَّاتُ إِقَامَةٍ، وَاسْتِقْرَارٍ فِي مُنْتَهَىٰ الحُسْنِ، تَجْرِي مِنْ تَحْتِ قُصُورِهَا الأَنْهَارُ، خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا، رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، فَقَبِلَ أَعْمَالَهُمُ الصَّالِحَةَ، وَرَضُوا عَنْهُ بِمَا أَعَدَّ لَهُمْ مِنْ أَنْوَاعِ الْكَرَامَاتِ، ذَلِكَ الجَزَاءُ الحَسَنُ لِمَنْ خَافَ اللهَ، وَاجْتَنَبَ مَعَاصِيهِ»[١].

***

(١) المصدر السابق.



الْمَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

أَخْبرَ سُبْحَانَهُ عَنْ حَالِ الْأَشْقِيَاءِ، وَالسُّعَدَاءِ فِي الْآخِرَةِ، فَقَالَ تَعَالَىٰ:

إِنَّ الْكَفَرَةَ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَالْمُشْرِكِينَ يُدْخِلُهُمُ اللهُ فِي الآخِرَةِ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا، لَا يَنْفَكُّ عَنْهُمُ الْعَذَابُ؛ لِأَنَّهُمْ بِكُفْرِهِمْ، وَتَكْذِيبِهِمْ صَارُوا شَرَّ الخَلِيقَةِ، فَجَازَاهُمُ اللهُ بِالْعَذَابِ الْأَلِيمِ فِي جَهَنَّمَ.

وَعَلَىٰ عَكْسِهِمُ الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ يَتَقَرَّبُونَ بِهَا إِلَىٰ اللهِ، أُولَئِكَ هُمْ خَيْرُ الخَلِيقَةِ، فَجَازَاهُمُ اللهُ فِي الْآخِرَةِ بِالدُّخُولِ فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ لَا يَتَحَوَّلُونَ عَنْهَا، فَهِيَ جَنَّاتُ إِقَامَةٍ لَا انْقِضَاءَ لَهَا.

وَوَصَفَ سُبْحَانَهُ هَذِهِ الجِنَانُ بِأَنَّ الأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا، هُمْ خَالِدُونَ فِي هَذِهِ الجَنَّاتِ لَا يَمُوتُونَ وَلَا يَرْتَحِلُونَ، وَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ بِقَبُولِ أَعْمَالِهِمْ وَرَضُوا عَنِ اللهِ لما أَتَاهُمْ مِنَ الثَّوَابِ فِي الجَنَّةِ، وَهَذَا الرِّضَاءُ، وَحُسْنُ الجَزَاءِ لِكُلِّ مَنْ خَافَ رَبَّهُ فِي دُنْيَاهُ، وَانْتَهَىٰ عَنْ مَعَاصِيهِ.



مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[١]:

١- فِي هَذِهِ الْآيَاتِ: بَيَانُ جَزَاءِ مَنْ كَفَرَ بِالإِسْلَامِ مِنْ سَائِرِ النَّاسِ، وَأَنَّهُ بِئْسَ الجَزَاءُ.

٢- وَفِيهَا: وَصْفُ الْكَافِرِينَ بِأَنَّهُمْ أَشَرُّ الخَلْقِ، وَأَنَّ مَآلَهُمُ النَّارَ خَالِدِينَ فِيهَا، وَبِئْسَ المَصِيرُ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: بَيَانُ جَزَاءِ مَنْ آمَنَ بِالْإِسْلَامِ، وَدَخَلَ فِيهِ وَطَبَّقَ قَوَاعِدَهُ، وَاسْتَقَامَ عَلَىٰ الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ فِيهِ.

٤- وَفِيهَا: وَصْفُ مَنْ آمَنَ بِاللهِ، وَصَدَّقَ رُسُلَهُ بِأَنَّهُمْ خَيْرُ الخَلْقِ، وَأَنَّ مَآلَهُمُ الجَنَّةَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا.

٥- وَفِي الْآيَاتِ: إِثْبَاتُ صِفَةِ الرِّضَا للهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ مَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، وَعَظَمَتِهِ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ، وَلَا تَشْبِيهٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ، وَلَا تَحْرِيفٍ.

٦- وَفِي الْآيَاتِ: بَيَانُ فَضْلِ الخَشْيَةِ إِنْ حَمَلَتْ صَاحِبَهَا عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَطَاعَةِ رَسُولِهِ.

⁂

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٦٠٣).

بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ الزَّلْزَلَةِ

* سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ مَدَنِيَّةٌ، وَهِيَ فِي أُسْلُوبِهَا تُشْبِهُ السُّوَرَ الْمَكِّيَّةَ، لِمَا فِيهَا مِنْ أَهْوَالِ وَشَدَائِدِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهِيَ هُنَا تَتَحَدَّثُ عَنِ الزِّلْزَالِ الْعَنِيفِ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، حَيْثُ يَنْدَكُّ كُلُّ صَرْحٍ شَامِخٍ، وَيَنْهَارُ كُلُّ جَبَلٍ رَاسِخٍ، وَيَحْصُلُ مِنَ الْأُمُورِ الْعَجِيبَةِ الْغَرِيبَةِ، مَا يَنْدَهِشُ لَهُ الْإِنْسَانُ؛ كَإِخْرَاجِ الْأَرْضِ مَا فِيهَا مِنْ مَوْتَىٰ، وَإِلْقَائِهَا مَا فِي بَطْنِهَا، مِنْ كُنُوزٍ ثَمِينَةٍ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ، وَشَهَادَتِهَا عَلَىٰ كُلِّ إِنْسَانٍ بِمَا عَمِلَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا، تَقُولُ: عَمِلْتَ يَوْمَ كَذَا، كَذَا وَكَذَا، وَكُلُّ هَذَا مِنْ عَجَائِبِ ذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّهِيبِ.

كَمَا تَتَحَدَّثُ عَنِ انْصِرَافِ الْخَلَائِقِ مِنْ أَرْضِ الْمَحْشَرِ، إِلَىٰ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ، وَانْقِسَامِهِمْ إِلَىٰ فَرِيقَيْنِ مَا بَيْنَ شَقِيٍّ وَسَعِيدٍ ﴿فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورىٰ: ٧].





سُورَةُ الزَّلْزَلَةِ

مَدَنِيَّةٌ، وَآيَاتُهَا ثَمَانٍ

الآيات من: ١ إلى: (٨) نهاية السورة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ ٱلنَّاسُ أَشْتَاتًا لِّيُرَوْاْ أَعْمَٰلَهُمْ (٦) فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ (٧) وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ (٨)﴾.

●●●



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[(١)]:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾: ﴿زُلْزِلَتِ﴾: حُرِّكَتِ حَرَكَةً شَدِيدَةً.

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾: وَجَوَابُ الشَّرْطِ ﴿تُحَدِّثُ﴾.

﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا ﴿٢﴾ وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾: جَوَابُ الشَّرْطِ فِي هَذَا الشَّرْطِ: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾، جَوَابُهُ: ﴿تُحَدِّثُ﴾: وَالمُرَادُ: تَحَرُّكُهَا عِنْدَ قِيَامِ السَّاعَةِ، فَإِنَّهَا تَضْطَرِبُ حَتَّىٰ يَتَكَسَّرَ كُلُّ شَيْءٍ عَلَيْهَا.

﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾: ﴿زِلْزَالَهَا﴾: تَحْرِيكَهَا الشَّدِيدَ، إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا شَدِيدًا ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾: كُنُوزَهَا وَمَوْتَاهَا، فَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ.

﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَـٰنُ مَا لَهَا﴾: أَيْ قَالَ الْكَافِرُ: مَا لَهَا؟ أي: أَيُّ شَيْءٍ جَعَلَهَا تَتَحَرَّكُ هَذِهِ الحَرَكَةَ، وَتُزَلْزِلُ زِلْزَالَهَا؟!

---

(١) «فتح القدير» (٥/ ٥٨٣)، «تفسير الجلالين» (ص٨١٧)، و«تفسير السعدي» (ص٩٣٢)، و«أيسر التفاسير» (٥/ ٦٠٣ - ٦٠٤).

«إِذَا رُجَّتِ الْأَرْضُ رَجًّا شَدِيدًا، وَأَخْرَجَتْ مَا فِي بَطْنِهَا مِنْ مَوْتَىٰ وَكُنُوزٍ، وَتَسَاءَلَ الْإِنْسَانُ فَزِعًا: مَا الَّذِي حَدَثَ لَهَا؟»[١].

﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾: تُخْبِرُ أَخْبَارَهَا بِمَا وَقَعَ عَلَيْهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَتَشْهَدُ بِهِ لِأَهْلِهِ[٢].

﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾: أَوْحَىٰ لَهَا أَنْ تُحَدِّثَ أَخْبَارَهَا فَحَدَّثَتْ.

عِنْدَ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللهُ[٣] قَوْلُهُ: «أَوْحَىٰ لَهَا، وَوَحَىٰ لَهَا، وَوَحَىٰ إِلَيْهَا وَاحِدٌ».

---

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٩).

(٢) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمذاني في «تفسير مجاهد» (ص٧٤٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٤٩)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ: في قوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، قال: «**تُحَدِّثُ بِأَخْبَارِ النَّاسِ بِمَا عَمِلُوا عَلَيْهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٩٢) للْفِرْيَابِيّ وَعبد بن حميد وَابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم، وهو أيضا قول ابن عباس وابن زيد وسفيان الثوري.

ويؤيده ما رُوِي عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا**»؟ قَالُوا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَىٰ كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا أَنْ تَقُولَ: عَمِلَ كَذَا وَكَذَا يَوْمَ كَذَا وَكَذَا**»، قَالَ: «**فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا**»، أخرجه الترمذي في «جامعه» في (كتاب صفة القيامة، باب ٧، رقم ٢٤٢٩)، وفي (التفسير، باب ٨٨، رقم ٣٣٥٣)، وضعفه الألباني في «الضعيفة» (١٠/ رقم ٤٨٣٤)، وروي عن أنس وربيعة الجرشي رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا نحوه مرفوعا.

(٣) «صحيح البخاري» في (كتاب التفسير، سورة ٩٩: باب ١)، قال: «يُقَالُ: أَوْحَىٰ لَهَا =

«يَوْمَ الْقِيَامَةِ تُخْبِرُ الْأَرْضُ عَمَّا عُمِلَ عَلَيْهَا مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، وَبِأَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أَمَرَهَا بِأَنْ تُخْبِرَ عَمَّا عُمِلَ عَلَيْهَا»(١).

﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ(٢) أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾: أَشْتَاتًا: فِرَقًا مُتَفَاوِتِينَ مِنْ مَوْقِفِ الحِسَابِ؛ ﴿لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾: أَيْ جَزَاءَ أَعْمَالِهِمْ، إِلَىٰ الجَنَّةِ أَوْ إِلَىٰ النَّارِ.

«يَوْمَئِذٍ يَرْجِعُ النَّاسُ عَنْ مَوْقِفِ الحِسَابِ أَصْنَافًا مُتَفَرِّقِينَ؛ لِيُرِيَهُمُ اللهُ مَا عَمِلُوا مِنَ السَّيِّئَاتِ، وَالحَسَنَاتِ؛ وَلِيُجَازِيَهُمْ عَلَيْهَا»(٣).

=

أَوْحَىٰ إِلَيْهَا، وَوَحَىٰ لَهَا وَوَحَىٰ إِلَيْهَا وَاحِدٌ»، وَالْعَرَبُ تَضَعُ (لَامَ) الصِّفَةِ مَوْضِعَ (إِلَىٰ)، وقد أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٤٩)، بإسناد لا بأس به، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، في قوله: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾، قَالَ: «أَوْحَىٰ إِلَيْهَا»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٥٩٢) لعبد بن حميد وَابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم وَابْن مرْدَوَيْه، وهو أيضا قول مجاهد وَالْقُرَظِيُّ وأبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٦) وغيرهم، واختاره وصوبه ابن حجر في «الفتح» (٨/ ٧٢٧)، والشوكاني في «فتح القدير» (٥/ ٥٨٤).

(١) «التفسير الميسر» (ص٥٩٩).

(٢) والمصدر: الرُّجُوعُ وَهُوَ ضِدُّ الْوُرُودِ، وَالْمَعْنَىٰ: يَرْجِعُ النَّاسُ مِنْ مَوْقِفِ الحِسَابِ، ﴿أَشْتَاتًا﴾ مُتَفَرِّقِينَ فَآخِذُ ذَاتِ الْيَمِينِ إِلَىٰ الْجَنَّةِ وَآخِذُ ذَاتِ الشِّمَالِ إِلَىٰ النَّارِ، انظر: «تفسير البغوي» (٨/ ٥٠٢)، و«فتح القدير» (٥/ ٥٨٤).

(٣) المصدر السابق.

﴿فَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٍ خَيۡرٗا يَرَهُۥ﴾: وَالذَّرَّةُ: النَّمْلَةُ الدَّقِيقَةُ الصَّغِيرَةُ.

﴿وَمَن يَعۡمَلۡ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ شَرّٗا يَرَهُۥ﴾: «فَمَنْ يَعْمَلْ وَزْنَ ذَرَّةِ نَمْلَةٍ صَغِيرَةٍ خَيْرًا يَرَ ثَوَابَهُ فِي الآخِرَةِ، وَمَنْ يَعْمَلْ وَزْنَ ذَرَّةِ نَمْلَةٍ صَغِيرَةٍ شَرًّا يَرَ عِقَابَهُ فِي الْآخِرَةِ»[١].

◉ ◉ ◉

(١) المصدر السابق.



الْمَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: إِذَا تَحَرَّكَتِ الْأَرْضُ حَرَكَتَهَا الشَّدِيدَةَ؛ لِقِيَامِ السَّاعَةِ، وَإِذَا أَخْرَجَتِ الْأَرْضُ مَا فِي بَطْنِهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ، وَمَا فِي دَاخِلِهَا مِنَ الْكُنُوزِ فَأَلْقَتْهُ عَلَىٰ ظَهْرِهَا، وَاسْتَنْكَرَ الإِنْسَانُ أَمْرَهَا؛ حَيْثُ اضْطَرَبَتْ بَعْدَ سُكُونِهَا وَاسْتِقْرَارِهَا، فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ تُحَدِّثُ الْأَرْضُ، وَتُخْبِرُ بِمَا عَمِلَ الْعَامِلُونَ عَلَيْهَا، وَتَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِأَعْمَالِهِمْ.

أَخْرَجَ الْإِمَامُ التِّرْمِذِيُّ فِي «جَامِعِهِ» بِإِسْنَادٍ ضَعِيفٍ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا﴾، فَقَالَ: «أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارَهَا؟».

قَالُوا: اللهُ، وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

قَالَ: «فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَىٰ كُلِّ عَبْدٍ، وَأَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا، تَقُولُ: عَمِلَ عَلَيَّ كَذَا وَكَذَا، قَالَ: فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا». وَالْحَدِيثُ ضَعِيفٌ[١].

وَهَذَا الْإِخْبَارُ، وَالتَّحَدُّثُ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ؛ بِسَبَبِ أَنَّ اللهَ تَعَالَىٰ أَوْحَىٰ إِلَيْهَا أَنْ تَتَحَدَّثَ، وَأَذِنَ لَهَا فِي ذَلِكَ.

---

(١) تقدم تخريجه.

ثُمَّ أَخْبرَ سُبْحَانَهُ أَنَّهُ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ يَرْجِعُ النَّاسَ مِنْ مَوْقِفِ الحِسَابِ مُتَفَرِّقِينَ، أَنْوَاعًا وَأَصْنَافًا بَيْنَ شَقِيٍّ وَسَعِيدٍ، فَآخِذٌ ذَاتَ الْيَمِينِ إِلَىٰ الجَنَّةِ، وَآخِذٌ ذَاتَ الشِّمَالِ إِلَىٰ النَّارِ.

وَصُدُورُهُمْ هَذَا مِنْ مَوْقِفِ الْعَرْضِ وَالحِسَابِ؛ لِيَرَوا جَزَاءَ أَعْمَالِهِمُ الَّتِي عَمِلُوهَا فِي الدُّنْيَا، وَلِيُنَزَّلُوا مَنَازِلَهُمْ مِنَ الجَنَّةِ أَوِ النَّارِ عَلَىٰ حَسَبِ مَا تُؤَهِّلُهُمْ لَهُ أَعْمَالُهُمْ، فَمَنْ يَعْمَلْ فِي الدُّنْيَا وَزْنَ نَمْلَةٍ صَغِيرَةٍ أَصْغَرَ مَا تَكُونُ مِنَ النِّمَالِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ يَلْقَ جَزَاءَهُ فِي الْآخِرَةِ.

● ● ●





مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[١]:

١- فِي الْآيَاتِ: تَقْرِيرُ عَقِيدَةِ الْبَعْثِ وَالجَزَاءِ.

٢- وَفِيهَا: بَيَانُ عِظَمِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَشِدَّةِ أَهْوَالِهِ.

٣- وَفِيهَا: الْإِيمَانُ بِأَنَّ الْأَرْضَ تَشْهَدُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِمَا عُمِلَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِنْ خَيْرٍ، وَشَرٍّ؛ اسْتِجَابَةً لِأَمْرِ رَبِّهَا سُبْحَانَهُ.

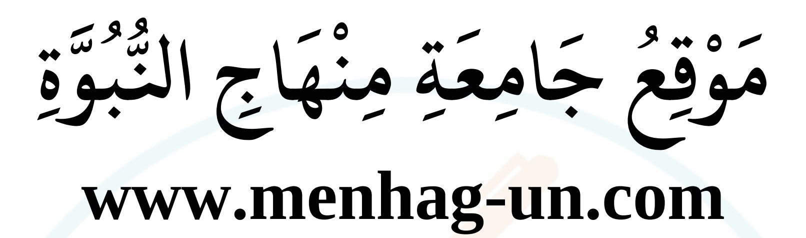
٤- وَفِي الْآيَاتِ: انْقِسَامُ النَّاسِ يَوْمَ الجَزَاءِ وَالحِسَابِ إِلَىٰ فَرِيقَينِ: فَرِيقٍ إِلَىٰ الجَنَّةِ، وَفَرِيقٍ إِلَىٰ النَّارِ.

٥- وَفِيهَا: التَّرْغِيبُ فِي فِعْلِ الخَيْرِ وَلَوْ قَلِيلًا، وَالتَّرْهِيبُ مِنْ فِعْلِ الشَّرِّ وَلَوْ حَقِيرًا.



(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٦٠٥).


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com



مَوْقِعُ جَامِعَةِ مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ

www.menhag-un.com

يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَةُ الرَّابِعَةَ عَشْرَةَ)

مِنْ مَادَّةِ التَّفْسِيرِ

تفسير جزء عم

[سُورَةُ: الْعَادِيَاتِ، وَالْقَارِعَةِ، وَالتَّكَاثُرِ]


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com



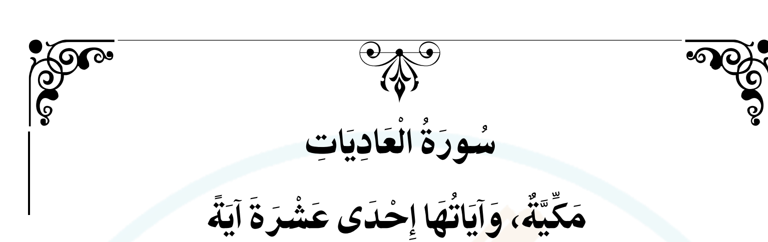
بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ الْعَادِيَاتِ

* سُورَةُ الْعَادِيَاتِ مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ تَتَحَدَّثُ عَنْ خَيْلِ الْمُجَاهِدِينَ فِي سَبِيلِ اللهِ، حِينَ تُغِيرُ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ، فَيُسْمَعُ لَهَا عِنْدَ عَدْوِهَا بِسُرْعَةٍ صَوْتٌ شَدِيدٌ، وَتَقْدَحُ بِحَوَافِرِهَا الْحِجَارَةَ فَيَتَطَايَرُ مِنْهَا النَّارُ، وَتُثِيرُ التُّرَابَ وَالْغُبَارَ.

* وَقَدْ بَدَأَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ، بِالْقَسَمِ بِخَيْلِ الْغُزَاةِ -إِظْهَارًا لِشَرَفِهَا وَفَضْلِهَا عِنْدَ اللهِ- عَلَىٰ أَنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ لِنِعْمَةِ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَيْهِ، جَحُودٌ لِآلَائِهِ وَفُيُوضِ نَعْمَائِهِ، وَهُوَ مُعْلِنٌ لِهَذَا الْكُفْرَانِ وَالْجُحُودِ، بِلِسَانِ حَالِهِ وَمَقَالِهِ، كَمَا تَحَدَّثَتْ عَنْ طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ وَحُبِّهِ الشَّدِيدِ لِلْمَالِ.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِبَيَانِ أَنَّ مَرْجِعَ الْخَلَائِقِ إِلَىٰ اللهِ لِلْحِسَابِ وَالْجَزَاءِ، وَلَا يَنْفَعُ فِي الْآخِرَةِ مَالٌ وَلَا جَاهٌ، وَإِنَّمَا يَنْفَعُ الْإِيمَانُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ.





سُورَةُ الْعَادِيَاتِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: (١١) نهاية السورة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَٰدِيَٰتِ ضَبْحًا (١) فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا (٢) فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا (٣) فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا (٤) فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا (٥) إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ (٦) وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ (٧) وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ (٨) ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ (٩) وَحُصِّلَ مَا فِى ٱلصُّدُورِ (١٠) إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ (١١)﴾.



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[١]:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾: أَقْسَمَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا بِالخَيْلِ، تَعْدُو بِسُرْعَةٍ[٢]، فَيُسْمَعُ مِنهَا الضَّبْحُ: وَهُوَ صَوْتُ أَنْفَاسِهَا إِذَا عَدَتْ وَأَسْرَعَتْ[٣].

«أَقْسَمَ اللهُ تَعَالَىٰ بِالخَيْلِ الجَارِيَاتِ فِي سَبِيلِهِ، حِينَ يَظْهَرُ [صَوْتُهَا مِنْ شِدَّةِ][٤] عَدْوِهَا وَجَرْيِهَا، وَلَا يَجُوزُ لِلْمَخْلُوقِ أَنْ يُقْسِمَ إِلَّا بِاللهِ؛ فَإِنَّ الْقَسَمَ بِغَيرِ اللهِ شِرْكٌ»[٥].

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٥٠٧ - ٥١٠).

(٢) أخرج ابن وهب في «تفسيره» (٢/ رقم ١٣٦)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٦٧٨)، وأَبُو بَكْرٍ القَاسِمُ بنُ زَكَرِيَّا المُطَرِّز في «فوائده» (رقم ١٣٥، و١٣٦، نشر دار الوطن)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٥٧ و٥٥٨)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٣٣، رقم ٣٩٦٧)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا﴾، قَالَ: «**هِيَ الْخَيْلُ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٦٠٠ - ٦٠١) لعبد بن حميد وَسَعِيد بن مَنْصُور وَابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم، وهو أيضا قول سالم بن عبد الله بن عمر ومجاهد وعطاء وأبو العالية وعكرمة والحسن وقتادة والضحاك ومقاتل والكلبي، وعزاه الشوكاني (٥/ ٥٨٧) لجمهور المفسرين، واختاره ابن جرير الطبري (٢٤/ ٥٥٩).

(٣) «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٨٤)، و«معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٥٣).

(٤) في الأصل: [صوت أنفاسها من سرعة].

(٥) «التفسير الميسر» (ص٥٩٩).

﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾: الْخَيْلُ تُورِي النَّارَ بِحَوَافِرِهَا إِذَا سَارَتْ فِي الْحِجَارَةِ[١]، «فَأَقْسَمَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ بِالخَيْلِ المُوقِدَاتِ بِحَوَافِرِهَا نَارًا، وَذَلِكَ مِنْ شِدَّةِ عَدْوِهَا»[٢].

﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾: وَهِيَ الْخَيْلُ تُغِيرُ بِفُرْسَانِهَا عَلَىٰ الْعَدُوِّ عِنْدَ الصَّبَاحِ[٣]، «فأَقْسَمَ اللهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ بِالمُغِيرَاتِ عَلَىٰ الْأَعْدَاءِ عِنْدَ الصُّبْحِ»[٤].

﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾: فَهَيَّجْنَا بِمَكَانِ سَيْرِهَا غُبَارًا، وَالنَّقْعُ: الْغُبَارُ.

---

(١) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٦٧٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٦٠)، عَنْ مَعْمَرٍ، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ: ﴿فَٱلْمُورِيَٰتِ قَدْحًا﴾، قَالَ: «**هِيَ الْخَيْلُ قَدْ قَدَحَتِ النَّارَ بِحَوَافِرِهَا**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٦٠٢) لعبد بن حميد، وروي عن ابن عباس نحوه، وهو أيضا قول عِكْرِمَةُ وَعَطَاءٌ وَالضَّحَّاكُ وَمُقَاتِلٌ وَالْكَلْبِيُّ والفراء وأبو عبيدة والزجاج.

(٢) «التفسير الميسر» (ص٥٩٩) بتصرف.

(٣) أخرج أَبُو بَكْرٍ الْقَاسِمُ بنُ زَكَرِيَّا المُطَرِّز في «فوائده» (رقم ١٣٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٥٨) مختصرا، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٣٣، رقم ٣٩٦٧)، والضياء في «المختارة» (١١/ ٢٥٠، رقم ٢٥٤)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ: ﴿فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا﴾، قَالَ: «**الْخَيْلُ تُصَبِّحُ الْعَدُوَّ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٦٠٠ - ٦٠١) لعبد بن حميد وَسَعِيد بن مَنْصُور وَابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم، وهو أيضا قول عكرمة ومجاهد وقتادة والفراء وأبو عبيدة والزجاج، وعزاه البغوي (٨/ ٥٠٨) لأكثر المفسرين.

(٤) «التفسير الميسر» (ص٥٩٩).

﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾: «فَتَوَسَّطْنَ بِرُكْبَانِهِنَّ جُمُوعَ الْأَعْدَاءِ(١)»(٢).

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾: وَهَذَا جَوَابُ الْقَسَمِ، كَنُودٌ: كَفُورٌ، جَحُودٌ بِنِعَمِ اللهِ.

﴿وَإِنَّهُۥ﴾: أَيِ الْإِنْسَانَ ﴿عَلَىٰ ذَٰلِكَ﴾: عَلَىٰ كَوْنِهِ كَنُودًا ﴿لَشَهِيدٌ﴾: لَشَاهِدٌ غَيْرُ جَاحِدٍ(٣).

---

(١) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٦٧٨)، وأَبُو بَكْرِ الْقَاسِمُ بنُ زَكَرِيَّا الْمُطَرِّز في «فوائده» (رقم ١٣٦)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٦٤)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٥٣٣، رقم ٣٩٦٧)، والضياء في «المختارة» (١١/ ٢٥٠، رقم ٢٥٤)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فِي قَوْلِهِ: ﴿فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾، قَالَ: «**جَمْعَ الْعَدُوِّ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٦٠٠ - ٦٠١) لعبد بن حميد وَسَعِيد بن مَنْصُور وَابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم، وهو أيضا قول مجاهد وعطاء وعكرمة وقتادة والضحاك وعطية والزجاج، واختاره ابن جرير الطبري (٢٤/ ٥٦٤).

(٢) «التفسير الميسر» (ص٥٩٩).

(٣) أخرج أبو داود في «الزهد» (رقم ٤٧٢ و٤٧٣، نشر دار المشكاة)، بإسناد لا بأس به، عن مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾، قَالَ: «**إِنَّ الْإِنْسَانَ شَاهِدٌ عَلَىٰ نَفْسِهِ**»، وعزه السيوطي في «الدر» (٨/ ٦٠٤) لابن أبي حاتم، وهو أيضا قول ابن عباس وكعب الأحبار والحسن وقتادة وابن كيسان، ورجحه الشوكاني في «فتح القدير» (٥/ ٥٨٩)، وَقَالَ: «فَإِنَّ الضَّمِيرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾، رَاجِعٌ إِلَىٰ الْإِنْسَانِ».

﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلۡخَيۡرِ﴾: لِحُبِّ الْمَالِ، ﴿لَشَدِيدٌ﴾: لَبَخِيلٌ مُمْسِكٌ[1].

«إِنَّ الإِنْسَانَ لِنِعَمِ رَبِّهِ لَجَحُودٌ، وَإِنَّهُ بِجُحُودِهِ ذَلِكَ لَمُقِرٌّ، وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْمَالِ لَشَدِيدٌ»[2].

﴿أَفَلَا يَعۡلَمُ﴾: هَذَا الإِنْسَانُ، ﴿إِذَا بُعۡثِرَ﴾: أُثِيرَ وَأُخْرِجَ، ﴿مَا فِي ٱلۡقُبُورِ﴾.

﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾: مُيِّزَ[3]، وَأُبْرِزَ[4] مَا فِي الصُّدُورِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ.

﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ﴾: ﴿إِنَّ رَبَّهُم﴾: وَالْكَلَامُ قَبْلُ عَنِ الإِنْسَانِ مُفْرَدًا، ثُمَّ أَتَى الجَمْعُ هَاهُنَا، وَالإِنْسَانُ اسْمُ جِنْسٍ، فَجُمِعَ هُنَا ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّخَبِيرُۢ﴾: عَالِمٌ بِمَا تُخْفِي الصُّدُورُ.

---

(١) وهو قول الحسن، وأبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٧)، وابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص٥٣٦)، والزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٣٥٤)، وانظر: «تفسير الماوردي» (٦/ ٣٢٦)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٤/ ٤٨٢).

(٢) «التفسير الميسر» (ص٦٠٠).

(٣) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٦٩)، بإسناد صحيح، عن سفيان الثوري، في قوله: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾، يقول: «ميز»، وهو أيضا قول أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٨)، وابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص٥٣٦)، وعزاه القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٦٣) لأَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ.

(٤) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٦٩)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَوْلُهُ: ﴿وَحُصِّلَ مَا فِي ٱلصُّدُورِ﴾، يَقُولُ: «أُبْرِزَ»، وعزاه الشوكاني في «فتح القدير» (٥/ ٥٩٢) لابن المنذر، وهو أيضا محمد بن كعب القرظي والفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢٨٦).

«أَفَلَا يَعْلَمُ الْإِنْسَانُ مَا يَنْتَظِرُهُ إِذَا أَخْرَجَ اللهُ الْأَمْوَاتَ مِنَ الْقُبُورِ لِلْحِسَابِ وَالجَزَاءِ، وَاُسْتُخْرِجَ مَا اسْتَتَرَ فِي الصُّدُورِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ، إِنَّ رَبَّهُمْ بِهِمْ، وَبِأَعْمَالِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَخَبِيرٌ، لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ مِنْ ذَلِكَ»(١).

◉ ◉ ◉



(١) «التفسير الميسر» (ص٦٠٠).

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

أَقْسَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِالخَيْلِ حِينَ تَعْدُو، وَتَجْرِي بِأَصْحَابِهَا لِلْغَزْوِ فِي سَبِيلِ اللهِ، فَتَضْبَحُ أَجْوَافُهَا إِذَا عَدَتْ، وَتُورِي النَّارَ بِحَوَافِرِهَا إِذَا اصْطَكَّتْ[١] بِالحِجَارَةِ مِنْ شِدَّةِ الْعَدْوِ، وَتُغِيرُ صَبَاحًا بِأَصْحَابِهَا فَتُثِيرُ الْغُبَارَ، وَتَتَوَسَّطُ بِهِمْ وَسْطَ جَمْعِ الْعَدُوِّ.

وَللهِ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، أَمَّا المَخْلُوقُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِغَيْرِ اللهِ، أَقْسَمَ سُبْحَانَهُ بِكُلِّ ذَلِكَ أَنَّ الإِنْسَانَ لِنِعَمِ رَبِّهِ لَجَحُودٌ، وَأَنَّ اللهَ عَلَىٰ كُفْرِ الْإِنْسَانِ لِنِعَمِ رَبِّهِ لَشَهِيدٌ[٢]، وَأَنَّ الإِنْسَانَ لَشَدِيدُ الْحِرْصِ عَلَىٰ المَالِ، بَخِيلٌ بِهِ؛ لِشِدَّةِ حُبِّهِ لَهُ.

---

(١) قال ابن فارس في «مقاييس اللغة» (٣/ ٢٧٦) في مادة (صَكَّ): «الصَّادُ وَالْكَافُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَىٰ تَلَاقِي شَيْئَيْنِ بِقُوَّةٍ وَشِدَّةٍ، حَتَّىٰ كَأَنَّ أَحَدَهُمَا يَضْرِبُ الْآخَرَ».

(٢) وهذا هو القول الآخر لتفسير قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ﴾، قال قتادة: «**إِنَّ اللهَ عَلَىٰ ذَلِكَ لَشَهِيدٌ**»، أخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٦٧)، بإسناد صحيح، وروي عن ابن عباس نحوه، وهو أيضا قول مجاهد وابن جريج وسفيان الثوري والفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢٨٥) وابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص٥٣٦) ، وعزاه القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٦٢) لأَكْثَرِ الْمُفَسِّرِينَ، واختاره ابن جرير الطبري.

أَفَلَا يَعْلَمُ هَذَا الإِنْسَانُ الْكَنُودُ لِنِعَمِ اللهِ، الشَّدِيدُ الْحِرْصِ وَالْحُبِّ لِلْمَالِ أَنَّ الْقُبُورَ سَوْفَ تُبَعْثَرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَيُخْرَجُ مَا فِيهَا مِنَ الْأَمْوَاتِ؛ لِيَوْمِ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ؟! وَسَوْفَ يَبْرُزُ مَا يَكُونُ مَكْنُونًا فِي الصُّدُورِ مَسْتُورًا فِي النُّفُوسِ، فَيُحَاسِبُ اللهُ الْعِبَادَ، وَيُجَازِيهِمْ عَلَيْهِ يَوْمَ الْجَزَاءِ، فَهُوَ عَلِيمٌ بِهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ، وَلَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ مِنْهُمْ خَافِيَةٌ.

وَكُلُّ الْآيَاتِ الَّتِي وَرَدَتْ بَعْدَ ذَلِكَ الْقَسَمِ جَوَابٌ لَهُ.

***

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[١]:

١- فِي الْآيَاتِ: فَضْلُ الخَيْلِ، وَعُلُوُّ مَكَانَتِهَا مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الحَيَوَانَاتِ؛ لِمَا لَهَا مِنْ فَوَائِدَ عَظِيمَةٍ فِي الجِهَادِ فِي سَبِيلِ اللهِ، وَقَدْ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الخَيْلُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الخَيْرُ**»[٢].

٢- وَفِي الْآيَاتِ: وَصْفُ الخَيْلِ فِي الهُجُومِ، وَفِي المَعْرَكَةِ، مَعَ بَيَانِ أَثَرِهَا فِي الحُرُوبِ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّ مِنْ طَبِيعَةِ الْإِنْسَانِ جُحُودَ نِعَمِ اللهِ، وَالتَّهَاوُنَ بِأَدَاءِ حُقُوقِهِ الْوَاجِبَةِ إِلَّا مَنْ هَدَاهُ اللهُ وَوَفَّقَهُ.

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٦٠٧ - ٦٠٨).

(٢) أخرجه البخاري في «صحيحه» في (كتاب الجهاد، باب ٤٣ و٤٤، رقم ٢٨٥٠ و٢٨٥٢)، وفي (المناقب، باب ٢٨، رقم ٣٦٤٢)، وفي (فرض الخمس، باب ٨، رقم ٣١١٩)، ومسلم في «صحيحه» في (كتاب الإمارة، باب ٢٦، رقم ١٨٧٣)، من حديث: عُرْوَةَ بْنِ الجَعْدِ البَارِقِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**الخَيْلُ مَعْقُودٌ فِي نَوَاصِيهَا الخَيْرُ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ**».

والحديث أيضا في «الصحيحين» من حديث: ابن عمر وأنس رضي الله عنهم، وفي «صحيح مسلم» أيضا من حديث: أبي هريرة وجرير رضي الله عنهما، مثله.

٤- وَفِيهَا: الْوَعِيدُ الشَّدِيدُ لِمَنْ جَحَدَ نِعَمَ اللهِ بِأَنَّهُ تَعَالَىٰ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ.

٥- وَفِيهَا: أَنَّ الإِنْسَانَ مَجْبُولٌ عَلَىٰ حُبِّ المَالِ، شَدِيدُ الحِرْصِ عَلَيْهِ.

٦- وَفِي الْآيَاتِ: التَّذْكِيرُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ اللهَ مُطَّلِعٌ عَلَىٰ السَّرَائِرِ، وَمَا تُخْفِيهِ الصُّدُورِ.

***

بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ الْقَارِعَةِ

* سُورَةُ الْقَارِعَةِ مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ تَتَحَدَّثُ عَنِ الْقِيَامَةِ وَأَهْوَالِهَا، وَالْآخِرَةِ وَشَدَائِدِهَا، وَمَا يَكُونُ فِيهَا مِنْ أَحْدَاثٍ وَأَهْوَالٍ عِظَامٍ، كَخُرُوجِ النَّاسِ مِنَ الْقُبُورِ، وَانْتِشَارِهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الرَّهِيبِ، كَالْفَرَاشِ الْمُتَطَايِرِ، الْمُنْتَشِرِ هُنَا وَهُنَاكَ، يَجِيئُونَ وَيَذْهَبُونَ عَلَىٰ غَيْرِ نِظَامٍ، مِنْ شِدَّةِ حَيْرَتِهِمْ وَفَزَعِهِمْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ.

* كَمَا تَحَدَّثَتْ عَنْ نَسْفِ الْجِبَالِ وَتَطَايُرِهَا، حَتَّىٰ تُصْبِحَ كَالصُّوفِ الْمُنْبَثِّ الْمُتَطَايِرِ فِي الْهَوَاءِ، بَعْدَ أَنْ كَانَتْ صُلْبَةً رَاسِخَةً فَوْقَ الْأَرْضِ، وَقَدْ قَرَنَتْ بَيْنَ النَّاسِ وَالْجِبَالِ، تَنْبِيهًا عَلَىٰ تَأْثِيرِ تِلْكَ الْقَارِعَةِ فِي الْجِبَالِ، حَتَّىٰ صَارَتْ كَالصُّوفِ الْمَنْدُوفِ، فَكَيْفَ يَكُونُ حَالُ الْبَشَرِ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الْعَصِيبِ؟!

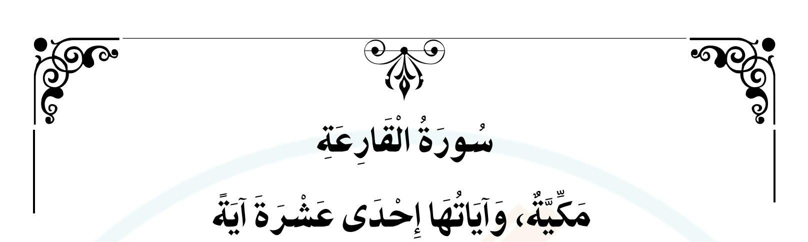
* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِذِكْرِ الْمَوَازِينِ الَّتِي تُوزَنُ بِهَا أَعْمَالُ النَّاسِ، وَانْقِسَامُ الْخَلْقِ إِلَىٰ سُعَدَاءَ وَأَشْقِيَاءَ، حَسَبَ ثِقَلِ الْمَوَازِينِ وَخِفَّتِهَا، وَسُمِّيَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِالْقَارِعَةِ، لِأَنَّهَا تَقْرَعُ الْقُلُوبَ وَالْأَسْمَاعَ بِهَوْلِهَا وَشَدَائِدِهَا.

❁❁❁

سُورَةُ الْقَارِعَةِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا إِحْدَى عَشْرَةَ آيَةً

الآيات من: ١ إلى: (١١) نهاية السورة



بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾.



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[١]:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾: الْقَارِعَةُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الْقِيَامَةِ؛ لِأَنَّهَا تَقْرَعُ الْقُلُوبَ بِالْفَزَعِ، أَوْ تَقْرَعُ أَعْدَاءَ اللهِ بِالْعَذَابِ.

﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾: تَهْوِيلٌ، وَتَعْظِيمٌ، وَتَفْخِيمٌ لِأَمْرِهَا.

﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ۝٣ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾: الْفَرَاشُ: الطَّيْرُ الَّتِي تَرَاهَا تَتَهَافَتُ فِي النَّارِ[٢]، وَالمَبْثُوثُ: المُفَرَّقُ، وَهُوَ وَصْفٌ لِحَالِ النَّاسِ عِنْدَ خُرُوجِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ.

«﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾: السَّاعَةُ الَّتِي تَقْرَعُ قُلُوبَ النَّاسِ بِأَهْوَالِهَا، ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾: أَيُّ شَيْءٍ هَذِهِ الْقَارِعَةُ؟ ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾: وَأَيُّ شَيْءٍ عَلَّمَكَ بِهَا؟ ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾: فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٥١١)، و«فتح القدير» (٥/ ٥٩٣).

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٧٤)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، في قوله: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾، قَالَ: «**هَذَا الْفِرَاشُ الَّذِي رَأَيْتُمْ يَتَهَافَتُ فِي النَّارِ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٦٠٥) لعبد بن حميد، وهو أيضا قول أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٣٠٩) والزجاج في «معاني القرآن» (٢/ ٣٥٥).

يَكُونُ النَّاسِ فِي كَثْرَتِهِمْ، وَتَفَرُّقِهِمْ، وَحَرَكَتِهِمْ كَالْفَرَاشِ الْمُنْتَشِرِ، وَهُوَ الَّذِي يَتَسَاقَطُ فِي النَّارِ»[١].

﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾: كَالصُّوفِ الْمَنْدُوفِ[٢]؛ لِأَنَّهَا تَتَفَتَّتُ وَتَتَطَايَرُ، «فتكُونُ الجِبَالُ كَالصُّوفِ مُتَعَدِّدِ الْأَلْوَانِ، الَّذِي يُنْفَشُ بِالْيَدِ، فَيَصِيرُ هَبَاءً وَيَزُولُ»[٣].

﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: فَأَمَّا مَنْ رَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ، ﴿فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾: فَهُوَ فِي حَيَاةٍ -فِي عِيشَةٍ- مَرْضِيَّةٍ فِي الْجَنَّةِ.

﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾: وَأَمَّا مَنْ رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ، وَخَفَّتْ مَوَازِينُ حَسَنَاتِهِ، وَرَجَحَتْ مَوَازِينُ سَيِّئَاتِهِ فَمَأْوَاهُ النَّارُ، وَبِئْسَ الْقَرَارُ.

﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ﴾: مَسْكَنُهُ النَّارُ، وَسُمِّيَ الْمَسْكَنُ أُمًّا؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي السُّكُونِ إِلَىٰ الْأُمَّهَاتِ، وَالْهَاوِيَةُ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ جَهَنَّمَ، فَأُمُّهُ الَّتِي يَأْوِي إِلَيْهَا، وَيَتُوبُ إِلَيْهَا رَاجِعًا إِلَيْهَا الهَاوِيَةُ.

---

(١) «التفسير الميسر» (ص٦٠٠).

(٢) (**الْمَنْدُوفِ**): المضروب بالعود أو بالخشبة لِيَرِقّ ويتفتت، انظر: «القاموس المحيط» (ص٨٥٥)، و«تاج العروس» (٢٤/ ٣٩٤) مادة: (نَدَفَ).

(٣) «التفسير الميسر» (ص٦٠٠).

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ﴾: «وَمَا أَدْرَاكَ يَا مُحَمَّدُ مَا هَذِهِ الهَاوِيَةُ؟»[١]، اسْتِفْهَامٌ لِلتَّهْوِيلِ وَالتَّفْخِيمِ وَالتَّعْظِيمِ، وَالْأَصْلُ: وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ، وَ«الهَاءُ» لِلسَّكْتِ.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ﴾: تَفْسِيرُ مَا سَبَقَ، ﴿نَارٌ حَامِيَةُۢ﴾: حَارَّةٌ قَدِ انْتَهَىٰ حَرُّهَا، «إِنَّها نَارٌ قَدْ حَمِيَتْ مِنَ الْوَقُودِ عَلَيْها»[٢].

● ● ●

(١) «التفسير الميسر» (ص٦٠٠).

(٢) المصدر السابق.

الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾: مِنْ أَسْمَاءِ الْقِيَامَةِ، سُمِّيَتْ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهَا تَقْرَعُ الْقُلُوبَ بِالْفَزَعِ، ﴿مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾: اسْتِفْهَامٌ عَنِ الْقَارِعَةِ مَعْنَاهُ: أَيُّ شَيْءٍ هِيَ الْقَارِعَةُ؟

وَأَعَادَ سُبْحَانَهُ الاسْتِفْهَامَ فِي الْآيَةِ الثَّالِثَةِ؛ تَعْظِيمًا لِشَأْنِ الْقَارِعَةِ، وَتَهْوِيلًا لِأَمْرِهَا، ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ﴾، ثُمَّ فَسَّرَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾: شَبَّهَ النَّاسَ عِنْدَ الْبَعْثِ بِالْفَرَاشِ فِي انْتِشَارِهِمْ، وَتَفَرُّقِهِمْ وَذَهَابِهِمْ، وَمَجِيئِهِمْ، وَحَيْرَتِهِمْ مِمَّا هُمْ فِيهِ، ثُمَّ شَبَّهَ الْجِبَالَ بِالصُّوفِ الْمَنْفُوشِ فِي خِفَّةِ سَيْرِهَا حَتَّىٰ تَسْتَوِيَ مَعَ الْأَرْضِ.

ثُمَّ ذَكَرَ اللهُ مَا يَكُونُ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْ وَزْنِ الْأَعْمَالِ، فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُ أَعْمَالِهِ وَرَجَحَتْ حَسَنَاتُهُ عَلَىٰ سَيِّئَاتِهِ فَهُوَ فِي عَيْشٍ مَرْضِيٍّ، يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ فِي الْجَنَّةِ، وَعَلَىٰ عَكْسِهِ مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُ أَعْمَالِهِ، وَرَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَىٰ حَسَنَاتِهِ فَسَكَنُهُ النَّارُ.

وَيُسَمَّىٰ الْمَسْكَنُ أُمًّا؛ لِأَنَّ الْأَصْلَ فِي السُّكُونِ يَكُونُ إِلَىٰ الْأُمَّهَاتِ، وَسُمِّيَتِ الْهَاوِيَةُ بِذَلِكَ؛ لِأَنَّهُ يَهْوِي فِيهَا إِلَىٰ أَسْفَلِهَا، ثُمَّ اسْتَفْهَمَ سُبْحَانَهُ عَنِ الْهَاوِيَةِ بِتَهْوِيلِ أَمْرِهَا، وَفَسَّرَهَا بِقَوْلِهِ: ﴿نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾: شَدِيدَةُ الْحَرَارَةِ، قَوِيَّةُ اللَّهَبِ.

⊙⊙⊙



مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[1]:

١- فِي الْآيَاتِ: تَقْرِيرُ عَقِيدَةِ الْبَعْثِ وَالجَزَاءِ.

٢- وَفِيهَا: وَصْفُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمَا فِيهِ مِنَ الْأَهْوَالِ، وَالشَّدَائِدِ، وَالنَّدَامَةِ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: الْإِيمَانُ بِوَزْنِ الْأَعْمَالِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّ السَّعِيدَ مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ بِالحَسَنَاتِ، وَالْأَعْمَالِ الصَّالِحَاتِ.

٥- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّ الشَّقِيَّ مَنْ رَجَحَتْ سَيِّئَاتُهُ عَلَىٰ حَسَنَاتِهِ.

٦- وَفِي الْآيَاتِ: تَعْظِيمٌ، وَتَهْوِيلٌ لِأَمْرِ النَّارِ مَعَ التَّخْوِيفِ مِنْهَا، نَعُوذُ بِاللهِ جَلَّ وَعَلَا وَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ مِنَ النَّارِ.

● ● ●

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٦٠٩).

بَيْنَ يَدَيْ سُورَةِ التَّكَاثُرِ

* سُورَةُ التَّكَاثُرِ مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ تَتَحَدَّثُ عَنِ انْشِغَالِ النَّاسِ بِمُغْرَيَاتِ الْحَيَاةِ، وَتَكَالُبِهِمْ عَلَىٰ جَمْعِ حُطَامِ الدُّنْيَا، حَتَّىٰ يَقْطَعَ الْمَوْتُ عَلَيْهِمْ مُتْعَتَهُمْ، وَيَأْتِيهِمْ فَجْأَةً وَبَغْتَةً، فَيَنْقُلَهُمْ مِنَ الْقُصُورِ إِلَىٰ الْقُبُورِ. الْمَوْتُ يَأْتِي بَغْتَةً وَالْقَبْرُ صُنْدُوقُ الْعَمَلِ، وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي هَذِهِ السُّورَةِ **(الزَّجْرُ وَالْإِنْذَارُ)** تَخْوِيفًا لِلنَّاسِ، وَتَنْبِيهًا لَهُمْ عَلَىٰ خَطَئِهِمْ، بِاشْتِغَالِهِمْ بِالْفَانِيَةِ عَنِ الْبَاقِيَةِ ﴿**كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ**﴾.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ الْكَرِيمَةُ بِبَيَانِ الْمَخَاطِرِ وَالْأَهْوَالِ الَّتِي سَيَلْقَوْنَهَا فِي الْآخِرَةِ، وَالَّتِي لَا يَجُوزُهَا وَلَا يَنْجُو مِنْهَا إِلَّا الْمُؤْمِنُ، الَّذِي قَدَّمَ صَالِحَ الْأَعْمَالِ.

⦿ ⦿ ⦿



سُورَةُ التَّكَاثُرِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا ثَمَانِ آيَاتٍ

الآيات من: ١ إلى: (٨) نهاية السورة

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ ۝١ حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ ۝٢ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٣ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝٤ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝٥ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝٦ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ۝٧ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾.

•••

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[(١)]:

قَالَ جَلَّوَعَلَا: ﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾: وَالْإِلْهَاءُ: الصَّرْفُ إِلَىٰ اللَّهْوِ، وَاللَّهْوُ: الانْصِرَافُ إِلَىٰ مَا يَدْعُو إِلَيْهِ الهَوَىٰ[(٢)]، ﴿أَلْهَىٰكُمُ﴾: أَنْسَاكُمْ، وَشَغَلَكُمْ عَنْ طَاعَةِ اللهِ رَبِّكُمْ تَفَاخُرُكُمْ بِالمَالِ وَالْوَلَدِ، وَتَبَاهِيكُمْ بِكَثْرَةِ ذَلِكَ.

«﴿أَلْهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾: شَغَلَكُمْ عَنْ طَاعَةِ اللهِ التَّفَاخُرُ بِكَثْرَةِ الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ»[(٣)].

﴿حَتَّىٰ زُرْتُمُ ٱلْمَقَابِرَ﴾: حَتَّىٰ مُتُّمْ، فَصِرْتُمْ إِلَىٰ المَقَابِرِ زُوَّارًا، ثُمَّ تُخْرَجُونَ[(٤)]، أَوْ: أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ -وَالمُفَاخَرَةُ- بِأَحْيَائِكُمْ، فَلَمْ تَرْضُوا حَتَّىٰ زُرْتُمُ المَقَابِرَ مُفْتَخِرِينَ بِالْأَمْوَاتِ.

﴿كَلَّا﴾: زَجْرٌ، وَتَنْبِيهٌ ﴿سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾: مَا يَكُونُ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْقَبْرِ، «اسْتَمَرَّ اشْتِغَالُكُمْ بِمَا أَلْهَاكُمْ مِنْ تَكَاثُرِكُمْ فِي أَمْوَالِكُمْ، وَأَوْلَادِكُمْ إِلَىٰ أَنْ صِرْتُمْ

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٥١٥)، و«تفسير القرطبي» (٢٠/ ١٦٨ - ١٦٩)، و«فتح القدير» (٥/ ٥٩٧).

(٢) «تفسير ابن فورك» (٣/ ٢٦٦)، و«تفسير الرازي» (٣٢/ ٢٦٩).

(٣) «التفسير الميسر» (ص٦٠٠).

(٤) في الأصل: [فَصِرْتُمْ فِي الْمَقَابِرِ زُوَّارًا، تَرْجِعُونَ مِنْهَا كَرُجُوعِ الزَّائِرِ إِلَىٰ مَنْزِلِهِ مِنْ جَنَّةٍ أَوْ نَارٍ].

إِلَىٰ المَقَابِرِ وَدُفِنْتُمْ فِيهَا، وَمَا هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُلْهِيَكُمُ التَّكَاثُرُ بِالْأَمْوَالِ، سَوْفَ تَتَبَيَّنُونَ أَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ خَيْرٌ لَكُمْ»[١].

﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾: مَا يَكُونُ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْآخِرَةِ[٢].

﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾: لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ، جَوَابُ (لَوْ) مَحْذُوفٌ، ﴿ كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾؛ لَشَغَلَكُمْ ذَلِكَ عَنِ التَّكَاثُرِ[٣].

﴿عِلْمَ ٱلْيَقِينِ ﴾: أَيْ عِلْمًا يَقِينًا، «فَاحْذَرُوا، سَوْفَ تَعْلَمُونَ سُوءَ عَاقِبَةِ انْشِغَالِكُمْ عَنْهَا»[٤].

﴿ لَتَرَوُنَّ ٱلْجَحِيمَ ﴾: وَعِيدٌ آخَرُ عَلَىٰ إِضْمَارِ الْقَسَمِ[٥]، أَوْ «هُوَ جَوَابُ قَسَمٍ نَحْوُ: (وَعِزَّتِنَا لَتَرَوُنَّ الجَحِيمَ)»[٦].

---

(١) «التفسير الميسر» (ص٦٠٠).

(٢) قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ كما في «تفسير القرطبي» (٢٠/ ١٧٢): «﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾: مَا يَنْزِلُ بِكُمْ مِنَ الْعَذَابِ فِي الْقَبْرِ، ﴿ ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾: فِي الْآخِرَةِ إِذَا حَلَّ بِكُمُ الْعَذَابُ»، وروي عَن زيد بن أسلم، عَن أَبِيه مرفوعا، وعَن عِيَاض بن غنم، مرفوعا، نحوه.

(٣) في الأصل: [وَجَوَابُ (لَوْ) مَحْذُوفٌ، أَيْ: لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمًا يَقِينًا لَشَغَلَكُمْ مَا تَعْلَمُونَ عَنِ التَّكَاثُرِ وَالتَّفَاخُرِ].

(٤) «التفسير الميسر» (ص٦٠٠).

(٥) أَيْ: لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ فِي الْآخِرَةِ، وَالْخِطَابُ لِلْكُفَّارِ الَّذِينَ وَجَبَتْ لَهُمُ النَّارُ، «تفسير القرطبي» (٢٠/ ١٧٤).

(٦) «أيسر التفاسير» (٥/ ٦١١).

﴿ ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيـمِ ﴾: عَنْ كُلِّ مَا تَتَلَذَّذُونَ بِهِ فِي الدُّنْيَا مِنَ الصِّحَّةِ، وَالطَّعَامِ، وَالشَّرَابِ، وَغَيْرِ ذَلِكَ(١).

«مَا هَكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُلْهِيكُمُ التَّكَاثُرُ بِالْأَمْوَالِ [وَالْأَوْلَادِ](٢)، لَوْ تَعْلَمُونَ حَقَّ الْعِلْمِ لَانْزَجَرْتُمْ، وَلَبَادَرْتُمْ إِلَىٰ إِنْقَاذِ أَنْفُسِكُمْ مِنَ الهَلَاكِ، لَتُبْصِرُنَّ الجَحِيمَ، ثُمَّ لَتُبْصِرْنَهَا دُونَ رَيْبٍ [وَلَا شَكٍّ](٣)، ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ كُلِّ أَنْوَاعِ النَّعِيمِ»(٤)، مِنْ ظِلٍّ ظَلِيلٍ، وَمَاءٍ نَمِيرٍ، وَفِرَاشٍ وَطِيءٍ، وَطَعَامٍ شَهِيٍّ، وَزَوْجَةٍ حَسْنَاءَ.

● ● ●

---

(١) أخرج الفريابي كما في «التمهيد» لابن عبد البر (٢٤/ ٣٤٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٨٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٨١ و٢٩٨، ترجمة ٢٤٣)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيـمِ ﴾، قَالَ: «**عَنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٦١٢) لعبد بن حميد وابن المنذر، وهو أيضا قول قتادة، واختاره ابن جرير الطبري (٢٤/ ٥٨٦)، وابن كثير (٨/ ٤٧٧).

(٢) زيادة ليست في الأصل.

(٣) زيادة ليست في الأصل.

(٤) «التفسير الميسر» (ص٦٠٠).

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

يَقُولُ اللهُ تَعَالَىٰ: شَغَلَتْكُمُ المُكَاثَرَةُ، وَالمُبَاهَاةُ بِكَثْرَةِ المَالِ وَالْعَدَدِ عَنْ طَاعَةِ اللهِ، وَعَمَّا يُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابِهِ، وَتَمَادَيْتُمْ فِي ذَلِكَ حَتَّىٰ جَاءَكُمُ المَوْتُ، وَدُفِنْتُمْ فِي المَقَابِرِ.

ثُمَّ أَخَذَ سُبْحَانَهُ يَتَوَعَّدُ المُتَكَاثِرِينَ بِقَوْلِهِ: ﴿ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴾؛ لِيُزْجَرُوا عَنْ هَذَا التَّكَاثُرِ، وَكَرَّرَ هَذَا الْوَعِيدَ مُبَالَغَةً فِي الزَّجْرِ، وَمَعْنَاهُ: سَوْفَ تَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ تَكَاثُرِكُمْ، وَتَفَاخُرِكُمْ بِالمَالِ وَالْوَلَدِ، وَاشْتِغَالِكُمْ بِذَلِكَ عَنِ الآخِرَةِ.

وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ عَاقِبَةَ ذَلِكَ إِذَا نَزَلَ بِكُمُ المَوْتُ، وَكَرَّرَ الزَّجْرَ فِي الآيَةِ التَّالِيَةِ بِقَوْلِهِ: ﴿ كَلَّا ﴾، ثُمَّ قَالَ بَعْدَهَا: لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمًا يَقِينًا عَاقِبَةَ أَمْرِكُمْ بَعْدَ المَوْتِ، لَشَغَلَكُمْ ذَلِكَ عَنِ التَّكَاثُرِ وَالتَّفَاخُرِ.

ثُمَّ تَوَعَّدَ سُبْحَانَهُ عِبَادَهُ بِرُؤْيَةِ النَّارِ فِي الْآخِرَةِ بِأَبْصَارِهِمْ، ثُمَّ أَكَّدَ هَذَا الْوَعِيدَ بِتَكْرَارِهِ مَعْطُوفًا بِـ«ثُمَّ»؛ تَغْلِيظًا فِي التَّهْدِيدِ وَ الْوَعِيدِ قَائِلًا: لَتَرَوُنَّهَا رُؤْيَةً هِيَ الْيَقِينُ نَفْسُهُ، وَلَسَوْفَ تُسْأَلُونَ فِي يَوْمِ الجَزَاءِ عَنْ كُلِّ مَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْكُمْ فِي الدُّنْيَا مِنَ النِّعَمِ عَلَىٰ اخْتِلَافِ أَلْوَانِهَا.

●●●



مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[1]:

١- فِي الْآيَاتِ: تَوْبِيخُ مَنِ اشْتَغَلَ بِأُمُورِ الدُّنْيَا عَنْ طَاعَةِ اللهِ.

٢- وَفِيهَا: التَّحْذِيرُ مِنْ جَمْعِ المَالِ، وَتَكْثِيرِهِ مَعَ عَدَمِ شُكْرِهِ، وَتَرْكِ طَاعَةِ اللهِ وَرَسُولِهِ مِنْ أَجْلِهِ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّ الْقَبْرَ أَوَّلُ مَنَازِلِ الْآخِرَةِ، وَهُوَ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، أَوْ حُفْرَةٌ مِنْ حُفَرِ النَّارِ.

٤- وَفِيهَا: الْإِيمَانُ بِالْبَعْثِ، وَالجَزَاءِ عَلَىٰ الْأَعْمَالِ.

٥- وَفِيهَا: الحَثُّ عَلَىٰ المُبَادَرَةِ إِلَىٰ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ.

٦- وَفِيهَا: الحَثُّ عَلَىٰ تَرْكِ مَا يَشْغَلُ عَنْ ذِكْرِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

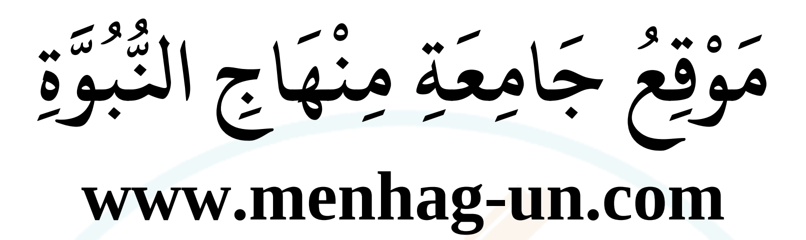
٧- وَفِي الْآيَاتِ: التَّأْكِيدُ بِأَنَّ الْإِنْسَانَ سَيَرَىٰ النَّارَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ رَأْيَ الْعَيْنِ.

٨- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّ الْإِنْسَانَ مُنَاقَشٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْ نِعَمِ اللهِ، فَيَجِبُ الاسْتِعَانَةُ بِنِعَمِ اللهِ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ؛ شُكْرًا للهِ جَلَّ وَعَلَا.



(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٦١١ - ٦١٢).


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com



يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة الْخَامِسَة عَشْرَة)

مِنْ مَادَّةِ التَّفْسِيرِ

تفسير

جُزْءِ عَمَّ

[سُورَةُ: الْعَصْرِ، وَالْهُمَزَةِ، وَالْفِيلِ، وَقُرَيْشٍ، وَالْمَاعُونِ، وَالْكَوْثَرِ]


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com

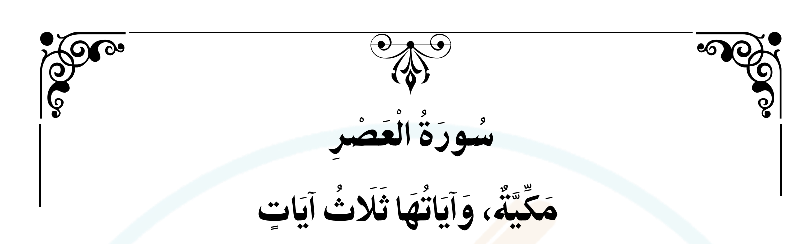


بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ الْعَصْرِ

* سُورَةُ الْعَصْرِ مَكِّيَّةٌ، وَقَدْ جَاءَتْ فِي غَايَةِ الْإِيجَازِ وَالْبَيَانِ، لِتَوْضِيحِ سَبَبِ سَعَادَةِ الْإِنْسَانِ أَوْ شَقَاوَتِهِ، وَنَجَاحِهِ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ أَوْ خُسْرَانِهِ وَدَمَارِهِ.

* أَقْسَمَ تَعَالَىٰ بِالْعَصْرِ وَهُوَ الزَّمَانُ الَّذِي يَنْتَهِي فِيهِ عُمْرُ الْإِنْسَانِ، وَمَا فِيهِ مِنْ أَصْنَافِ الْعَجَائِبِ، وَالْعِبَرِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ قُدْرَةِ اللهِ وَحِكْمَتِهِ، عَلَىٰ أَنَّ جِنْسَ الْإِنْسَانِ فِي خَسَارَةٍ وَنُقْصَانٍ، إِلَّا مَنِ اتَّصَفَ بِالْأَوْصَافِ الْأَرْبَعَةِ وَهِيَ (الْإِيمَانُ) وَ(الْعَمَلُ الصَّالِحُ) وَ(التَّوَاصِي بِالْحَقِّ) وَ(الِاعْتِصَامُ بِالصَّبْرِ) وَهِيَ أُسُسُ الْفَضِيلَةِ، وَأَسَاسُ الدِّينِ، وَلِهَذَا قَالَ الْإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: لَوْ لَمْ يُنْزِلِ اللهُ سِوَىٰ هَذِهِ السُّورَةِ لَكَفَتِ النَّاسَ.

◉ ◉ ◉



سُورَةُ الْعَصْرِ

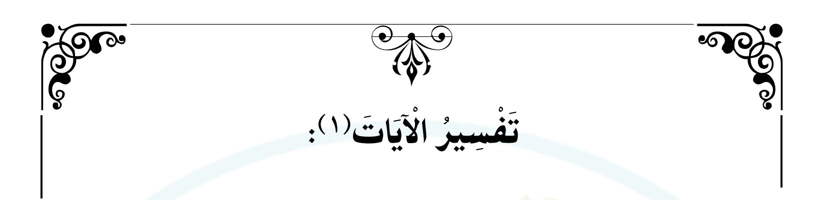
مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا ثَلَاثُ آيَاتٍ

الآيات من: ١ إلى: (٣) نهاية السورة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾.

• • •



تَفْسِيرُ الْآيَاتَ[١]:

وَسُورَةُ الْعَصْرِ تَتَضَمَّنُ حُكْمًا، وَمَحْكُومًا عَلَيْهِ، وَمَحْكُومًا بِهِ:

فَأَمَّا الحُكْمُ: فَهُوَ مَا حَكَمَ اللهُ بِهِ عَلَىٰ الْإِنْسَانِ مِنَ الخُسْرَانِ وَالنُّقْصَانِ.

وَأَمَّا المَحْكُومُ عَلَيْهِ: فَهُوَ الْإِنْسَانُ.

وَأَمَّا المَحْكُومُ بِهِ: فَهُوَ الخُسْرَانُ لِمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ، وَيَعْمَلِ الصَّالِحَاتِ.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَٱلْعَصْرِ﴾: «فَأَقْسَمَ اللهُ تَعَالَىٰ بِالْعَصْرِ الَّذِي هُوَ مَحَلُّ وُقُوعِ الحَوَادِثِ وَالْأَعْمَالِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ»[٢]، وَالزَّمَانُ الَّذِي يَقَعُ فِيهِ حَرَكَاتُ بَنِي آدَمَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ[٣].

﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾: جِنْسَ الإِنْسَانِ ﴿لَفِى خُسْرٍ﴾: لَفِي خَسَارَةٍ وَهَلَاكٍ.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٨٠، دار طيبة)، و«أيسر التفاسير» (٥/ ٦١٢).

(٢) «شرح ثلاثة الأصول» للعثيمين (٦/ ١٩/ مجموع فتاوىٰ ورسائل للعثيمين).

(٣) وهو قول ابن عباس وزيد بن أسلم كما في «زاد المسير» (٤/ ٤٨٧)، والخليل بن أحمد في «العين - باب العين والصاد والراء» (١/ ٢٩٢)، والفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٨٩)، وابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص٥٣٨)، والزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٣٥٩)، وغيرهم من أهل اللغة، واختاره ابن جرير الطبري (٢٤/ ٥٨٩)، وقال ابن كثير: «وهو الْمَشْهُورُ».

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِجَوَارِحِهِمْ.

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلْحَقِّ﴾: وَهُوَ أَدَاءُ الطَّاعَاتِ، وَتَرْكُ الْمُحَرَّمَاتِ.

﴿وَتَوَاصَوْاْ بِٱلصَّبْرِ﴾: عَلَىٰ الْمَصَائِبِ، وَالْأَقْدَارِ، وَأَذَىٰ مَنْ يُؤْذِي الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ.

«أَقْسَمَ تَعَالَىٰ بِالْعَصْرِ الَّذِي هُوَ مَحَلُّ وُقُوعِ الْحَوَادِثِ وَالْأَعْمَالِ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ عَلَىٰ أَنَّ بَنِي آدَمَ لَفِي هَلَكَةٍ، وَأَنَّهُمْ فِي نُقْصَانٍ، وَلَا يَجُوزُ لِلْعَبْدِ أَنْ يُقْسِمَ إِلَّا بِاللهِ، فَإِنَّ الْقَسَمَ بِغَيْرِ اللهِ شِرْكٌ.

وَاسْتَثْنَىٰ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ مِنَ الْخَاسِرِينَ؛ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللهِ، وَعَمِلُوا عَمَلًا صَالِحًا، وَأَوْصَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالاسْتِمْسَاكِ بِالْحَقِّ، وَالْعَمَلِ بِطَاعَةِ اللهِ وَالصَّبْرِ عَلَىٰ ذَلِكَ»(١).

قَالَ الشَّافِعِيُّ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-: «لَوْ مَا أَنْزَلَ اللهُ حُجَّةً عَلَىٰ خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةَ لَكَفَتْهُمْ»، وَفِي لَفْظٍ: «لَوْ تَدَبَّرَ النَّاسُ هَذِهِ السُّورَةَ لَوَسِعَتْهُمْ»(٢).

● ● ●

---

(١) «التفسير الميسر» (ص٦٠١) بتصرف.

(٢) ذكره النووي في «رياض الصالحين - باب التعاون عَلَىٰ البر والتقوىٰ»، وفي «تهذيب الأسماء» (١/ ٥٤، دار الكتب العلمية)، وابن القيم في «مفتاح دار السعادة» (١/ ٥٦)، وابن كثير في «تفسيره» (١/ ٢٠٣) و(٨/ ٤٧٩).



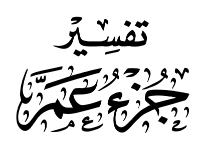
الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ[١]:

أَقْسَمَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِالْعَصْرِ لما فِيهِ مِنَ الْعِبَرِ وَالْعَجَائِبِ عَلَىٰ أَنَّ جِنْسَ الإِنْسَانِ فِي خَسَارَةٍ وَهَلَاكٍ، وَللهِ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا شَاءَ مِنْ مَخْلُوقَاتِهِ، أَمَّا المَخْلُوقُ فَلَا يَجُوزُ لَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِغَيرِ اللهِ.

ثُمَّ اسْتَثْنَىٰ مِنْ هَذَا الْعُمُومِ الَّذِينَ آمَنُوا بِقُلُوبِهِمْ، وَعَمِلُوا الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ بِجَوَارِحِهِمْ، وَأَوْصَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِلُزُومِ الحَقِّ وَهُوَ التَّوْحِيدُ وَالإِيمَانُ، وَأَدَاءُ الطَّاعَاتِ، وَأَوْصَىٰ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالصَّبْرِ عَلَىٰ أَقْدَارِ اللهِ المُؤْلِمَةِ، وَبِالصَّبْرِ عَلَىٰ الْأَذَىٰ فِي حَالَةِ أَمْرِهِمْ بِالمَعْرُوفِ، وَنَهْيِهِمْ عَنِ المُنْكَرِ.

●●●

(١) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٤٨٠)، وحاشية ابن قاسم علىٰ «ثلاثة الأصول» (ص١٩).





مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[1]:

١- فِي الْآيَاتِ: بَيَانُ أَنَّ كُلَّ إِنْسَانٍ خَاسِرٌ إِلَّا مَنِ اتَّصَفَ بِالْخِصَالِ الْأَرْبَعَةِ الْمَذْكُورَةِ فِي السُّورَةِ: إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ، وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ، وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ.

مَعْرِفَةُ الْهُدَىٰ بِدَلِيلِهِ، وَالْعَمَلُ بِهِ، وَالدَّعْوَةُ إِلَيْهِ، وَالصَّبْرُ عَلَىٰ الْأَذَىٰ فِيهِ.

٢- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّ التَّنَاصُحَ، وَالتَّوَاصِيَ بِالحَقِّ مِنْ مُكَمِّلَاتِ الْإِيمَانِ.

٣- وَفِيهَا: بَيَانُ فَوْزِ أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ، الْمُجْتَنِبِينَ لِلشِّرْكِ وَالمَعَاصِي.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: أَنَّ عَلَىٰ الْمُؤْمِنِ أَنْ يَصْبِرَ عَلَىٰ طَاعَةِ اللهِ، وَعَنْ مَعَاصِي اللهِ، وَعَلَىٰ أَقْدَارِ اللهِ الْمُؤْلِمَةِ، وَأَنْ يُوصِي بِذَلِكَ غَيْرَهُ.

●●●

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٦١٣).

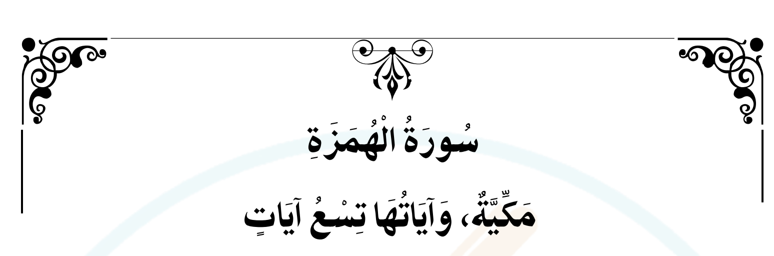
بَيْنَ يَدَيْ سُورَةِ الْهُمَزَةِ

* سُورَةُ الْهُمَزَةِ مَكِّيَّةٌ، وَقَدْ تَحَدَّثَتْ عَنِ الَّذِينَ يَعِيبُونَ النَّاسَ، وَيَسْلِبُونَ أَعْرَاضَهُمْ، بِالطَّعْنِ وَالِانْتِقَاصِ، وَالِازْدِرَاءِ، وَبِالسُّخْرِيَةِ وَالِاسْتِهْزَاءِ فِعْلَ السُّفَهَاءِ ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ۝١ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾.

* كَمَا ذَمَّتِ الَّذِينَ يَشْتَغِلُونَ بِجَمْعِ الْأَمْوَالِ، وَتَكْدِيسِ الثَّرَوَاتِ، كَأَنَّهُمْ مُخَلَّدُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ، يَظُنُّونَ لِفَرْطِ جَهْلِهِمْ وَكَثْرَةِ غَفْلَتِهِمْ أَنَّ الْمَالَ سَيُخَلِّدُهُمْ فِي الدُّنْيَا ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ بِذِكْرِ عَاقِبَةِ هَؤُلَاءِ التُّعَسَاءِ الْأَشْقِيَاءِ، حَيْثُ يَدْخُلُونَ نَارًا لَا تُخْمَدُ أَبَدًا، تَحْطِمُ الْمُجْرِمِينَ وَمَنْ يُلْقَى فِيهَا مِنَ الْبَشَرِ، لِأَنَّهَا الْحُطَمَةُ نَارُ سَقَرَ!! ﴿كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ۝٤ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ﴾ إِلَى نِهَايَةِ السُّورَةِ الْكَرِيمَةِ.

●●●



سُورَةُ الْهُمَزَةِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا تِسْعُ آيَاتٍ

الآيات من: ١ إلى: (٩) نهاية السورة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾ كَلَّا ۖ لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ ﴿٤﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحُطَمَةُ ﴿٥﴾ نَارُ ٱللَّهِ ٱلْمُوقَدَةُ ﴿٦﴾ ٱلَّتِى تَطَّلِعُ عَلَى ٱلْأَفْـِٔدَةِ ﴿٧﴾ إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾.



• • •



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

قَالَ جَلَّ وَعَلَا: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾: ﴿وَيۡلٞ﴾: «كَلِمَةُ عَذَابٍ، أَوْ هِيَ وَادٍ فِي جَهَنَّمَ(١)»(٢).

وَالْفَرْقُ بيْنَ الهُمَزَةِ واللُّمَزَةِ: «أَنَّ الْهُمَزَةَ: المُغْتَابُ، وَاللُّمَزَةَ: الْعَيَّابُ(٣).

---

(١) أخرج الترمذي في «جامعه» في (كتاب التفسير، باب ٢٢، رقم ٣١٦٤)، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**الوَيْلُ: وَادٍ فِي جَهَنَّمَ يَهْوِي فِيهِ الكَافِرُ أَرْبَعِينَ خَرِيفًا قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ قَعْرَهُ**»، قال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٣١٢): «هَذَا الْحَدِيثُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ مَرْفُوعًا مُنْكَرٌ»، وقال في (٨/ ٢٩٨): «وَلَا يَصِحُّ»، وضعفه الألباني في «ضعيف الترغيب والترهيب» (٢/ رقم ٢١٣٦).

(٢) «تفسير الجلالين» (ص٨٢١).

(٣) أخرج وكيع في «الزهد» (رقم ٤٣٩)، ومن طريقه هناد بن السري في «الزهد» (٢/ ٥٧٦، رقم ١٢١٥)، وأخرجه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٩٦)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، في قوله: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾، قَالَ: «**الَّذِي يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ، وَاللُّمَزَةُ: الطَّعَّانُ**»، وهو أيضا قول قتادة، وروي عن ابن عباس ومجاهد بخلاف هذا القول: «**الْهُمَزَةُ: الطَّعَّانُ، وَاللُّمَزَةُ: الَّذِي يَأْكُلُ لُحُومَ النَّاسِ**».

وأخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٩٦)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، في قوله: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾، قَالَ: «**وَيْلٌ لِكُلِّ طَعَّانٍ مُغْتَابٍ**»، وهو أيضا قول مجاهد وقتادة.

الهُمَزَةَ: بِالْيَدِ، وَاللُّمَزَةَ: بِاللِّسَانِ[١].

الهُمَزَةَ: بِالمُوَاجَهَةِ، وَاللُّمَزَةَ: بِظَهْرِ الْغَيْبِ[٢].

الهُمَزَةَ: جَهْرًا، وَاللُّمَزَةَ: سِرًّا بِالحَاجِبِ وَالْعَيْنِ[٣]»[٤].

«﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾: شَرٌّ، وَهَلَاكٌ لِكُلِّ مُغْتَابٍ لِلنَّاسِ، طَعَّانٍ فِيهِمْ»[٥].

﴿ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ﴾: أَعَدَّهُ[٦]،..................................

---

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٩٧)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: «**الْهُمَزَةُ بِالْيَدِ، وَاللُّمَزَةُ بِاللِّسَانِ**»، وهو أيضا قول ابن زيد.

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٩٦)، بإسناد صحيح، عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، قَالَ: «**الْهُمَزَةُ: يَهْمِزُهُ فِي وَجْهِهِ، وَاللُّمَزَةُ: مِنْ خَلْفِهِ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٦٢٤) لعبد بن حميد، وهو أيضا قول الحسن وعطاء.

(٣) وهو قول سفيان الثوري وابن كيسان، كما في «تفسير البغوي» (٨/ ٥٢٦)، و«زاد المسير» (٤/ ٤٨٨).

(٤) «تفسير الرازي» (٣٢/ ٢٨٣).

(٥) «التفسير المسير» (ص٦٠١).

(٦) مَأْخُوذٌ مِنَ (الْعُدَّةِ)، وَهِيَ: «الذَّخِيرَةُ»، يُقَالُ: أَعْدَدْتُ الشَّيْءَ لِكَذَا وَعَدَدْتُهُ إِذَا أَمْسَكْتَهُ لَهُ وَجَعَلْتَهُ عُدَّةً وَذَخِيرَةً لِحَوَادِثِ الدَّهْرِ، وهو قول عكرمة ومقاتل والزجاج، انظر: «تفسير الماوردي» (٦/ ٣٣٦)، و«زاد المسير» لابن الجوزي (٤/ ٤٨٩)، و«تفسير الرازي» (٣٢/ ٢٨٤)، واختاره القرطبي في «تفسيره» (٢٠/ ١٨٣).

وَأَحْصَاهُ(١)، وَكَثَّرَهُ(٢).

﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾: «لَمْ يَقُلْ: يُخَلِّدُهُ(٣)، كَأَنَّهُ أَمْرٌ فُرِغَ مِنْهُ»(٤): أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ وَانْتَهَىٰ الْأَمْرُ.

«يَظُنُّ أَنَّهُ ضَمِنَ لِنَفْسِهِ بِهَذَا المَالِ الَّذِي جَمَعَهُ الخُلُودَ فِي الدُّنْيَا، وَالإِفْلَاتَ مِنَ الحِسَابِ»(٥).

---

(١) أي: أَحْصَىٰ عَدَدُهُ، وَجَاءَ التَّشْدِيدُ؛ لِكَثْرَةِ الْمَعْدُودِ، كَمَا يُقَالُ: فُلَانٌ يُعَدِّدُ فَضَائِلَ فُلَانٍ، وهو قول السدي: عزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٦٢٤) لابن أبي حاتم، وهو أيضا قول الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٨٩ - ٢٩٠)، واختاره ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٥٩٨).

(٢) يُقَالُ: فِي بَنِي فُلَانٍ عَدَدٌ، أَيْ: كَثْرَةٌ، انظر: «لسان العرب» (٣/ ٢٨٢) مادة: (عدد)، و«التَّفْسِيرُ البَسِيْط» للواحدي (٢٤/ ٣١٠)، و«تفسير الرازي» (٣٢/ ٢٨٤)، وقال: «وَهَذَانِ الْقَوْلَانِ الْأَخِيرَانِ رَاجِعَانِ إِلَىٰ مَعْنَىٰ: (الْعَدَدِ)، وَالْقَوْلُ الثَّالِثُ إِلَىٰ مَعْنَىٰ: (الْعُدَّةِ)».

(٣) فَهُوَ مَاضٍ بِمَعْنَىٰ الْمُسْتَقْبَلِ؛ لِأَنَّ الْمُرَادَ: يَحْسَبُ هَذَا الْإِنْسَانُ أَنَّ الْمَالَ ضَمِنَ لَهُ الْخُلُودَ وَأَعْطَاهُ الْأَمَانَ مِنَ الْمَوْتِ، وقد أخرج ابن أبي حاتم كما في «الدر» للسيوطي (٨/ ٦٢٤)، عَنْ عِكْرِمَةَ، في قَوْلِهِ: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ﴾، قَالَ: «**يَزِيدُ فِي عُمُرِهِ**»، وقال السدي: «**يمنعه من الموت**»، كما في «تفسير الماوردي» (٦/ ٣٣٦).

(٤) «تفسير الرازي» (٣٢/ ٢٨٥).

(٥) «التفسير الميسر» (ص٦٠١).

﴿ كَلَّا ﴾: حَقًّا[١]، رَدْعًا وَزَجْرًا[٢].

﴿لَيُنۢبَذَنَّ فِى ٱلْحُطَمَةِ﴾: «وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿لَيُنۢبَذَنَّ﴾: فِي جَوَابِ قَسَمٍ مُقَدَّرٍ، وَاخْتَارَ النَّبْذَ؛ لِلْإِهَانَةِ حَيْثُ ظَنَّ التَّعْظِيمَ وَالْكَرَامَةَ[٣]، وَالحُطَمَةُ: النَّارُ تَحْطِمُ كُلَّ مَا يُلْقَىٰ فِيهَا[٤]»[٥].

---

(١) بمعنىٰ: (نعم)، أَيْ: (حَقًّا لَيُنْبَذَنَّ)، كقوله تعالىٰ: ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥]، وهو قول الفراء وأبو جعفر محمد بن سعدان النحوي وأكثر أهل التفسير، والوقف علىٰ (كلا) قبيح؛ لأنها صلة لليمين.

(٢) بمعنىٰ: (لا)، أَيْ: «لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا يَظُنُّ أَنَّ الْمَالَ يُخَلِّدُهُ»، كقوله تعالىٰ: ﴿أَيَطْمَعُ كُلُّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ أَن يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ ۝٣٨ كَلَّآ﴾ [المعارج: ٣٨- ٣٩]، أي: لا يطمع في ذلك، وهو قول الخليل بن أحمد وأبو حاتم والزجاج والأخفش وابن قتيبة، واختاره ابن جرير الطبري، وعلىٰ هذا القول يجوز الوقوف علىٰ (كلا)؛ لأنه رد لكلام متقدم.

وانظر: «العين» (٥/ ٤٠٧)، و«تهذيب اللغة» (١٠/ ١٩٨)، و«الصحاح» (٦/ ٢٥٥٣)، و«تفسير القرطبي» (١١/ ١٤٧ - ١٤٨)، و«لسان العرب» (١٥/ ٢٣١ و٤٦٤).

(٣) أخرج ابن أبي حاتم كما في «الدر» للسيوطي (٨/ ٦٢٤)، عَنِ السُّدِّيِّ، في قَوْلِهِ: ﴿ كَلَّا لَيُنۢبَذَنَّ ﴾، قَالَ: «لَيُلْقَيَنَّ»، أَيْ: لَيُلْقَيَنَّ هُوَ وَمَالُهُ فِي النَّارِ.

(٤) وَأَصْلُ (الْحَطْمِ) فِي اللُّغَةِ: (الْكَسْرُ)، وانظر: «غريب الحديث» لابن قتيبة (٣/ ٦٩٦)، و«الصحاح» (٥/ ١٩٠١) مادة: (حطم)، و«مقاييس اللغة» (٢/ ٧٨)، و«تفسير البغوي» (٨/ ٥٣٠)، و«النهاية» لابن الأثير (١/ ٤٠٢ - ٤٠٣).

(٥) «تفسير الرازي» (٣٢/ ٢٨٥) بتصرف.

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ﴾: وَالاسْتِفْهَامُ إِنَّمَا هُوَ لِلتَّفْخِيمِ، وَلِلتَّهْوِيلِ وَلِلتَّعْظِيمِ(١).

«لَيْسَ الْأَمْرُ كَمَا ظَنَّ هَذَا الهَمَّازُ اللَّمَّازُ، الْمُغْتَابُ الْعَيَّابُ، لَيُطْرَحَنَّ فِي النَّارِ الَّتِي تَهْشِمُ(٢) كُلَّ مَا يُلْقَىٰ فِيهَا، وَمَا أَدْرَاكَ يَا مُحَمَّدُ مَا حَقِيقَةُ النَّارِ؟»(٣).

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۞ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ﴾.

«﴿نَارُ ٱللَّهِ﴾: الْإِضَافَةُ لِلتَّفْخِيمِ(٤)، ﴿نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ﴾: لَا تَخْمُدُ أَبَدًا»(٥).

أَبَدًا»(٥).

﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ﴾: تُشْرِفُ(٦)، ﴿عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾: تَدْخُلُ فِي أَجْوَافِهِمْ؛ حَتَّىٰ تَصِلَ

---

(١) «فتح القدير» (٥/ ٦٠٣).

(٢) أَيْ: تَكْسِرُ، قال ابن فارس في «مقاييس اللغة» كِتَابُ الْهَاءِ، بَابُ الْهَاءِ وَالشِّينِ وَمَا يَثْلِثُهُمَا (٦/ ٥٣): «الْهَاءُ وَالشِّينُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ يَدُلُّ عَلَىٰ كَسْرِ الشَّيْءِ الْأَجْوَفِ وَغَيْرِ الْأَجْوَفِ»، وانظر: «الصحاح» (٥/ ٢٠٥٨)، و«لسان العرب» (١٢/ ٦١١ - ٦١٣).

(٣) «التفسير الميسر» (ص٦٠١).

(٤) أَيْ: هِيَ نَارٌ لَا كَسَائِرِ النِّيرَانِ.

(٥) «تفسير الرازي» (٣٢/ ٢٨٦).

(٦) «تفسير الجلالين» (ص٨٢١)، وهو قول ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» -تحقيق السيد أحمد صقر، الطبعة الثانية لسنة ١٣٩٣هـ، نشر دار التراث: القاهرة- (ص٤١٩)، قال في قوله: ﴿تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾: «أي: [تُوفِي] عليها وتُشرف، ويقال: طلع الجبل =

إِلَىٰ صُدُورِهِمْ، وَتَطَّلِعَ عَلَىٰ أَفْئِدَتِهِمْ[(١)].

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم﴾: لِلاخْتِصَاصِ ﴿مُّؤْصَدَةٌ﴾: مُغْلَقَةٌ؛ لِأَنَّ لَهَا بَابًا، وَكَانَ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ مُطْبَقَةً لَا بَابَ لَهَا، وَلَكِنْ جَعَلَ الْبَابَ؛ لِيُحَاوِلَ الخُرُوجَ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً، وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا، وَيَزِيدُ ذَلِكَ مِنْ حَسْرَتِهِمْ.

﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾: مُغْلَقَةٌ، ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾.

«﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ﴾: حَالَ كَوْنِهِمْ مُوثَقِينَ ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾: كَمَا يُقْطَرُ اللُّصُوصُ[(٢)]»[(١)]، وَالْعَمَدُ: جَمْعُ عَمُودٍ.

=

واطّلع عليه: إذا علا فوقه»، كذا: [تُوفِي] في غير مصدر، ولعل الصواب: [تَعْلُو] أو نحوها، انظر: «الكشاف» (٤/ ٧٩٦).

وقَالَ الفراءُ في «معاني القرآن» (٣/ ٢٩٠): «يَبْلُغُ أَلَمُها الأَفئدة، والاطِّلاعُ والبُلُوغُ قَدْ يَكُونَانِ بِمَعْنًىٰ وَاحِدٍ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ: مَتَىٰ طَلَعْتَ أَرْضنا؟، أَي: بَلَغْت»، واختاره ابن جرير الطبري (٢٤/ ٥٩٩)، والزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٣٦٢)، والأزهري في «تهذيب اللغة» (٢/ ١٠٢).

(١) «تفسير الرازي» (٣٢/ ٧٩٦).

(٢) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٦٩٧)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٠٠)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ: في ﴿فِي عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍ﴾، قَالَ: «**عَمُودٌ يُعَذَّبُونَ بِهِ فِي النَّارِ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٦٢٥) لعبد بن حميد وابن المنذر، وروي عن ابن عباس نحوه، واختاره ابن جرير الطبري.

«إِنَّهَا نَارُ اللهِ المُوقَدَةُ الَّتِي مِنْ شِدَّتِهَا تَنْفُذُ مِنَ الْأَجْسَادِ إِلَىٰ الْقُلُوبِ، -حَتَّىٰ تَطَّلِعَ عَلَىٰ سَواءِهَا-، إِنَّها عَلَيْهِم مُطْبِقَةٌ فِي عَمَدَةٍ مُمَدَّدَةٍ؛ لِئَلَّا يَخْرُجُوا مِنْهَا»[٢].

●●●

=

(١) «تفسير الرازي» (٣٢/ ٢٨٧).

(٢) «التفسير الميسر» (ص٦٠١).

الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

«وَيْلٌ شَدِيدٌ لَا يُدْرَكُ كُنْهُهُ، وَلَا تُعْرَفُ حَقِيقَتُهُ، لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ، لِكُلِّ مَنْ يَطْعَنُ فِي أَعْرَاضِ النَّاسِ، يَنْتَقِصُ مِنْ شَأْنِهِمْ، وَيَحْتَقِرُ أَعْمَالَهُمْ، وَيُسِيءُ إِلَيْهِمْ؛ مُتَلَذِّذًا بِعَمَلِهِ.

وَإِنَّمَا دَعَاهُ إِلَىٰ ذَلِكَ إِعْجَابُهُ بِنَفْسِهِ، وَغُرُورُهُ بِمَالِهِ الَّذِي جَمَعَهُ وَجَعَلَهُ عُدَّتَهُ، وَعَدَّهُ مَرَّاتٍ وَمَرَّاتٍ مُتَلَذِّذًا بِهِ، ظَانًّا أَنَّهُ ضَمِنَ لَهُ الْخُلُودَ فِي الدُّنْيَا، فَهُوَ يَعْمَلُ عَمَلَ مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ لَا يَمُوتُ»(١).

ثُمَّ رَدَّ اللهُ عَلَيْهِ هَذَا الظَّنَّ الْكَاذِبَ، وَالزَّعْمَ الْفَائِلَ(٢) الْبَاطِلَ، بِقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿كَلَّا﴾: أَيْ لَيْسَ جَمْعُهُ المَالَ بِالَّذِي يُخَلِّدُهُ فِي الدُّنْيَا، بَلْ سَوْفَ يَمُوتُ، وَلَيُطْرَحَنَّ فِي جَهَنَّمَ؛ جَزَاءَ صَنِيعِهِ، وَكِفَاءَ سُوءِ عَمَلِهِ.

سُمِّيَتْ جَهَنَّمُ بِالحُطَمَةِ؛ لِأَنَّهَا تَحْطِمُ مَا يُلْقَىٰ فِيهَا وَتَلْتَهِمُهُ، وَفَسَّرَ الحُطَمَةُ

---

(١) «التفسير الواضح» -الطبعة العاشرة لسنة ١٤١٣هـ، نشر دار الجيل- (٣/ ٩٠٢ - ٩٠٣).

(٢) أي: الضعيف، يقال: رجل فيل الرأي، وفال الرأي، وفائل الرأي: إذا كان في رأيه ضعف، انظر: «تهذيب اللغة» (١٥/ ٢٧٠) مادة: (فيل)، و«الصحاح» (٥/ ١٧٩٤ - ١٧٩٥).

وَعَظَّمَ شَأْنَهَا بِالاسْتِفْهَامِ عَنْهَا قَائِلًا: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلۡحُطَمَةُ ۝٥ نَارُ ٱللَّهِ ٱلۡمُوقَدَةُ﴾.

فَالحُطَمَةُ: هِيَ نَارُ اللهِ المُوقَدَةُ، ثُمَّ وَصَفَهَا سُبْحَانَهُ بِأَوْصَافٍ تُشْعِرُ بِمُغَايَرَتِهَا لِنَارِ الدُّنْيَا، وَبِشِدَّةِ عَذَابِهَا، فَوَصَفَهَا أَوَّلاً بِأَنَّ أَلَمَهَا يَصِلُ إِلَىٰ الْقُلُوبِ[1]، وَذَكَرَ ثَانِيًا بِأَنَّهَا مُغْلَقَةٌ عَلَىٰ مَنْ يُعَذَّبُ فِيهَا، بِحَيْثُ لَا يَسْتَطِيعُ الانْفِكَاكَ مِنْ عَذَابِهَا، وَلَا الخُرُوجَ مِنْهَا، وَذَكَرَ أَيْضًا أَنَّهَا مَعَ إِطْبَاقِهَا عَلَيْهِ تَكُونُ مُؤْصَدَةً بِأَعْمِدَةٍ مِنْ حَدِيدٍ مِنْ نَارٍ، زِيَادَةً فِي شِدَّةِ التَّعْذِيبِ؛ حَتَّىٰ يَرْجِعَ عَلَيْهِم غَمُّهَا وَحَرُّهَا[2].

نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ ذَلِكَ، وَنَسْأَلُهُ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ.

◉ ◉ ◉

---

(١) وهذا علىٰ قول الفراء في قوله ﴿تَطَّلِعُ﴾: «أن الاطلاع والبلوغ بمعنىٰ واحد»، وقد أخرج ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٥٦/ ٥٠، ترجمة ٧٠٣٤)، بإسناد صحيح، عن مُحَمَّد بن الْمُنْكَدر، أنه قال فِي قَوْله ﴿ٱلَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى ٱلۡأَفۡـِٔدَةِ﴾: «**تَأْكُله النَّار حَتَّىٰ تبلغ فُؤَاده وَهُوَ حيّ**»، وهو أيضا قول ثَابِتٌ الْبُنَانِيُّ، أخرجه أبو نعيم في «الحلية» (٢/ ٣٢٣، ترجمة ١٩٧)، بإسناد حسن، وروي نحوه مرفوعا، وعن مُحَمَّد بن كَعْب القرظي قوله، ولا يصح.

(٢) «تفسير مقاتل» (٤/ ٨٣٧ - ٨٣٨)، وهو معنىٰ قراءة ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، التي أخرجها الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٠٠)، بإسناد صحيح، عن قتادة، قال: في قراءة عبد الله: «**إنها عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٍ بِعَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٦٢٥) لابن أبي حاتم، أَيْ: أَنَّهَا مُطْبِقَةٌ عَلَيْهِمْ بِأَوْتَادٍ مُمَدَّدَةٍ.



مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[١]:

١- فِي الْآيَاتِ تَقْرِيرُ عَقِيدَةِ الْبَعْثِ وَالجَزَاءِ.

٢- وَفِيهَا وَعِيدُ مَنْ يُؤْذِي المُسْلِمِينَ بِقَوْلٍ أَوْ فِعْلٍ، مُتَطَاوِلًا عَلَيْهِم بِجَهْلِهِ وَكَثْرَةِ مَالِهِ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ التَّحْذِيرُ مِنَ الْغِيبَةِ وَالنَّمِيمَةِ.

٤- وَفِيهَا أَنَّ النَّارَ مَآلُ مَنْ شَغَلَتْهُ أَمْوَالُهُ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ.

٥- وَفِيهَا تَعْظِيمُ أَمْرِ النَّارِ، مَعَ بَيَانِ شِدَّةِ عَذَابِهَا؛ لِلتَّحْذِيرِ مِنْ أَسْبَابِ الْوُقُوعِ فِيهَا.

نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ النَّارِ، وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ.

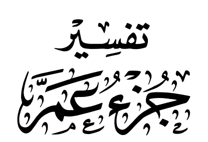
***

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٦١٥).

بَيْنَ يَدَيْ سُورَةِ الْفِيلِ

* سُورَةُ الْفِيلِ مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ تَتَحَدَّثُ عَنْ قِصَّةِ (أَصْحَابِ الْفِيلِ) حِينَ قَصَدُوا هَدْمَ الْكَعْبَةِ الْمُشَرَّفَةِ، فَرَدَّ اللهُ كَيْدَهُمْ فِي نُحُورِهِمْ، وَحَمَىٰ بَيْتَهُ مِنْ تَسَلُّطِهِمْ وَطُغْيَانِهِمْ، وَأَرْسَلَ عَلَىٰ جَيْشِ (أَبْرَهَةَ الْأَشْرَمِ) وَجُنُودِهِ أَضْعَفَ مَخْلُوقَاتِهِ، وَهِيَ الطَّيْرُ الَّتِي تَحْمِلُ فِي أَرْجُلِهَا وَمَنَاقِيرِهَا حِجَارَةً صَغِيرَةً، وَلَكِنَّهَا أَشَدُّ فَتْكًا وَتَدْمِيرًا مِنَ الرَّصَاصَاتِ الْقَاتِلَةِ، حَتَّىٰ أَهْلَكَهُمُ اللهُ وَأَبَادَهُمْ عَنْ آخِرِهِمْ، وَكَأَنَّ ذَلِكَ الْحَدَثَ التَّارِيخِيَّ الْهَامَّ، فِي عَامِ مِيلَادِ سَيِّدِنَا (مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللهِ) صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِ، سَنَةَ سَبْعِينَ وَخَمْسِمِائَةٍ مِيلَادِيَّةً، وَكَانَ مِنْ أَعْظَمِ الْإِرْهَاصَاتِ الدَّالَّةِ عَلَىٰ صِدْقِ نُبُوَّتِهِ ﷺ.








سُورَةُ الْفِيلِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا خَمْسُ آيَاتٍ

الآيات من: ١ إلى: (٥) نهاية السورة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ﴿٢﴾ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ﴿٣﴾ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ﴿٤﴾ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ ﴿٥﴾﴾.

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾: أَلَمْ تَعْلَمْ(١).

﴿أَلَمْ تَرَ﴾: مَعَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لما وَقَعَ ذَلِكَ كَانَ حَمْلًا فِي بَطْنِ أُمِّهِ فَلَمْ يَرَهُ، وَمَعَ ذَلِكَ يَقُولُ لَهُ رَبُّهُ: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾؛ لِتَوَاتُرِ الْعِلْمِ بِهِ، فَكَأَنَّهُ رُؤْيَةٌ(٢)، ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾: كَيْفِيَّةَ الْفِعْلِ، كَيْفَ فَعَلَ؟ مَاهِيَّةَ الْفِعْلِ، مَا فَعَلَ؟(٣).

﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾

---

(١) وهو قول الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٣٦٣)، واختاره البخاري في «صحيحه» في (كتاب التفسير، سورة ١٠٥).

(٢) فَإِنَّ الْخبَرَ بِهَذِهِ الْوَاقِعَة مُتَوَاتِرٌ، فَكَانَ الْعِلْمُ الْحَاصِلُ بِهِ ضَرُورِيًّا مُسَاوِيًا فِي الْقُوَّةِ وَالْجَلَاءِ لِلرُّؤْيَةِ، وَلِهَذَا السَّبَبِ قَالَ الله ﷻ لِلمشركين عَلَىٰ سَبِيلِ الذَّمِّ: ﴿أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ﴾ [يس:٣١].

(٣) فَإِنَّ اسْتِحْقَاقُ الْمَدْحِ إِنَّمَا يَحْصُلُ بِرُؤْيَةِ كَيْفِيَّاتُ الْأَشْيَاءَ الَّتِي بِاعْتِبَارِهَا يَدُلُّ عَلَىٰ مُدَاوَمَتِهَا، لَا بِرُؤْيَةِ ذَوَاتِهَا وماهيتها، وَلِهَذَا قَالَ ﷻ: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَاهَا﴾ [ق:٦]، وَهَذِهِ الْكَيْفِيَّةُ هِيَ الَّتِي يُسَمِّيهَا الْأصوليون: (وَجْهَ الدَّلِيلِ)، فلما علمنا أَنَّ هَذِهِ الْوَاقِعَةَ كَانَتْ بِقُدْرَةِ الله ﷻ وَعِلْمِهِ وَحِكْمَتِهِ، علمنا: ﴿أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾ [الطلاق:١٢]، فحصل من ذلك الخشية والإنابة إلىٰ الله ﷻ.

أَصْحَابُ الْفِيلِ: إِذَا وَقعَتِ الصُّحبَةِ بَيْنَ اثْنَيْنِ يُقَالَ لِلْأَدْوَنِ -لِلْأَقَلِّ[١]- هُوَ صَاحِبُ الْأَعْلَىٰ؛ فَهَؤُلَاءِ أَعْرَقُ فِي الْبَهِيمِيَّةِ مِنَ الْفِيلِ، هُمْ أَصْحَابُ الْفِيلِ[٢].

«أَلَمْ تَعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ، أَبْرَهَةَ الحَبَشِيِّ، وَجَيْشِهِ الَّذِينَ أَرَادُوا تَدْمِيرَ الْكَعْبَةِ المُبَارَكَةِ؟»[٣].

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾: أَلَمْ يَجْعَلْ مَكْرَهُمْ، وَحِيَلَهُمْ[٤] -وَالْكَيْدُ: إِرَادَةُ مَضَرَّةِ الْغَيْرِ عَلَىٰ سَبِيلِ الخُفْيَةِ-[٥].

﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِي تَضْلِيلٍ﴾: فِي هَلَاكٍ وَضَيَاعٍ[٦].

---

(١) انظر: «لسان العرب» (١٣/ ١٦٤ - ١٦٥) مادة: (دون).

(٢) وَهُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾ [الْأَعْرَاف:١٧٩].

(٣) «التفسير الميسر» (ص٦٠١).

(٤) «التفسير الواضح» (٣/ ٩٠٥).

(٥) «تفسير الرازي» (٣٢/ ٢٩١)، وقال العسكري في الفرق بين الكيد وَالْمَكْر في «الفروق اللغوية» (١/ ٢٦٠): «الكيد: اسْم لإيقاع الْمَكْرُوه بِالْغَيْر قهرا سَوَاء علم أَو لَا»، وقال ابن فارس في «المقاييس» مادة: كيد (٥/ ١٤٩): «الْكَافُ وَالْيَاءُ وَالدَّالُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَىٰ مُعَالَجَةٍ لِشَيْءٍ بِشِدَّةٍ، ثُمَّ يَتَّسِعُ الْبَابُ، وَكُلُّهُ رَاجِعٌ إِلَىٰ هَذَا الْأَصْلِ»، وانظر: «الصحاح» (٢/ ٥٣٣)، و«لسان العرب» (٣/ ٣٨٣ - ٣٨٤).

(٦) «التفسير الواضح» (٣/ ٩٠٥)، وَمِنْهُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: ١٠٤]، أَي: أَضاعه وأَهلكه، وَمِنْهُ: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ﴾ [القمر: ٤٧]، أَي: فِي هَلَاكٍ، انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٦٣)، و«الصحاح» (٥/ ١٧٤٨ - ١٧٤٩)، و«النهاية في غريب الحديث» (٣/ ٩٧) مادة: (ضلل).

«أَلَمْ يَجْعَلْ مَا دَبَّرُوهُ مِنْ شَرٍّ، وَمَا بَيَّتُوهُ مِنْ سُوءٍ فِي إِبْطَالٍ، وَتَضْيِيعٍ»(١).

﴿وَأَرۡسَلَ عَلَيۡهِمۡ طَيۡرًا أَبَابِيلَ﴾: جَمَاعَاتٍ مُتَفَرِّقَةً(٢).

﴿تَرۡمِيهِم بِحِجَارَةٖ مِّن سِجِّيلٖ﴾: مِنْ طِينٍ مُتَحَجِّرٍ(٣).

﴿فَجَعَلَهُمۡ كَعَصۡفٖ مَّأۡكُولِۭ﴾: كَوَرَقِ الزَّرْعِ الَّذِي يَبْقَىٰ بَعْدَ الحَصَادِ، فَتَأْكُلُهُ

---

(١) «التفسير الميسر» (ص٦٠١).

(٢) «التفسير الواضح» (٣/ ٩٠٥)، وقد أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٠٥ - ٦٠٦)، والبيهقي في «الدلائل» (١/ ١٢٣)، بإسناد حسن، عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَوْلُهُ: ﴿طَيۡرًا أَبَابِيلَ﴾، قَالَ: «**هِيَ الْفِرَقُ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٦٣٠) لعبد بن حميد وَابْن الْمُنْذر وَابْن أبي حَاتِم، وهو قول سَعِيدُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبْزَىٰ، بلفظ: «**مُتَفَرِّقَةً**»، وابن زيد، بلفظ: «**الْأَبَابِيلُ: الْمُخْتَلِفَةُ، تَأْتِي مِنْ هَاهُنَا، وَتَأْتِي مِنْ هَاهُنَا، أَتَتْهُمْ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ**»، وهو قول أيضا أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٣١٢)، والأخفش في «معاني القرآن» (٢/ ٥٨٢)، وابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص٥٣٩)، والزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٣٦٣).

وقال ابن عباس ومجاهد وعطاء وأبو صالح والضحاك ومقاتل: «**هِيَ الَّتِي يَتَّبِعُ بَعْضُهَا بَعْضًا**»، وقَالَ الحسن وقتادة: «**الْكَثِيرَةُ**»، والمعنىٰ متقارب.

(٣) أخرج ابن أبي شيبة في «المصنف» -تحقيق كمال الحوت، نشر مكتبة الرشد- (٦/ رقم ٢٩٩٧٨)، والطبري في «تفسيره» (١٥/ ٤٣٤) و(٢٤/ ٦٠٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٦٨)، بإسناد لا بأس به، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قال: «**سِجِّيلٍ بِالْفَارِسِيَّةِ: سَنْكِ وَكِلْ، أَيْ: حَجَرٌ وَطِينٌ**»، وهو قول مجاهد وسعيد بن جبير وقتادة وعكرمة ووهب بن منبه والسدي، واختاره ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص٥٣٩).

المَاشِيَةُ(١).

«فَبَعَثَ عَلَيْهِم طَيْرًا فِي جَمَاعَاتٍ مُتَتَابِعَاتٍ، تَقْذِفُهُمْ بِحِجَارَةٍ مِنْ طِينٍ مُتَحَجِّرٍ، فَجَعَلَهُمْ بِذَلِكَ مُحَطَّمِينَ كَأَوْرَاقِ الزَّرْعِ الْيَابِسَةِ الهَشِيمِ الَّتِي أَكَلَتْهَا الْبَهَائِمُ، ثُمَّ رَمَتْ بِهَا»(٢).



(١) «التفسير الواضح» (٣/ ٩٠٥)، وقد أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦١٦)، بإسناد صحيح، عن ابْنِ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾، قَالَ: «**وَرَقُ الزَّرْعِ وَوَرَقُ الْبَقْلِ، إِذَا أَكَلَتْهُ الْبَهَائِمُ فَرَاثَتْهُ، فَصَارَ رَوْثًا**»، وهو قول أبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٣١٢)، وابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص٤٣٧)، واختاره ابن جرير الطبري، وقال (٢٤/ ٦١٥): «فَجَعَلَ اللهُ ﷻ أَصْحَابَ الْفِيلِ كَزَرْعٍ أَكَلَتْهُ الدَّوَابُّ فَرَاثَتْهُ، فَيَبِسَ وَتَفَرَّقَتْ أَجْزَاؤُهُ؛ شَبَّهَ تَقَطُّعَ أَوْصَالِهِمْ بِالْعُقُوبَةِ الَّتِي نَزَلَتْ بِهِمْ، وَتَفَرُّقَ آرَابِ أَبْدَانِهِمْ بِهَا، بِتَفَرُّقِ أَجْزَاءِ الرَّوْثِ، الَّذِي حَدَثَ عَنْ أَكْلِ الزَّرْعِ».

(٢) «التفسير الميسر» (ص٦٠١).

الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

قِصَّةُ أَصْحَابِ الْفِيلِ مَشْهُورَةٌ مَذْكُورَةٌ فِي كُتُبِ السِّيَرِ، وَفِي التَّفَاسِيرِ بِطُرُقٍ مُطَوَّلَةٍ، وَالْعِبْرَةُ مِنْهَا حِمَايَةُ اللهِ لِبَيْتِهِ مِمَّنْ أَرَادَ بِهِ السُّوءَ، وَعَزَمَ عَلَىٰ هَدْمِهِ، وَهِيَ نِعْمَةٌ عُظْمَىٰ عَلَىٰ قُرَيْشٍ جِيرَانِ الْبَيْتِ، وَتَبْعَثُ عَلَىٰ الشُّكْرِ، وَالْقِيَامِ بِتَوْحِيدِ اللهِ وَطَاعَتِهِ.

وَبَدَأَ سُبْحَانَهُ السُّورَةَ بِالاسْتِفْهَامِ التَّقْرِيرِيِّ قَائِلًا: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾: وَالخِطَابُ لِلرَّسُولِ ﷺ، وَأُمَّتُهُ تَبَعٌ لَهُ فِي ذَلِكَ، أَيْ: أَلَمْ تَعْلَمْ مَا فَعَلْتُهُ لِأَصْحَابِ الْفِيلِ الَّذِينَ قَدِمُوا لِهَدْمِ الْكَعْبَةِ، وَهَذَا يُشْعِرُ بِعَظَمَةِ مِنَّةِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا.

وَأَصْحَابُ الْفِيلِ مِنَ الحَبَشِ، قَائِدُهُمْ يُدْعَىٰ: أَبْرَهَةَ، كَانَ مَعَهُ فِيلٌ هُوَ أَعْظَمُ الْفِيَلَةِ فَنُسِبُوا إِلَيْهِ، وَلَمْ يَسْتَطِيعُوا تَنْفِيذَ خُطَّتِهِمْ، بَلِ انْتَقَمَ اللهُ مِنْهُمْ قَبْلَ أَنْ يَصِلُوا إِلَىٰ الْبَيْتِ، وَلِذَلِكَ قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾: فِي تَخْرِيبِ الْكَعْبَةِ وَهَدْمِهَا فِي خَسَارَةٍ وَبُطْلَانٍ؛ حَيْثُ أَرْسَلَ عَلَيْهِم أَضْعَفَ مَخْلُوقَاتِهِ، جَمَاعَاتٍ مِنَ الطَّيْرِ تَرْمِي هَؤُلَاءِ الْمُعْتَدِينَ الَّذِينَ قَصَدُوا هَدْمَ الْكَعْبَةِ بِحِجَارَةٍ مِنْ طِينٍ أُحْمِيَ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ، فَكَانَ وَصْفُهُمْ بَعْدَ هَذَا الْعَذَابِ الَّذِي أَنْزَلَ اللهُ بِهِمْ: كَالْعَصْفِ المَأْكُولِ، وَكَفَىٰ اللهُ شَرَّهُمْ، وَرَدَّ اللهُ

كَيْدَهُمْ، وَجَعَلَ ذَلِكَ الْكَيْدَ فِي نُحُورِهِمْ، فَلِلَّهِ الحَمْدُ وَالمِنَّةُ.

●●●



مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[١]:

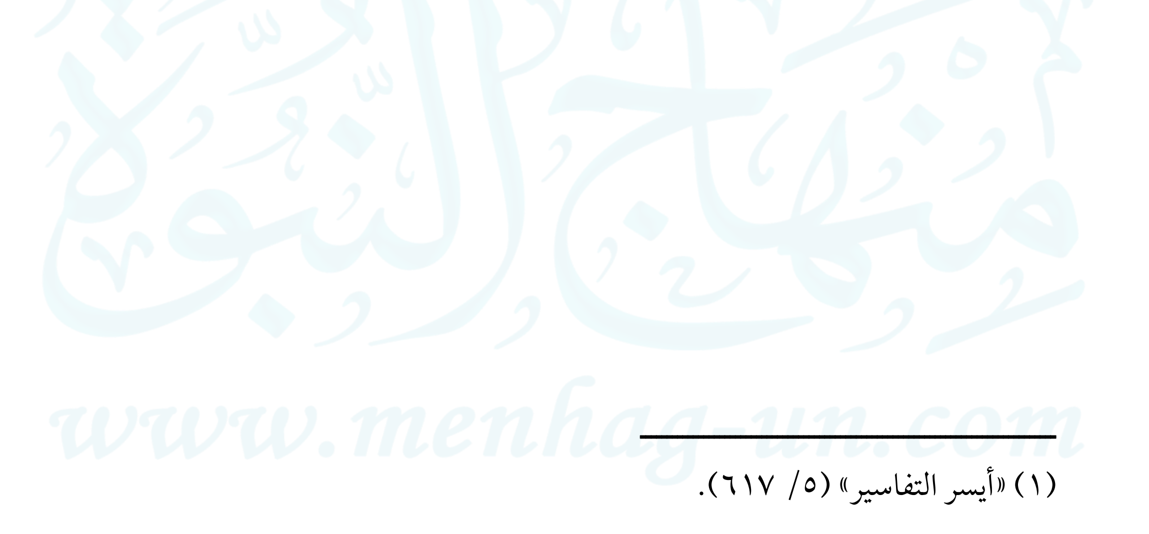
١ - فِي الْآيَاتِ: تَسْلِيَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَمَّا يُلَاقِيهِ مِنْ ظُلْمِ كُفَّارِ قُرَيْشٍ.

٢ - وَفِيهَا: الدَّلَالَةُ عَلَىٰ عِظَمِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَعِزَّتِهِ، وَانْتِقَامِهِ مِنَ الجَبَابِرَةِ.

٣ - وَفِيهَا: بَيَانُ حُرْمَةِ بَيْتِ اللهِ الحَرَامِ مَعَ بَيَانِ شَرَفِهِ، وَتَعْظِيمِهِ.

٤ - وَفِيهَا: إِنْعَامُ اللهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ قُرَيْشٍ، وَصَدُّ عَدُوِّهِمْ عَنْهُ.

٥ - وَفِيهَا: التَّنْبِيهُ لَهُمْ، وَلِأَمْثَالِهِمْ إِلَىٰ شِدَّةِ أَخْذِهِ تَعَالَىٰ عَلَىٰ مَنْ بَغَىٰ عَلَىٰ حُرُمَاتِهِ، أَوْ كَذَّبَ رُسُلَهُ.



(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٦١٧).

بَيْنَ يَدَيْ سُورَةِ قُرَيْشٍ

* تَحَدَّثَتْ هَذِهِ السُّورَةُ عَنْ نِعَمِ اللهِ الْجَلِيلَةِ عَلَىٰ أَهْلِ مَكَّةَ، حَيْثُ كَانَتْ لَهُمْ رِحْلَتَانِ: رِحْلَةٌ فِي الشِّتَاءِ إِلَىٰ الْيَمَنِ، وَرِحْلَةٌ فِي الصَّيْفِ إِلَىٰ الشَّامِ مِنْ أَجْلِ التِّجَارَةِ، وَقَدْ أَكْرَمَ اللهُ تَعَالَىٰ قُرَيْشًا بِنِعْمَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنْ نِعَمِهِ الْكَثِيرَةِ هُمَا: نِعْمَةُ الْأَمْنِ وَالِاسْتِقْرَارِ، وَنِعْمَةُ الْغِنَىٰ وَالْيَسَارِ ﴿فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ﴾.

●●●



سُورَةُ قُرَيْشٍ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا أَرْبَعُ آيَاتٍ

الآيات من: ١ إلى: (٤) نهاية السورة



﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ ١ إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ ٢ فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ ٣ ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم مِّنۡ خَوۡفِۭ ٤﴾.

• • •



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾: «وَقُرَيْش: هُمْ وَلَدُ النَّضْرِ بْنِ كِنَانَةَ[١]، وَهُمْ قَبَائِلُ شَتَّىٰ»[٢].

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾: وَالإِيلَافُ: الْأُلْفَةُ، وَالتَّعَوُّدُ وَالْإِلْفُ[٣].

لِـ﴿إِۦلَٰفِهِمْ﴾: لِائْتِلَافِهِمْ، وَاجْتِمَاعِهِمْ[٤].

---

(١) أخرج مسلم في «صحيحه» في (كتاب الفضائل، باب ١، رقم ٢٢٧٦)، من حديث: وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: «**إِنَّ اللهَ اصْطَفَىٰ كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ قُرَيْشًا مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**».

(٢) «أيسر التفاسير» (٥/ ٦١٧).

(٣) «تفسير جزء عم» لابن قاسم العاصمي -الطبعة الأولىٰ لسنة ١٤٣٠، نشر دار القاسم- (ص١٦٣).

(٤) والمعنىٰ: إنما أهلك الله عَزَّ وَجَلَّ أصحاب الفيل؛ ليؤلِّف الله بينهم، ولِتُؤَلِّفَ قريشٌ رحلة الشتاء والصيف، أيْ: تجمع بينهما، فإذا فرغوا من هذه أخذوا في هذه، وهذا كما تقول: ضربته لكذا لكذا، بحذف الواو، فيكون المصدر هاهنا مُضَافًا إِلَىٰ الْمَفْعُولِ.

وقد أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٢٠ - ٦٢١)، بإسناد صحيح، قال ابن زيد، في قول الله: ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ﴾، فقرأ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ إِلَىٰ آخِرِ =

﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾: وَهَذَا عَامٌّ[(١)]، ثُمَّ خَصَّ الرِّحْلَتَينِ بِالذِّكْرِ.

﴿إِۦلَٰفِهِمۡ رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾: رِحْلَةُ الشِّتَاءِ إِلَىٰ الْيَمَنِ، وَرِحْلَةُ الصَّيْفِ إِلَىٰ الشَّامِ[(٢)].

﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾: الْكَعْبَةُ الْمُشَرَّفَةُ.

﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم﴾: وَلَمْ يَقُلْ أَشْبَعَهُمْ؛ لِأَنَّ خَيرَ الطَّعَامِ مَا سَدَّ الجُوعَ[(٣)].

«﴿ٱلَّذِيٓ أَطۡعَمَهُم مِّن جُوعٖ وَءَامَنَهُم﴾: نَجَّاهُمْ، وَسَلَّمَهُمْ ﴿مِّنۡ خَوۡفِۭ﴾»[(٤)].

=
السُّورَةِ، قَالَ: «هَذَا لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ، صَنَعْتُ هَذَا بِهِمْ لِأُلْفَةِ قُرَيْشٍ، لِئَلَّا أُفَرِّقَ أُلْفَتَهُمْ وَجَمَاعَتَهُمْ، إِنَّمَا جَاءَ صَاحِبُ الْفِيلِ لِيَسْتَبِدَّ حَرِيمَهُمْ، فَصَنَعَ اللهُ ذَلِكَ».

وانظر: «العين» (٨/ ٣٣٦)، و«الصحاح» (٤/ ١٣٣١ - ١٣٣٢)، و«لسان العرب» (٩/ ٩ - ١٠).

(١) «تفسير الرازي» (٣٢/ ٢٩٦).

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٢٢)، بإسناد صحيح، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿رِحۡلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيۡفِ﴾ قَالَ: «كَانَتْ لَهُمْ رِحْلَتَانِ: الصَّيْفِ إِلَىٰ الشَّامِ، وَالشِّتَاءِ إِلَىٰ الْيَمَنِ فِي التِّجَارَةِ، إِذَا كَانَ الشِّتَاءُ امْتَنَعَ الشَّأْمُ مِنْهُمْ لِمَكَانِ الْبَرْدِ، وَكَانَتْ رِحْلَتُهُمْ فِي الشِّتَاءِ إِلَىٰ الْيَمَنِ»، وهو قول الكلبي والثوري، واختاره ابن جرير الطبري وغير واحد.

(٣) «تفسير الرازي» (٣٢/ ٢٩٩).

(٤) «التفسير الواضح» (٣/ ٩٠٦).

«اعْجَبُوا لِإِلْفِ قُرَيشٍ[١]، وَأَمْنِهِمْ، وَاسْتِقَامَةِ مَصَالِحِهِمْ، وَانْتِظَامِ رِحْلَتَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ إِلَىٰ الْيَمَنِ، وَفِي الصَّيْفِ إِلَىٰ الشَّامِ، مَعَ تَيْسِيرِ ذَلِكَ لِجَلْبِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ، فَلْيَشْكُرُوا، وَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ، وَهُوَ الْكَعْبَةُ، الَّذِي شُرِّفُوا بِهِ؛ وَلِيُوَحِّدُوهُ، وَلِيُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ سُبْحَانَهُ، فَهُوَ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ شَدِيدٍ، وَأَمَّنَهُمْ مِنْ فَزَعٍ، وَخَوفٍ عَظِيمٍ»[٢].

◉ ◉ ◉

---

(١) وهو قول ابن جرير الطبري (٢٤/ ٦٢١) في تفسير اللام في قوله: ﴿لِإِيلَٰفِ﴾، قال: «إن هذه اللام بمعنىٰ التعجب، وأن معنىٰ الكلام: اعجبوا لإيلاف قريش رحلة الشتاء والصيف، وتركهم عبادة ربّ هذا البيت، الذي أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف، فليعبدوا ربّ هذا البيت، الذي أطعمهم من جوع، وآمنهم من خوف».

(٢) «التفسير الميسر» (ص٦٠٢).

الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

كَانَتْ لِقُرَيشٍ بِمَكَّةَ رِحْلَتَانِ فِي كُلِّ عَامٍ، رِحْلَةٌ فِي الشِّتَاءِ إِلَىٰ الْيَمَنِ، وَرِحْلَةٌ فِي الصَّيْفِ إِلَىٰ الشَّامِ، وَكَانُوا فِيهِمَا آمِنِينَ؛ إِذْ كَانُوا أَهْلَ حَرَمِ اللهِ، وَكَانُوا وُلَاةَ بَيْتِهِ الْعَظِيمِ، فَلَا يَتَعَرَّضُ لَهُمْ فِي الرِّحْلَتَينِ أَحَدٌ بِسُوءٍ، وَالنَّاسُ بَيْنَ مُخْتَطَفٍ وَمَنْهُوبٍ.

فَذَكَّرَهُمُ اللهُ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ؛ لِيُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ، وَنَبَّهَهُمْ إِلَىٰ أَنَّهُ تَعَالَىٰ هُوَ رَبُّ هَذَا الْبَيْتِ الَّذِي يَعْتَزُّونَ بِهِ، وَبِسَبَبِهِ نَالُوا الشَّرَفَ وَالرِّفْعَةَ، وَهُوَ سُبْحَانَهُ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ بَعْدِ جُوعٍ بِأَنْ جَعَلَ الْأَرْزَاقَ تَجِيءُ إِلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَلَدٍ بِدَعْوَةِ خَلِيلِ اللهِ إِبْرَاهِيمَ، وَهُمْ فِي وَادٍ غَيرِ ذِي زَرْعٍ، وَهُوَ الَّذِي آمَنَهُمْ مِنَ الْمَخَاوِفِ فَلَا يَعْرِضُ لَهُمْ أَحَدٌ بِسُوءٍ، لَا فِي بَلَدِهِمْ مَكَّةَ؛ لِأَنَّهَا حَرَمٌ حَرَّمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ، وَلَا فِي أَسْفَارِهِمْ؛ لِأَنَّهُمْ سُكَّانُ الْحَرَمِ، وَذَلِكَ مِمَّا يَسْتَوْجِبُ الشُّكْرَ الْعَظِيمَ لِلْمُنْعِمِ بِهَذِهِ النِّعْمَةِ الْعَظِيمَةِ، وَهُوَ الْبَارِي جَلَّ وَعَلَا.

وَفِي مُقَدِّمَةِ شُكْرِهِ إِخْلَاصُ الْعِبَادَةِ لَهُ وَحْدَهُ، فَلَا اتِّخَاذَ وُسَطَاءَ، وَلَا اتِّخَاذَ شُفَعَاءَ كَمَا يَفْعَلُونَ، وَلَا عِبَادَةَ أَوْثَانٍ، وَلَا عِبَادَةَ أَصْنَامٍ كَمَا يَعْبُدُونَ، بَلْ إِفْرَادُ اللهِ بِالْعِبَادَةِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.

●●●

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[1]:

١- فِي الْآيَاتِ: بَيَانُ مَظَاهِرِ تَدْبِيرِ اللهِ وَحِكْمَتِهِ وَرَحْمَتِهِ، فَسُبْحَانَهُ مِنْ إِلَهٍ حَكِيمٍ رَحِيمٍ.

٢- وَفِيهَا: امْتِنَانُ اللهِ عَلَىٰ قُرَيشٍ، جِيرَانِ بَيْتِهِ الْمُعَظَّمِ؛ حَيْثُ جَعَلَهُمْ آمِنِينَ مُحْتَرَمِينَ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: وُجُوبُ عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ مَا وَمَنْ سِوَاهُ.

٤- وَفِي الْآيَاتِ: تَذْكِيرُ اللهِ لِقُرَيشٍ بِهَذِهِ النِّعَمِ؛ لِيُخْلِصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ شُكْرًا لَهُ عَلَيْهَا.

٥- وَفِيهَا: أَنَّ رَغْدَ الْعَيْشِ، وَأَنَّ الْأَمْنَ مِنَ الْمَخَاوِفِ مِنْ أَكْبَرِ النِّعَمِ الدُّنْيَوِيَّةِ الْمُوجِبَةِ لِشُكْرِ اللهِ تَعَالَىٰ، فَلِلَّهِ الْحَمْدُ وَالشُّكْرُ عَلَىٰ نِعَمِهِ الَّتِي لَا تُعَدُّ، وَلَا تُحْصَىٰ، وَلَا تُحْسَبُ، وَلَا تُسْتَقْصَىٰ، هُوَ الْكَرِيمُ الْمَنَّانُ.

***

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٦١٨ - ٦١٩).

بَيْنَ يَدَيْ سُورَةِ المَاعُونِ

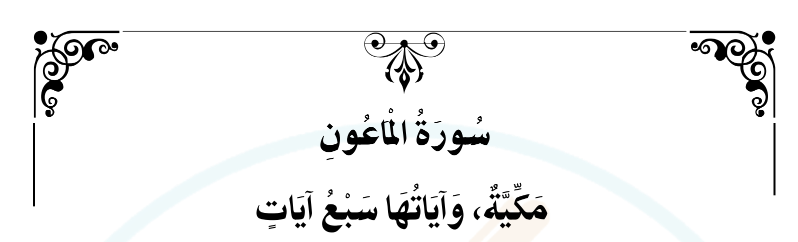
* هَذِهِ السُّورَةُ مَكِّيَّةٌ، **وَقَدْ تَحَدَّثَتْ بِإِيجَازٍ عَنْ فَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَشَرِ هُمَا:**

أ - الْكَافِرُ الْجَاحِدُ لِنِعَمِ اللهِ، الْمُكَذِّبُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ والْجَزَاءِ.

ب - الْمُنَافِقُ الَّذِي لَا يَقْصِدُ بِعَمَلِهِ وَجْهَ اللهِ، بَلْ يُرَائِي فِي أَعْمَالِهِ وَصَلَاتِهِ.

* أَمَّا الْفَرِيقُ الْأَوَّلُ: فَقَدْ ذَكَرَ تَعَالَىٰ مِنْ صِفَاتِهِمُ الذَّمِيمَةِ، أَنَّهُمْ يُهِينُونَ الْيَتِيمَ وَيَزْجُرُونَهُ، غِلْظَةً لَا تَأْدِيبًا، وَلَا يَفْعَلُونَ الْخَيْرَ، حَتَّىٰ وَلَوْ بِالتَّذْكِيرِ بِحَقِّ الْمِسْكِينِ وَالْفَقِيرِ، فَلَا هُمْ أَحْسَنُوا فِي عِبَادَةِ رَبِّهِمْ، وَلَا أَحْسَنُوا إِلَىٰ خَلْقِهِ ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ الْآيَاتِ.

* وَأَمَّا الْفَرِيقُ الثَّانِي: فَهُمُ الْمُنَافِقُونَ، الْغَافِلُونَ عَنْ صَلَاتِهِمْ، الَّذِينَ لَا يُؤَدُّونَهَا فِي أَوْقَاتِهَا، وَالَّذِينَ يَقُومُونَ بِهَا (صُورَةً) لَا (مَعْنًىٰ) الْمُرَاءُونَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَقَدْ تَوَعَّدَتِ الْفَرِيقَيْنِ بِالْوَيْلِ وَالْهَلَاكِ، وَشَنَّعَتْ عَلَيْهِمْ أَعْظَمَ تَشْنِيعٍ، بِأُسْلُوبِ الِاسْتِغْرَابِ وَالتَّعْجِيبِ مِنْ ذَلِكَ الصَّنِيعِ! ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ﴾.



سُورَةُ المَاعُونِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا سَبْعُ آيَاتٍ

الآيات من: ١ إلى: (٧) نهاية السورة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ۝١ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ۝٢ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ۝٣ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝٥ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ۝٦ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ۝٧﴾.



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾: ظَاهِرُهُ الاسْتِفْهَامُ، وَالْغَرَضُ مِنْهُ الْمُبَالَغَةُ فِي التَّعَجُّبِ(١)، وَالخِطَابُ لِلرَّسُولِ ﷺ، أَوْ لِكُلِّ عَاقِلٍ.

«﴿أَرَءَيْتَ ﴾: حَالَ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالْبَعْثِ وَالجَزَاءِ»(٢)، ﴿ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾: بِالحِسَابِ وَالْعِقَابِ.

وَفِي الْكَلَامِ حَذْفٌ تَقْدِيرُهُ: أَمُصِيبٌ هُوَ أَمْ مُخْطِئٌ(٣).

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴾: أَمُصِيبٌ هُوَ أَمْ مُخْطِئٌ؟

﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾: وَالدَّعُّ: الدَّفْعُ بِالْعُنْفِ وَالجَفْوَةِ(٤)، يَدْفَعُ

---

(١) كَقَوْلِكَ: أَرَأَيْتَ فُلَانًا مَاذَا ارْتَكَبَ وَلِمَاذَا عَرَّضَ نَفْسَهُ؟.

(٢) «التفسير الميسر» (ص٦٠٢).

(٣) «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٢١٠).

(٤) «تفسير البغوي» (٨/ ٥٤٩)، وقد أخرج عبد الرحمن بن الحسن في «تفسير مجاهد» (ص٧٥٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٣٠)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ: ﴿ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴾، يَقُولُ: «**يَدْفَعُ الْيَتِيمَ عَنْ حَقِّهِ وَيَظْلِمُهُ**»، وروي عن ابن عباس نحوه، وهو قول محمد بن كعب القرظي وقتادة وابن زيد والضحاك والثوري، والفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٩٤)، وأبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٣١٣)، وغيرهم، =

الْيَتِيمَ بِعُنْفٍ، وَجَفْوَةٍ، وَيَقْهَرُهُ.

«فَذَلِكَ الَّذِي يَدْفَعُ الْيَتِيمَ بِعُنْفٍ، وَشِدَّةٍ، يَدْفَعُهُ عَنْ حَقِّهِ؛ لِقَسَاوَةِ قَلْبِهِ»(١).

ثُمَّ ذَكَرَ التُّرُوكَ: ﴿وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾: وَلَا يَحُثُّ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ المِسْكِينِ، لَا يَحُضُّ غَيْرَهُ عَلَىٰ إِطْعَامِ المِسْكِينِ، فَكَيْفَ لَهُ أَنْ يُطْعِمَهُ بِنَفْسِهِ؟!(٢)

﴿فَوَيْلٌ﴾: يَوْمَئِذٍ ﴿لِّلْمُصَلِّينَ﴾: كَأَنَّ سَائِلاً سَأَلَ: أَلَيْسَ الصَّلَاةُ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ، وَهَؤُلَاءِ يُصَلُّونَ، فَكَيْفَ؟

﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾: غَافِلُونَ لَاهُونَ(٣).

=

واختاره ابن جرير الطبري.

(١) «التفسير الميسر» (ص٦٠٢).

(٢) «التفسير الميسر» (ص٦٠٢)، وَلَيْسَ الذَّمُّ عَامًّا حَتَّىٰ يَتَنَاوَلَ مَنْ تَرَكَهُ عَجْزًا، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا يَبْخَلُونَ وَيَعْتَذِرُونَ لِأَنْفُسِهِمْ، وَيَقُولُونَ: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ أَطْعَمَهُۥٓ﴾ [يس:٤٧]، فَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ فِيهِمْ، وَتَوَجَّهَ الذَّمُّ إِلَيْهِمْ، فَيَكُونُ مَعْنَىٰ الْكَلَامِ: «لَا يَفْعَلُونَهُ إِنْ قَدَرُوا، وَلَا يَحُثُّونَ عَلَيْهِ إِنْ عَسِرُوا»، «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٢١١).

(٣) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٣٢)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾، قَالَ: «**لَاهُونَ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٦٤٣) لابن المنذر وابن أبي حاتم، وهو قول قتادة بلفظ: «**غَافِلُونَ**»، وهو أيضا قول الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٢٩٥)، واختاره ابن جرير الطبري (٢٤/ ٦٣٢).

﴿ٱلَّذِينَ هُمۡ يُرَآءُونَ﴾: يَعْمَلُونَ؛ لِأَجْلِ النَّاسِ، لَا لِأَجْلِ رَبِّ النَّاسِ.

﴿وَيَمۡنَعُونَ ٱلۡمَاعُونَ﴾: وَهُوَ مَا يُنْتَفَعُ بِهِ مِنَ الْأَوَانِي، وَغَيْرِهَا(١).

«فَعَذَابٌ شَدِيدٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ لَاهُونَ، لَا يُقِيمُونَهَا عَلَىٰ وَجْهِهَا، وَلَا يُؤَدُّونَها فِي وَقْتِهَا، الَّذِينَ هُمْ يَتَظَاهَرُونَ بِأَعْمَالِهِمْ؛ مُرَاءَةً لِلنَّاسِ، وَيَمْنَعُونَ إِعَارَةَ مَا لَا تَضُرُّ إِعَارَتُهُ مِنَ الْآنِيَةِ وَغَيْرِهَا، فَلَا هُمْ أَحْسَنُوا عِبَادَةَ رَبِّهِمْ، وَلَا هُمْ أَحْسَنُوا إِلَىٰ خَلْقِهِ تَعَالَىٰ»(٢).

⁂

(١) أخرج أبو داود في «السنن» في (كتاب الزكاة، باب ٣٢، رقم ١٦٥٧)، عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه، قَالَ: «**كُنَّا نَعُدُّ الْمَاعُونَ عَلَىٰ عَهْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ عَوَرَ الدَّلْوِ وَالْقِدْرِ**».
وصحح إسناده ابن حجر في «فتح الباري» (٨/ ٧٣١)، وقال: «هو حديث مرفوع صريح»، وحسن إسناده الألباني في «صحيح أبي داود» (٥/ ٣٥٤ - ٣٥٥، رقم ١٤٦١).
وهذا القول هو أيضا قول ابن عباس ومجاهد وسعيد بن جبير وأبو مالك، وروي عن علي نحوه، واختاره ابن جرير الطبري (٢٤/ ٦٤٢).
(٢) «التفسير الميسر» (ص٦٠٢).

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

فَبَدَأَ سُبْحَانَهُ هَذِهِ السُّورَةَ بِالاسْتِفْهَامِ عَنِ الَّذِي يُكَذِّبُ بِالدِّينِ، ثُمَّ ذَكَرَ أَوْصَافَهُ فقَالَ:

إِنَّهُ يَدْفَعُ الْيَتِيمَ دَفْعًا عَنِيفًا، وَيَزْجُرُهُ إِنْ جَاءَ يَطْلُبُ شَيْئًا، أَوْ جَاءَ يُطَالِبُ بِحَقِّهِ، وَهُوَ أَيْضًا لَا يَرْغَبُ فِي إِطْعَامِ المِسْكِينِ، وَلَا يَفْعَلُهُ؛ لِأَنَّهُ يُكَذِّبُ بِالجَزَاءِ عَلَيْهِ.

وَالخِطَابُ بِالاسْتِفْهَامِ فِي أَوَّلِ السُّورَةِ مُوَجَّهٌ إِلَىٰ الرَّسُولِ ﷺ، وَأُمَّتُهُ مِثْلُهُ فِي ذَلِكَ.

ثُمَّ عَقَّبَ عَلَىٰ هَذِهِ الْأَوْصَافِ المَذْمُومَةِ بِأَوْصَافٍ أُخْرَىٰ لِفَرِيقٍ آخَرَ مِنَ النَّاسِ، هِيَ أَيْضًا مَوْضِعُ الذَّمِّ، وَتَوَعَّدَ أَصْحَابَهَا بِالْعَذَابِ وَهُمُ المُنَافِقُونَ.

وَأَوَّلُ أَوْصَافِهُمْ أَنَّهُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ، ثُمَّ وَضَّحَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ يُرَاءُونَ، يُصَلُّونَ الصَّلَاةَ فِي الْعَلَانِيَةِ، لِيُظَنَّ فِيهِمُ الْإِسْلَامَ وَالخَيْرَ، وَيَتْرُكُونَها فِي السِّرِّ؛ لِأَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا، فَهُمْ سَاهُونَ عَنْ فِعْلِهَا بِتَرْكِهَا، وَهُمْ مُرَاءُونَ بِهَا عِنْدَ فِعْلِهَا تَامَّةً.

وَتَأْتِي أَوْصَافُهُمْ أَنَّهُمْ لَا يُحْسِنُونَ إِلَىٰ الْعِبَادِ حَتَّىٰ بِالْأُمُورِ الصَّغِيرَةِ الَّتِي يَحْصُلُ بِهَا التَّعَاوُنُ، كَإِعَارَتِهِمْ أَوَانِي الطَّعَامِ، وَالشَّرَابِ، وَغَيْرِهَا لِلْمُحْتَاجِينَ إِلَيْهَا.

◉ ◉ ◉



مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[1]:

١- فِي الْآيَاتِ: تَقْرِيرُ عَقِيدَةِ الْبَعْثِ وَالجَزَاءِ.

٢- وَفِيهَا: الحَثُّ عَلَىٰ إِطْعَامِ الْيَتَامَىٰ، وَالمَسَاكِينِ، وَالرِّفْقِ بِهِمْ مَعَ التَّرْغِيبِ فِي ذَلِكَ.

٣- وَفِيهَا: التَّنْدِيدُ بِالَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَىٰ بِالْبَاطِلِ، وَيَدْفَعُونَهُمْ عَنْ حُقُوقِهِمْ؛ اسْتِصْغَارًا لَهُمْ، وَاحْتِقَارًا.

٤- وَفِيهَا: بَيَانُ مُرَاعَاةِ الصَّلَاةِ مَعَ المُحَافَظَةِ عَلَيْهَا، وَعَلَىٰ الإِخْلَاصِ فِيهَا، وَفِي سَائِرِ الْأَعْمَالِ.

٥- وَفِي الْآيَاتِ: الحَثُّ عَلَىٰ فِعْلِ المَعْرُوفِ، وَبَذْلِ الْأَمْوَالِ الخَفِيفَةِ، كَإِعَارَةِ الإِنَاءِ، وَالْكِتَابِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ؛ لِذَمِّ اللهِ تَعَالَىٰ مَنْ بَخَلَ بِذَلِكَ.

●●●

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٦٢١).



بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ الْكَوْثَر

* سُورَةُ الْكَوْثَرِ مَكِّيَّةٌ، وَقَدْ تَحَدَّثَتْ عَنْ فَضْلِ اللهِ الْعَظِيمِ عَلَىٰ نَبِيِّهِ الْكَرِيمِ، بِإِعْطَائِهِ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ، وَالنِّعَمَ الْعَظِيمَةَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمِنْهَا [نَهْرُ الْكَوْثَرِ] وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنَ الْخَيْرِ الْعَظِيمِ الْعَمِيمِ، وَقَدْ دَعَتِ الرَّسُولَ إِلَىٰ إِدَامَةِ الصَّلَاةِ، وَنَحْرِ الْهَدْيِ شُكْرًا لِلَّهِ ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾.

* وَخُتِمَتِ السُّورَةُ بِبِشَارَةِ الرَّسُولِ ﷺ بِخِزْيِ أَعْدَائِهِ، وَوَصَفَتْ مُبْغِضِيهِ بِالذِّلَّةِ وَالْحَقَارَةِ، وَالِانْقِطَاعِ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، بَيْنَمَا ذِكْرُ الرَّسُولِ مَرْفُوعٌ عَلَىٰ الْمَنَائِرِ وَالْمَنَابِرِ، وَاسْمُهُ الشَّرِيفُ عَلَىٰ كُلِّ لِسَانٍ، خَالِدٍ إِلَىٰ آخِرِ الدَّهْرِ وَالزَّمَانِ ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾.





سُورَةُ الْكَوْثَرِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا ثَلَاثُ آيَاتٍ

الآيات من: ١ إلى: (٣) نهاية السورة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾.

• • •



تفْسِيرُ الْآيَاتِ[١]:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾: (إِنَّا) رَبَّ الْعِزَّةِ وَالجَلَالِ، ﴿أَعۡطَيۡنَٰكَ﴾: وَهَبْنَاكَ وَخَصَصْنَاكَ، ﴿ٱلۡكَوۡثَرَ﴾: هُوَ الخَيْرُ الْكَثِيرَ[٢]، أَوْ هُوَ نَهْرٌ فِي الجَنَّةِ[٣].

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٦٢١).

(٢) أخرج البخاري في «صحيحه» في (كتاب التفسير، سورة ١٠٨، رقم ٤٩٦٦) وفي (الرقاق، باب ٥٣، رقم ٦٥٧٨)، من طريق: أَبِي بِشْرٍ جعفر بن إياس، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: **«الكَوْثَرُ: الخَيْرُ الكَثِيرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ»**.
قَالَ أَبُو بِشْرٍ: قُلْتُ لِسَعِيدٍ: إِنَّ أُنَاسًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهَرٌ فِي الجَنَّةِ؟ فَقَالَ سَعِيدٌ: **«النَّهَرُ الَّذِي فِي الجَنَّةِ مِنَ الخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللهُ إِيَّاهُ»**.

(٣) أخرج مسلم في «صحيحه» في (كتاب الصلاة، باب ١٤، رقم ٤٠٠)، من حديث: أَنَسٍ، قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَىٰ إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّمًا، فَقُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: **«أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ»** فَقَرَأَ: **«بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّا إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾»** ثُمَّ قَالَ: **«أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟»** فَقُلْنَا اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **«فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي ﷻ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَتْ بَعْدَكَ»**.

﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾: فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَحْدَهُ، وَانْحَرْ لَهُ أَيِ: اذْبَحْ لَهُ وَحْدَهُ[١].

«إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ يَا مُحَمَّدُ الخَيرَ الْكَثِيرَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ نَهْرُ الْكَوْثَرِ فِي الجَنَّةِ الَّذِي حَافَتَاهُ خِيَامُ اللُّؤْلُؤِ المُجَوَّفِ، وَطِينُهُ المِسْكُ، -كَمَا أَخْبَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ[٢]-، فَأَخْلِصْ لِرَبِّكَ صَلَاتَكَ كُلَّهَا، وَاذْبَحْ ذَبِيحَتَكَ لَهُ

---

(١) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٥٤)، بإسناد صحيح، عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ الْقُرَظِيِّ، أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾ يَقُولُ: «**إِنَّ نَاسًا كَانُوا يُصَلُّونَ لِغَيْرِ اللهِ، وَيَنْحَرُونَ لِغَيْرِ اللهِ، فَإِذَا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ يَا مُحَمَّدُ، فَلَا تَكُنْ صَلَاتُكَ وَنَحْرُكَ إِلَّا لِي**»، وقال عكرمة نحوه، واختاره ابن جرير الطبري، وقال: (٢٤/ ٦٥٦): «إنما قلت: ذلك أولىٰ الأقوال بالصواب في ذلك، لأن الله -جلّ ثناؤه- أخبر نبيه ﷺ بما أكرمه به من عطيته وكرامته، وإنعامه عليه بالكوثر، ثم أتبع ذلك قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ﴾، فكان معلوما بذلك أنه خصه بالصلاة له، والنحر علىٰ الشكر له، علىٰ ما أعلمه من النعمة التي أنعمها عليه، بإعطائه إياه الكوثر، فلم يكن لخصوص بعض الصلاة بذلك دون بعض، وبعض النحر دون بعض وجه، إذ كان حثا علىٰ الشكر علىٰ النِّعَم.

فتأويل الكلام إذن: إنا أعطيناك يا محمد الكوثر، إنعاما منا عليك به، وتكرمة منا لك، فأخلص لربك العبادة، وأفرد له صلاتك ونسكك، خلافًا لما يفعله مَنْ كَفَرَ به، وعَبَدَ غيره، ونحر للأوثان».

(٢) أخرج البخاري في «صحيحه» في (الرقاق، باب ٥٣، رقم ٦٥٨١)، وفي مواضع، من حديث: أَنَسٍ، قَالَ: لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَىٰ السَّمَاءِ، قَالَ: «**بَيْنَمَا أَنَا أَسِيرُ فِي الجَنَّةِ، إِذَا**
=

وَحْدَهُ»[١].

«﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾: إِنَّ مُبْغِضَكَ، وَذَامَّكَ هُوَ المَقْطُوعُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مِنَ الْعَمَلِ وَالذِّكْرِ»[٢].

«إِنَّ مُبْغِضَكَ وَمُبْغِضَ مَا جِئْتَ بِهِ مِنَ الهَدْيِ، وَالخَيْرِ وَالنُّورِ هُوَ المُنْقَطِعُ أَثَرُهُ، المُقْطُوعُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ»[٣].

***

=

أَنَا بِنَهَرٍ، حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ المُجَوَّفِ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الكَوْثَرُ، الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ»، وفي «صحيح البخاري» في (التفسير، سورة ١٠٨، رقم ٤٩٦٥)، من حديث: عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، بنحوه.

(١) «التفسير الميسر» (ص٦٠٢).

(٢) «تفسير السعدي» -تحقيق عبد الرحمن بن معلا اللويحق، نشر مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى:١٤٢٠هـ- (ص٩٣٥).

(٣) «التفسير الميسر» (ص٦٠٢).

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

فَبَدَأَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا هَذِهِ السُّورَةَ بِأَنِ امْتَنَّ عَلَىٰ عَبْدِهِ، وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ بِإِعْطَائِهِ الخَيْرَ الْكَثِيرَ، فَلَقَدْ أَعْطَىٰ اللهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ خيرًا كثيرًا فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي «صَحِيحِهِ» بِسَنَدِهِ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: **دَخَلْتُ الجَنَّةَ، فَإِذَا أَنَا بِنَهَرٍ حَافَتَاهُ خِيَامُ اللُّؤْلُؤِ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي إِلَىٰ مَا يَجْرِي فِيهِ المَاءُ فَإِذَا مِسْكٌ أَذْفَرُ، قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ**(١).

وَامْتَنَّ اللهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ ﷺ بِهَذَا الخَيْرِ، وَأَمَرَ جَلَّ وَعَلَا بِعِبَادَتِهِ وَحْدَهُ دُونَ سِوَاهُ، وَإِخْلَاصِ الدِّينِ لَهُ، وَالصَّلَوَاتُ كُلُّهَا فَرْضُهَا وَنَفْلُهَا أَمَرَهُ بِأَنْ يَجْعَلَهَا خَالِصَةً لَهُ، وَذَبْحُ الْقَرَابِينَ أَمَرَهُ بِأَنْ يَجْعَلَهُ خَالِصًا لِوَجْهِهِ الْكَرِيمِ، عَلَىٰ عَكْسِ مَا يَصْنَعُهُ الْمُشْرِكُونَ مِنَ الذَّبْحِ لِلْأَوْثَانِ، وَالْأَنْدَادِ، وَالْأَوْلِيَاءِ، وَغَيْرِهَا.

وَالخِطَابُ مَعْنِيٌّ بِهِ الْأُمَّةُ كُلُّهَا، ثُمَّ أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ مَنْ لَمْ يَسِرْ عَلَىٰ طَرِيقَتِهِ مِنْ أُمَّتِهِ، وَإِخْلَاصِ الدِّينِ للهِ، فَذَلِكَ الْأَبْتَرُ: الْأَذَلُّ، الْمُنْقَطِعُ الذِّكْرِ.

● ● ●

---

(١) تقدم تخريجه.



مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الآيَاتِ[١]:

١- فِي الْآيَاتِ: امْتِنَانُ اللهِ عَلَىٰ عَبْدِهِ، وَرَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، بِإِعْطَائِهِ الخَيْرَ الْكَثِيرَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمِنْ ذَلِكَ الَّذِي أَعْطَاهُ: النَّهْرُ الَّذِي يُسَمَّىٰ الْكَوْثَرَ.

٢- وَفِي ا لْآيَاتِ: الْأَمْرُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بِإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ كُلِّهَا للهِ تَعَالَىٰ، وَمِنْهَا: الصَّلَاةُ وَالذَّبْحُ.

٣- فِي الْآيَاتِ: وُجُوبُ مَحَبَّةِ الرَّسُولِ ﷺ بِدُونِ تَجَاوُزِ الحَدِّ المَشْرُوعِ.

٤- وَفِيهَا: وُجُوبُ الْإِخْلَاصِ فِي الْعِبَادَاتِ كُلِّهَا لَا سِيَّمَا الصَّلَاةُ وَالذَّبْحُ.

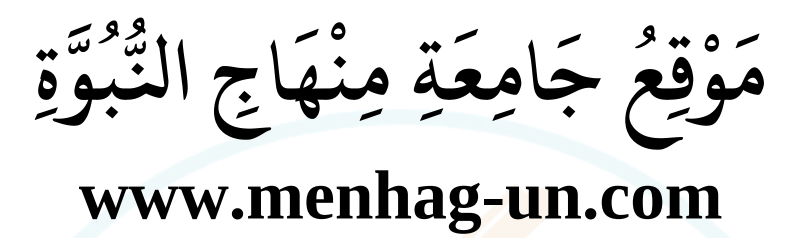
٥- وَفِي الْآيَاتِ: ذَمُّ مَنْ أَبْغَضَ الرَّسُولَ ﷺ، وَانْتَقَصَ مِنْ حَقِّهِ.



---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٦٢٢).


جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com



يُقَدِّمُ:

(الْمُحَاضَرَة السَّادِسَة عَشْرَة)

مِنْ مَادَّةِ التَّفْسِيرِ

تفسِير جُزْءِ عَمَّ

[سُورَةُ: الْكَافِرُونَ، وَالنَّصْرِ، وَالْمَسَدِ، وَالْإِخْلَاصِ، وَالْفَلَقِ، وَالنَّاسِ]

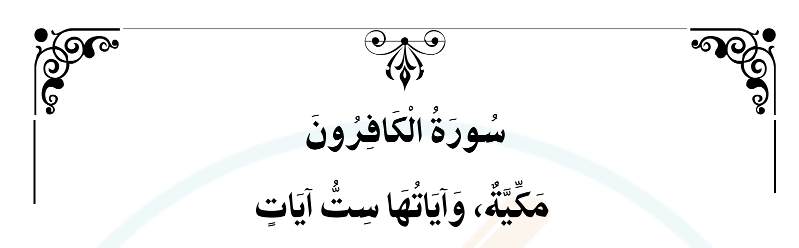

جامعة
منهاج النبوة
www.menhag-un.com



بَيْنَ يَدَيْ سُورَةِ الْكَافِرُونَ

* سُورَةُ الْكَافِرُونَ مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ سُورَةُ (التَّوْحِيدِ) وَ(الْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ) وَالضَّلَالِ، فَقَدْ دَعَا الْمُشْرِكُونَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، إِلَىٰ الْمُهَادَنَةِ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَعْبُدَ آلِهَتَهُمْ سَنَةً، وَيَعْبُدُوا إِلَهَهُ سَنَةً، فَنَزَلَتِ السُّورَةُ تَقْطَعُ أَطْمَاعَ الْكَافِرِينَ، وَتَفْصِلُ النِّزَاعَ بَيْنَ الْفَرِيقَيْنِ: أَهْلِ الْإِيمَانِ، وَعَبَدَةِ الْأَوْثَانِ، وَتَرُدُّ عَلَىٰ الْكَافِرِينَ تِلْكَ الْفِكْرَةَ السَّخِيفَةَ فِي الْحَالِ وَالِاسْتِقْبَالِ.

•••



سُورَةُ الْكَافِرُونَ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا سِتُّ آيَاتٍ

الآيات من: ١ إلى: (٦) نهاية السورة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ (١) لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢) وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ (٣) وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ (٤) وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ (٥) لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ (٦)﴾.

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[١]:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: الْمُشْرِكُونَ.

«قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ، يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ بِاللهِ»[٢]:

﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾: مِنَ الْآلِهَةِ الْبَاطِلَةِ الآنَ.

«﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾: مِنَ الْأَصْنَامِ، وَالْآلِهَةِ الزَّائِفَةِ»[٣].

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾: الآنَ.

«﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾: مِنْ إِلَهٍ وَاحِدٍ هُوَ الْمُسْتَحِقُّ وَحْدَهُ لِلْعِبَادَةِ»[٤].

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾: أَيْ: فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَبَدًا.

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾: أَيْ: فِي الْمُسْتَقْبَلِ أَبَدًا[٥].

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٥٦٣ - ٥٦٤)، و«تفسير ابن كثير» (٨/ ٥٠٧ - ٥٠٨)، و«أيسر التفاسير» (٥/ ٦٢٣).

(٢) «التفسير الميسر» (ص٦٠٣).

(٣) المصدر السابق.

(٤) المصدر السابق.

(٥) وقول أن مَعْنَىٰ الْآيَةِ: ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ فِي الْحَالِ، ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ فِي =

﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾: مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْوَثَنِيَّةِ وَالْكُفْرِ، ﴿وَلِيَ دِينِ﴾: وَدِينُ الإِسْلَامِ الْعَظِيمِ... فَهَذَا وَجْهٌ.

حَتَّىٰ لَا يُقَالَ: كَرَّرَ لِلتَّأْكِيدِ(١)، حَتَّىٰ لَا يُقَالَ: التَّكْرَارُ لَا يُفِيدُ، حَاشَا وَكَلَّا، هَذَا وَجْهٌ.

«قُلْ يَا مُحَمَّدُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا بِاللهِ وَرَسُولِهِ: يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ بِاللهِ، لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ مِنَ الْأَصْنَامِ، وَالْآلِهَةِ الزَّائِفَةِ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ مِنْ إِلَهٍ وَاحِدٍ، هُوَ الْمُسْتَحِقُّ وَحْدَهُ لِلْعِبَادَةِ.

=

الْحَالِ، وَ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾ فِي الِاسْتِقْبَالِ، ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾ فِي الِاسْتِقْبَالِ، عزاه ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٥٠٠) لمقاتل بن سليمان وثعلب والزجاج، وعزاه الماوردي في «تفسيره» (٦/ ٣٥٨) للأخفش، واختاره ابن جرير الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٦١)، وقال:«...، وإنما قيل ذلك كذلك؛ لأن الخطاب من الله كان لرسول الله ﷺ في أشخاص بأعيانهم من المشركين، قد علم أنهم لا يؤمنون أبدا، وسبق لهم ذلك في السابق من علمه، فأمر نبيه ﷺ أن يؤيسهم من الذي طمعوا فيه، وحدّثوا به أنفسهم، وأن ذلك غير كائن منه ولا منهم، في وقت من الأوقات، وآيس نبي الله ﷺ من الطمع في إيمانهم ومن أن يفلحوا أبدا، فكانوا كذلك لم يفلحوا ولم ينجحوا إلىٰ أن قتل بعضهم يوم بدر بالسيف وهلك بعض قبل ذلك كافرا».
وانظر مناقشة شيخ الإسلام لهذا القول في «مجموع الفتاوىٰ» (١٦/ ٥٣٩ - ٥٤٧)، وانظر أيضا: «فتح القدير» للشوكاني (٥/ ٦٢٠).

(١) والقول بأن التكرار لتأكيد الأمر وحسم أطماعهم فيه، قاله الفراء، كما في «زاد المسير» لابن الجوزي (٤/ ٥٠٠)، وعزاه البغوي في «تفسيره» (٨/ ٥٦٤) لِأَكْثَرِ أَهْلِ الْمَعَانِي، واختاره الشوكاني في «فتح القدير» (٥/ ٦٢٠).

وَلَا أَنَا عَابِدٌ مُسْتَقْبَلاً مَا عَبَدْتُمْ مِنَ الْأَصْنَامِ، وَالْآلِهَةِ الْبَاطِلَةِ، وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ مُسْتَقْبَلاً مَا أَعْبُدُ.

لَكُمْ دِينُكُمُ الَّذِي أَصْرَرْتُمْ عَلَىٰ اتِّبَاعِهِ، وَلِي دِينِي الَّذِي لَا أَبْغِي غَيْرَهُ»[١].

سَبَبُ التَّكْرَارِ: كُلُّ عَابِدٍ لَا بُدَّ لَهُ مِنْ مَعْبُودٍ يَعْبُدُهُ، وَعِبَادَةٍ يَسْلُكُهَا إِلَيْهِ، وَالرَّسُولُ وَأَتْبَاعُهُ يَعْبُدُونَ اللهَ بِمَا شَرَعَهُ اللهُ، وَلِهَذَا كَانَتْ كَلِمَةُ الإِسْلَامِ: (**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللهِ**): أَيْ لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ إِلَّا اللهُ، وَلَا طَرِيقَ إِلَيهِ إِلَّا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ اللهِ ﷺ.

وَالْمُشْرِكُونَ يَعْبُدُونَ غَيرَ اللهِ عِبَادَةً لَمْ يَأْذَنْ بِهَا اللهُ... وَالآنَ:

﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾: بَرَاءَةً مِنْ مَعْبُودِهِمْ.

﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾: أَيِ: اللهَ وَحْدَهُ، بَلْ تَعْبُدُونَ مَعْبُودَكُمْ وَآلِهَتَكُمُ الْبَاطِلَةَ.

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾: لَا أَعْبُدُ عِبَادَتَكُمْ، وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللهَ عَلَىٰ الْوَجْهِ الَّذِي يُحِبُّهُ.

﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ﴾: لَا تَقْتَدُونَ بِأَوَامِرِ اللهِ، وَشَرْعِهِ فِي عِبَادَتِهِ... فَهَذَا وَجْهٌ.

---

(١) «التفسير الميسر» (ص٦٠٣).

وَوَجْهٌ آخَرُ: «لَا أَعْبُدُ مَنْ تَعْبُدُونَ الآنَ، وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَا عَبَدْتُمْ فِي الْمُسْتَقْبَلِ»... حَكَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَغَيْرُهُ(١).

وَوَجْهٌ لِشَيخِ الإِسْلَامِ ابْنِ تَيْمِيَّةَ رَحِمَهُ اللَّهُ(٢): «﴿لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ﴾: نَفْيٌ لِلْفِعْلِ؛ لِأَنَّهَا جُمْلَةٌ فِعْلِيَّةٌ، ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ﴾: نَفْيُ قَبُولِ ذَلِكَ جُمْلَةً بِالْكُلِّيَّةِ؛ لِأَنَّ النَّفْيَ بِالجُمْلَةِ الِاسْمِيَّةِ آكَدُ»(٣).

وَلَقَدِ اخْتَارَ هَذَا الْوَجْهَ شَيْخُ الإِسْلَامِ ابْنُ تَيْمِيَّةَ -رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَىٰ-.

وَجْهٌ آخَرُ: هِيَ تَأْكِيدٌ مَحْضٌ، مِثْلُ: وَاللهِ لَا أَفْعَلُ كَذَا، ثُمَّ وَاللهِ لَا أَفْعَلُ.

ولَيْسَ ذَلِكَ كَذَلِكَ، وَمَا مَرَّ يُغْنِيكَ، وَالحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ.

● ● ●

---

(١) قاله البخاري في «صحيحه» في (كتاب التفسير، سورة ١٠٩) وَغَيْره مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، «تفسير ابن كثير» (٨/ ٥٠٨).

(٢) «مجموع الفتاوىٰ» (١٦/ ٥٥١ - ٥٥٤).

(٣) فَكَأَنَّهُ نَفَىٰ الْفِعْلَ، وَكَوْنُهُ قَابِلًا لِذَلِكَ وَمَعْنَاهُ نَفْيُ الْوُقُوعِ وَنَفْيُ الإِمْكَانِ الشَّرْعِيِّ أَيْضًا، «تفسير ابن كثير» (٨/ ٥٠٨)، وقال: «وَهُوَ قَوْلٌ حَسَنٌ».

الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

أَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ مُحَمَّدًا ﷺ أَنْ يُوَجِّهَ الخِطَابَ لِلْمُشْرِكِينَ، وَأَنْ يَتبَرَّأَ مِنْهُمْ وَمِمَّا يَعْبُدُونَ، فَتبَرَّأَ الرَّسُولُ ﷺ كَمَا أَمَرَهُ رَبُّهُ مِنْ عِبَادَةِ مَا يَعْبُدُونَ فِي الحَالِ، وَأَخْبرَهُمْ بِأَنَّهُمْ يَكْذِبُونَ فِي ادِّعَائِهِمْ عِبَادَةَ اللهِ وَحْدَهُ فِي الحَالِ أَيْضًا، ثُمَّ كَرَّرَ لَهُمُ البَرَاءَةَ مِنْ مَعْبُودَاتِهِمْ فِي المُسْتَقْبَلِ.

كَذَلِكَ، وَأَخْبرَهُمْ أَنَّهُمْ لَنْ يَفْعَلُوا ذَلِكَ فِي المُسْتَقْبَلِ أَيْضًا، بَلْ سَيَظَلُّونَ فِي كُفْرِهِمْ بِاللهِ، وَمَا اتَّخَذُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ مِنْ مَعْبُودَاتٍ بَاطِلَةٍ؛ لِأَنَّ عِبَادَةَ اللهِ وَحْدَهُ لَا تَسْتَقِيمُ مَعَ الإِشْرَاكِ بِهِ، وَدِينَ اللهِ لَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا بِالْبَرَاءَةِ مِنَ الشِّرْكِ وَمَا يَتَّصِلُ بِهِ.

وَهَذَا الْوَجْهُ أَيْسَرُ وَأَسْهَلُ، وَهُوَ مُسْتَحْضَرٌ فِي الذِّهْنِ لَا يَغِيبُ.

فِي الحَالِ، وَفِي الِاسْتِقْبَالِ.

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ① لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾: الآنَ.

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾: الآنَ.

﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾: فِي المُسْتَقْبَلِ أَبَدًا.

﴿وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾: فِي المُسْتَقبَلِ أَبَدًا.

﴿لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾.

خَتَمَ هَذِهِ الْبَرَاءَةَ بِإِخْبَارِهِمْ بِأَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي اخْتَارُوهُ لِأَنْفُسِهِمْ، وَهُوَ الشِّرْكُ، وَلَهُ دِينُهُ الَّذِي ارْتَضَاهُ اللهُ لَهُ وَهُوَ التَّوْحِيدُ، قِيلَ: إِنَّ هَذَا الخِطَابَ بِهَذِهِ الصُّورَةِ لِمَنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللهِ أَنَّهُمْ لَنْ يُؤْمِنُوا، وَلَنْ يَهْتَدُوا.

● ● ●





مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ[1]:

١- فِي الْآيَاتِ: تَقْرِيرُ عَقِيدَةِ الْقَضَاءِ وَالْقَدَرِ.

٢- وَفِيهَا: ثَبَاتُ الرَّسُولِ ﷺ عَلَىٰ التَّوْحِيدِ، وَالدَّعْوَةِ إِلَىٰ اللهِ، وَإِلَىٰ التَّوْحِيدِ.

٣- وَفِيهَا بَيَانُ أَنَّ الْمُخَاطَبِينَ بِهَذِهِ السُّورَةِ لَنْ يَهْتَدُوا، سَيَمُوتُونَ عَلَىٰ الشِّرْكِ - نَسْأَلُ اللهَ الْعَفْوَ وَالْعَافِيَةَ.

٤- وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ: أَنَّهُ يَجِبُ عَلَىٰ الْمَرْءِ أَنْ يَتَمَسَّكَ بِدِينِهِ، وَعَقِيدَتِهِ حَقَّ التَّمَسُّكِ، وَأَلَّا يَلْتَفِتَ إِلَىٰ الْأَدْيَانِ الْبَاطِلَةِ، مَهْمَا وَجَّهَ الْمُبْطِلُونَ.



(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٦٢٤).

بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ النَّصْرِ

سُورَةُ النَّصْرِ مَدَنِيَّةٌ، هِيَ تَتَحَدَّثُ عَنْ (فَتْحِ مَكَّةَ) الَّذِي عَزَّ بِهِ الْمُسْلِمُونَ، وَانْتَشَرَ الْإِسْلَامُ فِي الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ، وَتَقَلَّمَتْ أَظَافِرُ الشِّرْكِ وَالضَّلَالِ، وَبِهَذَا الْفَتْحِ الْمُبِينِ، دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللهِ، وَارْتَفَعَتْ رَايَةُ الْإِسْلَامِ، وَاضْمَحَلَّتْ مِلَّةُ الْأَصْنَامِ، وَكَانَ الْإِخْبَارُ بِفَتْحِ مَكَّةَ قَبْلَ وُقُوعِهِ، مِنْ أَظْهَرِ الدَّلَائِلِ عَلَىٰ صِدْقِ نُبُوَّتِهِ، عَلَيْهِ أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ.

***



سُورَةُ النَّصْرِ

مَدَنِيَّةٌ، وَآيَاتُهَا ثَلَاثُ آيَاتٍ

الآيات من: ١ إلى: (٣) نهاية السورة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ (١) وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا (٢) فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا (٣)﴾.

تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

قَالَ تعَالَىٰ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ﴾: لَا أَذْهَبُ بِكَ إِلَىٰ النَّصْرِ يَا مُحَمَّدُ، وَلَكِنْ أَجِيءُ بِالنَّصْرِ إِلَيْكَ(١).

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾: وَهُوَ فَتْحُ مَكَّةَ(٢)، «إِذَا تَمَّ لَكَ يَا مُحَمَّدُ النَّصْرُ عَلَىٰ كُفَّارِ قُرَيْشٍ، وَتَمَّ لَكَ فَتْحُهَا ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾».

وَجَعَلَ الإِضَافَةَ إِلَىٰ المَدْحِ وَالتَّعْظِيمِ: ﴿يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾: فَهَذِهِ الإِضَافَةُ مَدْحٌ لِدِينِ الإِسْلَامِ الْعَظِيمِ.

---

(١) نَظِيرُهُ قوله ﷺ: «**زُوِيَتْ لِيَ الْأَرْضُ،...**» الحديث، يَعْنِي: لَا تَذْهَبْ إِلَىٰ الْأَرْضِ بَلْ تَجِيءُ الْأَرْضُ إِلَيْكَ، «تفسير الرازي» (٣٢/ ٣٣٤ - ٣٣٥).

(٢) أخرج البخاري في «صحيحه» في (كتاب المغازي، باب ٥١، رقم ٤٢٩٤)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ فِي قوله: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ الآيات، قَالَ: «**هُوَ أَجَلُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَعْلَمَهُ اللهُ لَهُ: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ: فَتْحُ مَكَّةَ، فَذَاكَ عَلَامَةُ أَجَلِكَ: فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا**»، قَالَ له عُمَرُ: «**مَا أَعْلَمُ مِنْهَا إِلَّا مَا تَعْلَمُ**».

والقول بأن الفتح هو: (فتح مكة) هو قول عائشة وأبو سعيد ومجاهد والحسن وغيرهم.

﴿أَفْوَاجًا ﴾: جَماعَاتٍ(١).

«فَإِذَا تَمَّ النَّصْرُ، وَالْفَتْحُ، وَرَأَيْتَ الْكَثِيرَ مِنَ النَّاسِ يَدْخُلُونَ فِي الْإِسْلَامِ جَمَاعَاتٍ جَمَاعَاتٍ»(٢)، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ لِلْفَتْحِ، وَاسْتَغْفِرْهُ لِلدُّخُولِ فِي الدِّينِ؛ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا.

«إِذَا وَقَعَ ذَلِكَ فَتَهَيَّأْ لِلِقَاءِ رَبِّكَ بِالإِكْثَارِ مِنَ التَّسْبِيحِ بِحَمْدِهِ، وَالإِكْثَارِ مِنَ اسْتِغْفَارِهِ؛ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا عَلَىٰ المُسَبِّحِينَ وَالمُسْتَغْفِرِينَ، يَتُوبُ عَلَيْهِمْ، وَيَرْحَمُهُمْ، وَيَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ»(٣).

---

(١) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمداني في «تفسير مجاهد» (ص٧٥٨)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٦٨)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ قال في قوله: ﴿يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ﴾: «**يَعْنِي: زُمَرًا زُمَرًا، فَعِنْدَ ذَلِكَ مَوْتُكَ يَا مُحَمَّدُ**».
وَقَالَ عِكْرِمَةُ وَمُقَاتِلٌ: «**أَرَادَ بِالنَّاسِ أَهْلَ الْيَمَنِ**»، فقد أخرج البخاري في «صحيحه» في (كتاب المغازي، باب ٧٤، رقم ٤٣٨٨ و٤٣٨٩ و٤٣٩٠)، وفي مواضع، ومسلم في «صحيحه» في (كتاب الإيمان، باب ٢١، رقم ٥٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَاكُمْ أَهْلُ اليَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا،...**» الحديث.
وفي رواية: «لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ قُلُوبًا،...**» الحديث، أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٧٢٦)، ومن طريقه: أحمد في «المسند» (٢/ ٢٧٧، رقم ٧٧٢٣)، وصححه الألباني في «الصحيحة» (٧/ رقم ٣٣٦٩)، وروي عن ابن عباس وعكرمة مرفوعا نحوه.
(٢) «التفسير الميسر» (ص٦٠٣).
(٣) المصدر السابق.



الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

لَمَّا ذَكَرَ رَبُّنَا تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ ذَلِكَ لِنَبِيِّهِ ﷺ عَلِمَ أَنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يَنْعَىٰ نَفْسَهُ إِلَيْهِ، وَيُخْبِرُهُ بِدُنُوِّ أَجَلِهِ ﷺ.

لِمَاذَا ذَكَرَ النَّصْرَ، وَالْفَتْحَ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾؟

«لِأَنَّ النَّصْرَ يُوجَدُ مِنْ غَيْرِ فَتْحٍ، كَبَدْرٍ، وَلِأَنَّ الْفَتْحَ قَدْ يُوجَدُ مِنْ غَيْرِ نَصْرٍ، كَإِجْلَاءِ بَنِي النَّضِيرِ، فَقَدْ فَتَحَ دِيَارَهُمْ، وَلَمْ يَأْخُذِ الْقَوْمَ، وَإِنَّمَا أَجْلَاهُمْ عَنْ دِيَارِهِمْ، وَأَمَّا فَتْحُ مَكَّةَ، فَقَدِ اجْتَمَعَ لَهُ فِيهِ الْأَمْرَانِ، وَصَارَ الْخَلْقُ فِي يَدَيْهِ ثُمَّ أَطْلَقَهُمْ، فَمَنَّ اللهُ عَلَيْهِ بِالنَّصْرِ، وَالْفَتْحِ مَعًا»(١).

إِذَا رَأَيْتَ يَا مُحَمَّدُ نَصْرَ اللهِ لَكَ، وَتَأْيِيدَهُ إِيَّاكَ بِفَتْحِ مَكَّةَ، وَبِجَعْلِهَا دَارَ إِسْلَامٍ، وَرَأَيْتَ النَّاسَ عَلَىٰ الْعُمُومِ يَدْخُلُونَ فِي الإِسْلَامِ جَمَاعَاتٍ جَمَاعَاتٍ، عِنْدَئِذٍ سَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ، قُلْ: سُبْحَانَ اللهِ، وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَمَا شَابَهَ ذَلِكَ.

وَأَكْثِرْ مِنَ الِاسْتِغْفَارِ؛ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا.

---

(١) «تفسير الرازي» (٣٢/ ٣٣٨).

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا صَلَّىٰ رَسُولُ اللهِ ﷺ صَلَاةً بَعْدَ أَنْ أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ إِلَّا يَقُولُ: «**سُبْحَانَكَ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ: سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي**»(١).

وَقَدْ عَلِمَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، وَكَثِيرٌ مِنْ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ هَذِهِ السُّورَةِ دُنُوَّ أَجَلِهِ ﷺ(٢).

⦿ ⦿ ⦿

---

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في (كتاب التفسير، سورة ١١٠، رقم ٤٩٦٧ و٤٩٦٨) وفي مواضع، ومسلم في «صحيحه» في (كتاب الصلاة، باب ٤٢، رقم ٤٨٤).

(٢) «البحر المحيط في التفسير» (١٠/ ٥٦٤).

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ[١]:

١- فِي الْآيَاتِ الْبِشَارَةُ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ بِنَصْرِ اللهِ وَفَتْحِ مَكَّةَ، وَدُخُولِ النَّاسِ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا.

٢- وَفِيهَا الْأَمْرُ إِلَىٰ الرَّسُولِ ﷺ أَنْ يَشْكُرَ اللهَ عَلَىٰ ذَلِكَ، وَيُسَبِّحُ بِحَمْدِ رَبِّهِ وَيَسْتَغْفِرُهُ.

٣- وَفِيهَا الْإِشَارَةُ إِلَىٰ أَنَّ الدِّينَ الإِسْلَامِيَّ سَيَسْتَمِرُّ نَصْرُهُ، وَظُهُورُهُ عَلَىٰ مَنْ خَالَفَهُ، وَعَانَدَهُ، وَشَاقَقَهُ.

٤- وَفِي الْآيَاتِ إِشَارَةٌ إِلَىٰ دُنُوِّ أَجَلِ الرَّسُولِ ﷺ؛ لِذَلِكَ قَالَ ﷺ عِنْدَ نُزُولِ هَذِهِ السُّورَةِ: «**نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي**»[٢].

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٩٣٦)، و«أيسر التفاسير» (٥/ ٦٢٦).

(٢) أخرجه ابن سعد في «الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٩٣)، والدارمي في «مسنده» (رقم ٨٠)، والنسائي في «الكبرىٰ» (١٠/ ٣٤٩، رقم ١١٦٤٨)، والطبراني في «الأوسط» (١/ رقم ٨٨٣)، وفي «الكبير» (١١/ رقم ١١٩٠٣ و١١٩٠٤ و١١٩٠٧)، من حديث: ابْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ دَعَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَاطِمَةَ فَقَالَ: «**قَدْ نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي**»، فَبَكَتْ،...الحديث، وحسن إسناد الألباني في هامش =

٥- وَفِي الْآيَاتِ وُجُوبُ الشُّكْرِ عِنْدَ تَحَقُّقِ النِّعْمَةِ.

◉◉◉

=

«المشكاة» (٣/ رقم ٥٩٦٩)، وفي «الصحيحة» (٧/ ١١٠٨، رقم ٣٣٦٩).

والحديث في «الصحيحين» من قول ابن عباس، وقد تقدم.

بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ المَسَدِ

* سُورَةُ الْمَسَدِ مَكِّيَّةٌ، وَتُسَمَّىٰ سُورَةَ اللَّهَبِ، وَسُورَةَ تَبَّتْ، وَقَدْ تَحَدَّثَتْ عَنْ هَلَاكِ (أَبِي لَهَبٍ) عَدُوِّ اللهِ وَرَسُولِهِ، الَّذِي كَانَ شَدِيدَ الْعَدَاوَةِ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ، يَتْرُكُ شُغْلَهُ وَيَتْبَعُ الرَّسُولَ ﷺ، لِيُفْسِدَ عَلَيْهِ دَعْوَتَهُ، وَيَصُدَّ النَّاسَ عَنِ الْإِيمَانِ بِهِ، وَقَدْ تَوَعَّدَتْهُ السُّورَةُ فِي الْآخِرَةِ، بِنَارٍ مُوقَدَةٍ يَصْلَاهَا وَيُشْوَىٰ بِهَا، وَقُرِنَتْ زَوْجَتُهُ بِهِ فِي ذَلِكَ، وَاخْتَصَّتْهَا بِلَوْنٍ مِنَ الْعَذَابِ شَدِيدٍ، هُوَ حَبْلٌ مِنْ لِيفٍ تُجْذَبُ بِهِ فِي النَّارِ، زِيَادَةً فِي التَّنْكِيلِ وَالدَّمَارِ.

***



سُورَةُ المَسَدِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا خَمْسُ آيَاتٍ

الآيات من: ١ إلى: (٥) نهاية السورة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ ﴿١﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴿٢﴾ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ﴿٣﴾ وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ ﴿٤﴾ فِى جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍۭ ﴿٥﴾﴾.



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾.

﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾: دُعاءٌ عَلَيْهِ، ﴿وَتَبَّ﴾: خَبَرٌ عَنْهُ[1].

«خَسِرَتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ[2]، وَشَقِيَ بِإِيذَاءِ رَسُولَ اللهِ ﷺ، ....

---

(١) فَأَخْرَجَ قوله: ﴿تَبَّتۡ﴾ مَخْرَجَ الدُّعَاءِ عَلَيْهِ، كَقَوْلِهِ: ﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ﴾ [عبس:١٧]، وَقوله: ﴿وَتَبَّ﴾ مَخْرَجَ الْخَبَرِ، أَيْ: كَانَ ذَلِكَ وَحَصَلَ، كما تَقُولُ للرجل: (أَهْلَكَكَ اللهُ، وَقَدْ أَهْلَكَكَ)، أو تقول: (جَعَلَكَ اللهُ صَالِحًا، وَقَدْ جَعَلَكَ)، وَيُؤَيِّدُهُ قِرَاءَةُ ابْنِ مَسْعُودٍ: (**وَقَدْ تَبَّ**).

أخرج البخاري في «صحيحه» في (كتاب التفسير، سورة ١١١، رقم ٤٩٧١)، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان، باب ٨٩، رقم ٢٠٨): أن الأَعْمَش قَرَأَهَا هَكَذَا: (**وَقَدْ تَبَّ**)، وزاد ابن منده في «الإيمان» (٢/ رقم ٩٥٠): «قَالَ الْأَعْمَشُ: وَهَكَذَا هِيَ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ، وَقِرَاءَتُهُ فِي مُصْحَفِهِ عَلَىٰ هَذَا».

وانظر: «معاني القرآن» للفراء (٣/ ٢٩٨)، و«تفسير الطبري» (٢٤/ ٦٧٥)، و«تفسير الرازي» (٣٢/ ٣٥٠)، و«تفسير ابن كثير» (٨/ ٥١٤).

(٢) أخرج عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٧٣١)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٧٥ - ٦٧٦)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، في قوله: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾، قَالَ: «**خَسِرَتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَخَسِرَ**»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٦٦٦) لابن المنذر أيضا، وهو قول
=

وَقَدْ تَحَقَّقَ خُسْرَانُهُ أَبِي لَهَبٍ»(١).

﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾: ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ ﴾: نَافِيَةٌ، يَعْنِي لَمْ يُغْنِي عَنْهُ شَيْئًا مَالُهُ، وَلَا مَا كَسَبَهُ مِنْ مَالٍ وَغَيْرِهِ، وَمِنْ وَلَدٍ وَمَا أَشْبَهَ.

فَـ﴿ مَآ ﴾: نَافِيَةٌ(٢)، أَوْ ﴿ مَآ ﴾: اسْتِفْهَامِيَّةٌ(٣): ﴿ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ﴾؟

يَعْنِي مَا الَّذِي أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَمَا كَسَبَ: مِنْ وَلَدٍ(٤)، وَمَا أَشْبَهَ؟

=

ابن عباس وابن عمر وابن زيد والكلبي ومقاتل والفراء وابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص٥٤١)، واختاره ابن جرير الطبري.

(١) «التفسير الميسر» (ص٦٠٣).

(٢) فَيَكُونُ ذَلِكَ إِخْبَارًا بِأَنَّ الْمَالَ وَالْكَسْبَ لَا يَنْفَعُ فِي ذَلِكَ.

(٣) بِمَعْنَىٰ الْإِنْكَارِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَىٰ أَيُّ تَأْثِيرٍ كَانَ لِمَالِهِ وَكَسْبِهِ فِي دَفْعِ الْبَلَاءِ عَنْهُ.

(٤) أخرج عبد الرحمن بن الحسن الهمداني في «تفسير مجاهد» (ص٧٥٩)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٧٧)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَسَبَ ﴾، قَالَ: «**وَلَدُهُ هُمْ مِنْ كَسْبِهِ**»، وهو قول عائشة وابن عباس وعطاء والكلبي ومقاتل والزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٣٧٥)، وهو قول جمهور المفسرين.

وَيُؤَيِّدُهُ ما أخرجه أبو داود في «السنن» في (كتاب البيوع، باب ٧٩، رقم ٣٥٢٨ و٣٥٢٩)، والترمذي في «الجامع» في (كتاب الأحكام، باب ٢٢، رقم ١٣٥٨)، والنسائي في «المجتبىٰ» (٧/ ٢٤٠ - ٢٤١)، وابن ماجه في «السنن» في (كتاب التجارات، باب ١ و٦٤، رقم ٢١٣٧ و٢٢٩٠)، من حديث: عَائِشَةَ، قَالَتْ: قَالَ

=

«مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ، فَلَنْ يَرُدَّا عَنْهُ شَيْئًا مِنْ عَذَابِ اللهِ إِذَا نَزَلَ بِهِ»[١].

﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾: سَيَدْخُلُ نَارًا يَصْطَلِي بِحَرِّهَا، وَلَفْحِهَا[٢].

﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا﴾: وَالتَّنْكِيرُ لِلتَّعْظِيمِ، وَالتَّفْخِيمِ، وَالتَّخْوِيفِ، وَالتَّهْوِيلِ، ﴿سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ﴾.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ﴾: هِيَ أُمُّ جَمِيلٍ الْعَوْرَاءُ[٣]، ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾: وَصَفَهَا عَلَىٰ الذَّمِّ، أَوْ عَلَىٰ الحَالِ.

﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾: أَذُمُّ حَمَّالَةَ الحَطَبِ، أَوْ فِي حَالَةِ كَوْنِهَا حَمَّالَةً لِلْحَطَبِ[٤].

=

رَسُولُ اللهِ ﷺ: «إِنَّ مِنْ أَطْيَبِ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَوَلَدُهُ مِنْ كَسْبِهِ»، وصححه الألباني في «الإرواء» (٦/ رقم ١٦٢٦).

(١) «التفسير الميسر» (ص٦٠٣).

(٢) «أيسر التفاسير» (٥/ ٦٢٦).

(٣) المصدر السابق.

(٤) قَرَأَ عَاصِمٌ ﴿حَمَّالَةَ﴾ بِالنَّصْبِ وَلَهُ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: عَلَىٰ الذَّمِّ وَالشَّتْمِ لَا لِلتَّخْصِيصِ، والمعنىٰ: أعني حَمَّالَةَ الْحَطَبِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿مَّلۡعُونِينَۖ أَيۡنَمَا ثُقِفُوٓاْ﴾ [الأحزاب:٦١]، وَالثَّانِي: علىٰ الحال، أي: وامرأته حال كونها حمالة للحطب.

وَقَرَأَ الْجُمْهُورُ: (حَمَّالَةُ) بِالرَّفْعِ، وَلَهُ وَجْهَانِ: أَحَدُهُمَا: عَلَىٰ النَّعْتِ لِامْرَأَتِهِ، أَيْ: سَيَصْلَىٰ نَارًا هُوَ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ، وَالثَّانِي: عَلَىٰ أَنَّهُ خَبَرٌ لِامْرَأَتِهِ، أو لِمُبْتَدَأٍ
=

«سَيَدْخُلُ نَارًا مُتَأَجِّجَةً؛ هُوَ وَامْرَأَتُهُ الَّتِي كَانَتْ تَحْمِلُ الشَّوْكَ، فَتَطْرَحُهُ فِي طَرِيقِ النَّبِيِّ ﷺ؛ لِأَذِيَّتِهِ ﷺ»(١).

﴿فِي جِيدِهَا﴾: فِي عُنُقِهَا، ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾: الْمَسَدُ: اللِّيفُ(٢)، وَهُوَ حَبْلٌ مِنْ نَارِ جَهَنَّمَ، تُرْفَعُ بِهِ عَلَىٰ شَفِيرِ جَهَنَّمَ، ثُمَّ يُرْمَىٰ بِهَا إِلَىٰ أَسْفَلِهَا، ثُمَّ كَذَلِكَ دَائِمًا وَأَبَدًا(٣)، نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

=

مَحْذُوفٍ، تقديره: هِيَ حَمَّالَةٌ، انظر: «تفسير الطبري» (٢٤/ ٦٧٨)، و«تفسير البغوي» (٨/ ٥٨٣)، و«فتح القدير» للشوكاني (٥/ ٦٢٨).

(١) «التفسير الميسر» (ص٦٠٣)، وقد أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٧٩)، بإسناد صحيح، قَالَ ابْنُ زَيْدٍ، فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱمْرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلْحَطَبِ﴾، قَالَ: «**كَانَتْ تَأْتِي بِأَغْصَانِ الشَّوْكِ، فَتَطْرَحُهَا بِاللَّيْلِ فِي طَرِيقِ رَسُولِ اللهِ** ﷺ»، وعزاه السيوطي في «الدر» (٨/ ٦٦٧) لابن أبي حاتم أيضا، وهو قول عطية العَوْفِيِّ والضحاك ومقاتل، وروي عن ابن عباس نحوه، واختاره ابن جرير الطبري.

(٢) أيْ: اللِّيفُ الَّذِي تُفْتَلُ مِنْهُ الحبال، وقد أخرج إبراهيم الحربي في «غريب الحديث» (٢/ ٥١٩)، والطبري كما في «تفسير ابن كثير» (٨/ ٥١٦)، من طريق: وَكِيعٍ، عَنْ سُلَيْمٍ مَوْلَىٰ الشَّعْبِيِّ، عَنِ الشَّعْبِيِّ، قَالَ: «**الْمَسَدُ: اللِّيفُ**»، وهو قول مقاتل.

وقال ابن قتيبة في «تأويل مشكل القرآن» (ص١٠٣): «الْمَسَدُ: كُلُّ ما ضُفرَ وفُتِل من اللِّيف وغيره»، وقال البغوي في «تفسيره» (٨/ ٥٨٣): «الْمَسَدُ: مَا فُتِلَ وَأُحْكِمَ مِنْ أَيِّ شَيْءٍ كَانَ»، وقال ابن فارس في «مقاييس اللغة» مادة: مسد (٥/ ٣٢٣): «الْمِيمُ وَالسِّينُ وَالدَّالُ أَصْلٌ صَحِيحٌ يَدُلُّ عَلَىٰ جَدْلِ شَيْءٍ وَطَيِّهِ»، واختاره ابن جرير الطبري (٢٤/ ٦٨٢).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٥١٧) وعزاه لِبَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ، وقد أخرج نحوه الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٨١)، بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ زَيْدٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾، قَالَ:
=

وَكَانَتْ تُؤْذِي النَّبِيَّ ﷺ، وَجَاءَتْ وَهُوَ فِي مَجْلِسٍ مَعَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنه، وَفِي يَدِهَا فِهْرٌ -وَهُوَ الحَجَرُ يَمْلَأُ الكَفَّ- وَجَاءَ فِي وَجْهِهَا الشَّرُّ، فَخَافَ أَبُو بَكْرٍ مِنْ شَرِّهَا عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: لَنْ تَبْلُغَ مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا، فَجَاءَتْ حَتَّىٰ وَقَفَتْ عَلَيْهِمَا ﷺ، وَرَضِيَ اللهُ عَنِ الصِّدِّيقِ.

فَقَالَتْ: يَا أَبَا بَكْرٍ! أَيْنَ صَاحِبُكَ؟ وَالنَّبِيُّ بِجَانِبِهِ، فَلَمْ تَرَهُ.

وَقَالَ لَهَا أَبُو بَكْرٍ: وَمَا تُرِيدِينَ مِنْهُ؟

قَالَتْ: بَلَغَنِي أَنَّهُ يَهْجُونِي.

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: وَاللهِ مَا هَجَاكِ. لِأَنَّ الْقُرْآنَ لَيْسَ بِشِعْرٍ، وَلَيْسَ بِهِجَاءٍ، وَإِنَّمَا هُوَ تَقْرِيرٌ لِمَا سَيَكُونُ مِنْ شَأْنِهَا عَلَىٰ حَسَبِ مَا قَدَّرَ عَلَيْهَا رَبُّهَا.

فَقَالَ: وَاللهِ مَا هَجَاكِ.

قَالَتْ: أَنْتَ عِنْدِي صَادِقٌ. ثُمَّ ذَهَبَتْ وَالنَّبِيُّ ﷺ بِجِوَارِهِ لَا تَرَاهُ.

وَذَهَبَتْ تَقُولُ:

مُذَمَّمًا عَصَيْنَا ❁ وَدِينَهُ قَلَيْنَا

=

«حَبْلٌ مِنْ نَارٍ فِي رَقَبَتِهَا»، وقال الثوري: «حَبْلٌ فِي عُنُقِهَا فِي النَّارِ» أخرجه الطبري (٢٤/ ٦٨١)، بإسناد صحيح، وهو قول الضحاك كما في «تفسير البغوي» (٨/ ٥٨٣)، وأبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٣/ ٣١٥).

فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأَبِي بَكْرٍ: يَا أَبَا بَكْرٍ! أَلَا تَرَىٰ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي؟ إِنَّمَا يَشْتُمُونَ مُذَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ ﷺ(١).

---

(١) أخرجه الحميدي في «مسنده» (رقم ٣٢٥)، وأبو يعلىٰ في «مسنده» (١/ رقم ٥٣)، والحاكم في «المستدرك» (٢/ ٣٦١، رقم ٣٣٧٦)، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ١٩٥)، من طريق: الْوَلِيدِ بْنِ كَثِيرٍ، عَنِ ابْنِ تَدْرُسَ، عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ، قَالَتْ:

«لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ أَقْبَلَتِ الْعَوْرَاءُ أُمُّ جَمِيلٍ بِنْتُ حَرْبٍ وَلَهَا وَلْوَلَةٌ وَفِي يَدِهَا فِهْرٌ، وَهِيَ تَقُولُ: «مُذَمَّمٌ أَبَيْنَا، وَدِينَهُ قَلَيْنَا، وَأَمْرَهُ عَصَيْنَا»، وَرَسُولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ فِي الْمَسْجِدِ وَأَبُو بَكْرٍ إِلَىٰ جَنْبِهِ.

فَلَمَّا رَآهَا أَبُو بَكْرٍ قَالَ: «يَا رَسُولَ اللهِ، قَدْ أَقْبَلَتْ وَأَنَا أَخَافُ أَنْ تَرَاكَ».

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّهَا لَنْ تَرَانِي**» وَقَرَأَ قُرْآنًا اعْتَصَمَ بِهِ.

فَأَقْبَلَتْ حَتَّىٰ وَقَفَتْ عَلَىٰ أَبِي بَكْرٍ، وَلَمْ تَرَ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَقَالَتْ: «يَا أَبَا بَكْرٍ، بَلَغَنِي أَنَّ صَاحِبَكَ هَجَانِي».

فَقَالَ: «لَا وَرَبِّ هَذَا الْبَيْتِ مَا هَجَاكِ».

قَالَ: فَوَلَّتْ وَهِيَ تَقُولُ: «قَدْ عَلِمَتْ قُرَيْشٌ أَنِّي بِنْتُ سَيِّدِهَا».

والحديث ذكره الألباني في «صحيح السيرة النبوية» (ص١٣٧ - ١٣٨)، وروي نحوه عن ابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا.

وأما قوله: «**يَا أَبَا بَكْرٍ، أَلَا تَرَىٰ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي؟ إِنَّمَا يَشْتُمُونَ مُذَمَّمًا، وَأَنَا مُحَمَّدٌ** ﷺ»، فقد أخرجه البخاري في «صحيحه» في (كتاب المناقب، باب ١٧، رقم ٣٥٣٣)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا تَعْجَبُونَ كَيْفَ يَصْرِفُ اللهُ عَنِّي شَتْمَ قُرَيْشٍ وَلَعْنَهُمْ، يَشْتِمُونَ مُذَمَّمًا، وَيَلْعَنُونَ مُذَمَّمًا وَأَنَا مُحَمَّدٌ**».

«فِي عُنُقِهَا حَبْلٌ مُحْكَمٌ مِنْ لِيفٍ شَدِيدٍ، خَشِنٍ تُرْفَعُ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، ثُمَّ [تُلْقَىٰ][(١)] إِلَىٰ أَسْفَلِهَا»[(٢)].

وَالجَزَاءُ مِنْ جِنْسِ الْعَمَلِ، كَانَتْ تَأْخُذُ حَبْلًا تَحْتَطِبُ بِهِ شَوْكًا؛ لِتُلْقِيَهُ فِي طَرِيقِ الرَّسُولِ ﷺ.

إِذًا فَحَبْلُهَا فِي عُنُقِهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ تُرْفَعُ بِهِ إِلَىٰ شَفِيرِهَا، ثُمَّ تُلْقَىٰ عَلَىٰ أُمِّ رَأْسِهَا، هَكَذَا دَائِمًا أَبَدًا، نَسْأَلُ اللهَ السَّلَامَةَ وَالْعَافِيَةَ.

النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا أَمَرَهُ رَبُّهُ أَنْ يُنْذِرَ عَشِيرَتَهُ الْأَقْرَبِينَ صَعِدَ الصَّفَا، وَجَعَلَ يُنَادِي بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ قَائِلًا: وَاصَبَاحَاهُ! وَاصَبَاحَاهُ!

فَاجْتَمَعَتْ عَلَيْهِ قُرَيْشٌ فَقَالَ لَهُمْ: إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ، فَقَامَ عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ، فَانْتَدَبَ نَفْسَهُ، وَلَمْ يَقُمْ أَحَدٌ سِوَاهُ، وَلَمْ يَعْطِفْهُ عَلَىٰ النَّبِيِّ ﷺ رَحِمٌ، وَلَمْ يَرْقُبْ فِيهِ قَرَابَةً، بَلْ قَامَ -وَهُوَ عَمُّهُ- يَنْفُضُ يَدَهُ، وَيَقُولُ: تَبًّا لَكَ سَائِرَ هَذَا الْيَوْمِ، أَلِهَذَا جَمَعْتَنَا؟! فَأَنْزَلَ اللهُ هَذِهِ السُّورَةَ.

أَخْرَجَ ذَلِكَ بِنَحْوِهِ الْبُخَارِيُّ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا[(٣)].

⊙⊙⊙

---

(١) في الأصل: [تُرْمىٰ].

(٢) «التفسير الميسر» (ص٦٠٣).

(٣) أخرجه البخاري في «صحيحه» في (كتاب التفسير، سورة ١١١، رقم ٤٩٧١ و٤٩٧٢ و٤٩٧٣) وفي مواضع، ومسلم في «صحيحه» (كتاب الإيمان، باب ٨٩، رقم ٢٠٨).

الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

يَقُولُ تَعَالَىٰ مُخْبِرًا عَنْ هَذَا الْأَمْرِ: خَسِرَ أَبُو لَهَبٍ، وَتَحَقَّقَتْ خُسْرَاهُ، وَهَلَاكُهُ فَـ﴿تَبَّتْ﴾ الْأُولَىٰ دُعَاءٌ عَلَيْهِ بِالْخَيْبَةِ وَالْخَسَارَةِ وَالنَّكَالِ، وَ﴿تَبَّ﴾ الثَّانِيَةُ خَبَرٌ عَنْهُ؛ لِأَنَّهُ قَدْ خَسِرَ فِعْلاً، وَتَحَقَّقَ مَا دُعِيَ بِهِ عَلَيْهِ.

وَأَبُو لَهَبٍ: هُوَ عَبْدُ الْعُزَّىٰ، أَحَدُ أَعْمَامِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَكَانَ مِنْ أَشَدِّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَكَانَ صَاحِبَ مَالٍ وَوَلَدٍ، فَاعْتَزَّ بِمَالِهِ وَوَلَدِهِ، وَقَالَ: إِنْ كَانَ مَا يَقُولُ ابْنُ أَخِي حَقًّا: فَإِنِّي أَفْتَدِي وَأَفْتَدِي.

فَإِنِّي أَفْتَدِي: بِآبَائِنَا فِيمَا كَانُوا عَلَيْهِ، هُمْ مِنْ أَهْلِ الْفَضْلِ وَالْعَقْلِ.

وَأَفْتَدِي: بِنَفْسِي وَمَالِي وَوَلَدِي.

فَرَدَّ اللهُ عَلَيْهِ بِأَنَّهُ خَابَ وَخَسِرَ، وَلَمْ يُغْنِي عَنْهُ شَيْئًا مِنْ عَذَابِ اللهِ، لَا مَالُهُ وَلَا وَلَدُهُ.

عَبَّرَ عَنِ الْوَلَدِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا كَسَبَ﴾؛ لِأَنَّ الْوَلَدَ مِنْ كَسْبِ أَبِيهِ.

وَسَوْفَ يَدْخُلُ نَارًا، يَصْلَىٰ بِحَرِّهَا تَتَلَهَّبُ عَلَيْهِ، وَسَيَصْلَىٰ وَيُعَذَّبُ بِهَذِهِ النَّارِ أَيْضًا امْرَأَتُهُ، وَهِيَ أُمُّ جَمِيلٍ، أُخْتُ أَبِي سُفْيَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

أَخْبَرَنَا عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَحْمِلُ الشَّوْكَ تَضَعُهُ فِي طَرِيقِ رَسُولِ اللهِ ﷺ؛ لِإِيذَائِهِ، ثُمَّ وَصَفَ سُبْحَانَهُ لَوْنًا مِنْ عَذَابِهَا فِي النَّارِ، فَأَخْبَرَ أَنَّهَا تُطَوَّقُ فِي عُنُقِهَا بِحَبْلٍ أُحْكِمَ فَتْلُهُ مِنْ مَسَدِ جَهَنَّمَ، نَسْأَلُ اللهَ الْعَافِيَةَ.

● ● ●

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ[1]:

١- فِي الْآيَاتِ ذَمُّ أَبِي لَهَبٍ، وَامْرَأَتِهِ؛ لِمُعَادَاتِهِمَا رَسُولَ اللهِ ﷺ، وَلِمُعَارَضَتِهِمَا لِدَعْوَتِهِ ﷺ.

٢- وَفِي الْآيَاتِ أَنَّ كَثْرَةَ الْمَالِ وَالْوَلَدِ لَا تُغْنِي، وَلَا تَمْنَعُ مِنْ دُخُولِ النَّارِ لِمَنْ كَفَرَ بِاللهِ جَلَّ وَعَلَا.

٣- فِي الْآيَاتِ حُرْمَةُ أَذِيَّةِ الْمُؤْمِنِينَ مُطْلَقًا.

٤- وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ آيَةٌ بَاهِرَةٌ مِنْ آيَاتِ اللهِ، فَإِنَّ اللهَ أَنْزَلَ هَذِهِ السُّورَةَ، وَأَبُو لَهَبٍ، وَامْرَأَتُهُ لَمْ يَهْلِكَا بَعْدُ، وَأَخْبَرَ أَنَّهُمَا يُعَذَّبَانِ فِي النَّارِ وَلَا بُدَّ، وَمِنْ لَازِمِ ذَلِكَ أَنَّهُمَا لَا يُسْلِمَانِ، فَوَقَعَ كَمَا أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وَهَذِهِ مُعْجِزَةٌ مِنْ مُعْجِزَاتِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَآيَةٌ مِنْ آيَاتِهِ الْبَاهِرَةِ؛ لِأَنَّ اللهَ طَبَعَ عَلَىٰ هَذِهِ الْقُلُوبِ وَجَعَلَهَا فِي أَكِنَّةٍ، هِيَ لَا تَفْقَهُ وَلَا تَعِي؛ لِأَنَّ هَذَا وَامْرَأَتَهُ كَانَا مِنَ الْمُمْكِنِ أَنْ يَقُولَا: مُحَمَّدٌ يَتَوَعَّدُنَا بِالنَّارِ، مَا الَّذِي يُنْجِي مِنَ النَّارِ يَا مُحَمَّدُ؟

فَيَقُولُ ﷺ: أَنْ تُؤْمِنَا بِاللهِ الْوَاحِدِ الْغَفَّارِ، وَأَنْ تَتَّبِعَا النَّبِيَّ الْمُخْتَارَ.

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٩٣٦)، و«أيسر التفاسير» (٥/ ٦٢٧).

فَيَقُولَانِ: إِذًا سَوْفَ نُثْبِتُ لِلنَّاسِ جَمِيعًا عَلَىٰ مَرِّ الْعُصُورِ، وَكَرِّ الدُّهُورِ أَنَّ مَا تَقُولُ لَيْسَ بِحَقٍّ: (نَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ).

وَلَمْ يَفْعَلَا، وَمَاتَا عَلَىٰ كُفْرِهِمَا، فَفِي هَذِهِ الْآيَاتِ هَذَا المَعْنَىٰ.

٥- وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ عَدَمُ إِغْنَاءِ الْقَرَابَةِ شَيْئًا مَعَ الشِّرْكِ وَالْكُفْرِ، وَمَنْ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ عَمَلُهُ بَطَّأَ بِهِ نَسَبُهُ وَحَسَبُهُ.

فَأَبُو لَهَبٍ عَمُّ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ فِي هَذَا الدَّرْكِ الهَابِطِ مِنَ النَّارِ، وَزَيْدٌ مَوْلَىٰ رَسُولِ اللهِ وَهُوَ مَذْكُورٌ بِاسْمِهِ فِي كِتَابِ اللهِ، فَإِذَا مَا تَلَوْتَ كِتَابَ اللهِ جَلَّ وَعَلَا، وَذَكَرْتَ زَيْدًا فِي المَوْضُوعِ الَّذِي ذَكَرَهُ فِيهِ اللهُ أَخَذْتَ بِذِكْرِ اسْمِ زَيْدٍ ثَلَاثِينَ حَسَنَةً.

«**لَا أَقُولُ: أَلِف، لَام، مِيم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ، وَلَامٌ حَرْفٌ، وَمِيمٌ حَرْفٌ**»(١)، فَزَايٌ حَرْفٌ، وَيَاءٌ حَرْفٌ، وَدَالٌ حَرْفٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا.

فَعَدَمُ إِغْنَاءِ الْقَرَابَةِ شَيْئًا مَعَ الشِّرْكِ، وَالْكُفْرِ مِمَّا تُقَرِّرُهُ هَذِهِ السُّورَةُ.

● ● ●

---

(١) أخرجه الترمذي في «جامعه» في (كتاب فضائل القرآن، باب ١٦، رقم ٢٩١٠) ، من حديث: ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَامٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ**».

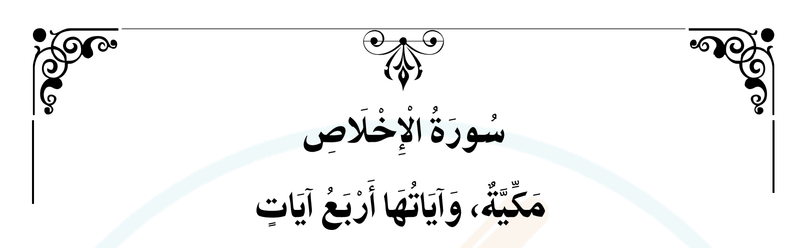
وجود إسناده الألباني في «الصحيحة» (٧/ رقم ٣٣٢٧).



بَيْنَ يَدَيْ سُورَةِ الإِخْلَاصِ

* سُورَةُ الْإِخْلَاصِ مَكِّيَّةٌ، وَقَدْ تَحَدَّثَتْ عَنْ صِفَاتِ اللهِ جَلَّ وَعَلَا الْوَاحِدِ الْأَحَدِ، الْجَامِعِ لِصِفَاتِ الْكَمَالِ، الْمَقْصُودِ عَلَىٰ الدَّوَامِ، الْغَنِيِّ عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ، الْمُتَنَزِّهِ عَنْ صِفَاتِ النَّقْصِ، وَعَنِ الْمُجَانَسَةِ وَالْمُمَاثَلَةِ، وَرَدَّتْ عَلَىٰ النَّصَارَىٰ الْقَائِلِينَ بِالتَّثْلِيثِ، وَعَلَىٰ الْمُشْرِكِينَ الْوَثَنِيِّينَ، تَعَالَىٰ اللهُ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا، الَّذِينَ جَعَلُوا لِلَّهِ الذُّرِّيَّةَ وَالْبَنِينَ.

***



سُورَةُ الْإِخْلَاصِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا أَرْبَعُ آيَاتٍ

الآيات من: ١ إلى: (٤) نهاية السورة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾.



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ(١):

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: «هُوَ»: ضَمِيرُ الشَّأْنِ(٢)؛ أَيِ: الشَّأْنُ أَنَّ الْمَسْئُولَ عَنْهُ هُوَ اللهُ(٣).

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: قُلْ هُوَ اللهُ ﴿أَحَدٌ﴾: خَبَرٌ لِمُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ: هُوَ اللهُ، فَالتَّقْدِيرُ: قُلِ: الشَّأْنُ أَنَّ الْمَسْئُولَ عَنْهُ هُوَ اللهُ، هُوَ أَحَدٌ.

فَـ﴿أَحَدٌ﴾: خَبَرٌ لِمُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، تَقْدِيرُهُ هُوَ.

وَأَحَدٌ: وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ، وَفِي صِفَاتِهِ، وَفِي أَفْعَالِهِ(٤).

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٦٢٨ - ٦٢٩).

(٢) لِأَنَّهُ مَوْضِعُ تَعْظِيمٍ، وَعَلَىٰ هَذَا التَّقْرِيرِ يَكُونُ (اللهُ): مرفوعا بِالِابْتِدَاءِ وَ(أَحَدٌ): خَبَرُهُ، وَالْجُمْلَةُ تَكُونُ خَبَرًا عَنْ (هُوَ)، وَنَظِيرُهُ قَوْلُهُ: ﴿فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الْأَنْبِيَاءِ:٩٧].

و(ضمير الشأن)، هو: ضمير غيبة يفسره جملة خبرية بعده مصرح بجزأيها، ويكون مذكرا باعتبار الشأن، ومؤنثا باعتبار القصة، ويؤتىٰ به للدلالة علىٰ قصد المتكلم استعظام السامع حديثه، انظر: حاشية الصبان علىٰ «شرح الأشمونىٰ لألفية ابن مالك» (٢/ ٨٦).

(٣) «معاني القرآن» للزجاج (٥/ ٣٧٧).

(٤) والقول بأن (أحد) بمعنىٰ: (واحد)، هو قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا كما في «زاد المسير» =

أَحَدٌ: أَصْلُهَا وَحدٌ، قُلِبَتِ «الْوَاوُ» فِيهَا هَمْزَةً، قَالَ النَّابِغَةُ[١]:

كَـأَنَّ رَحْلِـي، وَقَـدْ زَالَ النَّهَـارُ بِنَـا[٢]

يَومَ[٣] الْجَلِيلِ[٤]، عَلَىٰ مُسْتَأْنِسٍ[٥] وَحَدِ[٦]

=

لابن الجوزي (٤/ ٥٠٦) والخليل بن أحمد كما في «العين» (٣/ ٢٨٠) والفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢٩٩) وأبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٢/ ٣١٦) والزجاج في «تفسير أسماء الله الحسنىٰ» (رقم ٦٨) وغيرهم، واختاره ابن جرير الطبري (٢٤/ ٦٨٩)، وقال: «هو أشبه بمذاهب العربية».

(١) هو: أبو أمامة المعروف بالنابغة الذبياني، زياد بن معاوية بن ضباب بن جابر بن يربوع، أحد شعراء الجاهلية المشهورين ومن أعيان فحولهم، من أهل الحجاز، انظر: «تاريخ دمشق» (١٩/ ٢٢١، ترجمة ٢٣١٥)، و«الأعلام» للزركلي (٣/ ٥٤ - ٥٥).

(٢) (زَالَ النَّهَارُ بِنَا)، أيْ: انتصف النهار علينا.

(٣) في «الديوان»: [بِذِي].

(٤) (الْجَلِيْل): اسم واد بالحجاز ينْبت فيه (الْجَلِيْل)، وهو: نَبْتٌ ضَعِيفٌ قَصِيرٌ شَبِيهٌ بخوص النخل، انظر: «الصحاح» (٥/ ١٨٨١)، و«لسان العرب» مادة: ثمم (١٢/ ٧٩ - ٨١).

(٥) (المستأنس) الذي يخاف الناس فيَتَبَصَّرُ وَيَتَلَفَّتُ هَلْ يَرَىٰ أَحداً، أَراد: أَنه مَذْعُور فَهُوَ أَجَدُّ لعَدْوِه وَفِرَارِهِ وَسُرْعَتِهِ، انظر: «تهذيب اللغة» (١٣/ ٦٠)، و«لسان العرب» (٦/ ١٥).

(٦) «ديوان النابغة الذبياني» مع شرح ابن السكيت -تحقيق الدكتور شكري فيصل، نشر دار الفكر- (البيت رقم ٩، ص٦).

«عَلَىٰ مُسْتَأْنِسٍ وَحَدِ»: لَمْ تُقْلَبِ الْوَاوُ المَفْتُوحَةُ هَمْزَةً إِلَّا فِي «أَحَد»، وَفِي امْرَأَةٍ أَنَاةٍ؛ أَيْ: وَنَاة، مِنَ الْوَنَىٰ وَهُوَ الْفُتُورُ، وَقُلِبَتِ المَضْمُومَةُ فِي «أُجُوه» فَصَارَتْ: «وُجُوه»، وَالمَكْسُورَةُ فِي «إِشَاح» فَصَارَتْ: «وِشَاحا».

«﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: قُلْ يَا مُحَمَّدُ، هُوَ اللهُ المُنْفَرِدُ بِالْأُلُوهِيَّةِ، لَا يُشَارِكُهُ أَحَدٌ فِيهَا»[1].

﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾: هُوَ المَقْصُودُ وَحْدَهُ فِي قَضَاءِ الحَوَائِجِ، وَتَحْصِيلِ الرَّغَائِبِ[2]، وَ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ، يُطعِمُ وَلَا يُطْعَمُ[3].

---

(١) «التفسير الميسر» (ص٦٠٤).

(٢) أخرج عبد الرحمن بن الحسن في «تفسير مجاهد» (ص٧٦٠)، وعبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٧٣٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ رقم ٦٧١ و٦٧٢)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٩٢)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (رقم ٩٩)، بإسناد صحيح، عَنْ أَبِي وَائِلٍ شَقِيقِ بْنِ سَلَمَةَ، قَالَ: ﴿ٱلصَّمَدُ﴾: «**السَّيِّدُ الَّذِي قَدِ انْتَهَىٰ سُؤْدُدُهُ**»، ذكره البخاري في «صحيحه» معلقا في (كتاب التفسير، سورة ١١٢).

قال ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص٥٤٢): «**لأن الناس يَصْمِدُونه في حوائجهم**»، وهو قول ابن عباس وإبراهيم النخعي، وأبو عبيدة في «مجاز القرآن» (٣/ ٣١٦)، والزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٣٧٧)، واختاره ابن جرير الطبري (٢٤/ ٦٩٢ - ٦٩٣)، وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه نحوه، وقال ابن الأنباري في «الزاهر» (١/ ٨٣): «قال أهل اللغة أجمعون لا اختلاف بينهم في ذلك: الصمد عند العرب: السيِّد الذي ليسَ فوقه أحد، الذي يصمد إليه الناس في حوائجهم وأمورهم».

(٣) أخرج عبد الرحمن بن الحسن في «تفسير مجاهد» (ص٧٦٠)، وعبد الرزاق في =

﴿لَمْ يَلِدْ﴾: لَمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ؛ لِانْتِفَاءِ مَنْ يُجَانِسُهُ، [﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾: لَا يَفْنَىٰ؛ إِذْ لَا شَيْءَ يُولَدُ إِلَّا وَهُوَ فَانٍ بَائِدٌ لَا مَحَالَةَ](١).

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾: لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ شَبِيهًا لَهُ، أَوْ مَثِيلًا لَهُ؛ إِذْ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١](٢).

«قُلْ يَا مُحَمَّدُ: هُوَ اللهُ المُنْفَرِدُ بِالْأُلُوهِيَّةِ لَا يُشَارِكُهُ أَحَدٌ فِيهَا، اللهُ وَحْدَهُ المَقْصُودُ فِي قَضَاءِ الحَوَائِجِ، وَتَحْصِيلِ الرَّغَائِبِ، لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَا وَالِدٌ وَلَا

=

«تفسيره» (٣/ رقم ٣٧٣٨)، وابن أبي عاصم في «السنة» (١/ رقم ٦٧٣ و٦٧٤ و٦٧٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٩٠)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: «**الصَّمَدُ: الَّذِي لَا جَوْفَ لَهُ**»، وروي نحوه عن بريدة مرفوعا ولا يصح، وهو قول ابن عباس وسعيد بن المسيب والحسن وعكرمة وسعيد بن جبير وعامر الشعبي وأبو صالح وميسرة والضحاك ومقاتل.

قال الشوكاني في «فتح القدير» (٥/ ٦٣٤): «وَهَذَا لَا يُنَافِي الْقَوْلَ الْأَوَّلَ؛ لِجَوَازِ أَنْ يَكُونَ هَذَا أَصْلَ مَعْنَىٰ: (**الصَّمَدِ**)، ثُمَّ اسْتُعْمِلَ فِي: السَّيِّدِ الْمَصْمُودِ إِلَيْهِ فِي الْحَوَائِجِ، وَلِهَذَا أَطْبَقَ عَلَىٰ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ أَهْلُ اللُّغَةِ وَجُمْهُورُ أَهْلِ التَّفْسِيرِ».

(١) في الأصل: [﴿لَمْ يَلِدْ﴾: أي لا يفنىٰ إذ لا شيء يلد إلا وهو فان بائد لا محالة].

(٢) أخرج الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٩٣ - ٦٩٤)، وأبو الشيخ في «العظمة» (رقم ٩٦)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (رقم ٩٨)، بإسناد حسن، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، في قوله: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾، قَالَ: «**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فَسُبْحَانَ اللهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ**»، وقال أَبُو الْعَالِيَةِ: «**لَمْ يَكُنْ لَهُ شَبِيهٌ، وَلَا عَدْلٌ، وَلَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ**»، وهو أيضا قول أبي بن كعب وكعب الأحبار وعطاء وابن جريج، واختاره ابن جرير الطبري (٢٤/ ٦٩٤).

صَاحِبَةٌ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ؛ لَا فِي أَسْمَائِهِ، وَلَا فِي صِفَاتِهِ، وَلَا فِي أَفْعَالِهِ -تبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَتقَدَّسَ-»(١).

فَهُوَ الإِلَهُ الحَقُّ الَّذِي لَا تَنْبَغِي الْأُلُوهِيَّةُ إِلَّا لَهُ، وَلَا تَصْلُحُ الْعِبَادَةُ إِلَّا لَهُ، وَهُوَ السَّيِّدُ المَقْصُودُ فِي قَضَاءِ الحَوَائِجِ الَّذِي اسْتَغْنَىٰ عَنْ كُلِّ خَلْقِهِ، وَافْتَقَرَ الْكُلُّ إِلَيهِ.

﴿لَمْ يَلِدْ﴾: أَيْ لَمْ يَكُنْ وَلَدٌ؛ لِانْتِفَاءِ مَنْ يُجَانِسُهُ؛ إِذِ الْوَلَدُ يُجَانِسُ وَالِدَهُ، وَالمُجَانَسَةُ مَنْفِيَّةٌ عَنْهُ تَعَالَىٰ؛ إِذْ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ.

﴿وَلَمْ يُولَدْ﴾: لانْتِفَاءِ الحُدُوثِ عَنْهُ تَعَالَىٰ.

﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ﴾: أَيْ: وَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ كُفُوًا لَهُ، وَلَا مَثِيلًا وَلَا نَظِيرًا؛ إِذْ ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورىٰ: ١١]، وَلِذَا فَهُوَ سُبْحَانَهُ يُعَرَّفُ بِالْأَحَدِيَّةِ وَالصَّمَدِيَّةِ.

فَالْأَحَدِيَّةُ: أَنَّهُ وَاحِدٌ فِي ذَاتِهِ، وَصِفَاتِهِ، وَأَفْعَالِهِ، لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوٌ، وَلَا شَبِيهٌ وَلَا نَظِيرٌ.

وَالصَّمَدِيَّةُ: أَنَّهُ المُسْتَغْنِي عَنْ كُلِّ مَا سِوَاهُ(٢)، وَالْكُلُّ مُفْتَقِرٌ إِلَيْهِ فِي وُجُودِهِ وَبَقَائِهِ.

---

(١) «التفسير الميسر» (ص٦٠٤).

(٢) عزىٰ هذا القول الماوردي في «تفسيره» (٦/ ٣٧٢) لأبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وهو بمعنىٰ قول شقيق، والله أعلم.



الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ(١):

قُلْ يَا مُحَمَّدُ قَوْلًا جَازِمًا بِهِ، مُعْتَقِدًا لَهُ، عَارِفًا لِمَعْنَاهُ؛ رَدًّا عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ قَالُوا لَهُ: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، كَمَا أَخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ فِي «الْمُسْنَدِ»(٢)، بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ: عَنْ أَبِي الْعَالِيَةِ، عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَنَّ الْمُشْرِكِينَ قَالُوا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: انْسُبْ لَنَا رَبَّكَ، فَأَنْزَلَ اللهُ جَلَّ وَعَلَا هَذِهِ السُّورَةَ».

فَقُلْ لَهُمْ يَا مُحَمَّدُ قَوْلًا جَازِمًا بِهِ، مُعْتَقِدًا لَهُ، عَارِفًا بِمَعْنَاهُ: اللهُ أَحَدٌ، لَا شَبِيهَ لَهُ، وَلَا مَثِيلَ وَلَا نَظِيرَ لَهُ.

وَالصَّمَدُ هُوَ السَّيِّدُ الَّذِي يُصْمَدُ إِلَيْهِ، فَيَصْمُدُ إِلَيهِ الخَلَائِقُ فِي حَوَائِجِهِمْ، وَيَقْصِدُونَهُ فِي جَلْبِ النَّفْعِ وَدَفْعِ الضُّرِّ عَنْهُمْ.

وَتِلْكَ هِيَ صِفَاتُ الإِلَهِ الحَقِّ المَعْبُودِ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ، لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ، وَلَا وَالِدٌ، وَلَا صَاحِبَةٌ، وَهُوَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ أَحَدٌ كُفُوًا، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١].

---

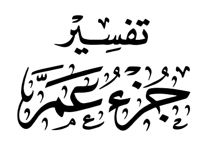
(١) «تفسير السعدي» (ص٩٣٧).

(٢) «مسند الإمام أحمد» (٥/ ١٣٣ - ١٣٤، رقم ٢١٢١٩)، وأخرجه أيضا الترمذي في «الجامع» في (كتاب التفسير، باب ٩٣، رقم ٣٣٦٤)، وأعله بالإرسال، وقواه بشواهده الألباني في «الضعيفة» (١١/ ٣٥٠، رقم ٥٢٠٦).

تُسَمَّىٰ هَذِهِ السُّورَةُ: سُورَةَ الإِخْلَاصِ؛ لِأَنَّهَا تَشْتَمِلُ عَلَىٰ تَوْحِيدِ اللهِ فِي أَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَقَدْ وَرَدَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ فِي فَضْلِهَا: «**إِنَّهَا تَعْدِلُ ثُلُثَ الْقُرْآنِ**»(١).

◉◉◉

(١) أخرجه البخاري في «صحيحه» في (كتاب فضائل القرآن، باب ١٣، رقم ٥٠١٣ و٥٠١٤ و٥٠١٥) وفي مواضع، من حديث: أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وأخرجه أيضا مسلم في «صحيحه» في (كتاب صلاة المسافرين، باب ٤٥، رقم ٨١١)، من حديث: أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفيه أيضا (رقم ٨١٢)، من حديث: أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.





مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ:

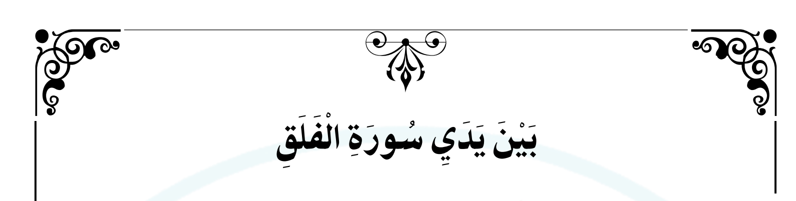
١- فِي السُّورَةِ: تَوْحِيدُ الْأَسْمَاءِ وَالصِّفَاتِ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ يُثْبِتُونَ للهِ جَلَّ وَعَلَا مَا أَثْبَتَهُ لِنَفْسِهِ فِي كِتَابِهِ أَوْ عَلَىٰ لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ، وَيَنْفُونَ عَنْهُ مَا نَفَاهُ عَنْ نَفْسِهِ، أَوْ نَفَاهُ عَنْهُ رَسُولُهُ ﷺ مِنْ غَيْرِ تَكْيِيفٍ، وَلَا تَمْثِيلٍ، وَمِنْ غَيْرِ تَحْرِيفٍ، وَلَا تَعْطِيلٍ.

٢- وَفِي هَذِهِ السُّورَةِ: رَدٌّ عَلَىٰ جَمِيعِ طَوَائِفِ الشِّرْكِ وَالضَّلَالِ الَّذِينَ نَسَبُوا للهِ الْوَلَدَ -تَعَالَىٰ اللهُ عمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا-.

٣- وَفِيهَا: أَنَّ كُلَّ صِفَةِ كَمَالٍ فَاللهُ أَوْلَىٰ بِهَا، وَأَنَّ كُلَّ صِفَةِ نَقْصٍ فَاللهُ تَعَالَىٰ مُنَزَّهٌ عَنْهَا -سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُ الظَّالمون عُلُوًّا كَبِيرًا-.

***



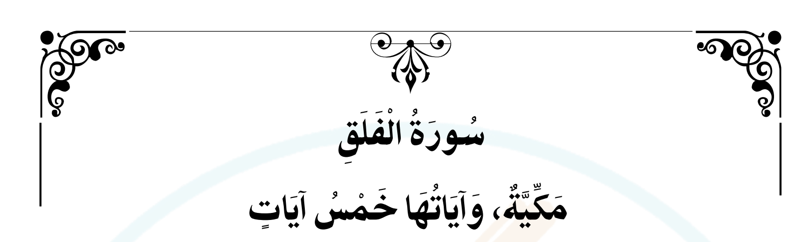


بَيْنَ يَدَيِ سُورَةِ الْفَلَقِ

* سُورَةُ الْفَلَقِ مَكِّيَّةٌ، وَفِيهَا تَعْلِيمٌ لِلْعِبَادِ أَنْ يَلْجَئُوا إِلَىٰ حِمَىٰ الرَّحْمَنِ، وَيَسْتَعِيذُوا بِجَلَالِهِ وَسُلْطَانِهِ، مِنْ شَرِّ مَخْلُوقَاتِهِ، وَمِنْ شَرِّ اللَّيْلِ إِذَا أَظْلَمَ، لِمَا يُصِيبُ النُّفُوسَ فِيهِ مِنَ الْوَحْشَةِ، وَلِانْتِشَارِ الْأَشْرَارِ وَالْفُجَّارِ فِيهِ، وَمِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدٍ وَسَاحِرٍ، وَهِيَ إِحْدَىٰ الْمُعَوِّذَتَيْنِ اللَّتَيْنِ كَانَ ﷺ يُعَوِّذُ نَفْسَهُ بِهِمَا.

●●●





سُورَةُ الفَلَقِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا خَمْسُ آيَاتٍ

الآيات من: ١ إلى: (٥) نهاية السورة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾.



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[١]:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾: ﴿أَعُوذُ﴾: أَلُوذُ، وَأَعْتَصِمُ، وَأَلْتَجِئُ مُعْتَصِمًا بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَالْفَلَقُ: الصُّبْحُ[٢]، وَهُوَ اخْتِيَارُ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ[٣].

«قُلْ يَا مُحَمَّدُ: أَعُوذُ، وَأَعْتَصِمُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَهُوَ الصُّبْحُ»[٤].

﴿مِن شَرِّ مَا خَلَقَ﴾: مِنْ حَيَوَانٍ، وَجَمَادٍ، وَغَيْرِهِ.

«﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾: مِنْ شَرِّ لَيْلٍ شَدِيدِ الظُّلْمَةِ، ﴿إِذَا وَقَبَ﴾: إِذَا دَخَلَ وَتَغَلْغَلَ، وَمَا فِيهِ مِنَ الشُّرُورِ وَالْمُؤْذِيَاتِ»[٥].

---

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٦٢٩ - ٦٣٠).

(٢) أخرج عبد الرحمن بن الحسن في «تفسير مجاهد» (ص٧٦١)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٠١)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَالَ: «**الْفَلَقُ: الصُّبْحُ**»، وذكره البخاري في «صحيحه» معلقا في (كتاب التفسير، سورة ١١٣)، وروي نحوه عن جابر وابن عباس رضي الله عنهم، وهو قول محمد بن كعب القرظي والحسن وسعيد بن جبير وقتادة وابن زيد، واختاره ابن جرير الطبري (٢٤/ ٧٠١ - ٧٠٢).

(٣) «صحيحه» في (كتاب التفسير، سورة ١١٣)، قال: «قَالَ مُجَاهِدٌ: الفَلَقُ: الصُّبْحُ، وَ﴿غَاسِقٍ﴾: اللَّيْلُ، ﴿إِذَا وَقَبَ﴾: غُرُوبُ الشَّمْسِ، يُقَالُ: أَبْيَنُ مِنْ فَرَقِ وَفَلَقِ الصُّبْحِ».

(٤) «التفسير الميسر» (ص٦٠٤).

(٥) المصدر السابق، وهو معنىٰ قول مجاهد، الذي أخرجه عبد الرحمن بن الحسن في =

﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ﴾: اللَّيْلُ إِذَا أَظْلَمَ أَوِ الْقَمَرُ [إِذَا طَلَعَ][(١)]؛ لِحَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا الَّذِي أَخْرَجَهُ التِّرمِذِيُّ[(٢)]: أَخَذَ رَسُولُ اللهِ ﷺ -تَقُولُ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا- بِيَدِي أَرَانِي الْقَمَرَ حِينَ يَطْلُعُ، وَقَالَ: «**تَعَوَّذِي بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الْغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ**».

=

«تفسير مجاهد» (ص٧٦١)، والحربي في «غريب الحديث» (٢/ ٧١٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٠٢)، بإسناد صحيح، عَنْ مُجَاهِدٍ، قَوْلُهُ: ﴿غَاسِقٍ﴾، قَالَ: «**اللَّيْلُ**»، ﴿إِذَا وَقَبَ﴾، قَالَ: «**إِذَا دَخَلَ**»، وهو قول ابن عباس والحسن ومحمد بن كعب القرظي.

(١) في «أيسر التفاسير»: [**إِذَا غَابَ**].

(٢) أخرجه الترمذي في «الجامع» في (كتاب التفسير، باب ٩٤، رقم ٣٣٦٦)، بلفظ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَظَرَ إِلَىٰ القَمَرِ، فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ اسْتَعِيذِي بِاللهِ مِنْ شَرِّ هَذَا، فَإِنَّ هَذَا هُوَ الغَاسِقُ إِذَا وَقَبَ**»، وصححه الألباني في «الصحيحة» (١/ رقم ٣٧٢).

قال البغوي في «تفسيره» (٨/ ٥٩٥) بعد إخراجه لهذا الحديث: «فَعَلَىٰ هَذَا: الْمُرَادُ بِهِ: الْقَمَرُ إِذَا خَسَفَ وَاسْوَدَّ، ﴿وَقَبَ﴾، أَيْ: دَخَلَ فِي الْخُسُوفِ وَأَخَذَ فِي الْغَيْبُوبَةِ وَأَظْلَمَ»، وقال الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٠٤): «وأولىٰ الأقوال في ذلك عندي بالصواب: أن يقال: إن الله أمر نبيه ﷺ أن يستعيذ ﴿وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ﴾، وهو الذي يُظْلم، يقال: قد غَسَق الليل يَغْسُق غسوقا: إذا أظلم، ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ يعني: إذا دخل في ظلامه؛ والليل إذا دخل في ظلامه غاسق، والنجم إذا أفل غاسق، والقمر غاسق إذا وقب، ولم يخصص بعض ذلك بل عمّ الأمر بذلك، فكلّ غاسق، فإنه ﷺ كان يُؤمر بالاستعاذة من شره إذا وقب».

إِذَا دَخَلَ ظَلَامُهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ، إِذَا فَسَّرْتَ الْغَاسِقَ بِاللَّيْلِ، وَإِذَا فَسَّرْتَ الْغَاسِقَ بِالْقَمَرِ حِينَ يَطْلُعُ -كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فِي وَصْفِ مَا كَانَ- فَهُوَ الْقَمَرُ إِذَا طَلَعَ.

﴿وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّٰثَٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ﴾: النَّفَّاثَات: السَّوَاحِرُ يَعْقُدْنَ الخَيْطَ؛ لِيَنْفُثْنَ فِيهِ السِّحْرَ فِيمَا يَعْقِدْنَ مِنْ خَيْطٍ فِي الْعُقَدِ.

﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾: إِذَا أَظْهَرَ حَسَدَهُ وَأَعْمَلَهُ.

«وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ مُبْغِضٍ لِلنَّاسِ عَلَىٰ مَا وَهَبَهُمُ اللهُ مِنْ نِعَمٍ، يُرِيدُ زَوَالَهَا عَنْهُمْ»(١).

﴿إِذَا حَسَدَ﴾: إِذَا جَعَلَ ذَلِكَ فِي نَفْسِهِ لَا يَضُرُّهُ، فَمَا خَلَا جَسَدٌ مِنْ حَسَدٍ، لَكِنَّ اللَّئِيمَ يُبْدِيهِ وَالْكَرِيمَ يُخْفِيهِ، وَلما سُئِلَ الحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ: أَيَحْسُدُ المُؤْمِنُ؟ قَالَ: «وَيْحَكَ، وَمَا أَنْسَاكَ إِخْوَةَ يُوسُفَ؟!»(٢). وَهُمْ مُؤْمِنُونَ بِاتِّفَاقٍ، وَمَعَ ذَلِكَ

---

(١) «التفسير الميسر» (ص٦٠٤)، وهذا معنىٰ قول قتادة، الذي أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (٣/ رقم ٣٧٤٥)، والطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٧٠٥)، بإسناد صحيح، عَنْ قَتَادَةَ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَىٰ: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾، قَالَ: «مِنْ شَرِّ عَيْنِهِ وَنَفْسِهِ»، أي: من شرّ كلّ حاسد إذا حسد، واختاره ابن جرير الطبري (٢٤/ ٧٠٥ - ٧٠٦)، وقال: «لأن الله جل ثناؤه لم يخصص من قوله: ﴿وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾ حاسدا دون حاسد، بل عمّ أمره إياه بالاستعاذة من شرّ كلّ حاسد، فذلك علىٰ عمومه».

(٢) أخرجه هناد بن السري في «الزهد» (٢/ ٦٤٢)، وابن حبان في «روضة العقلاء» - =

حَسَدُوا أَخَاهُمْ، حَتَّىٰ كَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَعَهُمْ مَا كَانَ، فَحَسَدُوهُ، وَأَوْقَعُوا عَلَيْهِ مَا أَوْقَعُوهُ، وَهُمْ مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ.

فَمَا خَلَا جَسَدٌ مِنْ حَسَدٍ، وَلَكِنَّ الْكَرِيمَ يُخْفِيهِ وَاللَّئِيمَ يُبْدِيهِ.

هَلْ يَضُرُّكَ إِذَا وَجَدْتَهُ فِي نَفْسِكَ؟

لَا يَضُرُّكَ إِلَّا إِذَا عَدَّيْتَ بِهِ يَدًا أَوْ لِسَانًا، وَإِذَا رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ فَعَلَيْكَ أَنْ تُبَرِّكَ عَلَيْهِ، سَوَاءٌ كَانَ مِنْ مَالِكَ أَوْ مِنْ مَالِ أَخِيكَ، وَأَنْ تَسْأَلَ اللهَ الزِّيَادَةَ لَكَ وَلَهُ.

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَقِيَنَا شَرَّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ.

●●●

=

تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية- (ص١٣٦)، وأبو الشيخ الأصبهاني في «التوبيخ والتنبيه» (رقم ٧٢)، بإسناد صحيح، عَنْ حُمَيْدٍ، قَالَ: سَأَلَ رَجُلٌ الْحَسَنَ، فَقَالَ: «يَا أَبَا سَعِيدٍ أَيَحْسُدُ الْمُؤْمِنُ؟» قَالَ: «**لَا أَبَا لَكَ، أَمَا أَنْسَاكَ بَنِي يَعْقُوبَ حَيْثُ حَسَدُوا يُوسُفَ**»، قَالَ: «**نَعَمْ، وَلَكِنْ غُمَّ الْحَسَدَ فِي صَدْرِكَ، فَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكَ مَا لَمْ يَعْدُ لِسَانَكَ، أَوْ تَعْمَلْ بِهِ يَدُكَ**».

الْمَعْنَى الْإِجْمَالِيُّ:

أَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ بِالِالْتِجَاءِ إِلَىٰ رَبِّ الْفَلَقِ، وَالِاعْتِصَامِ بِهِ، وَأَنْ يَسْتَعِيذَ مِنْ شَرِّ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَمِنْ شَرِّ اللَّيْلِ إِذَا دَخَلَ بِظَلَامِهِ، وَمِنْ شَرِّ الْقَمَرِ إِذَا طَلَعَ؛ لِأَنَّهُ أَوَانُ عَقْدِ الْعُقَدِ مَعَ النَّفْثِ فِيهَا سِحْرًا مِنَ السَّوَاحِرِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَسْتَعِيذَ مِنْ شَرِّ السَّوَاحِرِ إِذَا رَقَيْنَ، وَنَفَثْنَ فِي عُقَدِ الخَيْطِ، وَمِنْ شَرِّ أَيِّ حَاسِدٍ إِذَا أَظْهَرَ حَسَدَهُ، وَعَمِلَ بِهِ.

وَالحَسَدُ لَيْسَ كَمَا يَظُنُّ النَّاسُ، إِنَّ الشَّائِعَ عِنْدَ النَّاسِ أَنَّ الحَسَدَ تَمَنِّي زَوَالِ النِّعْمَةِ عَنِ المَحْسُودِ، هَذَا خَطَأٌ كَبِيرٌ.

وَإِنَّمَا الحَسَدُ: كَرَاهَةُ النِّعْمَةِ عَلَىٰ المَحْسُودِ، فَإِذَا وَجَدْتَ فِي نَفْسِكَ كَرَاهَةَ نِعْمَةٍ أَنْعَمَ اللهُ بِهَا عَلَىٰ أَخِيكَ؛ فَأَنْتَ لَهُ حَاسِدٌ، لَا أَنْ تَتَمَنَّىٰ زَوَالَ النِّعْمَةِ؛ هَذَا إِغْرَاقٌ وَإِيغَالٌ فِي الحَسَدِ.

وَأَمَّا الحَسَدُ فَهُوَ كَرَاهَةُ النِّعْمَةِ عَلَىٰ المَحْسُودِ، إِذَا أَنْعَمَ اللهُ عَلَىٰ أَخِيكَ بِنِعْمَةٍ كَرِهْتَهَا؛ فَأَنْتَ لَهُ حَاسِدٌ، فَاسْتَغْفِرْ رَبَّكَ، وَادْعُ لَهُ فَقَدْ ظَلَمْتَهُ؛ لِأَنَّ الَّذِي أَنْعَمَ عَلَيْهِ هُوَ مَنْ لَا يُرَاجَعُ وَهُوَ اللهُ، وَلَهُ فِي الْغِنَىٰ عَلَيْهِ حِكْمَةٌ، وَفِي

التَّضْيِيقِ عَلَيكَ حِكْمَةٌ، وَلَوْ أَنَّهُ وَسَّعَ عَلَيكَ لَرُبَّمَا ضَرَّكَ التَّوْسِيعُ، وَالْأَمْرُ للهِ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ.

الخِطَابُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَهُوَ عَامٌّ لِلْأُمَّةِ.

◉◉◉

مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ[1]:

١- فِي الْآيَاتِ: الْأَمْرُ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِاللهِ مِنْ جَمِيعِ أَنْوَاعِ الشُّرُورِ عُمُومًا وَخُصُوصًا، فَتَتَوَجَّبُ الِاسْتِعَاذَةُ بِجَنَابِهِ تَعَالَىٰ مِنْ كُلِّ مَخُوفٍ، لَا يَقْدِرُ الْمَرْءُ عَلَىٰ دَفْعِهِ لِخَفَائِهِ، أَوْ عَدَمِ الْقُدْرَةِ عَلَيْهِ.

٢- وَدَلَّتِ الآيَاتُ عَلَىٰ أَنَّ السِّحْرَ لَهُ حَقِيقَةٌ، يُخْشَىٰ مِنْ ضَرَرِهِ، وَيُسْتَعَاذُ بِاللهِ مِنْهُ وَمِنْ أَهْلِهِ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ كُلِّ سَاحِرٍ وَحَاسِدٍ، فَأَعِذْنَا، وَأَغِثْنَا يَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ.

٣- وَفِي الْآيَاتِ: تَحْرِيمُ النَّفْثِ فِي الْعُقَدِ؛ إِذْ هُوَ مِنَ السِّحْرِ، وَالسِّحْرُ كُفْرٌ، وَحَدُّ السَّاحِرِ ضَرْبَةٌ بِالسَّيْفِ.

٤- وفِي الْآيَاتِ: التَّنْبِيهُ عَلَىٰ أَنَّ الحَسَدَ مِنْ أَقْبَحِ الخِصَالِ، وَأَشَدِّهَا ضَرَرًا؛ وَلِذَا خُتِمَتْ هَذِهِ السُّورَةُ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنْ شَرِّ الحَاسِدِينَ.

وَالْغِبْطَةُ لَيْسَتْ مِنَ الحَسَدِ كَمَا فِي الحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ**»[2].

---

(١) «تفسير السعدي» (ص٩٣٧)، و«أيسر التفاسير» (٥/ ٦٣١).

(٢) أخرجه البخاري في (فضائل القرآن، باب ٢٠، رقم ٥٠٢٥) وفي (التوحيد، باب ٤٥، =

هَذِهِ هِيَ الْغِبْطَةُ، أَنْ تَتَمَنَّىٰ أَنْ يَكُونَ لَكَ كَمِثْلِ أَخِيكَ، مَعَ التَّبْرِيكِ عَلَىٰ مَا آتَاهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ وَالدُّعَاءِ لَهُ بِالْبَرَكَةِ فِيهِ.

فَالمُرَادُ بِقَوْلِهِ ﷺ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَينِ**»: الْغِبْطَةُ، لَا أَنْ تَكْرَهَ النِّعْمَةَ عَلَىٰ أَخِيكَ، وَإِنَّمَا أَنْ تَتَمَنَّىٰ أَنْ يَكُونَ لَكَ كَمِثْلِ أَخِيكَ، أَوْ أَفْضَلَ مِمَّا آتَىٰ اللهُ أَخًا لَكَ، وَاللهُ هُوَ الجَوَادُ الْكَرِيمُ.

أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَمُنَّ عَلَيْنَا بِالخَيرِ كُلِّهِ، ظَاهِرًا وَبَاطِنًا، وَأَنْ يُثَبِّتَنَا عَلَىٰ الهُدَىٰ وَالحَقِّ حَتَّىٰ نَلْقَىٰ وَجْهَهُ الكَرِيمَ، وَأَنْ يُجَنِّبَنَا الزَّلَلَ، وَالزَّيْغَ وَالْبِدْعَةَ؛ إِنَّهُ هُوَ الجَوَادُ الْكَرِيمُ.

⊙⊙⊙

=

رقم ٧٥٢٩)، ومسلم في (صلاة المسافرين، باب ٤٧، رقم ٨١٥)، من حديث: ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَا حَسَدَ إِلَّا فِي اثْنَتَيْنِ: رَجُلٌ آتَاهُ اللهُ الْقُرْآنَ فَهُوَ يَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ، وَرَجُلٌ آتَاهُ اللهُ مَالًا، فَهُوَ يُنْفِقُهُ آنَاءَ اللَّيْلِ، وَآنَاءَ النَّهَارِ**».

والحديث أيضا في «الصحيحين» من حديث: ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وفي «صحيح البخاري» من حديث: أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.



بَيْنَ يَدَيْ سُورَةِ النَّاسِ

* سُورَةُ النَّاسِ مَكِّيَّةٌ، وَهِيَ ثَانِي الْمُعَوِّذَتَيْنِ، وَفِيهَا الِاسْتِجَارَةُ وَالِاحْتِمَاءُ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، مِنْ شَرِّ أَعْدَىٰ الْأَعْدَاءِ، إِبْلِيسَ وَأَعْوَانِهِ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ، الَّذِينَ يَغْوُونَ النَّاسَ بِأَنْوَاعِ الْوَسْوَسَةِ وَالْإِغْوَاءِ.

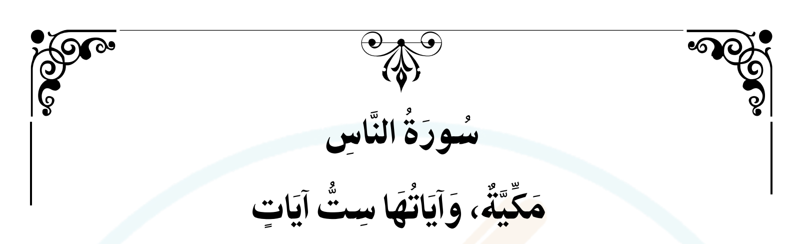
* وَقَدْ خُتِمَ الْكِتَابُ الْعَزِيزُ بِالْمُعَوِّذَتَيْنِ وَبُدِئَ بِالْفَاتِحَةِ، لِيَجْمَعَ بَيْنَ حُسْنِ الْبَدْءِ، وَحُسْنِ الْخَتْمِ، وَذَلِكَ غَايَةُ الْحُسْنِ وَالْجَمَالِ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ يَسْتَعِينُ بِاللهِ وَيَلْتَجِئُ إِلَيْهِ، مِنْ بِدَايَةِ الْأَمْرِ إِلَىٰ نِهَايَتِهِ.

●●●









سُورَةُ النَّاسِ

مَكِّيَّةٌ، وَآيَاتُهَا سِتُّ آيَاتٍ

الآيات من: ١ إلى: (٦) نهاية السورة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ ﴿٦﴾﴾.



تَفْسِيرُ الْآيَاتِ[(١)]:

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾: أَعُوذُ: أَعْتَصِمُ، وَأَسْتَجِيرُ، وَأَلُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، الْقَادِرِ وَحْدَهُ عَلَىٰ رَدِّ شَرِّ الْوَسْوَاسِ، ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾: يُرَبِّيهِمْ بِنِعَمِهِ.

﴿مَلِكِ ٱلنَّاسِ﴾: مَالِكُهُمْ، وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهِمْ.

﴿إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ﴾: مَعْبُودُهُمُ الحَقُّ.

وَهَذِهِ ثَلَاثُ صِفَاتٍ: الرُّبُوبِيَّةُ، وَالمُلْكُ، وَالإِلَهِيَّةُ.

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾.

«قُلْ يَا مُحَمَّدُ: أَعْتَصِمُ بِرَبِّ النَّاسِ، الْقَادِرِ وَحْدَهُ عَلَىٰ رَدِّ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الخَنَّاسِ، هُوَ مَلِكُ النَّاسِ، المُتَصَرِّفُ فِي كُلِّ شُئُونِهِمْ، وَهُوَ الْغَنِيُّ عَنْهُمْ، وَهُوَ إِلَهُ النَّاسِ الَّذِي لَا مَعْبُودَ بِحَقٍّ سِوَاهُ.

أَعْتَصِمُ بِرَبِّ النَّاسِ مَلِكِ النَّاسِ، إِلَهِ النَّاسِ مِنْ أَذَىٰ الشَّيْطَانِ الَّذِي يُوَسْوِسُ عِنْدَ الْغَفْلَةِ، وَيَخْتَفِي عِنْدَ ذِكْرِ اللهِ تَعَالَىٰ»[(٢)].

---

(١) «تفسير البغوي» (٨/ ٥٩٧)، و«تفسير ابن كثير» (٨/ ٥٤٠).

(٢) «التفسير الميسر» (ص٦٠٤).

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾: وَالْوَسْوَاسِ: يَكُونُ اسْمًا، وَيَكُونُ صِفَةً.

﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ﴾: الشَّيْطَانُ، ﴿ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ﴾: الرَّجَّاعُ الَّذِي يَرْجِعُ إِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ، فَإِذَا لَمْ يَذْكُرْ رَجَعَ فَوَضَعَ رَأْسَهُ، فَيَخْنَسُ، وَيَتَرَاجَعُ إِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ، فَهُوَ وَسْوَاسٌ خَنَّاسٌ،

«يَبُثُّ الشَّرَّ وَالشُّكُوكَ فِي صُدُورِ النَّاسِ»(١).

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ﴾؛ يُلْقِي أَحَادِيثَ السُّوءِ فِي صُدُورِ النَّاسِ؛ بِالْكَلَامِ الخَفِيِّ الَّذِي يَصِلُ مَفْهُومُهُ إِلَىٰ الْقَلْبِ مِنْ غَيرِ سَمَاعٍ.

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾: بِالْكَلَامِ الخَفِيِّ الَّذِي يَصِلُ مَفْهُومُهُ إِلَىٰ الْقَلْبِ مِنْ غَيرِ سَمَاعٍ.

﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾: هَلْ يَخْتَصُّ هَذَا بِبَنِي آدَمَ كَمَا هُوَ الظَّاهِرُ، أَوْ يَعُمُّ بَنِي آدَمَ وَالجِنَّ؟

قَوْلَانِ: وَيَكُونُونَ -أَيِ الجِنُّ- قَدْ دَخَلُوا فِي لَفْظِ النَّاسِ تَغْلِيبًا عَلَىٰ الْقَولِ الثَّانِي، يَعْنِي: إِمَّا أَنْ يَكُونَ عَلَىٰ ظَاهِرِهِ، وَالنَّاسُ هُمُ النَّاسُ مِنْ بَنِي آدَمَ(٢)، أَوْ يَدْخُلُ الجِنُّ مَعَ الإِنْسِ(٣).

(١) المصدر السابق.

(٢) وهو قول الزجاج في «معاني القرآن» (٥/ ٣٨١)، وقال: «**المعنىٰ: مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ، ومِنْ شَرِّ النَّاسِ**»، فيكون (الناس) معطوفا علىٰ (الوسواس).

(٣) وهو قول الفراء في «معاني القرآن» (٣/ ٣٠٢)، وابن جرير الطبري كما سيأتي.

فهَذَا هُوَ الْقَوْلُ الثَّانِي، فَيَدْخُلُ الجِنُّ فِي لَفْظِ النَّاسِ تَغْلِيبًا، قَالَ ابْنُ جَرِيرٍ[١]: «قَدِ اسْتُعْمِلَ فِيهِمْ -كَمَا فِي الْقُرآنِ- رِجَالٌ مِنَ الجِنِّ، فَلَا بِدَعَ فِي إِطْلَاقِ النَّاسِ عَلَيْهِم: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ [الجن: ٦]».

فَاسْتُعْمِلَ فِيهِمْ: ﴿رِجَالٌ مِنَ الجِنِّ﴾، فَلَا بِدَعَ فِي إِطْلَاقِ النَّاسِ عَلَيْهِم.

وَقَوْلُهُ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ هَلْ هُوَ تَفْصِيلٌ لِقَوْلِهِ: ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾، ثُمَّ بَيَّنَهُمْ فَقَالَ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

هَذَا -إِنْ كَانَ ذَلِكَ كَذَلِكَ- يُقَوِّي الْقَوْلَ الثَّانِي: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾.

وَقِيلَ: قَوْلُهُ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾: تَفْسِيرٌ لِلَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، فَمِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ هُوَ مِنَ الإِنْسِ، كَمَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا﴾ [الأنعام: ١١٢].

بَلْ إِنَّ شَيْطَانَ الجِنِّ إِذَا ذَكَرْتَ اللهَ خَنَسَ، وَأَمَّا شَيْطَانُ الإِنْسِ فَلَوْ قَرَأْتَ عَلَيْهِ الخَتْمَةَ مَا ازْدَادَ إِلَّا عُتُوًّا، نَسْأَلُ اللهُ الْعِصْمَةَ مِنْ هَذَا وَهَذَا.



---

(١) «تفسيره» (٢٤/ ٧١١).

المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ[(١)]:

أَمَرَ اللهُ رَسُولَهُ ﷺ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِهِ وَالِالْتِجَاءِ إِلَيهِ، فَهُوَ رَبُّ النَّاسِ وَمَالِكُهُمْ، وَالمُتَصَرِّفُ فِيهِمْ، وَمُدَبِّرُ أُمُورِهِمْ، وَهُوَ إِلَهُ النَّاسِ وَمَعْبُودُهُمْ، الَّذِي لَا يَسْتَحِقُّ الْعِبَادَةَ غَيْرُهُ، وَلَهُ سُبْحَانَهُ الرُّبُوبِيَّةُ، وَالمُلْكُ، وَالْأُلُوهِيَّةُ.

وَجُمْلَةُ هَذِهِ الِاسْتِعَاذَاتِ تَكُونُ مِنْ شَرِّ الشَّيْطَانِ فَهُوَ الْوَسْوَاسُ، سُمِّيَ بِفِعْلِهِ؛ مُبَالَغَةً، أَيْ: هُوَ كَثِيرُ الْوَسْوَسَةِ، وَهُوَ أَيْضًا الخَنَّاسُ، الَّذِي مِنْ عَادَتِهِ أَنْ يَخْنَسَ، وَيَتَأَخَّرَ إِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ، وَإِذَا غَفَلَ رَجَعَ وَوَسْوَسَ.

وَالَّذِي دَأْبُهُ الْوَسْوَسَةُ فِي قُلُوبِ النَّاسِ، وَوَسْوَسَتُهُ: الدَّعْوَةُ لِطَاعَتِهِ، فَهُوَ دَاعِيَةٌ! وَلَكِنَّهُ دَاعِيَةُ كُفْرٍ وَسُوءٍ، وَالشَّيْطَانُ لَا يَتَوَانَىٰ عَنِ الدَّعْوَةِ إِلَىٰ كُفْرِهِ وَشِرْكِهِ، نَسْأَلُ اللهَ الْعِصْمَةَ مِنْ ذَلِكَ.

الْوَسْوَسَةُ: الصَّوْتُ الخَفِيُّ، وَلَيْسَتِ الْوَسْوَسَةُ قَاصِرَةً عَلَىٰ الجِنِّ وَشَيَاطِينِهِمْ، بَلْ فِي الإِنْسِ شَيَاطِينُ يُوَسْوِسُونَ، وَيَدْعُونَ إِلَىٰ الْبَاطِلِ وَطُرُقِ الشَّرِّ؛ وَلِهَذَا قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾: أَيِ الَّذِينَ يُوَسْوِسُونَ: بَعْضُهُمْ مِنْ شَيَاطِينِ

---

(١) «تفسير القرطبي» (٢٠/ ٢٦١ - ٢٦٤)، و«فتح القدير» (٥/ ٦٤٢ - ٦٤٤)، و«تفسير السعدي» (ص٩٣٧).

الجِنِّ يُوَسْوِسُونَ فِي الصُّدُورِ، وَبَعْضُهُمْ مِنْ شَيَاطِينِ الْإِنْسِ يُوَسْوِسُونَ عَلَانِيَةً، فَأَمَرَ اللهُ بِالِاسْتِعَاذَةِ مِنَ الْفَرِيقَيْنِ، وَالِالْتِجَاءِ إِلَيهِ تَعَالَىٰ مِنْ شُرُورِهِمْ.

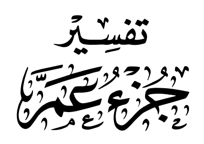
وَهَذِهِ السُّورَةُ مُشْتَمِلَةٌ عَلَىٰ الِاسْتِعَاذَةِ بِرَبِّ النَّاسِ، وَمَالِكِهِمْ، وَإِلَهِهِمْ مِنَ الشَّيْطَانِ، الَّذِي هُوَ أَصْلُ الشُّرُورِ كُلِّهَا وَمَادَّتُهَا، الَّذِي مِنْ فِتْنَتِهِ وَشَرِّهِ أَنَّهُ يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ، فَيُحَسِّنُ لَهُمُ الشَّرَّ، وَيُرِيهِمُ الشَّرَّ فِي صُورَةٍ حَسَنَةٍ، وَيُنَشِّطُ إِرَادَتَهُمْ لِفِعْلِهِ، وَيُثَبِّطُهُمْ عَنِ الخَيْرِ، وَيُرِيهِمْ إِيَّاهُ فِي صُورَةٍ غَيْرِ صُورَتِهِ.

وَهُوَ دَائِمًا بِهَذَا الحَالِ؛ يُوَسْوِسُ، ثُمَّ يَخْنَسُ يَتَأَخَّرُ عَنِ الْوَسْوَسَةِ إِذَا ذَكَرَ الْعَبْدُ رَبَّهُ، وَاسْتَعَانَ بِرَبِّهِ عَلَىٰ دَفْعِهِ، فَيَنْبَغِي أَنْ يَسْتَعِينَ بِاللهِ، وَأَنْ يَسْتَعِيذَ بِهِ، وَأَنْ يَعْتَصِمَ بِرُبُوبِيَّةِ اللهِ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ، وَالْوَسْوَاسُ كَمَا يَكُونُ مِنَ الجِنِّ يَكُونُ مِنَ الْإِنْسِ.

وَالشَّيْطَانُ لَهُ طُرُقٌ، وَحِيَلٌ خَفِيَّةٌ وَظَاهِرَةٌ، فَأَحْيَانًا يَدْعُو الْعَبْدَ إِلَىٰ خَصْلَةٍ مِنْ خِصَالِ الخَيرِ؛ لِكَيِ يُوَرِّطَهُ فِي خِصَالٍ مِنْ خِصَالِ الشَّرِّ، وَرُبَّمَا دَعَاهُ، وَزَيَّنَ لَهُ المَفْضُولَ؛ لِكَيْ يُفَوِّتَ عَلَيْهِ أَجْرَ الْعَمَلِ بِالْفَاضِلِ.

فَإِنَّهُ مَا يَزَالُ حَرِيصًا عَلَىٰ إِغْوَاءِ الْعَبْدِ وَالسَّعْيِ فِي إِهْلَاكِهِ؛ لِأَنَّهَا هِيَ الْمَعْرَكَةُ الَّتِي بَيْنَهُ، وَبَيْنَ آدَمَ وَبَنِيهِ، نَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَعْصِمَنَا مِنْ ذَلِكَ؛ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

●●●





مَا يُسْتَفَادُ مِنَ الْآيَاتِ[١]:

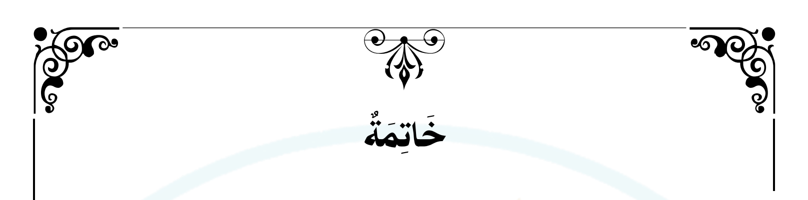
١- فِي الْآيَاتِ: وُجُوبُ الِاسْتِعَاذَةِ بِاللهِ تَعَالَىٰ مِنْ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالجِنِّ، وَقَدِ اشْتَمَلَتْ هَذِهِ الصُّورَةُ الْعَظِيمَةُ عَلَىٰ ثَلَاثِ صِفَاتٍ لِلرَّبِّ جَلَّ وَعَلَا؛ هِيَ: الرُّبُوبِيَّةُ، وَالمُلْكُ، وَالْأُلُوهِيَّةُ، وَأَمَرَ المُسْتَعِيذَ بِأَنْ يَتَعَوَّذَ بِالمُتَّصِفِ بِهَذِهِ الصِّفَاتِ.

٢- وَفِيهَا: تَقْرِيرُ رُبُوبِيَّةِ اللهِ تَعَالَىٰ، وَإِلَهِيَّتِهِ ﷻ، مَعَ بَيَانِ تَمَامِ مُلْكِهِ سُبْحَانَهُ.

٣- وَفِيهَا: الْأَمْرُ بِالِاسْتِعَاذَةِ بِاللهِ مِنْ جَمِيعِ الشَّيَاطِينِ: إِنْسِهِمْ وَجِنِّهِمْ.

◉ ◉ ◉

(١) «أيسر التفاسير» (٥/ ٦٣٣).



خَاتِمَةٌ

وَصَلَّىٰ اللهُ وَسَلَّمَ، وَبَارَكَ عَلَىٰ عَبْدِهِ، وَنَبِيِّهِ، وَصَفِيِّهِ، وَخَلِيلِهِ، وَكَلِيمِهِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَآلِهِ وَصَحْبِهِ، وَأَتْبَاعِهِ، وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ.

اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ الإِخْلَاصَ فِي الْقَصْدِ وَالنِّيَّةِ، وَنَسْأَلُكَ الإِحْسَانَ فِي الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ، وَنَسْأَلُكَ الثَّبَاتَ عَلَىٰ ذَلِكَ حَتَّىٰ المَمَاتِ؛ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا؛ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ، الْعَظِيمُ، الرَّحْمَنُ، الرَّحِيمُ، الْكَرِيمُ، المَنَّانُ، يَا ذَا الحَوْلِ وَالطَّوْلِ، يَا ذَا الجَلَالِ وَالإِكْرَامِ.

رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا، وَلَا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، وَيَا أَكْرَمَ الْأَكْرَمِينَ، وَيَا ذَا الْقُوَّةِ المَتِينِ.

وَقَدْ كَانَ هَذَا التَّفْسِيرُ لِلْجُزْءِ الثَّلَاثِينَ «**جُزْءِ عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ**» فِي مَجَالِسَ فِي الْمَسْجِدِ الشَّرْقِيِّ، فِي سُبْكِ الأَحَدِ مِنْ أَعْمَالِ مُدِيرِيَّةِ المُنُوفِيَّةِ بِمِصْرَ -حَفِظَهَا اللهُ رَبُّ الْعَالمِينَ، وَحَرَسَهَا، وَجَمِيعَ بِلَادَ المُسْلِمِينَ-.

وَآخِرُ هَذِهِ المَجَالِسِ فِي يَوْمِ الْأَرْبِعَاءِ الثَّانِي مِنْ شَهْرِ صَفَرٍ لِسَنَةِ ١٤٣٠هـ، مِنْ هِجْرَةِ النَّبِيِّ المُخْتَارِ ﷺ، المُوَافِق لِلثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنَ الشَّهْرِ الأَوَّلِ مِنْ سَنَةِ ٢٠٠٩م مِنْ مِيلَادِ عَبدِ اللهِ، وَكَلِمَتِهِ أَلْقَاهَا إِلَىٰ مَرْيَمَ، وَرُوحٍ مِنْهُ عِيسَىٰ ابنِ مَرْيَمَ -عَلَيْهِ وَعَلَىٰ نَبِيِّنَا أَفْضَلُ الصَّلَاةِ وَأَزْكَىٰ التَّسْلِيمِ-.

وَآخِرُ دَعْوَانَا أَنِ الحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالمينَ.

◉◉◉